

# نظام الكنبو



# نظام الكنجوة

شاعر الفضيلة  
عصره وبيئته وشعره

تأليف

دكتور عبد النعيم محمد حسنين  
مدرس بكلية الآداب - جامعة إبراهيم

## مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)

حسنيين، عبد النعيم محمد.

نظامى الكنجوى شاعر الفضيلة : عصره و بيئته و شعره / تأليف عبد النعيم محمد حسنيين. -  
الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية ، 2015.

ص. سم.

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية و كشافات.

تدمك 978-977-452-319-8

1. نظامى الكنجوى، ت. 569 هـ. 2. الشعر الفارسي -- تاريخ و نقد. 3. الشعراء الفرس --  
تراجم. أ. العنوان.

2015760501

ديوي - 891.55809

ISBN: 978-977-452-319-8

رقم الإيداع: 2015/5850

© ٢٠١٥ مكتبة الإسكندرية.

الاستغلال غير التجاري

تم إنتاج المعلومات الواردة في هذا الكتاب للاستخدام الشخصي والمنفعة العامة لأغراض غير تجارية، ويمكن إعادة إصدارها كلها أو جزء  
منها أو بأية طريقة أخرى، دون أي مقابل ودون تصاريح أخرى من مكتبة الإسكندرية. وإنما نطلب الآتي فقط:

- يجب على المستغلين مراعاة الدقة في إعادة إصدار المصنفات.
- الإشارة إلى مكتبة الإسكندرية بصفتها "مصدر" تلك المصنفات.
- لا يعتبر المصنف الناتج عن إعادة الإصدار نسخة رسمية من المواد الأصلية، ويجب ألا ينسب إلى مكتبة الإسكندرية، وألا  
يشار إلى أنه تم بدعم منها.

الاستغلال التجاري

يحظر إنتاج نسخ متعددة من المواد الواردة في هذا الكتاب، كله أو جزء منه، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري، إلا بموجب إذن  
كتابي من مكتبة الإسكندرية. وللحصول على إذن لإعادة إنتاج المواد الواردة في هذا الكتاب، يرجى الاتصال بمكتبة الإسكندرية،  
ص.ب. ١٣٨ الشاطبي ٢١٥٢٦، الإسكندرية، مصر. البريد الإلكتروني: [secretariat@bibalex.org](mailto:secretariat@bibalex.org)

التصميم والإخراج الفني: جيهان أبو النجا

تصميم الغلاف: الحسن عصام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# هست کلید در گنج حکیم

نظامی الگنجوی

(البيت الأول من مخزن الأسرار)



## إهداء

### إلى روح والدي العزيز

إليك .. يا من غرست في نفسي حب العلم والخلق الفاضل.  
إليك .. يا من علمتني أن العلم لا قيمة له بدون الأخلاق، وأن طلبه يجب أن يكون من المهد إلى اللحد، وأن المرء لا يزال عالمًا حتى يظن أنه قد علم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.  
إليك .. يا من لقنتني أن الكرامة هي أثن شيء في الوجود، وأن الحياة يجب أن تقوم على المبادئ السليمة، والمثل الرفيعة، لا على الأغراض والأهواء .. فيكون أساسها الخلق الفاضل النظيف، والجد والاستقامة وإنكار الذات، والإخلاص وبقظة الضمير، والمحبة والتعاون.  
إليك .. يا من جعلتني أومن بأن الزبد يذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .. وبأن دولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى أن تقوم الساعة.  
إلى روحك يا والدي .. أقدم هذا الكتاب فإنه الثمرة الأولى لغرسك .. وإني لأدعو الله أن يطيب ثراك، ويجعل الجنة مأواك. كما أرجو أن يجد القارئ فيه متعة وفائدة .. وأن يجد فيه ابني "أسامة" ما يحبه في البحث، ويرغبه في طلب العلم، ويدعوه إلى التمسك بالخلق والاعتزاز بالكرامة، ويجعله يستعذب ما يجده في سبيل ذلك من العناء والمشقات.  
وإن روحك الطاهرة لتتهافت بنا أن نسير في الطريق الذي رسمته لنا، فنحمل مشعل العلم والأخلاق، ونؤدي للوطن المحبوب أجل الخدمات.  
وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

ابنك

عبد النعيم محمد حسنين





## المحتوى

٧	إهداء
١٩	مقدمة بقلم الدكتور إسماعيل سراج الدين
٣١	تقديم بقلم الأستاذ الدكتور إبراهيم أمين الشواربي
٣٥	مقدمة المؤلف

## الكتاب الأول

### عصر نظامي وبيئته والتعريف به

#### الباب الأول - عصر نظامي

٥٣	تمهيد: تصوير موجز للعصر الذي عاش فيه نظامي
٥٧	الفصل الأول: دولة السلاجقة
٥٧	. السلاجقة العظام
٥٩	. سلاجقة العراق

- ٦٥ ..... سلاجقة آسيا الصغرى، ومن والاهم.....
- ٧١ ..... الفصل الثاني: حكام آذربيجان
- ٧١ ..... أتابكة آذربيجان.....
- ٧٨ ..... حكام مراغة.....
- ٨٢ ..... حكام شروان.....
- ٨٩ ..... الفصل الثالث: المعسكران السني والشييعي
- ٨٩ ..... العباسيون في بغداد.....
- ٩٢ ..... الإسماعيليون في إيران.....
- ٩٧ ..... الفصل الرابع: النواحي الاجتماعية والفنية والدينية في عصر نظامى
- ٩٧ ..... الناحية الاجتماعية.....
- ٩٩ ..... الناحية الفنية.....
- ١٠٣ ..... الناحية الدينية.....

## الباب الثاني - بيئة نظامى الخاصة

- ١١٣ ..... الفصل الأول: البيئة الجغرافية
- ١١٣ ..... تحديد البيئة الجغرافية التي ولد فيها نظامى.....
- ١١٦ ..... كنججه وما في بيئتها من عوامل موجهة.....
- ١٢٣ ..... الفصل الثاني: البيئة العائلية:

## الباب الثالث - التعريف بنظامي

- الفصل الأول: اسم الشاعر ولقبه وكنيته وتخلصه وتاريخ ولادته..... ١٣٣
- الفصل الثاني: نشأة نظامي..... ١٣٩
- الفصل الثالث: ثقافة نظامي..... ١٤٧
- الفصل الرابع: أخلاق نظامي ومذهبه في الحياة..... ١٥٧
١. أخلاق نظامي:..... ١٥٧
٢. مذهب نظامي في الحياة:..... ١٥٩
- الفصل الخامس: وفاة نظامي ومدفنه..... ١٦٧

## الكتاب الثاني

### شعر نظامي

- تمهيد..... ١٧٥
- فن المتنوي..... ١٧٥
- النسخ الخطية الموجودة من خمسه نظامي..... ١٧٩
- ترتيب خمسه نظامي..... ١٨٢

## الباب الأول - منظومة مخزن الأسرار

- الفصل الأول: دراسة حول مخزن الأسرار..... ١٨٥
- الفصل الثاني: محتويات مخزن الأسرار..... ١٩١
١. المقالة الأولى... في خلق آدم..... ١٩٣
٢. المقالة الثانية... في العدل ورعاية الإنصاف..... ١٩٦
٣. المقالة الثالثة... في حوادث العالم..... ١٩٩
٤. المقالة الرابعة... في رعاية الرعية..... ٢٠١
٥. المقالة الخامسة... في وصف الهرم..... ٢٠٣
٦. المقالة السادسة... في الاعتبار بالموجودات..... ٢٠٤
٧. المقالة السابعة... في فضل الإنسان على الحيوانات..... ٢٠٧
٨. المقالة الثامنة... في بيان الخلق..... ٢٠٨
٩. المقالة التاسعة... في ترك المئونات الدنيوية..... ٢٠٩
١٠. المقالة العاشرة... في ظهور آخر الزمان..... ٢١١
١١. المقالة الحادية عشرة.. في غدر الدنيا..... ٢١٣
١٢. المقالة الثانية عشرة.. في وداع الدنيا..... ٢١٧
١٣. المقالة الثالثة عشرة.. في ذم العالم..... ٢٢٠
١٤. المقالة الرابعة عشرة.. في ذم الغفلة..... ٢٢٢
١٥. المقالة الخامسة عشرة.. في ذم الحساد..... ٢٢٤
١٦. المقالة السادسة عشرة.. في سرعة السير..... ٢٢٨
١٧. المقالة السابعة عشرة.. في العبادة والتجرد..... ٢٣٠

١٨. المقالة الثامنة عشرة .. في ذم المنافقين ..... ٢٣٢
١٩. المقالة التاسعة عشرة .. في استقبال الآخرة..... ٢٣٥
٢٠. المقالة العشرون .. في وقاحة أبناء العصر ..... ٢٣٩
- الفصل الثالث: مقارنة مخزن الأسرار لنظامى بحديثه الحقائق لسناي ..... ٢٤٥

### الباب الثاني - منظومة خسرو وشيرين

- الفصل الأول: دراسة حول منظومة خسرو وشيرين ..... ٢٥٥
١. تاريخ إتمام المنظومة ..... ٢٥٥
٢. تقديم المنظومة وما أصابته من نجاح ..... ٢٥٧
٣. شخصيات القصة وأماكنها ..... ٢٦١
- الفصل الثاني: قصة خسرو وشيرين كما عرضها نظامى ..... ٢٦٥
- الفصل الثالث: مقارنة بين تصوير كل من الفردوسى  
ونظامى لقصة خسرو وشيرين ..... ٢٩٥

### الباب الثالث - منظومة ليلى ومجنون

- الفصل الأول: دراسة حول منظومة ليلى ومجنون ..... ٣٠٧
- الفصل الثاني: قصة ليلى والمجنون كما صورها نظامى ..... ٣١٣

الفصل الثالث: مقارنة تصوير نظامى لقصة ليلى والمجنون

بالأصل العربي لها..... ٣٣٥

## الباب الرابع - منظومة هفت پيكر

الفصل الأول: دراسة حول منظومة هفت پيكر..... ٣٤١

الفصل الثاني: قصة هفت پيكر كما صورها نظامى..... ٣٤٥

١. بهرام تحت القبة السوداء..... ٣٦٠

٢. بهرام تحت القبة الصفراء..... ٣٦٣

٣. بهرام تحت القبة الخضراء..... ٣٦٤

٤. بهرام تحت القبة الحمراء..... ٣٦٦

٥. بهرام تحت القبة الفيروزية..... ٣٦٨

٦. بهرام تحت القبة البنية..... ٣٧٠

٧. بهرام تحت القبة البيضاء..... ٣٧١

الفصل الثالث: مقارنة بين تصوير كل من الفردوسى ونظامى

لقصة بهرام كور..... ٣٧٧

## الباب الخامس - منظومة إسكندرنامه

الفصل الأول: دراسة حول منظومة إسكندرنامه..... ٣٨٥

١. أقسام المنظومة:..... ٣٨٥

٢. تواريخ إتمام أجزاء القصة، وما أصابته من نجاح:..... ٣٨٩

٣. سبب نظم قصة الإسكندر: ..... ٣٩١
- الفصل الثاني: بطولة الإسكندر كما صورها نظامى في شرفنامه ..... ٣٩٣
- الفصل الثالث: حكمة الإسكندر كما صورها نظامى في خردنامه ..... ٤١١
- الفصل الرابع: نبوة الإسكندر كما صورها نظامى في إقبالنامه ..... ٤٢١
- الفصل الخامس: مقارنة بين تصوير كل من الفردوسى ونظامى  
لشخصية الإسكندر ..... ٤٣٧

## الباب السادس - ديوان نظامى

- الفصل الأول: دراسة حول الديوان ..... ٤٤٥
- دراسة حول ديوان نظامى ..... ٤٤٥
١. هل كان لنظامى ديوان شعر؟ ..... ٤٤٥
٢. عدد أبيات الديوان، والنسخ الخطية الموجودة منه، وما تم نشره فعلاً: ..... ٤٤٦
٣. تواريخ نظم قصائد الديوان وجمعها: ..... ٤٤٨
- الفصل الثاني: محتويات ديوان نظامى ..... ٤٥١
١. الفخر: ..... ٤٥١
٢. الزهد والتجرد من الدنيا، والعمل للآخرة: ..... ٤٥٣
٣. الغزل: ..... ٤٥٥
٤. الرثاء: ..... ٤٥٨

## الباب السابع - فن نظامى الشعري

٤٦١	الفصل الأول: مزايا فن نظامى الشعري
٤٧١	الفصل الثانى: صور شعرية تجسم فن نظامى
٤٧١	١. منظر الغروب:
٤٧٣	٢. صورة جنة الحقيقة:
٤٧٦	٣. وصف حفل ليلى:
٤٨١	خاتمة
٤٨٥	ثبت بأسماء المراجع
٤٨٥	١. المراجع التي كتبت باللغات الشرقية
٤٨٥	أ- المراجع الفارسية:
٤٩٤	ب- المراجع العربية:
٤٩٩	ج- بالتركية:
٥٠٠	المراجع التي كتبت باللغات الأوروبية
٥٠٠	أ- المراجع الإنجليزية:
٥٠٢	ب- المراجع الروسية:
٥٠٣	ج- بالألمانية:
٥٠٣	د- المراجع الفرنسية:
٥٠٤	هـ- بالإيطالية:



ملحقات	٥٠٤
أ- دولة السلاجقة:	٥٠٤
ب- حكام آذربيجان:	٥٠٥
ج- العباسيون في بغداد:	٥٠٦
د- الإسماعيليون في إيران:	٥٠٦
التعريف بأشهر المدن والقلاع التي ذُكرت في الخريطة	٥٠٧
كشاف أسماء الأعلام	٥٠٩
كشاف الأسر والدول والشعوب والقبائل	٥١٤
كشاف المدن والبقاع والأقطار والبحار والقلاع	٥١٥
جدول الصور	٥١٨
كتب وأبحاث علمية	٥١٩



## مقدمة

# كتاب "نظامى الكنجوى- شاعر الفضيحة - عصره وبيئته وشعره"

## تمهيد

التراث الفارسي ليس فقط ما أنتجه أبناء البلاد المحصورة جغرافياً في إيران المعاصرة، ولكن كل ما أنتجه من كتبوا بالفارسية، ومن ليسوا من أماكن في إيران الحديثة، ومن أبرزهم الشاعر الملمهم، والحكيم العظيم "نظامى كنجوى". هو ابن أذربيجان المعاصرة، وكان من أعظم علماء عصره، ومن أبرز شعراء العالم الإسلامى أجمع، ويبقى من عمالقة الشعر والملحمة على المستوى العالمى.

كانت القصة الفارسية مليئة بالأساطير والروايات، وهي همزة الوصل بين ماضيهم وحاضرهم، وقد تبارى شعراء الفارسية في نظم سير الملوك، التي تحتوي على الآثار القصصية والتي عرفت في عصرنا بالملاحم. وهي

منظومات مطولة في قصص البطولة التي تختلط فيها الحقائق بالأحلام، والواقع بالأساطير، وأصبحت هذه الملاحم مرجعاً تاريخياً مهماً لمن تبعهم، بالإضافة لجمالها الأدبي، وكانت أشهرها على الإطلاق هي الشاهنامه لأبي القاسم الفردوسي (٣٠٨-٤١١هـ / ٩٣٥-١٠٢٠م).

وكان للفرس أثر كبير في وضع الأسس الأولى لعلم الأسطورة ومفاهيم الغيب وإنشاء قواعد لها. وبدءاً من الأخمينيين (٦٤٠-٣٣١ ق.م.) وصولاً إلى الساسانيين (٢٢٤-٦٥١م) عمل الفرس على نقل علوم الغيب والتنجيم وتنقيحها وتطويرها حتى شهد لهم الأقوام الآخرون بما فيهم الروم براعتهم في هذه العلوم. ولكن الفرس ومن كتب بلغتهم لم يكتفوا بالإسهام في العلوم، بل أبدعوا في القص وفي الشعر، ولم يقتصر الشعراء الفرس على نظم تراثهم القديم، بل نظموا قصصاً من وحي القرآن الكريم؛ مثل "ذو القرنين" و"يوسف وزليخا"، وأخذوا من الأدب العربي "ليلي والمجنون".

### الحكيم نظامى كنجوى:

اسمه جمال الدين أبو محمد إلياس بن يوسف الكنجوى، وعرف (بالحكيم نظامى كنجوى) من شعراء الفرس القصاصين الكبار، ولد في حدود سنة (٥٣٥هـ - ١١٤٠م)، في (كنجه - Ganja)، وهي الآن المدينة الثانية في أذربيجان، وقضى أكثر عمره هناك، كانت أمه كُردية، وأبوه نازحاً من قم، تزوج كما ورد في أشعاره ثلاث مرات، ولديه ولد واحد اسمه "محمد". وربما كان نظامى هو الشاعر الوحيد بين شعراء الفارسية الذي ابتعد عن

السلطة وحياة البلاط، ورفض الانتقال إلى العاصمة، واهتم بالعلم ونتاج العلماء، هذا بالإضافة إلى اهتمامه بالتصوف والفن؛ فهو يُعد حكيماً ذا علم موسوعي، بالإضافة لكونه شاعراً مرهف الحس، بليغ اللفظ، يدعو إلى الاستقامة والخلق الرفيع بكل إخلاص، ولا غرابة في أن يسميه الأستاذ الدكتور عبد النعيم حسنين أستاذ اللغة الفارسية "شاعر الفضيلة".

ويعد نظامى من الشعراء الفرس المشهود لهم بالتميز والنبوغ، والذين استطاعوا أن يبتدعوا نهجاً خاصاً بهم ويطوروه. كما شهد له بالذكاء الشديد والورع الحقيقي دون تعصب وجمود، مستقلاً برأيه شديد الاعتزاز بكرامته، والدّاً محبباً عطوفاً، وزوجاً عاشقاً. وكان حكيماً متصوفاً لا يتناول الخمر على الإطلاق؛ على عكس الكثير من شعراء الفرس آنذاك.

زخرت أشعاره بأصول الحكمة والعرفان وله في ذلك كتابات ذات طابع صوفي. وجاءت أشعاره في هذا المجال صعبة ومعقدة للغاية لما احتوت عليه من دقة بالغة في المضامين والخيال. ولكن لقدرته على القص ونظم الشعر أصبحت مؤلفاته نموذجاً يحتذى به بعد تأليفها بفترة وجيزة، أي منذ القرن السابع الهجري حتى يومنا هذا.

ومع أن جذور الشعر القصصي كانت ممتدة قبل هذا الأديب الكبير، فإنه الشاعر الوحيد الذي استطاع حتى نهاية القرن السادس الهجري أن يطور هذا النوع من الشعر، ويصل به إلى الحد الأعلى من الكمال، ويتفوق على أقرانه في هذا المجال. تميز نظامى في شعره بإبداع المعاني، والمضامين

البكر في شتى الأغراض بالإضافة إلى قوة خياله ومهارته في تصوير دقائق الأمور، خلال وصفه للطبيعة والأشخاص مستخدماً الكثير من التشبيهات والاستعارات البديعة. وكان نظامى متميزاً في مختلف علوم زمانه، ومبدعاً في الأدب والشعر، وأهم آثاره الكنوز الخمسة الشاملة لخمس مثنويات رائعة، وهي:

مخزن الأسرار، خسرو وشيرين، ليلي والمجنون، الصور السبعة (هفت پيگر)، إسكندر نامه.

لنظامى ديوان شعر بخلاف منظوماته الخمس، وكان الديوان كاملاً عام ٥٨٤هـ، أي قبل البدء في نظم منظومته الثالثة. وهو يتناول موضوعات مختلفة كالفخر والرتاء والزهد والتجرد عن الدنيا والغزل، وقيل إن هذا الديوان كان يحتوي على حوالي ٢٠٠٠٠ قصيدة، لم يبقَ منها سوى حوالي ٤٥٠٠ قصيدة.

غير أن الشهرة الغالبة على نظامى أنه صاحب الكنوز الخمسة حتى صار إماماً في فن القصة الشعرية إلى درجة أن الكثيرين حاولوا تقليده في أن يكون لهم خمس منظومات مثله.

ويُعد نظامى البطل القومي بأذربيجان، ولهذا سعى مركز نظامى كنجوى الدولي بأذربيجان للتواصل مع مكتبة الإسكندرية من أجل إحياء وتوثيق تراث الشاعر العظيم، ضمن مشروع أكاديمي كبير. وبالبحث في المكتبة العربية كان هذا الكتاب بلا شك أهم ما كُتب عن حياة وأعمال الشاعر الكبير، وهو سبب سعينا لإعادة نشره وتوزيعه من جديد.

## بين يدي الكتاب

كتاب «نظامي الگنجوی - شاعر الفضيلة - عصره وبيئته وشعره» للدكتور عبد النعيم محمد حسنين. ينقسم إلى كتابين فرعيين، يتناول الكتاب الأول بالبحث والتحليل حياة الشاعر نظامي وأفكاره، والمجهودات التي بذلت لتيسير دراسة أفكار وروايات نظامي، وعرضًا لما قام به المستشرقون من دراسات ونقدها.

والأستاذ الدكتور عبد النعيم حسنين أستاذ اللغة الفارسية وآدابها، ومؤسس قسم اللغة الفارسية في جامعة عين شمس (إبراهيم سابقًا)، تعلم الفارسية في مصر وإيران، وله الكثير من المؤلفات في الأدب الفارسي، ويعتبر أول من كتب وبحث في شعر وفكر نظامي گنجوی من الوطن العربي. والكتاب الذي بين يدينا الآن كان أطروحته للدكتوراه والتي قام بطبعتها عام (١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م)، ويعد من أهم الأعمال العربية التي تناولت أعمال وأفكار نظامي گنجوی.

يعطي الكتاب صورة كاملة للعصر الذي عاش فيه نظامي گنجوی؛ حيث يبدأ بدولة السلاجقة، وحكام أذربيجان، والنواحي الاجتماعية والفنية والدينية في عصر نظامي، ويتطرق إلى المعسكرين "السنّي" في بغداد و"الشيوعي" في بلاد فارس.

ثم يتطرق الكتاب إلى بيئة نظامي الخاصة التي ولد فيها، فيتناول البيئة الجغرافية لمدينة گنجه موطن نظامي، ويذهب إلى البيئة العائلية ودلالاتها في

أشعاره، وتأثير عائلته في أفكاره. ثم يقوم الكتاب بالتعريف بنظامى ونشأته وثقافته الدينية والأدبية والفلسفية، وإمامه بعلم التنجيم، والهندسة، والطب، وإدراكه للعادات والتقاليد الاجتماعية. ويشيد بأخلاق نظامى ومذهبه في الحياة، وميله للتصوف مع موافقته للأشاعرة في كثير من المواضيع، وميله إلى القول بنظرية الجبر. ولم ينسَ الكتاب أن يتناول وفاة نظامى ومدفنه في مدينة كنج، وما أثير حول وفاته ومدفنه ومقبرته.

أما الكتاب الثاني فيتناول شعر نظامى تفصيلاً؛ فيبدأ بالتعريف بالنسخ الخطية المعروفة من خمسة نظامى، واهتم بإيضاح ترتيبها، ثم تناول كل منظومة على حدة فترجمها إلى اللغة العربية ترجمة دقيقة محافظاً على روح النص الأصلي، وأجرى دراسة وافية شافية لكل منظومة، بل عرض وجهات النظر المختلفة حولها. فتناول على الترتيب:

### ١- منظومة مخزن الأسرار

حيث إنها هي المثنوية الأولى من حيث الترتيب الزمني، ونظمها نظامى بين عامي (٥٦٠-٥٦١هـ / ١١٦٥-١١٦٦م)، وهي أقصر المثنويات طولاً، وتتميز بأنها «منظومة صوفية»، تحتوي على الكثير من النكات والحكايات، والكثير من الشناء والحمد والذكر والمناجاة لله تعالى، يعقبها عشرون مقالة كل واحدة تتعلق بموضوع فقهي أو أخلاقي يتناوله الشاعر من الناحية النظرية والمعنوية، ثم يصوره بعد ذلك بحكاية من الحكايات حتى يرسم صورة للتطبيق.



## ٢- منظومة خسرو وشيرين

نظمها بين عامي (٥٧٠-٥٧١هـ / ١١٧٥-١١٧٦م)، وتشتمل هذه المنظومة على ما يقرب من ٧٠٠٠ بيت، وعلى درب «الفردوسي» سار «نظامي» في نظمه لقصة العشق بين الملك الساساني الشهير «خسرو» ومعشوقته «شيرين»، ولكن مع الاختلاف بين تصوير الشخصيات بهما، وكيفية طرح الموضوع وصياغته؛ حيث استطاع (نظامي) أن يخرجها لنا قصة غرامية ذات طابع خاص، على عكس الفردوسي؛ حيث غلبت المشاعر الحماسية على روح القصة، بل ابتكر نظامي شخصية فرهاد وهو المحب العاشق للجميلة شيرين منافساً للملك خسرو، يشق الجبال ويتحدى الصعاب من أجلها، ويقضي نخبه في سبيلها، فتصبح القصة متعددة الأبعاد تتناوب فيها اللوحات الثاقبة في الشخصية مع المشاهد الرومانسية والتدفق الدرامي للقصة. وتظل هذه المنظومة الخالدة التي أضحت بفضل جمال وروعة أسلوبها ومضامينها الغزلية المتميزة بالعرفان، من عيون الشعر الفارسي على مر العصور.

## ٣- منظومة ليلى والمجنون

نظمها بين عامي (٥٨٣-٥٨٤هـ / ١١٨٨-١١٨٩م)، وتجسد هذه القصة معنى التواصل والتكامل بين الحضارات، وكيف أن الفن والثقافة هما الجسران بين مختلف الثقافات والأديان والشعوب، وقد حرص شاعرنا على أن يتواصل مع الثقافات الأخرى ويتعلم منها ويضيف إليها. وقد أضاف الكثير من

الإبداع على متن النص وأضفى اللمسة الفارسية السحرية على روح القصة والتي أبقي وقائعها جارية في أرض العرب، وتحتوي على حوالي ٤٥٠٠ بيت. ولا شك أن قصة قيس وليلى ما زالت من أشهر القصص العربية، نظمها أمير الشعراء أحمد شوقي في صورة تمثيلية شعرية صدرت في القرن العشرين الميلادي.

#### ٤- الصور السبعة (هفت بيكر)

«هفت بيكر» الصور السبعة، أو «هفت كنبد» وتعني القباب السبعة، وأتمها عام (١١٩٦م/٥٩٣هـ) وتشتمل على أكثر من ٥٠٠٠ بيت. وموضوع هذه المثنوية يتعلق بأحد الملوك الساسانيين؛ حيث يتحدث فيها عن السلطان «بهرام گور» وشجاعته وحروبه ومجالسه، ولهذا عرفت أيضًا باسم «بهرام نامه» أي كتاب بهرام، وكانت أكثر الروايات المذكورة عن هذا الملك التي تثنى على براعته في الفروسية ومهارته في الصيد. إلا أن نظامى أضاف في النسق المعقد للأجزاء المتداخلة لهذه الملحمة كيف يكتسب بهرام الحكمة عبر القصص والمغامرات التي يمر بها.

#### ٥- إسكندر نامه

نظمها في عام (١١٩١م/٥٨٦هـ)، تحدث فيها عن ثلاثة جوانب من شخصية الإسكندر، وتنقسم هذه المثنوية إلى مجلدين؛ المجلد الأول: يسمى

«شرفنامه» أي كتاب الشرف، وتحدث فيه عن الإسكندر كبطل فاتح، ويشتمل على ٦٨٠٠ بيت من الشعر.

والمجلد الثاني: ويسمى «إقبال نامه»، ويطلق عليه أيضًا «خرد نامه» أي كتاب العقل. وتحدث فيه نظامي عن الإسكندر كحكيم، ونبي. ويصل عدد الأبيات في هذه المنظومة إلى ٣٦٨٠ بيتًا من الشعر. ويلخص نظامي الآراء المختلفة التي قيلت في حقيقة الإسكندر في ثلاثة آراء، فقال: "يعتبره جماعة ملكًا فاتحًا للعالم، وسائحًا في الآفاق، ويجعله قوم حكيماً، ويقتبسون الحكمة من أعماله، ويعترف جماعة بنبوته، لتقواه وعنايته بالدين".

ويبدو أن نظامي قد تأثر بالرأي المائل إلى أن "ذا القرنين" لم يكن شخصاً غير الإسكندر المقدوني، كما أثبتتها بعض المفسرين، أشهرهم البيضاوي. فمزج بين ما ورد في القرآن الكريم عن "ذي القرنين" بقصة الإسكندر المقدوني حتى يعطي موضوع الإسكندر صبغة قصصية ومسحة صوفية عرفانية.

والجدير بالذكر أن الشاعر الفارسي "أبا قاسم الفردوسي" (٩٣٥-١٠٢٠م) قد سبق نظامي في تصوير شخصية الإسكندر، ولكنه صوره بطريقة تتفق مع تمجيده لبني جنسه؛ وتعظيمًا للملوك فارس، فذهب إلى الرأي القائل بأن الإسكندر فارسي الأصل، حتى يمحو عن وطنه عار الهزيمة منه، وأنه الابن الأكبر للملك الإيراني "داراب بن بهمن" وأمه ابنة الملك اليوناني

"فيلقوس"، فاقترص تصوير الفردوسي للإسكندر في صورة البطل الفاتح، والقائد المظفر، الذي استطاع أن يوسع حدود دولته بفتح الأقاليم المختلفة، وضمها إلى حوزته.

وختامًا يسبح نظامى في ملكوت الله ويتحدث عن كل القيم الأخلاقية والإنسانية من منظور صوفي وعرفاني، يتعرض لظلم الحاكم وينتقده من نظرة إنسانية. ويرى المرأة بنظرة العارف بالله الزاهد، فيرسمها ملائكية طاهرة زاهدة حتى في عشقها، فيبتعد عن العشق الجسدي ليصل إلى العشق الروحي المتصل بالله عز وجل. ويتحدث عن المرأة الحكيمة التي تلقن السلطان البطل درس الحكمة برفق ولباقة، ويتحدث عن المرأة ذات الإصرار التي تتمكن من مضاهاة كل صفات الرجال بقوتها النفسية والبدنية.

يرسم نظامى شخصيات قصصه من الواقع والخيال، ويرسمها في صور خلاصة وملاحم باهرة، تأخذ العقل والوجدان معًا. تجد في قصصه كل جديد، وتعيش مع أشعاره أسمى معاني الصوفية، وأعمق مشاعر العشق، وأقوى مشاهد البطولة، وأرفع آيات الجمال، فهو الإنسان الشاعر القصاص الصوفي، ويستحق بحق لقب "شاعر الفضيلة".

ونحن في مكتبة الإسكندرية نعتبر نظامى كنجوى من الشعراء المسلمين الذين يستحقون مكانتهم العالمية، ومن ثم رأينا أن نضع بين يدي القارئ

العربي هذا الكتاب القيم "نظامى الگنجوى - شاعر الفضيلة - عصره  
وبيئته وشعره"، بقلم الأستاذ الكبير الدكتور عبد النعيم محمد حسنين؛ تحية  
منا له ولنظامى گنجوى.

أ.د. إسماعيل سراج الدين  
مدير مكتبة الإسكندرية



## تقديم

### بقلم أستاذي الدكتور إبراهيم أمين الشواربي رئيس قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة إبراهيم

من حق المهتمين بالدراسات الشرقية أن يبتهجوا وأن يستبشروا، إذا ظفرت دراساتهم بين الفينة والفينة ببحث قيم، يقدمه إليهم باحثٌ جادٌ، يسلك طريق البحث العلمي الصحيح، مزوّدًا من عزمه وإخلاصه بما يذلل الصعاب، ويمهد العقبات.

ومن حقهم أيضًا أن يتفاءلوا وأن يطمئنوا إذا علموا أن الدراسات الشرقية بمصر، لم تسلخ من عمرها في الجامعات المصرية إلا قرابة ربع قرن من الزمان، ولكنها استطاعت رغم قصر العهد بها، وقلّة العناية بأمرها أن تبرز بين سائر الدراسات الأدبية والعلمية التي صاحبت نهضتنا الحديثة، وأن تخرج لنا جيلًا جديدًا من المتخصصين في لغات الشرق وآدابه، يشاركون الآن جماعة "المستشرقين" من أهل الغرب في مجهودهم الطويل الذي بذلوه منذ قرون في هذه الدراسات. فإذا هم يدركون ركبهم ويزاملون قافلته، ويساهمون في هذا التراث الشرقي بنصيب مهما قلّ أو صغر، فإنه كفيل بأن ينفي عن الشرق وصمة الكسل الذهني، عندما تهامس عليه

المتهامسون فقالوا: إنه غريب في دياره، تستخفي ثقافته على بنيه، وتستغلق حضارته على أهله وذويه!!

ومع ذلك كله، فمن الحق أن نقرر أن "الدراسات الشرقية" في مصر ما زالت في حاجة إلى مزيد من الاهتمام والتشجيع، حتى تتمكن من أن تؤدي رسالتها على أكمل وجه في هذا البلد الذي يعد من غير شك واسطة العقد بين سائر البلاد الشرقية، وفيه تتركز آمال الشرق وأمانيه. وفي رأيي أنه لن يتأتى لها ذلك إلا إذا قرن التشجيع النظري بالتشجيع العملي بحيث يتمكن أصحاب هذه الدراسات من الانتقال بها من المرحلة النظرية البحتة، إلى مرحلة ثانية يستهدفون فيها أغراضًا عملية أخرى، تجعل شأن هذه الدراسات شأنها في سائر بلاد الغرب، حيث ينتفعون بها علمًا وعملاً، وحيث لا تستوفي فائدة العلم إلا إذا اقترن بالعمل. ومن حسن الحظ أننا سائرون إلى هذه النهاية، سواء تمهلنا أم تعجلنا، لأن العزم قد انعقد واليقين قد تأكد.

ولا أدل على انعقاد العزم وتأكيد اليقين، من أن إقبال الشباب على هذه الدراسات قد زاد في السنوات الأخيرة زيادة ملحوظة، تتمثل في طائفة مختارة من المتطلعين إلى الشرق، المشغوفين بثقافته، المؤمنين بحضارته، الذين إذا قيل لهم "الشرق شرق والغرب غرب" لم يجدوا في هذا القول غضاضة أو ضيراً لأن الشرق أصبح عقيدة ثابتة في أنفسهم، تجعله لديهم مطلع النور، ومنبع الحضارات، ومجمع الخير الذي يدعو إلى كل زهو وإعجاب.



وإني أقدم إلى هؤلاء وإلى كل معتر بالشرق مريدًا قديمًا وزميلًا كريمًا هو الدكتور عبد النعيم حسنين.

استكمل الدكتور عبد النعيم دراساته الفارسية في مصر وإيران، وكان مثالاً للشباب الجامعي الطموح، الذي يقتحم اللجة ويتلف المهجة، دون أن ينتظر أجرًا أو يستنفد صبرًا، فاستطاع برأيه وجلده أن يخرج لنا بحثه عن الشاعر الفارسي "نظامي" فإذا هو طرفة أدبية رائعة تنضم إلى المكتبة العربية، فتضيف إليها درة من درر الأدب الفارسي الجميل.

وإني لأذكر أنني قرأت "نظامي" طويلًا، وقرأته مرارًا، استعدادًا لمناقشة "عبد النعيم" في أول رسالة للدكتوراه تمنحها جامعة إبراهيم، فكنت كلما أطلت قراءة الرسالة، أكبرتُ الجهد الذي بذله فيها صاحبها وحمدتُ له مقدار المعاناة التي صمد لها. وإذا كنت قد خالفته في بعض مناحي البحث، فإني لا أستطيع أن أنكر أنني فيما وافقته عليه أو خالفته فيه، قد فزتُ بمتعة عقلية كبيرة، مهدها لي ما في البحث من شغف بإطالة النظر والتفكير، ووجد على التعمق والاستقصاء.

وإذا كنت أرجو بعد ذلك من الدكتور عبد النعيم شيئًا، فإنما أرجو أن يمكننا قريبًا من أن نقرأ "مثنويات" نظامي مترجمة إلى العربية، حتى يصبح فضلنا علينا مضاعفًا، وحتى يصبح حمدنا له مكررًا ومضاعفًا أيضًا.

إبراهيم أمين الشواربي

٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٧٣

٣ يناير سنة ١٩٥٤



## مقدمة المؤلف

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين، كان يعيش - في گنجه بإقليم آذربيجان - شاعر وجّهته أحداث عصره، وعوامل بيئته إلى إثارة العزلة عن الولاة والحكام، رغم إرسال مدائحه إليهم وتقديم منظوماته لهم، كما جعلته يدعو إلى الفضيلة، ويتغنى بالخلق القويم، ويشكو من الظلم، وينادي باتباع العدل والوفاء؛ ذلك الشاعر هو نظامى الگنجوى، الذي أرجح أنه ولد في عام ٥٣٩هـ، وتوفي في عام ٦٠٨هـ.

وقد صاغ نظامى مبادئ دعوته في خمس منظومات وديوان شعر، وكانت منظوماته مجالاً لتقليد كثير من شعراء الفارسية والتركية على السواء.

ولكنه - مع هذا - لم يظفر بحظ وافر من الدراسة والتحقيق، خصوصاً إذا ما قيس بغيره من شعراء الفارسية، كالفردوسى والخيام وسعدى وحافظ، الذين ذاع صيتهم في الشرق والغرب، وظفروا بنصيب كبير من العناية والبحث.

ولعل الاهتمام بدراسة نظامى لم يبدأ في أوروبا والشرق إلا منذ قرن ونصف قرن تقريباً، ومع ذلك فقد لاحظ المحدثون أنفسهم أن الشاعر لم يستوف نصيبه من التحقيق، وهذه طائفة من أقوال الباحثين تبين ما قرّروه: يقول باخر Bacher عند حديثه عن كبار شعراء الفارسية، كالفردوسى وسعدى وجامى: "إن نظامى بالنسبة إليهم يعتبر غير معروف في أوروبا لأن آثاره المطبوعة في الهند لم تصل إلينا بحيث يستفاد منها"<sup>(١)</sup>.

ويقول براون Browne - بعد أن يقرّر أن امتياز نظامى معترف به، بين كُتّاب التذاكر وبين الشعراء أنفسهم: "وقصارى القول، أنه يمكن أن يوصف بأنه مزيج من النبوغ الممتاز والأخلاق الفاضلة، إلى درجة لا يعدلها شاعرٌ فارسي، كانت حياته موضوعاً لدراسة نقدية دقيقة"<sup>(٢)</sup>.

ويقول نيكلسون Nicholson: "إن الباحثين الأوروبيين كانوا مقلّين في كتاباتهم عن نظامى منذ عام ١٨٧١م حينما ظهرت مقالة باخر، فلم يحدث أي تقدم لإنشاء دراسة نقدية لنص الخمسة رغم الحاجة إليها، لكل من يبحث في النصوص الشرقية، وتكاد ترجمة كلارك "الإسكندرنامة برى"

(١) W. Bacher: *Nizamis Leben und Werke und der Zweite Teil des Nizamischen Alexanderbuches*, p. 111.

(٢) Browne: *A Literary History of Persia*, vol. 11, p. 462.

تكون العمل الوحيد ذا الأهمية. وإن إهمال شاعر مشهور موهوب كنظامي يمكن أن يفسر بالعلل التي تلتبس للدراسات الفارسية بصفة عامة<sup>(١)</sup>.

ويقول نفيسي: "هناك أشياء كثيرة لم تقل فيما يتعلق بنظامي، ورغم أنني كتبت سلسلة مقالات حول هذا الكنجوى السّاحر، فإني أصبحت لا أعجب بها. وإذا أردت أن أنشرها - في الوقت الحاضر - فإن أشياء كثيرة يمكن أن أضيفها إليها"<sup>(٢)</sup>.

ويقول برتلس Bertels نقلاً عن جورج يعقوب<sup>(٣)</sup>: "إن نظامي - كشاعر - ربما كان أعظم من الفردوسي، رغم أنه لم يجد مثل نولدكه<sup>(٤)</sup> وشاك<sup>(٥)</sup>".

وهذه الأقوال جميعها، تقرر أن نظامي لم يجد من يقوم ببحثه بحثاً علمياً مفصلاً دقيقاً، يكشف عن شخصيته كشفاً صحيحاً.

وقد دفعني هذا إلى تناول موضوع نظامي بالبحث لعلّي أستطيع أن أكشف عن بعض جوانبه الغامضة.

(١) مقالة نيكلسون التي كتبها تعليماً على ترجمة ويلسون لهفت بيكر إلى الإنجليزية وهي في: *Bulletin of the School of Oriental Studies, London Institution, London, 1924, p. 600.*

(٢) مقالة سعيد نفيسي التي كتبها عن "نظامي في أوروبا" في مجلة مهر شهر يورماه شماره ٤ ص ٣٢٥-٣٢٩.

(٣) ينقل برتلس هذا القول عن مقدمة ترجمة جورج يعقوب لإسكندرنامه لنظامي.

(٤) قام نولدكه ببحث الفردوسي وله كتاب قيم عن الفردوسي والشاهنامه.

(٥) كان شك من الذين بحثوا في الشاهنامه وقد قام بترجمة بعض أجزائها.

(٦) مقالة برتلس التي كتبها عن نظامي وقد نشرت في كتاب "عدة مقالات عن نظامي" باللغة الروسية، ص ٣٨.

وأرى لزماً عليّ - وفاءً بالأمانة العلمية - أن أعرض، في شيء من الاختصار ما تم من أبحاث تتعلق بنظامى<sup>(١)</sup>، فلعل هذا الكتاب يضيف حلقة جديدة إلى سلسلة تلك الأبحاث.

أخذ اسم نظامى يسمع منذ عام ١٧٨٦م، حينما نشر كتاب تحت عنوان، "المجموعة الآسيوية" *Asiatic Miscellany* اشتمل على منتخبات من الأدب الفارسي، وعلى عشرين قصة من "مخزن الأسرار" لنظامى. وقد طبعت هذه القصص مرة أخرى - في عام ١٨٠٢م - في مدينة ليزبيج، مع ترجمة لاتينية لها، ونشرت تحت عنوان: "نظامى الشاعر الوصاف القصاص *Nizami Poetae Narrationes et Fabulae*."

وفي عام ١٨١٢م، نشر بدر الدين علي ومير حسين علي كتاباً بالفارسية - في مدينة كلكتة - تحت عنوان "منتخب الشروح لإسكندرنامه" اشتمل على نص إسكندرنامه نظامى مع الشروح التي كتبت حوله.

وكان انتشار هذه الكتب سبباً في ذبوع اسم نظامى بين المستشرقين الأوروبيين، ولم تمض مدة طويلة حتى أصبح نظامى، مثل سعدى والفردوسى وحافظ والحليّام، له مكانة عالية بينهم، بل إنه صار خامسهم، وما زالت هذه المكانة له حتى الآن<sup>(٢)</sup>.

(١) عرض سعيد نفيسى في مقاله "نظامى في أوروبا" التي سبقت الإشارة إليها ما تم من أبحاث تتعلق بنظامى حتى عام ١٩٣٥م، وسأعتمد على ما كتبه ثم أضيف ما جدّ من أبحاث بعد هذا التاريخ حتى وقتنا هذا.

(٢) مقالة نفيسى عن نظامى في أوروبا: مجلة مهر شهر يورماه شماره ٤، ص ٣٢٥.

وفي عامي ١٨٢٦ و ١٨٢٨م، نشر المستشرق الروسي فرانسوا إردمان F. Erdmann - في مدينة غازان - منتخباً من "إسكندرنامه نظامي" اشتمل على قصة حرب الإسكندر مع الروس، وذلك تحت عنوان: *De Expeditione Russorum*.

ثم نشر المستشرق الروسي الشاب لويس سبتزناجل - في عام ١٨٢٨م - كتاباً - في مدينة بطرسبرج - أخذه عن "إسكندرنامه نظامي" وسماه: "حملة الإسكندر ضد الروس" وهو يقع في مجلدين<sup>(١)</sup>.

كما ترجم قصة حرب الإسكندر ضد الروس إلى الفرنسية، وأعدّ النص والترجمة للنشر في نفس السنة، ولكن سرعة وفاته حالت دون ذلك، فتكفل بهذه المهمة المستشرق الروسي شارموا Charmoya وكان يتقن الفارسية، فقام بإلقاء نظرة على الترجمة، ثم كتب له مقدمة قيمة، ونشر النص والترجمة.

وهكذا نلاحظ أن نظامي لم يكن معروفاً في أوروبا إلا عن طريق، "إسكندرنامه" و"مخزن الأسرار".

وفي عام ١٨٣٦م ترجم المستشرق الإنجليزي أتكينسون Atkinson "إلي ومجنون لنظامي" شعراً إنجليزياً، ودُشِرَتْ هذه الترجمة في لندن، كما أعيد طبعها في عامي ١٨٩٤ و ١٩٠٥م؛ وبهذا عرف الأوروبيون أن نظامي قد

(١) L. Spitznagel: *Expédition d'Alexandre le Grand contre les Russes, extrait de l'Alexandrède ou Iskèndèr-Namé de Nizamy.*

نظم شيئاً آخر غير "إسكندرنامة" و"مخزن الأسرار"، ولو أن العناية بهاتين المنظومتين لم تنقطع؛ فقد نشر المستشرق الإنجليزي ناثن بلند N. Bland - في عام ١٨٤٤م - "مخزن الأسرار" في لندن، ثم نشر "خردنامه إسكندرى" بعد ذلك في كلكتة.

كما نشر المستشرق الألماني شپرنجر<sup>(١)</sup> ومحمد شوشترى - في عام ١٨٥٢م - "خردنامه" تحت عنوان "إسكندرنامة بحرى".

وإذا استعرضنا ما تم حتى ذلك التاريخ نجده - رغم قيمته - لا يعدو أن يكون نشرًا أو ترجمةً لمنظومة أو جزء من منظومة، أما شخصية نظامى كشاعر، فلم تُبدل محاولة جدية لكشفها، وإظهار مكانتها بين شعراء الفارسية.

وكان أول من حاول ذلك المستشرق الألماني ولهم باخر فقد نشر، في عام ١٨٧١م، كتابًا عن نظامى - في جوتنبرج - تحت عنوان: "حياة نظامى وآثاره"<sup>(٢)</sup>. تحدث في القسم الأول منه عن حياة الشاعر وآثاره، بصفة عامة، ودرس في القسم الثانى الجزء الثانى من منظومة "إسكندرنامة" بصفة خاصة. والحقيقة أن باخر قد بذل جهدًا مشكورًا في محاولة كشف بعض النواحي التي ظلت غامضة في حياة الشاعر، فلم يُكْتَبَ عنها - في كتب التذاكر والتاريخ - شيء ذو غناء.

(١) كان شپرنجر Sprenger مقيمًا في الهند.

(٢) W. Bacher: *Nizamis Leben und Werke*.



وقد اتبع باخر منهجًا سليمًا، إذ اعتمد على أدق المصادر في دراسة الشاعر، ألا وهو شعر الشاعر نفسه، ولكن التوفيق لم يحالفه في فهم بعض أشعار نظامي مما ساقه إلى أخطاء جوهرية كثيرة، أشار ريو<sup>(١)</sup> إلى Rieu بعضهما، وسأشير إليها في موضعها من الكتاب.

ولعل لباحر بعض العذر، فقد قال - بعد أن سرد الأقوال المختلفة التي قيلت حول تاريخي ولادة الشاعر ووفاته، وتردّي الأوروبيين في أخطاء كثيرة: "والذي جعل الأوروبيين يتردّون في هذه الأخطاء إنما هو اعتمادهم على كتب التذاكر دون أن يدرسوا أشعار الشاعر دراسة مباشرة، واكتفأؤهم بالمصدر غير الدقيق، تذكّرة دولتشاه"<sup>(٢)</sup>.

وإذا تركنا باخر نجد أن محاولات نشر بعض منظومات الشاعر قد واصلت سيرها؛ فنشر كلارك Clarke - في عام ١٨٨١م "إقبالنامه سكيندرى" تحت عنوان "إسكندرنامه برى"، وذلك في مدينة كلكتة.

كما نشر المستشرق الهولندي هوتسما Houtsma - في عام ١٩٢١م - كتابًا - في ليدن - تحت عنوان: "خلاصة خمسة نظامي" هو عبارة عن منتخبات من منظومات الشاعر.

وفي عام ١٩٢٤م، ترجم المستشرق الإنجليزي ويلسن Wilson منظومة "هفت بيگر" إلى الإنجليزية، وقد نُشرت الترجمة في لندن.

Rieu: *Catalogue of Persian Manuscripts in the British Museum*, vol. 11., (١) p. 564.

W. Bacher: *Nizamis Leben und Werke*, p. 4. (٢)

من هذا العرض السريع، يبدو أن منظومات الشاعر - باستثناء "خسرو وشيرين" - قد نشرت نصًا أو ترجمة، واستطاع الناس أن يأخذوا فكرة ما عن شاعر كنجيه.

وفي السنوات الأخيرة، ظهر اتجاه - في تشيكوسلوفاكيا - إلى التعرف على آثار الشاعر، فبذلت جمعية المستشرقين التشيكوسلوفاكيين - التي مقرها مدينة براغ - مجهودات قيمة، وكان مما نشرته كتاب: "فرهاد وشيرين" لهربرت دودا H. Duda، وذلك في عام ١٩٣٣م.

وقد قارن الناشر بين النسخ المعروفة من "فرهاد وشيرين" التي نظمها الشعراء المختلفون، وشرح كثيرًا من المسائل الموجودة فيما نظمه أمير خسرو الدهلوي، وعماد فقيه، وسلطان حسين بايقرا، وهاتفى، ووحشى، وهلالى، وشعله نيريزى، وغيرهم؛ مما أكسب عمله شيئًا كبيرًا من الأهمية. ثم نشر المستشرقان رينز الألماني وربىكا التشيكوسلوفاكي منظومة: "هفت پيگر" في إستانبول، وقد اعتمدا على خمس عشرة نسخة خطية موجودة في مكتبات: باريس، وأكسفورد، وبرلين، وإستانبول، وبراغ، وفيينا، وقارنا بينها وبين "خمس نظامى" المطبوعة في بمباي في عام ١٢٦٥هـ. فخرج النص في صورة دقيقة محققة.

أما في إيران؛ فقد قام وحيد دستگردى في عام ١٩٣٤م، بمجهود مشكور في نشر منظومات الشاعر الخمس، فنشر كل منظومة على حدة، وقد استغرق ذلك خمس سنوات؛ أي إلى عام ١٩٣٩م؛ كما نشر ما عثر عليه من ديوان

نظامي في كتاب مستقل، تحت عنوان: "گنجينه گنجوى"، وقدم له بمقدمة عن حياة الشاعر ومنظوماته.

ويعتبر النص الذي نشره دستگردى لمنظومات الشاعر من أصح النصوص التي نشرت، فقد تكبد في نشره مشقات لا يستهان بها. ولا يؤخذ عليه إلا أنه لم يعرف بالنسخ الخطية التي اعتمد عليها، ولم يصف ولو نسخة واحدة منها، رغم أنه كان يكرر - في مقدمة كل منظومة - أنه قارن بين ثلاثين نسخة خطية قديمة، يرجع تاريخ كتابتها إلى ما بين القرنين السابع والحادي عشر الهجريين.

كما أنه ارتكب بعض الأخطاء التاريخية، مما جعله يضع عناوين غير صحيحة، كان يمكنه تلافيها لو رجع إلى كتب التاريخ. فقد أخطأ في آخر منظومة "خسرو وشيرين"<sup>(١)</sup> مثلاً؛ فأثبت أن الأتابك جهان پهلوان مات مقتولاً، وأن السلطان طغرل السلجوقي دعا نظامى إليه، ورتب على هذا الأساس العناوين الأخيرة من المنظومة. وقد أقرّ هو بهذا الخطأ في مقدمة "گنجينه گنجوى" فكتب تحت عنوان "رفع خطأ" ما نصه: "وقد أخطأنا في آخر "خسرو وشيرين" - بسبب اشتباه أبيات، ووجود بعض الأبيات الملحقة - فظننا أن الأتابك جهان پهلوان قد قُتِلَ، وأن طغرل دعا نظامى إليه لا قزل أرسلان" ثم قال - بعد سرد الأبيات: "وقد نبّه الأستاذ الفاضل أمير خيرى تبريزي وغيره - في ذلك الوقت - إلى الخطأ؛ وتبين - بعد الرجوع إلى كتب

(١) نظامى: خسرو وشيرين، ص ٤٤٩.

التاريخ - أن ما كتبناه خطأ؛ سببه - قطعاً - التساهل في الرجوع إلى كتب التاريخ، ومفاسد قلة التأمل أكثر من أن تحصى<sup>(١)</sup>. أما مقدمة دستگردى لما عثر عليه من ديوان نظامى، فيبدو منها تعصبه الشديد لنظامى، مما جعل أحكامه غير دقيقة، ولا يفسد العلم شيء بقدر ما يفسده التعصب. وهذا يجعلنا ننظر إلى عمله بشيء من الحيطة والحذر.

وإذا تركنا دستگردى، نجد محاولات أخرى بذلت للتعريف بنظامى وشعره، فقد كتب ريبكا Rypka - في عام ١٩٣٥م - مقالاً عن ديوان نظامى، ونَشَرَ بعض غزلياته.

كما قام المستشرقون الروس - بعد ذلك - بدراسة الشاعر فنشر برتلس Bertels - في عام ١٩٤٠م - كتاباً تحت عنوان: "نظامى شاعر أذربيجان العظيم". وقد نُثِرَ - في نفس العام - كتابٌ يشتمل على عدة مقالات عن الشاعر، كتبها مستشرقون مختلفون من الروس.

ويعتبر كتاب برتلس الخطوة الثانية بعد باخر؛ غير أن برتلس يصرح في المقدمة بأنه يكتب لغير المتخصصين<sup>(٢)</sup>، ويكرر هذا في مواضع كثيرة، مما جعل كتابته إنشائية أكثر منها علمية.

ثم إن الروح المسيطرة على برتلس وغيره من المستشرقين الروس، تجعلنا نقبل ما كتبوه بشيء كبير من الحيطة، فقد حاولوا إظهار نظامى في

(١) وحيد دستگردى: مقدمة گنجينه گنجوى، ص ف.

(٢) برتلس: مقدمة كتاب "نظامى شاعر أذربيجان العظيم" باللغة الروسية، ص ٦ و٧.

صورة الماركسي، أي في صورة داع من دعاة الشيوعية في القرن الثاني عشر الميلادي، وأثبتوا أن مبادئه هي نفس المبادئ التي يدعو إليها زعمائهم في العصر الحاضر، مصرّحين بأسمائهم<sup>(١)</sup>.

وأغلب الظن عندي أن كتاباتهم تخدم أغراضًا سياسية، ويكفي أن نلمح ذلك من عنوان كتاب برتلس "نظامي شاعر آذربيجان العظيم"، واختياره لكلمة آذربيجان بالذات في الموضوع<sup>(٢)</sup>. والعصبية السياسية مفسدة للعلم أيما إفساد.

ويمكن أن نضيف إلى هذا أن كنجيه ألحقت بالامتلاكات الروسية منذ عام ١٨٠٤م، الأمر الذي يدعو إلى شيء من التعصب لشاعر تلك المدينة؛ ومهما يكن من شيء، فإنه لا يمكننا أن نقبل كل ما يكتبه المستشرقون الروس عن الشاعر.

بقي أن نذكر المحاولة التي قام بها داراب في عام ١٩٤٥م فقد ترجم منظومة "مخزن الأسرار" إلى الإنجليزية، ونشرها في لندن، مع مقدمة له، عن حياة الشاعر وعصره، وذلك تحت عنوان: "مخزن الأسرار لنظامي الكنجوي مترجم لأول مرة عن الفارسية، مع مقدمة عن حياة الشاعر وعصره<sup>(٣)</sup>".

(١) برتلس: نظامي شاعر آذربيجان، ص ١٢١.

(٢) كانت كتابات الروس في ذلك الوقت تغذي فكرة استقلال آذربيجان، وانفصالها عن إيران التي تحققت لمدة وجيزة فيما بعد.

(٣) G. H. Darab: *Makhzanol Asrar of Nizami of Ganjeh*. Translated for the first time from the Persian with an introduction to the life and times of Nizami.

وقد حاول داراب أن يحقق سني ولادة الشاعر، ووفاته، وإتمام منظوماته ويعطي فكرة ما عن عصره، ولكن أحكامه كان يعوزها الدليل، فكثيراً ما كان يفرض شيئاً فرضاً دون دليل مقنع، كما لاحظ مينورسكي، في المقالة التي كتبها تعليقاً على صنيع داراب<sup>(١)</sup>.

هذا عرض سريع لأهم ما تم من محاولات لدراسة نظامى، ولعلنا نلاحظ أنه -رغم قيمتها ومعاونتها في تيسير مهمة الباحث - لا تعدو أن يكون أغلبها نشرًا أو ترجمة، أما الأبحاث المتعلقة بشخصية الشاعر، ودراسة آثاره دراسة نقدية مقارنة، فقد كانت مختصرة، فضلاً عن الأخطاء والاعتبارات التي تجعلنا نحتاط كثيراً، قبل الأخذ بشيء منها.

وقد حاولت - في هذا الكتاب - أن أدرس شخصية الشاعر وآثاره دراسة نقدية مقارنة، وأن أوضح بعض النواحي التي ظلت غامضة في حياة الشاعر، ثم أكشف عن مكانته في تاريخ الأدب الفارسي، حتى يكون مكماً للمحاولات التي بذلت من قبل.

كما حاولت - بقدر المستطاع - ألا أتعصب للشاعر أو عليه، وأن أعتد - في حكمي عليه - على الأدلة المقنعة، فبنيت دراستي على هذا الأساس.

(١) *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, vol. XII, part. 2., p.441-445.

وقد وجدت أن أهم مصدر لدراسة الشاعر هو شعر الشاعر نفسه، فحاولت أن أبحث فيه عن كل ما يتعلق بالشاعر وحياته الخاصة والعامة، لأن المصادر المختلفة بينها من التفاوت والاختلاف ما يجعل الباحث لا يطمئن إلى الاعتماد عليها.

كما وجدت أن معرفة التاريخ السياسي والاجتماعي لازمة لفهم الشعر. لأن الشعر صورة للحياة الاجتماعية يتأثر بها كما يؤثر فيها؛ والتاريخ - كما يقول قيلمان - وسيلة لفهمه وتفسيره، وتعليل مزاياه<sup>(١)</sup>.

فالشعر، والأدب، بصفة عامة، يعبر تعبيراً صادقاً عن حياة الأمة الاجتماعية والسياسية، ويعتبر مصدرًا مهذبًا من مصادرها التاريخية لأنه يلم بروح الحوادث والأحوال المتعاقبة فيصورها ثم يتأثر بها فيجاريها أو يعارضها، ويظهر ذلك في آثاره بأسلوب سلمي أو إيجابي<sup>(٢)</sup>.

كما استعنت، إلى جانب هذا، بالبيئة الخاصة التي نشأ فيها الشاعر، من جغرافية وعائلية واقتصادية وعلمية، فدرستها لأنها من العوامل التي أحدثت أثرًا في الشاعر بدا واضحًا في شعره؛ وهكذا عنيت بدراسة البيئتين العامة والخاصة وحاولت الاستعانة بما فيهما من عوامل موجهة في دراسة الشاعر وفهم شعره.

(١) أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، ص ٨٣.

(٢) أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، ص ٨٣، نقلاً عن أصول النقد الأدبي (الفصل الأول) لونشتر.

وقد قسّمت بحثي إلى كتابين:

تحدثت في الكتاب الأول، عن عصر الشاعر أو بيئته العامة، ثم درست بيئته الخاصة، وحاولت أن أستشف ما في البيئتين من موجّهات، ثم عرّفت بالشاعر على ضوء هذه الموجّهات.

ودرست في الكتاب الثاني، منظومات الشاعر الخمس دراسة نقدية مقارنة، ثم تحدثت عن ديوانه، واستعنت بذلك في دراسة فنه الشعري، ثم ختمت بالحكم على الشاعر على ضوء هذه الدراسة.

وقد اطلّعت على كل ما كُتب عن الشاعر، حتى كتابة، هذا البحث، كما قرأت ما وجدته متصلاً بالشاعر من قريب أو بعيد؛ ويفيد في دراستي له، فأستتبع هذا أن أطلع على مخطوطات قيمة كثيرة<sup>(١)</sup>، عثرت عليها في مكتبات إيران العامة والخاصة، وفي دار الكتب المصرية، وأن أقرأ كتباً بلغات مختلفة؛ فقرأت ما كتب بالفارسية والعربية والتركية، كما اطلّعت على ما كتب بالإنجليزية والألمانية والروسية والإيطالية بقدر المستطاع.

وقد استعنت - بطبيعة الحال - بمن يتقنون اللغات التي لا أعرفها، أو لا أجيدها، في ترجمة ما كتب بتلك اللغات.

ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى فرصة وجودي عامين في إيران، وإلى جامعة طهران، التي أضافتنا في خلال هذه المدة، كما أضافت غيرنا من

(١) ذكرت أسماء هذه المخطوطات مع تعريف بها في آخر البحث، في الثبت الذي أوردته بأسماء المراجع، فضلاً عن ذكرها في الحواشي.



طلاب البحث من الدول الأخرى، فكننت تجد في نادي الجامعة الإنجليزي والفرنسي والألماني والبلجيكي والتشييكوسلوفاكي، والتركي والهندي والباكستاني وغيرهم، وكان هذا وحده هو الذي أوجد الفرصة المواتية، التي هيأت لنا الاطلاع، دون مشقة، على كل ما يكتب بلغة من اللغات، شرقية كانت أم غربية.

فإلى جامعة طهران وإلى أساتذتها الأجلاء أتوجه بالشكر، وأخص بالذكر منهم الأستاذ سعيد نفيسي، الذي كان مشرفاً على هذا البحث، في أثناء إقامتي في إيران، ولن أنسى - ما حييت - ما قدمه هذا العالم الجليل لي من خدمات، فقد أمدني بكثير من المراجع النادرة باللغات المختلفة، كما وضع تحت يدي بعض المخطوطات القيمة التي يحتفظ بها في مكتبته الخاصة، ولم يرضَ عليّ حتى بمخطوطة "إسكندرنامه النثرية" التي لا توجد إلا عنده، فإليه مزيد شكري وامتناني واعترافي بالجميل.

كما أشعر بالشكر والامتنان للمستشرق التشييكوسلوفاكي الأستاذ الدكتور بروتسكي الذي قابلته في طهران، فكان يجود بجزء كبير من وقته - طوال المدة التي قضيتها - في ترجمة كثير من الكتب والنصوص التي تفيديني في البحث، فساعدني بذلك على الاطلاع على المراجع الروسية والألمانية والإيطالية.

ولا يفوتني أن أشكر الأساتذة عابدي الپاكستاني وألب أرسلان التركي وأوبان الفرنسي، على ما قام به الأول من شرح جزء من أشعار نظامى، والآخران من ترجمة بعض النصوص التركية والفرنسية.

كما أشكر الأستاذ صادق نشأت، الأستاذ بجامعة طهران؛ على مساعدته القيمة في شرح وترجمة بعض أشعار نظامى الغامضة.

فإذا ما تركت طهران إلى القاهرة، أجدني مدينًا بالشكر لأستاذي الدكتور إبراهيم أمين الشواربي، رئيس قسم اللغات الشرقية، بكلية الآداب بجامعة إبراهيم؛ فقد تولى الإشراف على البحث بعد عودتي من إيران، وكان له منذ البداية فضل اختيار موضوع نظامى، ليكون موضوعًا لبحثي للحصول على درجة الدكتوراه، وقد ظللت على اتصال به منذ بدأت البحث إلى أن انتهيت منه، فأمدني بكثير من التوجيهات النافعة التي استفدت منها كثيرًا، فله مزيد من شكري وامتناني، واعترافي بفضله.

وإني لأرجو أن يحقق هذا البحث الغاية التي وضع من أجلها، وأن يكون أساسًا صالحًا لمن يريد أن يتناول نظامى بالبحث، في المستقبل، إن شاء الله، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

### المؤلف

القاهرة: ٥ من ذي القعدة ١٣٧٢هـ.

الموافق ١٦ من يولية ١٩٥٣م.

# الكتاب الأول

عصر نظامى

وبيئته

والتعريف به



# الباب الأول عصر نظامي

## تمهيد

كان عصر نظامي يموج بمعسكرات متباينة، حاول كل منها أن يمثل دوراً خاصاً على مسرح الحياة السياسية في ذلك الوقت، ففي شرق إيران، كان سنجر، آخر سلاطين السلاجقة العظام، لا يزال قوياً، مرهوب الجانب، يبسط سلطانه على كثير من بقاع العالم الإسلامي في ذلك الوقت.

وفي غرب إيران، كانت دولة سلاجقة العراق تسيطر على العراق وكردستان وأذربيجان، كما كانت دويلة أتابكة أذربيجان قوية، حاولت أن تتحكم في سير الأمور في دولة سلاجقة العراق، هذا إلى جانب حكام شروان وحكام مراغه الذين كانوا يتمتعون باستقلال ذاتي تقريباً.

وفي بغداد، كانت للدولة العباسية سيطرة روحية على العالم السني، بينما كانت قوتها المادية ضعيفة منهارة.

وطبيعي أن مثل هذا الوضع يستتبع احتكاكاً بين تلك المعسكرات، فليس عجباً أن نرى عصر نظامي يغلي بالأحداث المختلفة، والحروب المتصلة التي كانت لا تنقطع إلا لتتسبب

مرة أخرى، كما نراه يتّسم بروح الغدر التي سيطرت حتى على أفراد الأسرة الواحدة، فكانوا يجاربون بعضهم بعضًا، ويدبرون المكائد لبعضهم البعض.

وقد أدت هذه الأحوال المضطربة، إلى تقلبات في الأوضاع السياسية، وسقوط دول ودويلات، وحلول أخرى محلها، مما جعل عصر نظامى يشهد كثيرًا من الدول الحاكمة في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي، كما شهد انهيار دولة السلاجقة العظام، والدولة الغزنوية، وقيام وسقوط الدولة الخوارزمية، ودويلة أتابكة أذربيجان، ونشاط الإسماعيليين. ونذر هجوم المغول وما تبع ذلك من التغيرات السياسية والاجتماعية.

وكان للناحية الدينية - في ذلك الوقت - أثرٌ في تكييف الحوادث، وتوجيه دفة السير، فإن الاختلافات المذهبية قد أوجدت كثيرًا من المنازعات، كان بعضها باللسان، وبعضها الآخر بالسنان، كما أوجدت انعدام الثقة والطمأنينة في قلوب الناس، وروج التصوف، وارتفاع قدر علماء الصوفية.

ونظامى - كغيره من أبناء عصره - قد تأثر بما كان في ذلك العصر من تيارات مختلفة؛ فأثرت في نشأته وتعليمه ومذهبه في الحياة، وانعكست أشعتها المختلفة، وأضواؤها المتنوعة في نفسه، فخرجت صور منها في شعره.

وسأعرض في الفصول التالية أهم الأحداث السياسية التي وقعت في القرن السادس الهجري، وفي النصف الثاني منه بوجه خاص. وسأقصر حديثي على ما كان منها في إيران، والأقاليم المجاورة لها، التي اتصل الشاعر بحكامها، ثم أختتم بالحديث عن النواحي الاجتماعية والفنية والدينية، وأثر هذه العوامل متعاونة في توجيه حياة الناس وتكييفها.



خريطة الشرق الأوسط في عصر نظامي





# الفصل الأول

## دولة السلاجقة

كانت دولة السلاجقة في القرن السادس الهجري، تبدو في أفرع منتشرة في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي، يهمنها ما كان منها في إيران وآسيا الصغرى، لاتصال الشاعر بحكام هذين الإقليمين وتقديم منظوماته لهم. وهذا يجعلني أقصر حديثي على السلاجقة العظام، وسلاجقة العراق، وسلاجقة آسيا الصغرى.

### ١- السلاجقة العظام:

كانت دولة السلاجقة ممزقة الأوصال - حينما ولد نظامي في عام ٥٣٩هـ - فلم تكن أجزاء الدولة تخضع لنفوذ سلطان واحد، كما كانت الحال في عهد طغرل الأول وألب أرسلان وملكشاه، الذين سموا بالسلاجقة العظام، لأن الحروب اشتدت بين أفراد البيت السلجوقي، بعد موت ملكشاه، واختفاء وزيره نظام الملك من فوق المسرح السياسي، حتى إن ابن العبري ليصفهم بقوله: "فكأنما سُلَّ طين السلاطين من جفن الجفاء، وجُبلت جبلتهم على الإغفال والإغفاء، فالرحم عندهم مقطوعة، والعزة في خدمتهم بالذل مشفوعة، والاعتزاز بهم غرر، وصفوهم كدر، يُقسَمون ويحنتون، ويُبرمون وينكثون"<sup>(١)</sup>.

(١) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٤٣.

غير أن سنجر، حاكم خراسان، قد استطاع بعد موت أخيه محمد في عام ٥١١هـ، أن يخلفه على عرش السلطنة، وأن يخضع أغلب أجزاء الدولة السلجوقية تحت أمره، فأعاد بذلك عهد السلاجقة العظام، واعتبر آخرهم.

وكان سنجر سلطاناً قوياً، فقد كان يدعى له من لهاوور، وغزنه، وسمرقند، إلى خراسان، وطبرستان، وكرمان، وسجستان، وإصفهان، وهمدان، والري، وآذربيجان، وأرمينية، وأرانيه، وبغداد، والعراقين، والموصل، وديار بكر، وديار ربيعة، والشام، والحرمين، وتُضرب له السكة في هذه الأقاليم وبلادها، وتطأ بساطه ملوكها، ودام ملكه كذلك إلى سنة ست وثلاثين وخمسمائة، حينما كسره الخطائي كسرة عظيمة<sup>(١)</sup>.

ومنذ ذلك الوقت أخذت قوة سنجر في الضعف، فقد تحالف عامله أئمز مع القبائل القراخطائية، وحثها على الهجوم على حدود سيده<sup>(٢)</sup>. وهزم سنجر شر هزيمة، بينما أعلن أئمز استقلاله في خوارزم، وأسس الدولة الخوارزمية التي دالت على يديها دولة سلاجقة العراق.

واستمرت قوة سنجر في الضعف حتى عام ٥٤٨هـ، حينما شبت نيران الحرب بينه وبين قبائل الغز التركية، وقد قضت هذه الحرب على البقية الباقية من قوته، بل إنه وقع أسيراً في أيدي تلك القبائل، وبقي كذلك ثلاث سنوات احتال بعدها للهرب<sup>(٣)</sup>، ولكنه لم يلبث أن

(١) صدر الدين الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص ٢٩٥؛ البنداري مختصر تواريخ آل سلجوق، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٣) الراوندي: واحة الصدور ص ١٦٨-١٨٤؛ الكرمانى: عقد العلى، ص ٧؛ البناكى: روضة أولى الألباب «القسم الرابع»؛ إصفهاني: شاهد صادق، ص ٥٣٦؛ قويمن: استيلاء الغز على إمبراطورية السلاجقة العظام، ص ٥٦٣-٦١١.

مات كمدًا لما رأى ما حلّ بدياره من دمار<sup>(١)</sup>؛ فإن العزّ قد خرّبوا مرو ونيشاپور وكرمان مرتكبين شناعات لا حصر لها، وقيل: إنهم أمعنوا في القتل، حتى إن القتلى لم يظهروا من كثرة الدماء المسفوكة<sup>(٢)</sup>.

وبموت سنجر انقرضت دولة السلاجقة العظام نهائيًا، وكان معسكرهم - في أثناء طفولة نظامي - يموج بالاضطرابات والمنازعات، التي لم ينقطع حدوثها طوال القرن السادس الهجري.

## ٢- سلاجقة العراق:

وإذا انتقلنا إلى معسكر سلاجقة العراق، نجدهم يسيطرون على غربيّ إيران وشماليّها الغربي، فيبسطون نفوذهم على العراق وكردستان وأذربيجان.

وكان السلطان مسعود، أعظم سلاطينهم في النصف الأول من القرن السادس الهجري، يشبه عمه سنجر من حيث سعة النفوذ وقوة البطش. فقد آلت إليه سلطنة جميع بقاع العراق وكردستان وأذربيجان، في عام ٥٢٩هـ<sup>(٣)</sup>، ولكن معسكره كان كغيره من المعسكرات، مملوءًا بالمنازعات التي ثارت بينه وبين إخوته، وبينه وبين الدويلات الأخرى، فامتاز عصره بكثرة الحروب التي انتصر في جميعها<sup>(٤)</sup>.

(١) أمير خواند: روضة الصفا «الجزء الرابع».

(٢) حافظ أبرو: زبدة التواريخ، ص ١٢١أ.

(٣) أمير يحيى قزويني: لب التواريخ (الفصل السابع)؛ ابن الوردي: تاريخه، ص ٣٩.

(٤) خواندامير: حبيب السير، ص ١٠٤.

وقد بدأ حروبه بقتال الخليفة العباسي المسترشد بالله، ثم حارب ابنه الراشد بالله، وانتصر في الحربين وانتهى الأمر بقتلهما، وإسناد الخلافة إلى المقتفي لأمر الله كما سيأتي، وبذلك أصبحت لمسعود الكلمة العليا.

على أن الحروب لم تلبث أن نشبت بينه وبين والي فارس، الذي رفع علم الثورة ضده، فأرسل مسعود إليه أخاه سلجوقشاه يصحبه قراسنقر، والي آذربيجان، فانتصر عليه ثم رجعا إلى همدان، حيث توفي قراسنقر، فأسند أمر آذربيجان إلى إيلدگز<sup>(١)</sup> الذي أسس دويلة الأتابكة.

وسار مسعود بعد ذلك إلى الري لتأديب واليها عباس، فأسرع هذا الوالي إلى استقباله، وأظهر الطاعة والانقياد، فعفا مسعود عنه، غير أنه عاد فعصى مرة أخرى، وتحالف مع سليمانشاه أخي مسعود، ومع عبد الرحمن وبوزابه من الأمراء، وصمموا على عزل مسعود، فسار من بغداد لمحاربتهم، ولكن الثلوج عاقت تقدمه، فاضطر إلى الرجوع من حيث أتى، ثم عاود السير في الربيع، وكانوا في أعلم من توابع همدان، فلما اقترب منهم ولّوا هاربيين، بينما أسرع سليمانشاه لتقديم فروض الطاعة لأخيه السلطان، الذي سجنه مستمعاً لنصيحة أمراءه<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ١٠٤ وما بعدها.

(٢) العراضة في الحكاية السلجوقية، ص ١٢٢-١٢٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١ ص ٦٨؛ أمير خواند: روضة الصفا، الجزء الرابع.

ثم التمس الباقون العفو فمُنحُوهُ، غير أن مسعود أحسَّ فيهم روح الغدر فأمر بقتل عبد الرحمن وعباس، ثم حارب بوازبه الذي جمع جيشًا في إصفهان، انضم إليه خاص بك وايلدگز، وكان النصر حليف السلطان فانتهى الأمر بقتل بوزابه<sup>(١)</sup>.

وبذلك خلا الجو لمسعود، لم يجرؤ أحد على الوقوف في وجهه، وظل قويًا مرهوب الجانب إلى أن توفي في عام ٥٤٧هـ؛ ضعفت بموته دولة سلاجقة العراق، وأصبحت ألعوبة في يد الأمراء ورؤساء الجيش وأتابكه آذربيجان<sup>(٢)</sup>.

وخلف ملكشاه عمه مسعود، فترك تدبير مهام الدولة، وانصرف إلى اللهو والشراب، فخلعه الأمراء، وسجنوه في قلعة بهمدان، وأجلسوا أخاه "محمد" مكانه، ولو أن ملكشاه تمكن من الهرب إلى خوزستان<sup>(٣)</sup>.

ولم يخلُ عهد محمد من الحروب، فقد حارب الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله وحاصر بغداد، ولو أنه لم يوفق في فتحها، كما قتل خاص بك في عام ٥٤٨هـ، عقب توليه السلطنة، فتوجس الأمراء - وعلى رأسهم ايلدگز - خيفة منه، وانتهزوا فرصة حربه مع الخليفة ليثوروا ضده ويحاولوا عزله، الأمر الذي اضطرَّ "محمد" إلى رفع الحصار عن بغداد والسير لمحاربتهم، وقد تمكن من الانتصار عليهم، وبذلك استتب له الأمر حتى توفي في عام ٥٥٤هـ<sup>(٤)</sup>، فتولى ملكشاه أمر السلطنة مرة أخرى ولكنه توفي بعد بضعة أشهر، فولى الأمراء عمه سليمان شاه عرش السلطنة. وذلك في عام ٥٥٥هـ؛ غير أن سليمان شاه لم يكن بالشخص

(١) البنداري: مختصر تواريخ آل سلجوق، ص ٢١٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج ١١ ص ٦٨.

(٢) الكرمانى: عقد العلي، ص ٧.

(٣) البنداري: مختصر تواريخ آل سلجوق، ص ٢٢٨؛ خواند امير: حبيب السير، ص ١٠٨.

(٤) البنداري: مختصر تواريخ آل سلجوق، ص ٢٢٨؛ خواند امير: حبيب السير، ص ١٠٨.

الذي يستطيع تصريف مهام الدولة بحكمة وتدبر، فقد شغل وقته باللهو والمجون، مما جعل الأمراء يفكرون في تولية غيره.

وانتهى الأمر بإرسالهم إلى إيلدگز، لتولية ابن زوجته أرسلان بن طغرل، فسار إيلدگز إلى همدان حيث قبض على سليمان شاه وسجنه، وآل أمر السلطنة إلى أرسلان الذي يبدأ عهده في عام ٥٥٥هـ. وطبيعي أن يصلح إيلدگز مُهيمناً على جميع مرافق الدولة. يتصرف في كل الأمور برأيه، أما أرسلان فقد كان رمزاً يملك ولا يحكم<sup>(١)</sup>.

ولكن إيلدگز استطاع بكفائه وحسن تدبيره، ومساعدة ابنه، محمد جهان پهلوان وقرل أرسلان، أن يرد كيد الأعداء وينتصر عليهم<sup>(٢)</sup>.

وقد كثرت الحروب وتعددت ميادينها، إذ اتحد والي إينانج مع والي إصفهان قيمان، وثار ضد أرسلان، وطالبا بعزله، ولكن السلطان تمكن - بمساعدة إيلدگز - من الانتصار عليهما. وفي نفس الوقت هاجم ملك الأبخاز آذربيجان، فخف أرسلان للقائه ودارت بينهما معركة طاحنة، بالقرب من قلعة كاك، انتهت بانتصار أرسلان وظفره بغنائم كثيرة.

ثم توجه بعد ذلك لقتال الإسماعيليين، الذين حصنوا أنفسهم في نواحي قزوين وأصبحوا مصدر فزع للأهالي الآمنين، يُشيعون الرعب بينهم وينهبون أموالهم، وقد انتصر عليهم، وحطّم حصنهم "چهار صوفه"<sup>(٣)</sup>.

(١) حمد الله مستوفي قزويني، تاريخ كزیده ص ٤٧٠؛ أمير خواند: روضة الصفا (الجزء الرابع).

(٢) محمد بن إبراهيم: تاريخ سلجوقيان کرمان ص ٥١؛ کرمانی: تاريخ أفضل ص ٤٣.

(٣) أمير خواند: روضة الصفا (الجزء الرابع)، خواندامير: حبيب السير ص ١١٠-١١١.

وفي عام ٥٥٩هـ، حارب إينانج والي الري المهزوم، الذي كان يُغيّر على العراق بجيش أمده به تكش أرسلان الخوارزمي، وقد تمكن السلطان من الانتصار على إينانج وقتله<sup>(١)</sup>، ثم أسند أمر الري إلى جهان پهلوان بن إيلدگز، الذي تزوج من بنت إينانج، وأنجب منها قتلوغ إينانج، الذي ساهم في إسقاط دولة سلاجقة العراق<sup>(٢)</sup>.

وتوفي إيلدگز في عام ٥٦٨هـ؛ فاحتلّ ابنه جهان پهلوان مكانه، وأصبحت له الكلمة العليا في الدولة، بينما انزوى السلطان أرسلان حتى توفي في عام ٥٧١هـ<sup>(٣)</sup>. وقيل إن أخاه جهان پهلوان قد سمه ليتخلص منه، ويولي ابنه طغرل<sup>(٤)</sup>.

وقد خلف طغرل أباه أرسلان، وكان طفلاً في السابعة من عمره<sup>(٥)</sup>، فأسند زمام الأمور إلى عميه، جهان پهلوان وقزل أرسلان، اللذين تمكنا بفضل شجاعتهما من صد خطر عدوين في وقت واحد، أحدهما ملك الأبخاز، الذي هاجم آذربيجان مرة أخرى، والآخر محمد بن طغرل بن ملكشاه، الذي أغار على العراق<sup>(٦)</sup>.

وظلّ جهان پهلوان يسيطر على الدولة، ويصرف مهامها، حتى توفي في عام ٥٨٢هـ، فأخذ أخوه قزل أرسلان مكانه، غير أن المنازعات لم تلبث أن ثارت بينه وبين ابن أخيه السلطان

(١) محمد بن إبراهيم: تاريخ سلجوقيان كرمان ص ٥١.

(٢) أمير خواند: روضة الصفا (الجزء الرابع).

(٣) الراوندي: راحة الصدور، ص ٣٠١؛ ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٥٥.

(٤) البنداري: مختصر تواريخ آل سلجوق، ص ٣٠١.

(٥) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص ١٧١.

(٦) أمير خواند: روضة الصفا (الجزء الرابع).

طغرل، وتدخل الخليفة العباسي الناصر لدين الله، لنصرة قزل أرسلان، فهُزم طغرل وسُجن<sup>(١)</sup>. ولم يتمكن من الهرب إلا بعد قتل عمه، في عام ٥٨٨هـ.

وتزوج طغرل من الخاتون، زوجة عمه جهان پهلوان، وأم قتلوغ إينانج، وقيل إنها كانت تدبر هي وابنها وسيلة لقتله، وعلم طغرل بذلك فسمّها، فثار النزاع بينه وبين قتلوغ إينانج، الذي استعان بتكش الخوارزمي، وقامت حرب بين الطرفين انتهت بقتل طغرل، على يد ابن عمه في عام ٥٩٠هـ<sup>(٢)</sup>. فانهارت بقتله دولة سلاجقة العراق.

وقد كان طغرل من ممدوحى نظامى، وكان شاباً مشهوراً بالشجاعة وحب الأدب، كما كان ينظم الشعر، وقد مدحه نظامى في منظومته "خسرو وشيرين" فقال: "السلطان الشاب ملك حسن الحظ، فليكن - دائماً - صاحب عرش وتاج؛ إنه زينة العرش وفتح مُلك الدنيا. هو طغرل السلطان العادل ملاذ الرعية، ملك الملوك، وسيد العالم، وهو صاحب العرش، وربّ الدولة وبجر الجود"<sup>(٣)</sup>.

ومهما يكن من شيء فإن معسكر سلاجقة العراق كان زاخراً بالمنازعات والحروب، التي تلاحقت بصورة أثرت في حياة الناس، فجعلتها قلقة مضطربة.

(١) حمد الله مستوفى قزويني: تاريخ گزیده، ص ٤٧٥.

(٢) البنداري: مختصر تواريخ آل سلجوق ص ٣٠٢؛ الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ص ١٧٢-١٧٦.

(٣) هذه ترجمة قول نظامى في خسرو وشيرين ص ١٥:

چوسلطان جوان شاه جوانبختکه برخورد	ر بباد اُزتجاج وارتنخت
سریر افروز اقلیم معانی	ولایت گبر ملک زندگانی
پناه ملک شاهنشاه طغرل	خداوند جهان سلطان عادل
ملک طغرل که دارای وجوداست	سپهر دولت ودریای جوداست



### ٣- سلاجقة آسيا الصغرى ومن والاهم:

وإذا انتقلنا إلى آسيا الصغرى، نجد فرعًا من فروع السلاجقة العظام، يسمى سلاجقة آسيا الصغرى. وكان يحكم من هؤلاء والسلاجقة - في الفترة التي نتحدث عنها - شخص يُدعى قلعج أرسلان استطاع أن يهزم ملك الروم، ويجلس على عرش القيصرية في قونية، ثم بدا له أن الناس قد ملوا حكم السلطان مسعود في العراق، فتوجه على رأس جيش كبير لمحاربتة، غير أن جاوي - أعظم قواد مسعود - اتصل بأمرأ قلعج أرسلان ومَنَاهم وهَدَدَهُم حتى كرهوه فأغرقوه في عام ٥٣٩هـ<sup>(١)</sup>.

وقد استطاع حفيده عز الدين قلعج أرسلان الذي ولي الحكم في عام ٥٥٨هـ أن يُوسِّع حدود ملكه، فاستولى على أملاك الدانشمندية لضعفهم ثم قَسَم ملكه بين أولاده العشرة، فأصبح كل منهم واليًا على جزء من أجزاء المملكة<sup>(٢)</sup>.

ويُحدِّثنا التاريخ أن عز الدين هذا صادف جفوة من أبنائه، وكان يتردّد عليهم فلا يقبلونه، حتى استقرَّ به المطاف عند ابنه الأصغر غياث الدين كيخسرو الذي أكرم وفادته، وساعده على تثبيت قواعد ملكه في قونية، فعهد إليه بولاية العهد من بعده، رغم أنه كان أصغر أبنائه سنًّا<sup>(٣)</sup>.

(١) حمد الله مستوفي قزويني: تاريخ گزیده، ص ٤٨١.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨٢؛ خواند امير: حبيب السير، ص ١١٥.

(٣) حمد الله: تاريخ گزیده، ص ٤٨٢.

ومات عز الدين في عام ٥٧٨هـ<sup>(١)</sup>، فخلفه ابنه غياث الدين كيخسرو، ولكن أخاه ركن الدين سليمان ثار في وجهه، يعاونه إخوته الآخرون، فسار على رأس جيش كبير حاصر به قونية، وانتهى الأمر بالصلح على أن يلي ركن الدين العرش، ويؤمن أخاه الذي لم يلبث أن هرب خوفاً وتوهماً<sup>(٢)</sup>.

وقد قوي أمر ركن الدين بعد ذلك، لأن دولة سلاجقة العراق انهارت في ٥٩٠هـ، ومُنِحَ - من دار الخلافة - لقب القاهر، واستولى على أرزن الروم<sup>(٣)</sup>. وهو يهمننا لأنه كان صهر فخر الدين بهرامشاه، حاكم أرزنجان في عهده وعهد أخيه غياث الدين كيخسرو، وقد اصطحبه معه في حروبه ضد الغزو الأبخاز، في عام ٥٩٩هـ<sup>(٤)</sup>. وبهرامشاه هذا، هو الوالي الذي قدّم نظامى له، منظومته الأولى، "مخزن الأسرار".

وكان بهرامشاه من نسل منگوچك غازي، أحد أمراء ألب أرسلان، الذي عينه حاكماً على أرزنجان، في عام ٤٦٤هـ، ويبدو أنه كان عادلاً، وأن شأن إمارة أرزنجان قد ارتفع في

(١) هذا ما ذكره حمد الله في تاريخ گزیده، ص ٤٨٢، ولكنه قال بعد وصف الحروب التي وقعت بين كيخسرو وركن الدين سليمان، وهي التي وقعت في نفس السنة التي توفي فيها والدهما: «وفي ذلك الوقت انتهى حكم السلاجقة في العراق وتولاه الخوارزمشاه» وقد انتهى حكم سلاجقة العراق في عام ٥٩٠هـ كما مر، وهذا يدل على أن وفاة قلیج أرسلان كانت في السنوات القريبة من عام ٥٩٠هـ، ولعلها كانت في عام ٥٨٨هـ كما ورد في ابن الأثير: الكامل ج ١٤ ص ٦٥؛ وابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٣٨٣؛ وابن لبيبي: مختصر سلجوقنامه، ص ٧.

(٢) حمد الله: تاريخ گزیده، ص ٤٨٣، ابن لبيبي: مختصر سلجوقنامه ص ٣-٧.

(٣) حمد الله: تاريخ گزیده، ص ٤٨٣.

(٤) الراوندي: راحة الصدور، حاشية ص ٢١٧.

عهد، حتى أصبح أهلاً لمصاهرة سلاطين آسيا الصغرى. كما اشتهر بالكرم الذي عمَّ سكان إمارته<sup>(١)</sup>.

ولعل هذا هو الذي جعل نظامي يقدّم له منظومته الأولى، وقد رُوِيَ أن بهرامشاه كافأه على عمله بسخاء<sup>(٢)</sup>.

وتحديد سني حكم بهرامشاه قد يساعدنا في ضبط تاريخ إتمام "مخزن الأسرار"؛ غير أن المراجع اختلفت فيما بينها اختلافاً كبيراً في تحديدها، ووضع العلامات المميزة لها.

وقد ذكر زمباور أن فترة حكم بهرامشاه تقع بين ٥٥٠-٦١٥هـ<sup>(٣)</sup>، بينما حدد ابن الأثير تاريخ وفاته فقط على أنه ٦٢٢هـ<sup>(٤)</sup>، وحصر "تَرْيَيْت" سني حكمه بين ٥٥٠-٦٢٥هـ<sup>(٥)</sup>.

وأرجح أنه كان حاكماً على أرزنجان في الفترة التي تقع بين ٥٢٠-٦١٧هـ، لأن التاريخ يحفظ لنا قطعيتين من النقود الفضية ضُربتا في مدينة أرزنجان التي كانت مقرّاً لحكمه، كُتِبَ على الأولى: "العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى بهرامشاه بن داود نصير أمير المؤمنين أرزنجان ٥٧٠هـ".

(١) أمين رازي: هفت إقليم (الإقليم الرابع).

(٢) ابن البيي: مختصر سلجوقنامه، ص ٢١-٢٢.

(٣) E. de Zambaur: *Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'islam*, tome premier, p. 145.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٢٧٩؛ وقد نقل ريو في فهرسته ج ٢، ص ٥٣٥ عن جهان آرا ورقة ١١١، وهفت إقليم ورقة ١٣٩ نفس التاريخ الذي ذكره ابن الأثير.

(٥) تربيت: مقالته عن «مثنوي ومثنوى گویان» مجلة مهرشماره ٨ سال پنجم دی مار ١٢١٦، ص ٧٥٩.

وكتب على الثانية: "العبد الضعيف المحتاج إلى رحمة الله تعالى بهرامشاه ابن داود: ضرب بمدينة أرزنجان ٦١٧هـ<sup>(١)</sup>.

وواضح أن القطعتين تثبتان أن بهرامشاه قد حكم منذ عام ٥٧٠هـ على الأقل، وأنه ظل يحكم حتى عام ٦١٧هـ.

ومن الجائز أن يكون بهرامشاه قد حكم حتى وفاته في عام ٦٢٢هـ كما ذكر ابن الأثير الذي كان معاصرًا له.

وقد مدح نظامى هذا الوالى، وأطنب في مدحه، وبناه على أساس ديني، ليكسبه قوة، فجعله بتوجيه من قلبه على طريقة المتصوفة. وبدأه بقوله: "رأى القلب - من ذلك المصدر الذي يوجد في الهمة - مُعطي الدرجات الذي هو ولي النعمة"<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر اسمه ونسبه فقال: "الملك فخر الدين الذي تاجه الفلك، وخاتمه كخاتم سليمان، والذي صح انتسابه إلى داود، فأصبح شرفه كشرف سليمان"<sup>(٣)</sup>.

وأخذ يُطنب في مدحه في قوله: "إنه مفخرة الملوك بقوته، مشهور في الدهر بعلمه، ملك العالم جميعه، فهو ملك الأرمن، وهو ملك الروم، وهو زينة العرش، ومسند الخلافة، وفتح

(١) تربيت: مقالته السابق ذكرها، وقد نقل ما كتب على قطعتي النقود عن فهرست المسكوكات الإسلامية لأحمد ضيا. وقرر أن القطعتين محفوظتان بالمتحف الجمهوري بإستانبول.

(٢) ديد از آن مايه كه در همتست پايه دهى كه ولى نعمتست  
(نظامى: مخزن الأسرار ص ٣٢)

(٣) شاه فلك تاج سليمان نكين مفخر آفاق ملك فخر دين  
نسبت اودى او كرده چست بر شرفش نام سليمان دُرست  
(نفس المرجع والصفحة)

الروم والأبخاز، وهو أعلم أهل الدنيا وأعدلهم، وأكرم أبناء الجود وأكثرهم إحساناً، وهو قوي جاوز صوت طبوله عنان السماء، وغلبت قوته قوى الطبيعة"<sup>(١)</sup>.

ثم طلب من الوالي أن يعطيه لأنه أهل للكرم فقال: "اجعل السخاء تابعاً لك، وأشعل شمع الكلام بمدحك، وأرسل خلعة الرفعة، وعطر القبول إلى نظامي؛ وإن الشعر مهما نظم كثيراً جميلاً، فإنه - حينما يصل إلى مائدتك - يصير نخيلاً، لقد انعدمت اللآلئ والجواهر من البحر والكنز، فقدم أنت اللآلئ من الفم والجواهر من اليد"<sup>(٢)</sup>.

وقرن الشاعر وصفه بالكرم بوصفه بشدة البطش، فالوالي يهب من يمدحه من أمثال نظامي، ويقضي على مَنْ يعاديه؛ نلاحظ ذلك في قوله: "ممنوحٌ ومحترقٌ في طريقك: ممنوحٌ أنا، ومحترقٌ عدوك، إن فتحك مرفوع الرأس كالعلم، وإن خصمك مكسور الرأس كالقلم"<sup>(٣)</sup>.

ثم تحدث عن بلاط الملك، على أنه مقصد لشعراء المديح، وأنه هو أفضلهم جميعاً فقال: "ولو أن شعراء المديح قد ولُّوا وجوههم شطر هذا البلاط، إلا أنهم يقفون جميعاً خاشعين

(١) مفخر شاهان بتوانا ترى  
خاص كن ملك جهان بر عموم  
سلطنت أورنگ وخلافت سرير  
عالم وعادل تر اهل وجود  
كوس فلك اجرشش بشكند  
نامور دهر بدانا ترى  
هم ملك ارمن وهم شاه روم  
روم ستاننده وابخاز گير  
محسن ومكرم ترى ابنای جود  
شيشه، مه رانفسيش بشكند  
(نظامی. مخزن الأسرار ص ٣٣)

(٢) گوش سخارا ادب آموزکن  
خلعت گردون بغلامی فرست  
گرچه سخن فربه و جان پرورست  
بی گهر ولعل شداین بحر وکان  
شمع سخن رانفس آفرورکن  
بوی قبول بنظامی فرست  
چونکه بخوان تو رسد لاغراست  
گوهرش ازکف ده ولعل ازدهان  
(المرجع السابق ص ٣٦)

(٣) ساخته وسوخته در راه تو  
فتح توسرچون علم افراخته  
ساخته من، سوخته بدخواه تو  
خصم توسرچون قلم انداخته  
(نفس المرجع والصفحة)

أمام نظامی، فهو شخص آخر، أما الآخرون فمن يكونون؟! .. فأنا قد ظفرت بهذه المنزلة عليهم، وسبقتهم بمرحلة<sup>(۱)</sup>.

ويبين أنه ككل شعراء المديح له هدف من وراء مدحه، فهو يريد أن يرتفع شأنه، ويصير مقرباً، فقال: "سوف أتمتع - بهمتي - بالمنزلة العالية، فأرتفع بفضلك، وبفضل تبعيتي لك؛ إنني أتابع غبار قدمك، حتى أصل إلى الرفعة؛ وإذا لم توصلني أنت فكيف أصل؟!..."<sup>(۲)</sup>.

وهكذا أضفى نظامی مدائح على بهرامشاه بكرم وسخاء، مما يرجح أن هذا الوالي كان يكرم الشعراء، ويشجعهم على النظم.

ومهما يكن من شيء، فإن معسكر ولاية آسيا الصغرى لم يكن أقل اضطراباً من غيره من المعسكرات. فقد لاحظنا أن حكامه - وإن سما شأن بعضهم - كانوا يتحاربون فيما بينهم، ويحاربون من جاورهم.

وندع السلاجقة لنلقي نظرة على معسكرات أتباعهم من حكام آذربيجان.

(۱) گرچه بدین درگه پایندگان پیش نظامی بحساب ایستند منگه دراین منزلشان مانده ام  
روی نهادند ستاینند گان او دگراست این دیگران کیستند؟  
مرحله پیش ترك راندام (نظامی: مخزن الأسرار ۳۶)

(۲) اوج بلنبد درو میبرم تامگر از روشنی رای تو  
باشد کزهمت خود برخورم سرنهم آنجا که بُود پای تو  
تانسائی تو مرا چون رسم (المرجع السابق: ص ۳۸)  
گرد تو گمیرم تا بگردون رسم

## الفصل الثاني حكام آذربيجان

كانت آذربيجان - في القرن السادس الهجري - مقسمة بين دويلات كثيرة، مثلت كل منها دورًا يختلف باختلاف موقعها الجغرافي، وقوة رجالها. فأران قد استقلت تحت حكم دويلة الأتابكة التي أسسها إيلدگز في عام ٥٣١هـ، وظلت تحكم حتى عام ٦٢٢هـ. والجزء الجنوبي من آذربيجان، كان تحت حكم دويلة أقسنقر الأحمدي التي كانت عاصمتها مراغة.

هذا عدا دويلة حكام شروان التي بقيت مستقلة في هذا القرن أيضًا.

وقد حاول نظامي - لكونه من گنجه - أن يتصل بحكام هذه الدويلات، لقرّبهم منه، وقد اقتصر على أغلب اتصالاته على هؤلاء الحكام، فقدّم لهم أغلب منظوماته، مما يجعل الإمام بمعسكراتهم ضروريًا لمن يدرس هذا الشاعر.

### ١- أتابكة آذربيجان:

ونبدأ بالأتابكة، فنجد زعيمهم إيلدگز قد أصبح قوة لها خطرهما في الدولة السلجوقية؛ رغم أنه لم يكن أكثر من تابع من أتباع هذه الدولة، ولكن شأنه ارتفع في عهد السلطان مسعود، حتى زوّجته أرملة أخيه طغرل، ثم أسند إليه ولاية أران فاستقل بشؤونها<sup>(١)</sup>. وأسس دويلة الأتابكة في عام ٥٣١هـ.

(١) ابن الوردي: تاريخه، ص ٨١ رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ، ص ٣٧٠.

ويرى سيكس أن أهمية هذه الدويلة لم تتعد أن تكون محلية<sup>(١)</sup>. ولكن واقع الحوادث يدل على أن حكامها قد وصل نفوذهم إلى درجة التدخل في شؤون سلاجقة العراق، والسيطرة عليهم، وتوجيههم وفق إرادتهم، خصوصاً في الفترة التي تقع ما بين ٥٥٥-٥٨٧هـ، كما مرّ. لأن الأتابكة كانوا يعتبرون ضباط السلاجقة، الذين كانوا يتحكمون في الخليفة العباسى، ويلزمونه بذكر أسمائهم في الخطبة.

وقد استغل الأتابكة ضعف السلاجقة في تلك الفترة، فتدخلوا في مهام الدولة، ووصل نفوذهم إلى درجة عزل بعض السلاطين أو قتلهم.

ولعلنا لاحظنا - فيما سبق - كيف تمكن إيلدگز من تولية ابن زوجته، أرسلان بن طغرل، بعد عزل سليمان شاه وسجنه، في عام ٥٥٥هـ. وكيف أنه أصبح، منذ ذلك التاريخ، الحاكم الفعلي على العراق وكردستان وأذربيجان، فلم يكن لأرسلان إلا الاسم؛ تُقرأ باسمه الخطبة، وتُضربُ باسمه السكة.

كما لاحظنا أن نفوذ إيلدگز ظلّ قويّاً، طوال مدة حياته، إلى أن توفي في عام ٥٦٨هـ، وأن ابنه شمس الدين محمد جهان پهلوان قد خلفه في النفوذ، بل قيل إنه سمّ آخاه أرسلان ليُجلس ابنه الطفل طغرل.

وبلغت قوة جهان پهلوان درجة جعلت الحكام الآخرين يرهبون جانبه، ويُرسلون السفراء إلى بلاطه<sup>(٢)</sup>.

(١) Sir Percy Sykes: *History of Persia*, vol. 11, p. 55.

(٢) صدر الدين الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص ١٧٢.



ولعل هذا هو الذي جعل نظامي يمدحه بقوله: "الملك الأعظم، الأتابك العادل، الذي أخذ صوت الظلم في العالم، أبو جعفر محمد، الذي سيصبح - مثل محمود<sup>(١)</sup> - فاتحاً لخراسان، وإن لقبه شمس الدين والدنيا، لدليل على أنه شمس خاصة وعامة"<sup>(٢)</sup>.

وتوفي جهان پهلوان في عام ٥٨٢هـ، فخلفه أخوه قزل أرسلان، ورحل إلى همدان مقر السلطنة، لتسيير دفة الأمور<sup>(٣)</sup>. ولكن الفتن لم تلبث أن شبت في أنحاء السلطنة، فقامت المنازعات بينه وبين ابن أخيه السلطان طغرل، واستنجد هو بالخليفة العباسي، الناصر لدين الله، فأمدّه بجيش وصل إلى العاصمة قبل وصوله هو، فاضطر إلى القتال وحده، مما أدى إلى هزيمته في عام ٥٨٣هـ، فرجع مدحوراً<sup>(٤)</sup>.

ثم جهّز الخليفة جيشاً آخر وصل إلى همدان في عام ٥٨٤هـ، واستولى عليها بينما هرب طغرل. ودخل قزل أرسلان العاصمة، ثم استطاع القبض على السلطان وسجنه في قلعة بأذربيجان<sup>(٥)</sup>.

(١) لعل الشاعر يقصد السلطان محمود الغزنوي، فقد كان مضرب المثل في الشجاعة وبسطة السلطان.

(٢) ملك أعظم اتابك داور دور كه افكند ازجهان آواز جور  
أبو جعفر محمد كز سر جود خراسان گير خواهد شد چو محمود  
دليل أنكه آفتاب خاص وعام است كه شمس الدين والدنياش نام است  
(نظامي: خسرو وشيرين، ص ١٨)

(٣) أمير خواند: روضة الصفا (الجزء الرابع).

(٤) صدر الدين الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص ١٧٧.

(٥) المرجع السابق، ص ١٧٨-١٨١؛ ابن الوردي: تاريخه، ص ١٠٠.

وهكذا خلا الجو لقرل أرسلان، الذي أراد أن يجلس سنجر بن سليمان شاه على عرش السلطنة، لولا أن وصلت رسالته من الخليفة تُظهر رضاه على أن يلي هو عرش السلطنة، فأعلن نفسه سلطاناً في عام ٥٨٧هـ، ولكنه لم يلبث أن وُجد مقتولاً بعد وقت قصير<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد أن قوة أتابكة آذربيجان قد بلغت حدّاً جعلهم جديرين بتولي عرش السلطنة.

وقد ظفر قرل أرسلان هذا بنصيب وافر من مدح نظامى، حينما قدّم له منظومته الثانية "خسرو وشيرين"، فأشار إلى عظمتها وسعة نفوذها بإشارات لم تتخلّ من المبالغة، على طريقة الشعراء - غالباً - في المديح، فقال: "كن رقيقاً يا نسيم الصباح، وتفضل - في الفرصة التي تختارها - فقبل الأرض بين يدي الملك، الذي عرشه فوق الثريا، والذي هو واهب الحياة، وشمس الأقاليم السبعة، والذي اعتزّ به الدين والدولة. هو الملك قزل، ملك المشرق وملجأ المغرب؛ تاجه فوق القمر، وهو كالشمس، وإن يكن مقرّه في المغرب، إلا أن سلطانه قد جاوز المشرق، وهو يستطيع، في سهولة، أن يأخذ الخراج من الصين والجزيرة من الروم"<sup>(٢)</sup>.

(١) اختلف فيمن قتل قرل أرسلان، فالحسيني يقرر أنه تزوج من الخاتون، زوجة أخيه، جهان پهلوان، التي لم تلبث أن كرهته لسوء أخلاقه وانصرافه عنها، فدبرت مع ابنتها قتلوه إينانج بن پهلوان وسيلة لقتله، والبنّاكتي، في القسم الرابع من تاريخه، يتهم الإسماعيليين بقتله، ويفهم من كلام ابن الوردي، في تاريخه، ص ١٠٤، وابن الأثير، في الكامل، ج ١١، ص ٣٤٦. أنه قتل بسبب إضطهاده للشافعية، وقتله كثيراً من مشايخهم فقد ثار في ذلك الوقت نزاع بين الشافعية والحنفية في إصفهان وقيل إن قرل أرسلان اضطهد الشافعية. أما أمير خواند فيقرر، في الجزء الرابع من روضة الصفا، أن أمراء بغداد هم الذين قتلوا قرل أرسلان حقداً وحسداً.

(٢) سبك باش اي نسيم صبحگاهی  
زمین را بوسه ده دربزم شاهي  
جهان بخش آفتاب هفت کشور  
شه مشرق كه مغرب را پناهست  
چو مهري گرچه شد مغرب وثاقش  
نگینش گر نهد يك نقش برموم

تفضل کن بدین فرصت که خواهی  
که دارد بر ثریا بارگاهی  
که دین ودولت از او شد مظفر  
قزل شه که افسرش بالای ماهست  
گذشته از سر حد مشرق یتاقش  
خراج از چین ستاند جزیه از روم  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ٢٥)

وقد دعا قزل أرسلان الشاعر إليه بعد ذلك، فرحل إليه، واستأذن في الدخول عليه، ووصف حضرته عن قرب، فصوّرها في قوله: "كان الملك جالسًا كالشمس المشرقة، على عرش كعرش جمشيد، بتاج كتاج كيقباد، وكان محفله صورة من محافل الجنة... وكان المكان مملوءًا بأواني الشراب الممتلئة، كما كانت أصوات الناي والمزامير، تتجاوز - بألحانها المختلفة- عنان السماء"<sup>(١)</sup>.

وقد أطنب الشاعر في مدح هذا الوالي، وتصوير زيارته له، التي كانت - فيما يبدو - الزيارة الوحيدة التي ذهب فيها إلى حاكم بناء على دعوة منه، وقد خلع عليه بسخاء جعل لسانه يلهج بشكره، والثناء عليه.

كما أشار إلى قتله فقال: "استشهد بضربة من أحد أهل السوء، ستكون عاقبته في الآخرة، أوخم منها في الدنيا"<sup>(٢)</sup>. ثم رثاه في نهاية المنظومة<sup>(٣)</sup>.

وأخذ نفوذ الأتابكة يضعف، بعد قزل أرسلان، فقد خلفه أبو بكر نصره الدين، ابن أخيه جهان پهلوان، غير أن النزاع ثار بينه وبين أخيه قتلوغ إينانج، فشبت الحروب بينهما في صورة لا تنقطع، حتى رُوي أنها شبت أربع مرات في شهر واحد<sup>(٤)</sup>، ولكنَّ أبا بكر استطاع أن ينتصر في هذه الحروب جميعها، فانفرد بالحكم، وتواضع في أطماعه،

(١) نشسته شاه چون تابنده خورشيد  
بهشتی بزمش آرزوم بهشتی  
خروش ارغنون وناله چنگ  
بتاج كيقباد وتخت جمشيد  
زحوضگاهای می پرکرده كشتی  
رسانیده بچرخ زهره آهنگ  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ٤٥١-٤٥٢)

(٢) شهادتی افت از زخم بد اندیش  
که پاداش آنجهان پاداش ازین بیش  
(المرجع السابق، ص ٤٥٨)

(٣) المرجع السابق، ص ٤٥٨-٤٥٩.

(٤) أمير مجي قزويني: لب التواريخ (الجزء التاسع)، خواندامير: حبيب السير، ص ١١٧.

فاكتفى بأتابكيتته، على أنه لم يسلم من غارت الكرج، الذين كانوا كثيرًا ما يغيرون على بلاد الإسلام من ناحية آذربيجان.

وقد أغاروا - في عام ٦٠١هـ - على البلاد، فأكثروا فيها الفساد، وأمعنوا في النهب والسلب، وجاسوا خلال الديار، فلم يجرؤ أحد على وقف تيارهم الجارف<sup>(١)</sup>.

وفي عام ٦٠٢هـ، اتفق علاء الدين، حاكم مراغة، مع مظفر الدين گوکبري حاكم إربل، على مهاجمة آذربيجان، وأخذها من صاحبها أبي بكر، لاشتغاله بالشراب ليلاً ونهاراً، وتركه النظر في أحوال المملكة وحفظ العساكر والرعايا<sup>(٢)</sup>. كما تابع الكرج غاراتهم، فاضطّر أبو بكر إلى الزواج بابنة ملك الكرج ليتقي شرهم. وقد حقق هدفه بهذه الطريقة، فكفوا عن الإغارة والنهب والقتل<sup>(٣)</sup>. وتمكن أبو بكر - أيضاً - من الاستيلاء على مراغة، في عام ٦٠٥هـ، لموت صاحبها علاء الدين، وتولية ابنه الصغير، الذي لم يلبث أن مات بعد قليل<sup>(٤)</sup>.

وقد صورَ نظامى نصره الدين أبا بكر هذا، في صورة البطل القوي بعيد النظر فقال: "بطل العالم نصره الدين، الذي انتصر على أعدائه وكأنه الفلك، عدوّه متأخر في تفكيره، بينما هو بعيد النظر، قوي البطش، ربّ للسيف والعرش، تُؤدّي له شعائر الملك، ويؤدّي هو شعائر الله. ركابه كركاب رستم، وهو زينة للعرش، ومانح للتيجان"<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن الأثير: الكامل ج ١٢، ص ١٣٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ١٢، ص ١٥٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٠.

(٤) المرجع السابق، ص ١٨٢، فصيح خوافي: مجل فصیحی، ص ٨١١، خواندامير: حبيب السير، ص ١١٧.

(٥) جهان پهلوان نصرت الدين كه هست  
مخالف پس انديش واويش بين  
خدانند شمشير وتخت وكلاه  
رستم ركابي روان كرده رخش  
بر اعداي خود چون فلك چيره دست  
بداندايش كم وار بيشكين  
سه نوبت زن وينج نوبت پناه  
هم اورنگ پيراي وهم تاج بخش  
(نظامى: شر فنامه، ص ٥٨-٥٩)

ثم استرسل الشاعر في وصف قوة الأتابك، والمقارنة بين عداوته وصداقته فقال: "إن صداقته صافية نقية كالماء الفرات، أما عداوته فمغرقة مثل نهر النيل<sup>(١)</sup>، وإن ظله إذا سقط على الشمس كسف نورها وأخمدتها، كما يخمد الماء النار، وإنه قد فتح كل حصن هجم عليه"<sup>(٢)</sup>.

وصور كرمه في قوله: "إن الناس من كثرة ما أصابهم من إحسانه، قد سمّوه ولي نعمة العالم، فهو كعيسى، قد أحيا كثيرًا من الموتى، وأسر الناس بإحسانه وخلقه"<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن أوصاف الشاعر أكثرها شاعريًا لا يتفق مع الواقع التاريخي كثيرًا، ولعل الدافع إليها رغبته في الظفر بالعتاء، لأن الثابت أن الأتابك لم يكن متدينًا، كما زعم الشاعر، ولم يبلغ ما بلغه سابقوه من القوة والعظمة.

ومهما يكن من شيء، فإن قوة الأتابكة ضعفت بعد موت أبي بكر، في عام ٦٠٧هـ<sup>(٤)</sup>. فقد خلفه أخوه أوزبك وحكم حتى عام ٦٢٢هـ، ثم انتصر عليه جلال الدين منكبرتي، فسقطت بذلك، دويلة الأتابكة.

(١) لعل الشاعر يشير إلى قصة موسى وفرعون، فقد كانت عداوة فرعون لموسى سببًا في غرقه في نهر النيل، وقد ورد ما يتعلق بالغرق في القرآن: سورة يونس آية ٩٠-٩٢.

(٢) چو آب فرات آشکارا نواز  
چو سر چشمه نیل پنهان گداز  
اگر سایه بر آفتاب افکند  
در آن چشم آتش آب افکند  
بهر دایره کوزده ترکتاز  
زیرکار خطش گره کرده باز  
(نظامی: شرفنامه، ص ٥٩-٦٠)

(٣) زبس نعمت و ناز کزورانده اند  
چو عیسی بسی مرده رازنده کرد  
ولینعمت عالمش خوانده اند  
بخلق چنین خلق رابنده کرد  
(المرجع السابق، ص ٦٠-٦١)

(٤) أمير مجي قزويني: لب التواريخ (الفصل التاسع).

ولعلنا لاحظنا أن معسكر الأتابكة، لم يكن - من حيث الاضطراب وكثرة الحروب - خيراً من المعسكرات المجاورة له، فقد كانت حياة رجاله سلسلة متصلة الحلقات من الحروب والمنازعات.

## ٢- حكام مراغة:

وإذا تركنا الأتابكة إلى جيرانهم حكام مراغة، نجدهم ينتسبون إلى دويلة كردية أسسها أحمد بن وهسودان، الذي يروي التاريخ أنه كان حاكماً على مراغة وما جاورها، في عام ٥٠٥هـ<sup>(١)</sup>.

وقد كانت مراغة تعتبر العاصمة القديمة لأذربيجان<sup>(٢)</sup>. كما كانت ذات موقع يهيئ لها الاشتراك في كثير من الحوادث، التي اتخذت مكانها على مسرح الحوادث في ذلك الوقت. إذ كانت تقع في جنوب أذربيجان، وتعتبر القنطرة التي تفصل بين السلاجقة والأتابكة، مما جعلها مطمح أنظار بعض سلاطين السلاجقة وأمراءهم، فكانوا يحاولون فتحها. ولكن دويلة الأكراد ظلت قائمة في أثناء حكم السلاجقة، رغم تلك المحاولات.

وأبرز من حاولوا فتح مراغة - في ذلك الوقت - خاص بك بن بلنغري؛ أحد أمراء السلطان مسعود؛ فقد حاصرها، في عام ٥٤١هـ، وحاول انتزاعها من حاكمها آقسنقر<sup>(٣)</sup>. ثم عاود محاصرتها في عام ٥٤٥هـ، وتمكن من فتحها وتحطيم أسوارها، ولكن الخصام انتهى بالصلح بين الطرفين، بمقتضى اتفاقية عقدت بينهما، في قلعة روين دره.

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٣٦١.

(٢) *The Encyclopaedia of Islam*, vol. 3, p. 261.

(٣) البنداري: مختصر تواريخ آل سلجوق، ص٢١٧.

وفي عام ٥٤٨هـ، اتفق آقسنقر مع الأتابك إيلدگز، ضد السلطان محمد، لقتله خاص بك، فثارا في وجهه، وأرادا عزله، في أثناء انشغاله بمحاصرة بغداد، مما سبق ذكره - وانتهى الأمر بالصلح فاقتمس إيلدگز وآقسنقر آذربيجان بينهما<sup>(١)</sup>.

ولكن الحرب لم تلبث أن شبت بينهما عدة مرات. ففي عام ٥٥٤هـ، سیر إيلدگز ابنه الپهلوان ضد آقسنقر، الذي استطاع أن ينتصر مستعينًا بملوك الأرمن، ثم ساعد إينانج حاكم الري، ضد إيلدگز، الذي تمكن من الانتصار وذلك في عام ٥٥٦هـ.

ولكن العداوة بينهما كانت تتلاشى، ليحل محلها الوفاق، إذا ما هاجمها عدوٌ مشترك كالگرج مثلاً، فكانا يشتركان معاً في صده، فقد اتحدا - في عام ٥٥٦هـ - في حملة ضد الگرج<sup>(٢)</sup>.

وقد اعترف الخليفة العباسي بشرعية آقسنقر، في عام ٥٦٣هـ، فتوطد نفوذه، ولكن الپهلوان بن إيلدگز حاصر مراغة، في نفس العام، ثم لم يلبث أن ارتد عنها، بعد أن تم الصلح بين الطرفين<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ٥٦٤هـ، ثار قتلوغ في مراغة، ولكن الپهلوان انتصر عليه، ثم أسند مراغة إلى علاء الدين، وركن الدين، أخوى آقسنقر<sup>(٤)</sup>.

وقد رأينا كيف أن الأتابك أبا بكر حاصر مراغة في عام ٦٠٢هـ، فاضطرَّ علاء الدين كرب أرسلان إلى تسليمها، ثم توفي في عام ٦٠٤هـ، تاركًا ابنه صغيرًا؛ فتولاه أحد خدمه،

(١) البنداري: مختصر تواريخ آل سلجوق، ص ٢٤٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ١١، ص ٨٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١٨.

(٤) هذا ما ذكره حمد الله مستوفي قزويني في تاريخ گزیده، ص ٧٢، ولكن ابن الأثير يذكر في الكامل، ج ١١، ص ٢٨٠، أن فلك الدين بن آقسنقر هو الذي كان حاكمًا على مراغة حينما حاصرها الپهلوان وأن الصلح تم بين الطرفين على أن تضم تبريز إلى منطقة نفوذ الأتابكة.

ولكن الطفل توفي في عام ٦٠٥هـ، فضمَّ أبو بكر أملاك الأحمديلية، باستثناء روئين دري، التي حصن خادم علاء الدين نفسه فيها، محتفظًا بخزائن سيده.

وهذا يدل على ضعف حكام مراغه في السنوات الأخيرة من حكمهم.

ولكن نظامى، حينما قدم منظومته "هفت پيكر" لعلاء الدين، في عام ٥٦٣هـ، وصفه بالقوة وسعة النفوذ فقال: "إن علاء الدين عمدة المملكة، وحاكم الأرض والزمان وناصرهما. هو الملك كرب أرسلان الفاتح، وهو أحسن من ألب أرسلان تاجًا وعرشًا. إنه الهادي لأنه شمس هذه الأرض، ودولته خاتمة الدول العظيمة، وهو كرستم إلا أن حصانه الفلك، فهو عظيم يمنح العظمة وقرينٌ للسماء في الرفة، وللحباب في الكرم، جسمه كالأسد في قوته، واسمه أسد"<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر أنه من نسل آقسنقر، فقال: "اعتز به نسل آقسنقر وبلغ أبوه وجده - بفضله - ذروة المجد"<sup>(٢)</sup>.

وأخذ يُضفي عليه صفات الجلال والعظمة في قوله: "كل ولاية لها ملك مثلك يحفظها الله من كل سوء، حتى إنهم ليسمونك مُعزَّ الأقاليم السبعة، لما يُحسونه منك، من إسعاد...

(١) عمد مملكت علاء الدين شاه كرب أرسلان كشورگير مهندنى كافتاب اين مهداست رستمى كزفلك سوارى رخش همسر اسمان وهم كف ابر حافظ وناصر زمان وزمين به زالپ أرسلان بتاج وسرير دولتش ختم آخرين عهداست هم بزرگ است وهم بزرگى بخش هم بتن شير وهم بنام هرير (نظامى: هفت پيگر، ص ٢٢)

(٢) نسل آقسنقرى مؤيد ازو أب وجد باكمال أيجاد ازو (المرجع السابق، ص ٢٣)



فكل ولاية تتمنى أن تكون ضمن حدودك حتى تظفر بعطفك. وقد حكم منكم أربعة ملوك، بأربعة أساليب، وأنت خامسهم بعمر مديد"<sup>(١)</sup>.

ثم صور عدل الوالي وحبَّه للعلم فقال مخاطبًا له: "أنت حرم للعدل والعلم، فمن غيرك يضع الكرم في موضعه؟!... إني أنا الذي عرفت هذه الحقيقة، وأدركت أنك ترعى أهل العلم، فلا تأبه لكلام الموهين، ولا تقبل خدعهم"<sup>(٢)</sup>.

وختم مديحه بالدعاء، قائلاً للوالي: "عظمتك مقررة. ولتكن أكثر علمًا وعظمة، وأطول عمرًا من الجميع، ولتبعد يد الزوال عن حدود دولتك، وتهجرها في جميع الأحوال"<sup>(٣)</sup>.

وإن ما ذكره الشاعر، يمكن أن يفسر، على أنه من قبيل المبالغة التي يصطنعها الشعراء، حينما يُضفون على ممدوحهم ضروب الشناء، بحق وبغير حق، في سبيل الظفر بالعطاء؛ وأغلب الظن أن ما ذكره نظامي لا يتفق مع الحقيقة التاريخية في شيء، وأن الدويلة كانت ضعيفة في عهد علاء الدين.

- (١) هرولایت که چون توشه دارد  
زان سعادت که درسرت دانند  
همه مرزى زمهریانی تو  
چارشه داشتند چار طراز
- (٢) جزتو کز ودانشت حرمیست  
من که الحق شناختم بقیاس  
نخری زرق کیمیاسازان
- (٣) بیشیت هست بیش دانی باد  
ازحد دولت تودست زوال
- ایزد ازهر بدش نگه دارد  
مقبل هفت کشتورت خوانند  
بتمنای مرزبانی تو  
پنجمین توئی بعمر دراز  
(نظامی: هفت پیگر، ص ٣١)
- کیست کورا بجای خود کرمیست  
کاهل فرهنگ را تو داری پاس  
نپذیزی فریب طنازان  
(نظامی: هفت پیگر، ص ٣٢)
- وزهمه بیش زندگانی باد  
دور ومهجور باد درهمه حال  
(المرجع السابق، ص ٣٥)

ومهما يكن من شيء؛ فقد كان معسكر حكام مراغة متصلاً بالحوادث التي وقعت في ذلك الوقت، وقد تدخل في بعضها فأثر فيها، وتأثر بها، مما جعله يموج بالحروب والمنازعات.

### ٣- حكام شروان:

أما المعسكر الثالث من معسكرات آذربيجان، فهو معسكر حكام شروان. وقد كانت شروان - بحكم موقعها الجغرافي - تعتبر القنطرة التي يعبر عليها الكرج في هجماتهم على آذربيجان، أو الأتابكة لمحاربتهم وصد غاراتهم، مما جعلها موضع حرب وجعل حملات حكامها دفاعية، في أغلب الأوقات<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن حكام شروان كانوا ضعافاً، فلم يشتركوا اشتراكاً جدياً في توجيه سير الحوادث، في القرن السادس الهجري، وليس أدل على ضعفهم من أن نقودهم كانت تحمل اسم الخليفة العباسي، كما كانت تحمل اسم السلطان السلجوقي<sup>(٢)</sup>.

ولم يتعد اتصال الخليفة العباسي بهم أن يكون اسمياً، أما اتصال سلاطين السلاجقة فكان فعلياً. فقد فرض السلطان ملكشاه ضريبة سنوية عليهم، كما سجن السلطان محمود حاكم شروان<sup>(٣)</sup>، في عام ٥١٧هـ، مما يرجح ضعف حكام شروان أمام السلاجقة.

Hadi Hassan: *Falaki-i-Shirwani, His Times, Life and Works*, p. 2. (١)

*Ibid.*: p.2. (٢)

*Ibid.*: p. 2. (٣)

وقد وصل مجد شروان إلى القمة في عصر منوچهر الثاني، من عام ٥٣٠ إلى ٥٥٤هـ<sup>(١)</sup>، ثم أعقبه ابنه أخستان<sup>(٢)</sup>، في عام ٥٥٤هـ، وهو الذي يهمننا في الفترة التي ندرسها، لأنه الحاكم الذي قدّم نظامي له منظومته "ليلي ومجنون".

وقد تمتع هذا الوالي بحكم طويل، كما يظهر من النقود التي حفظت لنا، منذ عهده، وهي تتكون من أربع قطع مكتوب عليها، بحسب ترتيبها الزمني، ما يلي<sup>(٣)</sup>:

١. المستنجد بالله السلطان أرسلا شاه (كذا) لا إلا الله (على وجهها) الملك المعظم أخستان بن منوچهر<sup>(٤)</sup> (على ظهرها).

٢. المستضيء بأمر الله (كذا) السلطان (كذا) طغريل (على وجهها) الملك المعظم أخستان بن منوچهر<sup>(٥)</sup> (على ظهرها).

(١) Ibid.: p. 2.

(٢) اختلف في اسم هذا الحاكم فهو يذكر في بعض مخطوطات ديوان خاقاني المختلفة وبعض مخطوطات خمسة نظامي على أنه أختشان، وأختشان، وأخستان، وقد حقق هادي حسن في كتابه فلكي الشرواني (السابق ذكره)، ص ٢٦، ٢٧، اسم هذا الوالي وضبطه على أنه أختشان. لأن الكلمة تردد في أشعار خاقاني على وزن فاعلن أي أختشان. وبذلك رد قراءة براون في كتابه: *A Literary History of Persia*, vol. 11, p. 394.

وقراءة دورن في *Beiträge zur Geschichte der kaukasischen Länder und Völker, aus der morgenländischen Quellen - 1- Versuch einer Geschichte der Shirwanshahs*, p. 331.

وقراءة خانيقوف في: *Mélanges asiatiques*, III p. 119.

وزمباور في: *Manuel de généalogie et de chronologie*, p. 182 على أنه أختشان.

كما لاحظ أن بروسية في كتابه: *Histoire de la Géorgie*, p. 397.

وقد ذكر الاسم على أنه اغزار ثان Aghzarthan وهو قريب من أختشان.

(٣) نقل هادي حسن في كتابه فلكي الشرواني، ص ٢٩-٣٠ ما كتب على قطع النقود عن فهرست ماركوف *Markow's Catalogue*.

(٤) يبدو أن هذه القطعة قد ضربت في الفترة التي تقع بين ٥٥٥ و ٥٦٦هـ، فقد كتب عليها اسما المستنجد بالله العباسي وأرسلانشاه السلجوقي، وقد ولي أرسلانشاه عرش السلطنة في عام ٥٥٥هـ، بينما توفي المستنجد بالله في عام ٥٦٦هـ.

(٥) يبدو أن هذه القطعة قد ضربت في الفترة التي تقع بين ٥٧١ و ٥٧٥هـ، لأن طغريل ولي العرش في عام ٥٧١هـ، بينما توفي المستضيء بالله في عام ٥٧٥هـ.

٣. الناصر الدين الله (كذا) السلطان أعظم طغرل (كذا) (على وجهها) الله، محمد رسول، الملك المعظم أخستان بن منوچهر<sup>(١)</sup> (على ظهرها).

٤. لا إله إلا الله محمد رسول الله، الناصر الدين لله (كذا) أمير المؤمنين (على وجهها) الله، محمد رسول الله، الملك المعظم أخستان بن منوچهر شيروانشاه<sup>(٢)</sup> (على ظهرها).

هكذا نجد أخستان يدين بالولاء للخلافة العباسية، ولدولة سلاجقة العراق إلى وقت سقوطها، في عام ٥٩٠هـ.

وضبط تاريخ وفاة هذا الحاكم قد يساعدنا - إلى حد كبير - في فهم وإثبات بعض الحقائق المتعلقة بنظامى، وخابانى، شاعره الذي توفر على مدحه.

والشيء الذي لا شك فيه، هو أن أخستان كان حيًّا في عام ٥٨٣هـ، كما يدل على ذلك، النقش الذي اكتشفه خانيقوف<sup>(٣)</sup>. وهو بالفارسية ونصه، كالتالي: "عالم ملك الإسلام شروانشاه أخستان بن منوچهر در بتاريخ (كذا) سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة هجرية"<sup>(٤)</sup>.

وقد كان حيًّا في عام ٥٩٠هـ، كما اتضح مما كُتِبَ على قطعة النقود الرابعة كما مرَّ.

والملاحظ أنه لم ترد، في ديوان خابانى، أية إشارة إلى وفاة أخستان، مما يُرَجَّح أنه تُوفِّيَ بعد الشاعر. فعل من المفيد أن نعرف تاريخ وفاة خابانى، لأن ذلك يساعدنا في ضبط تاريخ وفاة ممدوحه.

(١) من المرجح أن هذه القطعة قد ضربت بين ٥٧٥ و٥٩٠هـ. لأن الناصر لدين الله ولي الخلافة في عام ٥٧٥هـ، بينما قتل طغرل في عام ٥٩٠هـ.

(٢) لم يذكر، في هذه القطعة، اسم السلطان طغرل السلجوقي واكتفى بذكر اسم الخليفة الناصر لدين الله، مما يرجح أنها ضربت بعد عام ٥٩٠هـ، أي بعد قتل طغرل وانقراض دولة سلاجقة العراق.

(٣) اكتشف خانيقوف هذا النقش في قرية بزادنان في شبه جزيرة باكو.

(٤) H. Hassan: *Falaki-i-Shirwani*, p. 13, from *Khanikow Mélanges asiatiques*, III p. 119.

ولكن تاريخ وفاة خاقاني ليس متفقًا عليه بين الباحثين، وإن كان من المرجح، أنه توفي بعد عام ٥٩٢هـ، لأن عطا ملك الجويني قد ذكر في تاريخه<sup>(١)</sup> أن السلطان تكش خوارزمشاه توجه، في عام ٥٩٢هـ إلى العراق، ثم سار إلى إصفهان، وأن خاقاني قال قصيدة في مدحه، منها قوله: "البشرى لأن خوارزمشاه قد استولى على ملك إصفهان وملك العراقين، كما استولى على ملك خراسان، وقد جاوز نفوذه الأفلاك، وسخر حد سيفه ملك سليمان"<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر اللودي، أن خاقاني توفي في عام ٥٩٥هـ<sup>(٣)</sup>، وهو تاريخ يمكن أن نقبله، لأنه يتمشى مع ما سبقه، وهو - إن صح - يرجح أن أخستان قد توفي بعد عام ٥٩٥هـ، كما يرجح - أيضًا - أن نظامي قد توفي بعد هذا التاريخ، فقد ورد في شعره رثاء للخاقاني. وهناك نقش آخر<sup>(٤)</sup> بالعربية نصه كالآتي: "أمر بنا هذا (كذا) القلعة في أيام الملك المعظم العادل المؤيد المظفر المنصور... فرُخ الدنيا والدين. فرُخ زاد بن منوچهر ناصر أمين المؤمنين الموقر... للدولة والدين... إسحاق ابن كاك... لي أدام الله تأييده تاريخ سنة ستمائة المراد<sup>(٥)</sup> ماه".

وهو يدل على أن فرخزاد بن منوچهر الثاني، وأخا أخستان، كان حاكمًا في عام ٦٠٠هـ.

(١) عطا ملك الجويني، جهان گشا، ص ٣٨-٣٩.

(٢) هذه ترجمة البيتين اللذين نقلهما الجويني وهما قول خاقاني:

مژده كه خوارزمشاه ملك سپهان گرفت  
ماهجه چتر او قلمه گردون گشود

ملك عراقين همجو خراسان گرفت  
مورچه تيغ او ملك سليمان گرفت

(٣) امير شير علي خان لودي: مرآة الخيال، ص ٣٠.

(٤) اكتشف خانيقوف هذا النقش أيضًا، في قرية ماردكان في شبه جزيرة باكو.

(٥) H. Hassan: *Falaki-i-Shirwani*, p. 32, from *Khanikow Mélanges asiatiques*, III p. 119.

وقد أشار نظامى إلى ابن أخستان على أنه كان ولياً للعهد<sup>(١)</sup>. وعلى هذا لا ندرى، ما إذا كان هذا الابن قد ولي العرش، في الفترة ما بين ٥٩٥-٦٠٠هـ، أم لا؟ ولو عرفنا هذا لأمكننا ضبط تاريخ وفاة أخستان، الذي يرجح أنه توفي بين ٥٩٥هـ و٦٠٠هـ.

أما معلوماتنا عن العلاقات السياسية بين أخستان والأتابكة، فهي لا تتعدى ما ذكره الراوندى، من أن السلطان مسعود قد أرسل إيلدگز مع طائفة من الجيش صوب أران، فتمكن - في مدة وجيزة - من الاستيلاء على أران، وگنجه، وشروان، وباکو<sup>(٢)</sup>. ويبدو أن هذا قد حدث قبل عام ٥٤٧هـ، الذي توفي فيه السلطان مسعود.

وليس عندنا بعد ذلك، ما يدلُّ على أن إيلدگز، قد حارب أخستان أو استولى على جزء من ممتلكاته.

ولعلنا نرى بعد هذه النظرة السريعة، أن حكام شروان لم يلعبوا دورًا كبيرًا في توجيه الحوادث في القرن السادس الهجري، وأن الحوادث هي التي أثرت فيهم - بحكم موقع شروان الجغرافي - وإن لم يكونوا قد أثروا فيها إلى حد كبير.

أما نظامى فقد ذكر أخستان ومدحه، فصوّره في صورة الملك القوي، والبطل العظيم فقال: "إنه قائد جيش الملوك، ومقدم السلاطين، ملك العالم الأوحده، صاحب العرش،

(١) نظامى: ليلي ومجنون، ص ٣٨.

(٢) الراوندى: راحة الصدور، ص ٥١٢. وقد ورد ما يشبه هذا في نص نقله هادي حسن في كتابه فلكي الشرواني، ص ٣٥. عن نسخة خطية من كتاب أحسن التواريخ، يفيد أن إيلدگز قد استولى على كل من گنجه وشروان.

ورب البياض والسواد، ذو الجلال والقدرة، أي جلال الدولة والدين وهو أبو المظفر أعظم الملوك، وزينة ملك الأقاليم السبعة<sup>(١)</sup>.

ثم بيّن عراقة أصله في قوله: "إنه من نسل بهرام، فهو مشرق الوجه، وهو ابن منوچهر العظيم، وإن الملك متوارث في هذه الطائفة منذ القدم، فهم يتوارثون العرش كابراً عن كابر، منذ عهد آدم"<sup>(٢)</sup>.

وطبيعي أن هذا الكلام من مبالغات الشعراء، فهو لا يتفق مع التاريخ الذي يثبت أن أخستان لم يكن عظيماً تلك العظمة التي صوّرها الشاعر.

والمهم أن هذا المعسكر لم يكن - رغم ضعفه - هادئاً، بل كان مسرحاً لكثير من الحروب والمنازعات، شأنه في ذلك شأن غيره من المعسكرات التي ألمنا بها.

ونختم حديثنا عن الناحية السياسية - في ذلك العصر - بعرض معسكرين كانت لهما - إلى جانب صبغتهما السياسية - صبغةً دينيةً، وهما: المعسكر السني ممثلاً في العباسيين في بغداد، والمعسكر الشيعي ممثلاً في الإسماعيليين في إيران، لنرى صلتهما بسير الحوادث.

(١) سرخيل سپاه تاجداران  
خاقان جهان معظم  
دارنند تخت پادشاهی  
صاحب جهت جلال وتمکین  
تاج ملکان أبو المظفر  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ٣٠)

(٢) بهرام نثراد و مشری چهر  
زین طائفه تابدور اول  
نطفه اش که رسیده گاه برگاه  
در صدف ملک منوچهر  
شاهیش به نسل در مسلسل  
تا آدم هست شاه بر شاه  
(نفس المرجع والصفحة)





# الفصل الثالث

## المعسكران السني والشيعة

### ١- العباسيون في بغداد:

إذا ألقينا نظرة على معسكر العباسيين - في القرن السادس الهجري - نجده ضعيف الشأن، مختل الأوضاع، فقد طغى فيه نفوذ الوزراء، والأمراء، وحكام الدول، التي طفت على سطح الخلافة العباسية.

وكان نفوذ السلاجقة قويًا نافذًا، لقد كان ظهورهم فترة متميزة في التاريخ الإسلامي، إذ أنه أدى إلى تلاشي هيبة الخلافة<sup>(١)</sup>، بحيث أصبح الخليفة صورة جوفاء، وألعوبة في أيدي الولاة، وصار لا يملك حرية التصرف حتى في شئونه الخاصة، وظل وضع الخلفاء على هذا النحو من الضعف، إلى أن زالت الدولة العباسية على يد المغول.

وكثيرًا ما كان النزاع يُشَبُّ بين الخلفاء وسلاطين السلاجقة، ويؤدي إلى قيام حروب بين الطرفين. ففي عام ٥٢٩هـ، شبت نيران الحرب بين المسترشد بالله العباسي، والسلطان مسعود السلجوقي، وانتهت بهزيمة الخليفة وأسرته، وبقائه حبيسًا في مراغة، إلى أن هجم عليه جماعة من الإسماعيليين فقتلوه ومثلوا به<sup>(٢)</sup>.

(١) Lane-Poole: *The Muhammedan Dynasties*, p. 139.

(٢) ابن العربي: تاريخ مختصر الدول، ص ٣٥٦-٣٥٧، البنداري: مختصر تواريخ آل سلجوق، ص ١٧٤-١٧٨، مجمل القصص والتواريخ (مجهول المؤلف) ص ٤٥٣-٤٥٤، حمد الله مستوفي قزويني: تاريخ كزیده، ص ٤٦٥.

وبويع ابنه الراشد بالخلافة، فتوجه مسعود إلى بغداد، حيث تجدد النزاع بين مسعود والراشد، وسواء أكان سبب النزاع مطالبة مسعود للراشد بضريبة كبيرة<sup>(١)</sup>، أم رغبة الراشد في الأخذ بثأر أبيه<sup>(٢)</sup>، فإن الحرب قامت فعلاً بين الطرفين، وحاصر مسعود بغداد خمسين يوماً، بينما أمر الخليفة بحذف اسم السلطان السلجوقي من الخطبة، ولكن الدائرة دارت عليه في النهاية، فاضطر إلى الفرار إلى الموصل ثم هرب منها إلى مراغة، ودخل مسعود بغداد، وعيّن المقتفي خليفة، وأصبحت في يده كل أمور الدولة. ثم توجه - بعد ذلك - لقتال الخليفة، فهزمه في مراغة، ولكن الخليفة هرب إلى إصفهان، حيث قتله الإسماعيليون<sup>(٣)</sup>. وهكذا نرى كيف تدخل السلاجقة في شئون الدولة العباسية وسيطروا على خلفائها، وكيف سعى المسترشد والرائد إلى حتفهما، حينما ناصبا السلطان السلجوقي العداء.

وقد ظل مسعود صاحب الكلمة العليا، إلى أن توفي، في عام ٥٤٧هـ، فانتهز الخليفة المقتفي فرصة وفاته ليتنفس الصعداء، وحاول أن يستعيد استقلاله المسلوب، ولكن الحرب لم تلبث أن قامت بينه وبين السلطان محمد في عام ٥٥١هـ، فقد رفض المقتفي ذكر اسم محمد في الخطبة، فتقدم إلى بغداد وحاصرها، ولكن أهلها استماتوا في الدفاع عنها، كما ثارت الاضطرابات في آذربيجان، فاضطر محمد إلى رفع الحصار - كما مرّ - وبذلك زال الخطر السلجوقي عن بغداد، وانتصر الخليفة العباسي؛ وكان أول من حكم مستقلاً عن سيطرة سلاطين السلاجقة منذ عهد المنتصر<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٧، الجنباني: تاريخه (الباب الثامن عشر).

(٢) صدر الدين الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص ١٠٨، ابن النظام الحسيني: العراضة، ص ١١٩-١٢١، الراوندي: راحة الصدور، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٣) المراجع السابقة، ونفس الصفحات المذكورة.

(٤) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٣٦٣.

غير أن روح الغدر لم تلبث أن سيطرت على أبناء المقتفي، فلم يكده يشرف على الموت - في عام ٥٥٥هـ - ويعين ابنه المستنجد خليفة له، حتى ادعى ابنه الأصغر أبو علي الخلافة، فانقسم الناس قسمين، وثار الاضطرابات في بغداد، وحينئذ دبرت والدته "أبي علي" هذا مكيدة لقتل المستنجد، ولكنه علم بما دبر له في الخفاء، فاحتاط للأمر، ففشلت الحيلة، وسجن أبا علي وأمه، وتولى الخلافة أحد عشر عاماً<sup>(١)</sup>.

كما سيطرت روح الغدر على الأمراء وكبار رجال الدولة، فقد حدثنا التاريخ أنه بعد موت المستنجد في عام ٥٦٦هـ، خلفه ابنه المستضيء بالله. ولكن أمراءه قطب الدين قيمان اغتصب السلطة منه، وتصرف في كافة أمور الدولة، ثم أراد - في عام ٥٧٠هـ - القبض على الوزير رشيد الدين العطار، الذي لجأ إلى الخليفة، وحينئذ أمر قيمان بنهب بيت الوزير، بل ذهب به اعتداده بسلطته إلى السير - على رأس العامة - إلى قصر الخليفة محاولاً القبض على العطار، وسمع الخليفة صياح العامة فأطل عليهم وصاح فيهم: "أيها الناس: لقد تجاوز قيمان حده، فأمواله - الآن - لكم، ودمه لنا" فلما سمع العامة كلام الخليفة هاجوا، وتحوّلوا إلى بيت قيمان، الذي فرّ إلى الموصل، ليتجنب غضبهم، ولكنه هلك في الطريق من شدة الحرارة والعطش<sup>(٢)</sup>.

وقد توفي المستضيء بالله في عام ٥٧٥هـ، فخلفه ابنه الناصر لدين الله، غير أن الاضطرابات كثرت وانتشرت في الممالك الإسلامية، فكانت الحروب لا تحمد حتى تشتعل بين أفراد البيت السلجوقي، وبين السلاجقة والأتابكة، وبين الأتابكة والكرج، وبين السلاجقة وملوك خوارزم - كما مرّ - وكان الخليفة الناصر يشترك في بعضها أحياناً، فيؤيد خصماً على خصم، فقد رأينا كيف أيد قزل أرسلان ضد السلطان السلجوقي، ومكّنه من

(١) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) خواندامير: دستور الوزراء، ص ٩٤-٩٥.

الانتصار عليه، وقد امتدت خلافته إلى أن شهدت سقوط الأتابكة، وبدء هجوم المغول، فإن النقود التي حفظت لنا عن عصره تدل على أنه كان حيًّا إلى عام ٦٢١هـ<sup>(١)</sup>، ويكاد يكون من الثابت أنه توفي في عام ٦٢٢هـ<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نرى أن معسكر العباسيين السني كان مزعزجًا مضطربًا، لأن الخلفاء كانوا يمثلون - في أغلب الأحيان - دورًا ثانويًّا في توجيه الحوادث في القرن السادس الهجري، ولكنهم كانوا قوة روحية، لها أثرها في حياة الناس، فقد كانوا سنيين، تلتف حولهم قلوب أهل السنة، في جميع أقطار العالم الإسلامي، ويحاول الولاة أن يحصلوا على تفويض منهم بالخلافة، فكانت شخصيتهم الروحية أقوى بكثير جدًّا من شخصيتهم السياسية. وقد كان نظامى سنِّيًّا، فمن الطبيعي أن يُشيد بأهل السنة، وأن يتعلق قلبه بالعباسيين، وأن يكثر - في منظوماته - من ذكر أئمة أهل السنة والإشادة بفضلهم<sup>(٣)</sup>.

## ٢- الإسماعيليون في إيران:

وإذا تركنا المعسكر السني، إلى المعسكر المناهض له من الناحية المذهبية، فإننا نجد - في إيران - ممثلًا في الإسماعيليين الذين كانوا - في ذلك الوقت - في أوج قوتهم ونشاطهم، وكانوا يلعبون دورًا خطيرًا، أثر في حياة الناس تأثيرًا ملحوظًا.

وقد أخذت قوة الإسماعيليين تظهر وتزداد في عصر ملكشاه السلجوقي، ثم تمكن زعيمهم حسن الصباح، من الاستيلاء على قلعة الموت - في عام ٤٨٣هـ - وجعلها مقرًّا لطائفته، وانضم كثير من الناس إليهم، فقويت بذلك شوكتهم، ولم يلبثوا أن تمكنوا من

(١) Lane-Poole: *Catalogue of Arabic Coins at Cairo*, p. 104.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٢٧٦، حافظ أبرو: زبدة التواريخ، ص ٢٢٢ب، ابن الوردي: تاريخه، ص ١٧٤.

(٣) سأحدث عن هذا بشيء من التفصيل فيما بعد، في أثناء الحديث عن مذهب نظامى الدين.

فتح كثير من قلاع خراسان، كما فتحوا أكثر قلاع قهستان، فأصبحوا معسكراً قوياً يُخشى خطره، ويستطيع أن يوجّه سير الحوادث، خصوصاً في القرن السادس الهجري.

وقد وصل الإسماعيليون نسبهم بجعفر الصادق، الإمام السادس من أئمة الشيعة، غير أنهم - فيما يبدو - تصرّفوا في العقيدة، فزادوا ونقصوا في أحكام الإسلام، حتى أبطلوها جميعاً<sup>(١)</sup>، مما جعل خصومهم يسمونهم الملاحدة لما أحدثوه في أصول الدين من تحوير غيرّها بل ألغائها<sup>(٢)</sup>.

وقد اعتبر الإسماعيليون كل من يقف في سبيل نشر مذهبهم كافراً يجب قتله، فسفكوا - لذلك - كثيراً من الدماء، وتَسبّبوا في قتل عدد غير قليل من الخلفاء والقضاة والوزراء، وحاولوا قتل كل من يخالفهم في الرأي، حتى أحدثوا الرعب في قلوب الناس، وكانوا مصدر قلق فكري لهم.

ومهما يكن من شيء، فقد تظاهر حسن الصباح - في أول أمره - بالورع والتقوى والتمسك بمبادئ الدين، وحاول أن يستفيد من المنازعات التي سادت بين أفراد البيت السلجوقي، في توطيد دعائم معسكره حتى صار قوياً مرهوب الجانب، ثم أخذ يُنفذ آراءه في إباحة سفك دماء المخالفين، والاستيلاء على أموالهم، بعد وفاة ملكشاه، فزاد نشاط الإسماعيلية في عهد بركيارق، ومحمد وسنجر، وكان أشد ما يكون في العصر الذي عاش فيه نظامي.

وقد جعل حسن الصباح ولاية عهده لوزيره بزرگ أميد، الذي خلفه بعد موته في عام ٥١٨هـ، فغذى مبادئه، ولم يستطع السلطان سنجر القضاء عليه، بل إنه اضطر إلى التنازل

(١) الشبانكاري: مجمع الأنساب، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٩، البيضاوي: نظام التواريخ، ص ٨٣، الكريم الأقسراي: مسامرة الأخبار، ص ٤٧-٤٨.

له عن بعض حقوقه في الري، وطبرستان، وقزوين، فعظمت قوته، واتسع نفوذه<sup>(١)</sup>، وهو الذي تسبب في قتل الخليفة العباسي المسترشد بالله.

وئُوِّفِيَّ بزرگ أميد، في عام ٥٣٢هـ، فخلفه ابنه محمد، وكان مخلصًا لِمَثَلِ سابقيه، فأمر بقتل عدد كبير من الحكام والأشراف فُقْتِلَ في عهده الخليفة الراشد، كما قُتِلَ قاضي قهستان، وقُتِلَ داود بن السلطان محمود السلجوقي غيلة في تبريز<sup>(٢)</sup>.

وقتل الإسماعيليون في عهده "جوهر" حاكم الري، فخلفه عباس، وكان أحد مماليكه، وقيل إنه اجتهد في قتلهم حتى أهلك عددًا كبيرًا منهم، وإنه بنى من رعوسهم منارًا أذن عليه المؤذنون<sup>(٣)</sup>.

وكان الإسماعيليون يفتبطنون بقتل الخلفاء والولاة، حتى رُوي أنهم احتفلوا أسبوعًا بمقتل الخليفة الراشد<sup>(٤)</sup>.

وئُوِّفِيَّ محمد بن بزرگ أميد في عام ٥٥٥هـ، فخلفه ابنه الحسن الذي كان أعلى مرتبة من أبيه في التعصب، فأوَّلَ أحكام الإسلام وأطلق للناس العنان، يفعلون ما يشاءون، وصنَّفَ كتبًا كثيرة تتعلق بمذهبهم، كانت مملوءة بالخرافات، والألفاظ المعسولة، وادعى أنه كان لا ينطق عن الهوى، وإنما هو وحي يوحى إليه، فراق قوله في أعين العامة، واستطاع أن ينشر مبادئه بينهم، فادعى أن التكليف الشرعية قد رُفعت عن الناس. فرفع عنهم الصوم، وأباح لهم الخمر لأنها كالماء لا ضرر من شربها، كما أباح لهم الزنا، مادام برضا طرفين يسود بينهما الحب.

(١) الشبانكارى: مجمع الأنساب، ص ٢٢٥.

(٢) البندارى: مختصر تواريخ آل سلجوق، ص ١٩٥، صدر الدين الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ص ١١٤.

(٣) البندارى: مختصر تواريخ آل سلجوق، ص ١٩٢.

(٤) Darab: Makhzanol Asrar, p. 85.

وقد انتشرت هذه التعاليم في سيستان، وقهستان، فقوي أمر الإسماعيليين في عهده إلى أن توفي في عام ٥٦١هـ<sup>(١)</sup>، فخلفه ابنه محمد الذي لم يكتب بتعاليم والده، بل أسبغ على نفسه صفات الألوهية، فكان إذا أرسل إلى ملك رسالة تحدث عن نفسه بقوله: "الخالق الرحمن القادر"<sup>(٢)</sup>. وأرسل رسله إلى كل مكان في العالم الإسلامي لقتل الحكام والأشراف، الذين وقفوا حجرة عثرة في سبيل نشر المبادئ الإسماعيلية<sup>(٣)</sup>، فقتل الكثير.

وقد ساعده على تنفيذ سياسته ضعف الدولتين العباسية والسلجوقية، وطول مدة حكمه الذي امتد إلى عام ٦٠٧هـ، وقيل إن ابنه كان مخالفًا لآرائه وتعاليمه الدينية، فدس له السم ليتخلص منه<sup>(٤)</sup>.

وقد انتهى الإسماعيليون في عهده بقتل قزل أرسلان أتابك آذربيجان<sup>(٥)</sup>، كما قتلوا مسعود بن علي وزير خوارزمشاه، في عام ٥٩٦هـ<sup>(٦)</sup>.

وهكذا نلاحظ أن نشاط هذه الطائفة قد ازدادت خطورته في النصف الثاني من القرن السادس الهجري.

وتعتبر هذه الفترة أهم فترة في حياة نظامي، فقد نظم في خلالها جميع منظوماته، واتصل بكثير من الحوادث عن قرب، ولا شك أنهم كانوا مصدر فزع ورعب له ولغيره من السنيين،

(١) الشبانكاري: مجمع الأنساب، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٢٨.

(٥) حمد الله مستوفي قزويني: تاريخ غزیده، ص ٤٧٦.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ١٠٤، ابن الوردي: تاريخه، ج ٢، ص ٧٩.

وربما أثر هذا الرعب في تصرفاته، وقد ظهر كرهه لهم حينما حذّر بهرامشاه حاكم أرزنجان منهم، فقال: "إن راية إسحق عالية بفضلها، وعدوّه - إن وُجد - إسماعيلي"<sup>(١)</sup>.

وقد انهار معسكر الإسماعيليين على يد هولاء المغولي، الذي أمر بتحطيم جميع قلاعهم - وخصوصاً الموت وميمون دره - كما أمر باستئصال شأفتهم<sup>(٢)</sup>. وكان ذلك في عام ٦٥٤هـ، كما ضبطه الكريم الأقسراي بييتين، ترجمتهما: "لما أصبحت سنة العرب أربعاً وخمسين وستمئة - قام خورشاه ملك الإسماعيليين، من على عرشه، في فجر يوم الأحد الموافق غرة ذي القعدة، ووقف ذليلاً بين يدي هولاء"<sup>(٣)</sup>.

ومهما يكن من شيء فإن معسكر الإسماعيليين كان يُشيع الرعب، ويساعد على الاضطراب.

ولعلنا أدركنا بعد استعراض مختلف المعسكرات، التي تتصل بموضوع دراستنا أن الأحوال السياسية في عصر نظامى كانت قلقة غير مستقرة، تبعث على الخوف والتشتت ولبلة الأفكار، مما جعل حياة الناس مضطربة مهددة؛ فأشاع فيهم النفاق، وحبّب بعضهم في العزلة والانزواء.

ونكتفي بهذا القدر، في الناحية السياسية، لنعرض للنواحي الأخرى من اجتماعية، وفنية، ودينية، ونرى مبلغ تأثيرها بالأحوال السائدة في ذلك العصر.

(١) هذه ترجمة قول نظامى في مخزن الأسرار، ص ٣٣:

رايت اسحق ازوعاليست  
ضدش آگرهست سماعيليست

(٢) الشبانكارى: مجمع الأنساب، ص ٢٢٨-٢٣١.

(٣) ذكر الكريم الأقسراي هذين البيتين في مسامرة الأخيار، ص ٤٧-٤٨ وهما:  
سال عرب چوششصد وينجاچارسال  
يكشنيه بود غر ذي قعده بامداد  
خورشاه پادشاه سماعيليان زتخت  
برخاست پيش تخت هولاء كو بايستاد



# الفصل الرابع

## النواحي الاجتماعية والفنية والريفية في عصر نظامي

### ١- الناحية الاجتماعية:

امتاز القرن السادس الهجري بكثرة ما حدث فيه من التغيرات، نتيجة لقيام بعض الدول وسقوط البعض الآخر، وقد رأينا كيف اشتد أوار الحروب بين هذه الدول، بلا انقطاع تقريباً. وطبيعي أن هذه الحالة كانت لها آثارها في حياة الناس الاجتماعية، فقد جعلتها متقلبة غير مستقرة.

كما كانت لسيطرة العنصر السلجوقي، على إيران والعراق وما جاورهما من الأقطار الإسلامية، آثاراً واضحة في الحياة الاجتماعية، فقد كان السلاجقة عنصراً جديداً، يخالف السامانيين في أنهم لم يألوا حياة المدن والاستقرار من قبل<sup>(١)</sup>. وكان سلاطين السلاجقة الأولين غير مثقفين، مما جعلهم في احتياج إلى كثير من الموظفين ليستعملوهم في المهام المختلفة<sup>(٢)</sup>، فبرزت بذلك طبقة الموظفين وازداد نفوذ بعض أفرادها تبعاً لأهمية مناصبهم، أو لصلتهم بالسلطان السلجوقي.

(١) نظامي عروضي سمرقندي: چهار مقاله، ص ٢٣-٢٤، بهار: سبك شناسي ج ٢ ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٢) برتلس: نظامي شاعر آذربيجان العظيم، ص ١٣.

وكانت علاقة السلاطين بالجيوش معقدة للغاية، فقد أدت سيطرة السلاجقة إلى وفود عدة قبائل - من عنصرهم - إلى إيران وغيرها من الممالك الإسلامية، واضطر السلاطين - أحياناً - إلى إعطاء أفراد هذه القبائل مرتبات مثل الجنود. ولكنها كثيراً ما كانت مصدر فتنة وقلق، خصوصاً في الوقت الذي كان السلاطين يجرمون أفرادها من مرتباتهم<sup>(١)</sup>، فكانت القبائل تساعد على ازدياد الحالة سوءاً واضطراباً.

ومن الظواهر الاجتماعية الجديدة بالملاحظة - في ذلك العصر - ظهور أهمية المدن، وازدياد تلك الأهمية بمرور الزمن، حتى صارت لبعض المدن شخصية واضحة مستقلة لها مقوماتها ومميزاتها، كشروان، وتبريز، ومراغة، كما ظهرت أهمية الشغور، كأرزنجان وكنجه وما شابههما، لأن هذه الشغور كانت تؤدي واجباً دينياً مقدساً، هو صد أعداء الإسلام، من الكرج والروم، عن الديار الإسلامية مما أضفى عليها وعلى حكامها أهمية كبيرة، وجعل ولاية الشغور موضع تقدير المسلمين ومدح الشعراء والكتّاب.

وقد تبع هذا ظهور عدة طبقات في كل مدينة، كالعظماء، والأشراف، والتجار، والعمال، والصناع، والفقراء، وقد كثرت طبقة الصناع في بعض المدن، وكانت الصناعات تتناسب مع كل مدينة.

ويبدو أن الصوفية قد وجدوا مرتعاً خصباً بين طبقات العمال والصناع والفقراء، فنشروا تعاليمهم بينهم، وضموا الكثيرين منهم إلى صفوفهم<sup>(٢)</sup>. وكانت إحدى فرق الصوفية، وهي فرقة "الأخية"، تستعمل السلاح كوسيلة لأخذ حقها، وإصلاح المجتمع، مما جعلها أكثر تمسكاً مع نفسية سكان الشغور، فانضم كثير منهم تحت لوائها<sup>(٣)</sup>.

(١) برتلس: نظامى شاعر آذربيجان العظيم، ص ١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥.

(٣) سيأتى الحديث عن فرقة الأخية فيما بعد لأن نظامى كان في أغلب الظن متصلاً بهم.

وطبيعي أن هذه الحالة قد جعلت طبقة الصوفية تظفر باحترام الناس والحكام، فارتفع شأن رجالها، وعظم تأثيرهم في حياة الناس.

وكان لانتشار تعاليم الصوفية أثر في إنماء الشعور بحب الوحدة والانزواء، بسبب حالة القلق التي سادت حياة الناس، فجعلتهم لا يطمئنون لبعضهم البعض، فشاع الشك وعدم الإخلاص وانعدمت المثل الأخلاقية القويمة<sup>(١)</sup>.

وهكذا أثرت الناحية السياسية في حياة الناس الاجتماعية، وكَيْفَتُهَا حسب مقتضياتها.

## ٢- الناحية الفنية:

وأقصد بالفن - هنا - الفن بمعناه الواسع، الذي يشمل الأدب، والنقش، والتصوير، والصنعة والمعمار، وما شابه ذلك.

والملاحظ أن الفن قد راج في ذلك العصر، رواجاً واضحاً؛ فقد ارتقى فن النقش، والتصوير، والصنعة، والمعمار، في العصر السلجوقي، لأن السلاجقة كانوا يعشقون الفنون الجميلة ويرعونها، وقد امتد تأثيرهم، في هذه الناحية إلى عصر المغول<sup>(٢)</sup>.

وقد كان لبداءة السلاجقة أثرٌ في رواج الفنون، فقد شغفوا بالمباني الفخمة، والنقوش الجميلة، واللوحات المزخرفة، التي كانت ترضي ذوقهم وتسد حاجتهم النفسية.

ويبدو أنهم كانوا قد تعلموا - قبل فتحهم لإيران - فن الصنعة والمعمار من الغزنويين، وكان سلاطين السلاجقة أنفسهم يحمون الفنون ويُسَوِّقُون عليها<sup>(٣)</sup>، فبقيت روائع الفن الإيراني منذ عهد السلاجقة، ويعتقد كثير من العلماء أن الفن الإسلامي، قد وصل إلى

(١) سأتناول هذه المسألة بشيء من التفصيل في أثناء الحديث عن الناحية الدينية.

(٢) كريستي وبلسن: تاريخ صنایع ایران (ترجمة فريار)، ص ١٤٢.

(٣) M.S. Dimand: *A Handbook of Mohammadan Decorative Arts*, p. 173.

أعلى درجاته في عهدهم، وأن الآثار الباقية، منذ ذلك العهد، قليلة النظير في تاريخ الفن الإيراني<sup>(١)</sup>.

ولم يظل الفن حياً مقروناً بالعشق والابتكار في داخل إيران وحدها، بل بسطت فتوح السلاجقة أصول الفن الإيراني إلى سواحل البحر الأبيض وشمال إفريقيا، مما جعل آثار الفنون الإيرانية تُرى في مصر، وسورية، بعد ذلك بعدة قرون<sup>(٢)</sup>.

وقد امتاز الفن عامة بميله إلى حب التفنن والتصنع؛ فوضحت هذه الظاهرة في شعر نظامى، كما أخذ كثيراً من استعاراته من الفنون الجميلة.

أما الناحية الأدبية؛ فقد ظهر فيها لون جديد من ألوان الأدب، يمكن أن نسميه أدب المدينة.

فالملاحظ أن الآداب، في القرون التي سبقت تلك العصر، كانت تنقسم إلى قسمين:

١- الأدب المكتوب، أو أدب الطبقات الحاكمة.

٢- الأدب الشفوي<sup>(٣)</sup>، أو أدب الشعب.

ثم ظهر نوع جديد، هو أدب المدينة، أنتجته ظاهرة جديدة، هي ظهور المدينة كبيئة مستقلة لها خصائصها، وكان هذا النوع قوياً في القرن السادس الهجري.

وقد تنبه القدماء أنفسهم إلى هذه الظاهرة، فقسّموا الآداب بحسب المدن، فعوفي في لباب الألباب - مثلاً - قد قسم الشعراء بحسب المدن والأقاليم. فذكر نظامى ضمن شعراء قم، وهذا هو عين ما فعله لطفعلی بيك في آتشكده.

(١) كريستي ويلسن: تاريخ صنایع إيران، ص ١٤٢.

(٢) كريستي ويلسن: تاريخ صنایع إيران، ص ١٤٣.

(٣) برتلس: نظامى شاعر آذربيجان العظيم، ص ١٦.

وقد اتخذت آداب المدن صورة واضحة مميزة في عصر نظامي، لأن حكام المدن اجتهدوا في جمع الشعراء والكتاب حولهم، حتى يظفروا بمدحهم والتغني بفضائلهم.

ولكن آداب المدن كانت تحت تأثير آداب البلاط، فكان شعراء المدن وكتابها يستعملون نفس الأسلوب - الذي يُستعمل في مدح السلاطين - في مدح حكام المدن، بنفس الطريقة تقريباً، غير أن شخصية المدينة، وما فيها من عادات وتقاليد، كانت تظهر في آثارهم بين الحين والحين<sup>(١)</sup>.

وأكبر الظن أن الآداب السلطانية قد بقيت - في العصر السلجوقي - دون تغيير كبير، بينما شاعت اللغة الفارسية في الهند وآسيا الصغرى، ولكن السلاجقة لم يهجروا لغتهم، بل كانوا يستعملونها في مجالسهم الخاصة، ومع ذلك فقد ظلت الفارسية من علامات الطبقة الحاكمة، وظهرت أهميتها في بلاد كانت فيها آداب قومية كبلاد الأرمن وبلاد الگرج، فظهرت آثارها في تلك الآداب<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن شعر البلاط قد راج في شروان رواجاً كبيراً، فقد حرص حكام شروان على جمع الشعراء حولهم للإشادة بذكرهم، حتى يشتهروا عن طريقهم، وكان أبو العلاء الگنجوي يعتبر رئيس الشعراء الذين أحاطوا بمنوچهر ثم بابنه أخستان من بعده<sup>(٣)</sup>.

ولعل مما يؤسف له، أن ديوان أبي العلاء ليس بين أيدينا، وإنما توجد نماذج من شعره في كتب التذاكر، ويبدو أنه كان يتمتع بمكانة عظيمة في ذلك البلاط.

غير أن حياة شعراء البلاط لم تكن خالية من المشكلات فقد أتهم أبو العلاء بأنه أعطى معلومات عن البلاط لأعداء شروان، وفقد بذلك عطف البلاط، ولم يُجِدْ دفاعه

(١) لن أسرف في ذكر الأمثلة والشواهد مكتفياً بما ورد في شعر نظامي مما سيرد ذكره.

(٢) برتلس: نظامي شاعر آذربيجان، ص ١٦-١٧.

(٣) أمين رازي: هفت إقليم، ص ٥٢١أ.

عن نفسه شيئاً، فأخذ يتحدث عن ضياع الحقيقة وانعدام الوفاء، في وقت كان فيه في الخامسة والخمسين من عمره، وهكذا يبدو أن شعراء البلاط كثيراً ما كانوا يقومون بأدوار سياسية.

وقد أثرت روح العصر في إبراز ظاهرة هجاء التلاميذ لأساتذتهم، والوشاية بهم، فرأينا الخاقاني تلميذ أبي العلاء يهجو أستاذه ويشي به في البلاط، ويتهمه بأن له علاقات بالإسماعيليين، حتى يجد لنفسه طريقاً في البلاط، وقد آل أمر الخاقاني نفسه إلى السجن فأثّر في مجرى حياته، بعد ذلك، تأثيراً كبيراً<sup>(١)</sup>.

كما كان فلكي الشرواني موضع هجوم أثير الدين أخسيكتي وأديب صابر، وانتهى أمره بالسجن أيضاً، وقد روي أنه خرج من السجن هيكلًا عظيمًا فأدّى هذا إلى مرضه وسرعة وفاته<sup>(٢)</sup>.

ولعل ما حدث للخاقاني وفلكي الشرواني كان له أثره في نفس نظامى، فكان كثيراً ما يشير إلى خطورة خدمة البلاط كما سيأتي.

وكان للأتابكة شعراء وكتّاب، ومن أهم شعرائهم مجير الدين البيلقاني، غير أن شعره ضائع، فلا نستطيع تقدير درجته الشعرية تقديرًا دقيقًا، وإن كان أمير خسرو الدهلوي يُفضله على الخاقاني، ويعتبره أشعر منه<sup>(٣)</sup>.

وقد كان مجير الدين يشعر بما في حياة البلاط من كذب وزيف ونفاق، ويعتقد أن الإنسان يجب أن يكون كالعود يعطي سكرًا في حياته، ويُصدِرُ نغمًا حلواً بعد وفاته.

(١) أمين رازي: هفت إقليم، ص ٥١٠، ب.

(٢) المرجع السابق، ٥١٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٢٥، ب؛ ويقول محمد باقر إصفهاني في روضات الجنات، ص ٧٨، إنه كان تلميذ خاقاني ونظامى.

وكانت القصيدة هي النموذج الشعري لشعراء البلاط ويعتبر أنوري وخاقاني من أبداع شعراء هذا الفن<sup>(١)</sup>.

وشعر البلاط إن وصف بشيء، فإنما يوصف بأنه الشعر الذي تختفي فيه شخصية الشاعر إلى حد كبير، لتظهر شخصية الممدوح واضحة جلية.

أما الأدب كصناعة؛ فقد امتاز بما امتاز به الفن عامة، في ذلك العصر، من ميل إلى التفنن، فالشاعر أو الناثر كان لا يكتفي بصب أفكاره في قوالب جميلة من الألفاظ، بل كان يحاول أن يرسم على هذه القوالب من النقوش والزخارف ما يجعل منظرها رائعاً بديعاً، فامتلاً الأدب بالمحسنات اللفظية والتشبيهات والاستعارات والكنيات وما شابهها، وراقت هذه الأشياء في أعين الناس فأكثر الشعراء والكتاب منها، وطغت على بعض الأشعار، فجعلت فهمها صعباً مما سأحدث عنه، في أثناء الحديث عن مزايا فن نظامي.

وقد تأثرت الناحية الأدبية بالناحية الدينية؛ فلنعرض لهذه الناحية الأخيرة لنرى مبلغ تأثيرها في سابقتها.

### ٣- الناحية الدينية:

تأثرت الحياة الدينية، في القرن السادس الهجري، بما ساد الحياة السياسية من اضطراب وتشتت ومنازعات، فكان من أهم ظواهرها شيوع التعصب والخرافات، وكثرة النزاع بين الفرق الإسلامية المختلفة، وعداوة أهل العلم بعضهم للبعض الآخر، وغلبة الجفاف على

(١) لا أجد ضرورة للإسراف في ذكر الأمثلة، لأنني أتناول الناحية الأدبية، كوسيلة تساعد على فهم نظامي وشعره وتكفي معرفة الاتجاهات الأدبية بصفة عامة مختصرة، ويعتبر شعر نظامي، الذي سيرد الحديث عنه، أوضح شاهد على روح عصره.

المباحث العلمية والفلسفية، واستخدام العلم والفلسفة أداة للمجادلات المذهبية، وجعل المباحث العلمية محدودة داخل نطاق الإحساسات المذهبية<sup>(١)</sup>.

وكانت هذه الأوضاع سبباً في انحراف العلم عن محوره الحقيقي، الذي هو البحث عن حقائق الأشياء، فشاع ضيق النظر، وأصبحت الحكمة والفلسفة خادمتين لمجادلات أصحاب المذاهب ومناظراتهم.

وقد بدأت هذه الظواهر تتضح في القرن الخامس الهجري، حتى ثار الغزالي - في أواخر ذلك القرن - في وجه الفلاسفة، وأخذ في تسفيه أحلامهم وتكفيرهم في كتابه "تهافت الفلاسفة"<sup>(٢)</sup>. كما ذكر القفطي أن معاصري عمر الخيام تناولوه بالقدح في دينه، حتى ترك نيشاپور وذهب إلى الحج، وكان - بعد رجوعه من مكة - يخفي أسرارهِ ويتظاهر برعاية ظواهر الشرع<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا الأساس يحسن أن نُلم بهذه الأشياء بصورة مختصرة منذ القرن الخامس الهجري، قبل أن نعرضها في صورتها في القرن السادس، لأن جذورها تمتد إلى ذلك القرن. لعل من الأشياء الجديرة بالملاحظة - في القرن الخامس - رواج سوق الأشاعرة، وكثرة الحروب بين أهل السنة والشيعة، فقد فتح كل فريق منهم مدارس، ورتّب مجالس للدرس. وكان هدف كل منهم رواج المذهب الذي يتبعه، والانتصار على أعدائه.

وقد كثرت الفرق الإسلامية، وحاولت كل فرقة تخريب مدارس الفرقة الأخرى، وكانت تعتبر ذلك العمل قربي إلى الله، كما حاول كل فريق أن يسفك دماء مخالفيه، حتى يظفر بالمشوبة من الله.

(١) قاسم غني: تاريخ تصوف در إسلام، ص ٤٦٤.

(٢) الغزالي: تهافت الفلاسفة، ص ٣-٤.

(٣) القفطي: تاريخ الحكماء، ص ١٦٢-١٦٣.



وقد اشتد النزاع المذهبي بين الشيعة، والسنة، والأشاعرة، والمعتزلة، والإسماعيلية، كما ظهر النزاع بين مذاهب أهل السنة المختلفة، وخصوصاً بين الشافعية، والحنفية، وكان النزاع بين هذه المذاهب المختلفة يتطور إلى درجة الحرب أحياناً<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر ابن الأثير - في حوادث عام ٤٠٧هـ - شيئاً عن قتل الشيعة بإفريقية، كما أشار - في حوادث عام ٤٠٨هـ - إلى النزاع بين أهل السنة وأهل محلة الكرخ الشيعة، ثم تحدث عن النزاع بين السنة والشيعة، وتخريب السنين منازل الشيعة وأبنيتهم حتى قبور كاظمين، وذلك في حوادث عام ٤٣٣هـ، وذكر مثل هذا النزاع في حوادث عام ٤٤٤هـ، وقال إنه امتد إلى عام ٤٤٥هـ. مما يدل على أن الاضطراب السياسي قد حالفه اضطراب ديني، ونزاع مستمر بين الفرق الإسلامية، وأصحاب المذاهب المختلفة، وقد ساعد هذا بدوره على بلبلة الأفكار وتفرُّق المسلمين، وغلبة موجة التعصب، التي بلغت أقصى قوتها في القرن السادس الهجري المتصل ببحثنا.

ولكنَّ فرقة واحدة بقيت بعيدة عن التعصب إلى حد ما، ألا وهي فرقة الصوفية، فقد كان الصوفية يمتازون بسلامة الفكر والعفة والأخلاق المحمودة، كما كان أفق تفكيرهم أوسع بكثير من غيرهم من المتعصبين، فأكسبهم هذا حُبَّ كثير من الناس وأخذ نفوذهم يزداد ويقوى، وبدأ يظهر في الأدب منذ القرن الخامس، ثم ازداد حتى أصبح له نوع من الشمول في القرن السادس، واستمر بعد ذلك في القرنين السابع والثامن، حتى كدنا لا نجد شاعراً غير معني باصطلاحات التصوف والعرفان.

ويمكن أن نحس بهذا الأثر إذا قارنا بين أدب القرن الرابع مثلاً، وأدب القرون التالية، وخصوصاً القرن السادس، فقد كان أدب القرن الرابع خالياً من الصنعة والتكلف سهل الفهم، كما كان خالياً - تقريباً - من المعاني المجازية والاستعارات والكنيات

(١) قاسم غني: تاريخ تصوف در إسلام، ص ٤٦٨.

الإشراقية والصوفية، ومن شطحات هؤلاء، في حين أنه امتلاً بهذه الأشياء منذ القرن الخامس، فأبعده عن فهم جمهور العوام، وبعض الخواص، وقد ازداد نفوذ التصوف في الشعر، حتى أصبحت نغمة جزء كبير منه مستمدة من التصوف.

وقد يبدو هذا طبيعياً؛ لأن التصوف مذهب والشعر لسان القلب<sup>(١)</sup>.

ومن المقرر أنه ليس للعقل والاستدلال طريق إلى فضاء العشق والشوق، الذي يسبح فيه خيال الصوفي، فواضح - إذاً - أن اللغة التي تستطيع أن تترجم عن هذا هي لغة العشق والإحساسات أي الشعر، ويرى البعض أن صياغة الشعر ممزوجاً بالأفكار الصوفية هي التي أعطته رونقاً، وكانت سبباً في إنتاج أجمل الأشعار الفارسية<sup>(٢)</sup>.

وقد كان الصوفية موضع احترام الناس والأمراء والسلاطين، لبعدهم عن المجادلات المذهبية. فقد رُوِيَ أن السلطان محمود الغزنوي زار الشيخ أبا الحسن الخرقاني عند توجُّهه إلى الري<sup>(٣)</sup>. كما رُوِيَ أن السلطان طغرل السلجوقي ذهب لرؤية بابا طاهر العريان في همدان<sup>(٤)</sup>. وما ذلك إلا لأن الصوفية كانوا يصبغون تعاليمهم بالصبغة الدينية، ويزهدون في الدنيا، وحطامها الزائل، وابتعدون عن مصاحبة الملوك والأمراء وأصحاب الجاه والسلطان، راضين بالزهد والقناعة. كما كانوا لا يتدخلون في النزاع بين الفرق المختلفة مستعملين سياسة السلام مع الجميع<sup>(٥)</sup>.

(١) قاسم غني: تاريخ تصوف در إسلام، ص ٤٧١-٤٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٧٢.

(٣) السمعاني: الأنساب (نسب الخرقاني)، ص ١٩٥؛ العطار: تذكرة الأولياء، نيمه دوم، ص ١٥٩-٢٠٠؛ غلام سرور: خزينة الأصفياء، ص ٥٢٤-٥٢٦.

(٤) الراوندي: راحة الصدور، ص ٩٨-٩٩.

(٥) قاسم غني: تاريخ تصوف، ص ٤٧٣-٤٧٥.

وقد اشتدَّ النزاع بين الفرق في القرن السادس، وأذكت نيرانه الحروب الصليبية، وضعفُ مركز الخلافة الإسلامية، وتشكىلُ حكومات شبه مستقلة، ونزاع أمراء الإيالات المختلفة بعضهم مع البعض الآخر، مما أدَّى إلى خراب الممالك الإسلامية في النهاية، وانقراض الخلافة على يد المغول في القرن السابع الهجري. وقد أدَّى كل هذا إلى انعدام المثل الأخلاقية.

وقد استفاد الصوفية من هذه الأوضاع، فبثُّوا تعاليمهم الدينية، التي تهدف إلى تهذيب النفوس، فأصبح الغرض من البحث العلمي - في القرن السادس - هو الوصول إلى السعادة الأخروية، وكان شعار المتعلم "أول العلم معرفة الجبار وآخره تفويض الأمر إليه"<sup>(١)</sup>.

وقد أشاع النزاع بين الفرق التعصبَ وضيقَ النظر بصورة واضحة غالبية، فالكتب والأشعار التي حُفِظَتْ لنا عن هذا القرن، تدلُّ على أن كُتَّابه وشعراءه كانوا - بصفة عامة - متأثرين بما شاع في عصرهم، فكان التظاهر بالفضل مصحوبًا بالغرور النفسي، إلى غير ذلك من مظاهر ضيق النظر، ووضوحًا في آثارهم.

كما كان لنفوذ العلوم الدينية، وشيوع المباحث المذهبية، ومعرفة شعراء الإيرانيين وكتابهم باللغة العربية وآدابها، أثرٌ واضح في محاولة تقليد اللغة العربية، ومحاكاة فنونها.

وقد تجلَّت هذه الظاهرة في القرن السادس أكثر مما سبقه من القرون، فإن شعراء القرن الرابع وكُتَّابه لم يكن لهم نفس التعمق، الذي لاحظناه في القرن السادس، رغم معرفتهم التامة باللغة العربية، وتأثرهم بالفكر العربي.

ومن خصائص هذا القرن - أيضًا - الغلو والمبالغة في الموضوعات المذهبية، كحمد الله والثناء عليه، ومدح الرسول وأصحابه، وذكر المعراج ووصف البراق. نلاحظ ذلك في

(١) قاسم غني: تاريخ تصوف، ص ٤٨٢.

أشعار نظامى، وحقاني، وجمال الدين بن عبد الرزاق؛ ونضرب مثلاً بنظامى، فقد استغرق ذكراً هذه الأشياء أكثر من ثلاثين صفحة من منظومته الأولى "مخزن الأسرار" أي ما يقرب من سدسها.

كما أدّى اضطراب الأوضاع في الممالك الإسلامية إلى تزلزل الروح المعنوية، وخوف الناس، وتوقعهم الموت أو الأسر، مما أدّى إلى فساد الأخلاق وانعدام الفضائل كما ذكرنا، فأصبحنا نجد أغلب شعراء ذلك القرن يُكثرون من الحديث عن انعدام المروءة، وضياع الوفاء، وانقلاب الأوضاع، وإبدال الأمانة بالخيانة، والمحبة بالعداوة، والإنسانية بالجفاء، وتحير العلماء، وابتلاء الفضلاء، ويزدّمون الاختلاط، ويدعون إلى الوحدة والانزواء.

فهذا عبد الواسع الجبلي - مثلاً - يقول: "نُسخ الوفاء، وانعدمت المروءة، ولم يبق منها إلا الاسم، كالعنقاء والكيمياء، لقد صارت الأمانة خيانة، والذكاء سفهاً، والصدقة عداوة، والإنسانية جفاء، وانعكست آداب الخلق جميعها، بسبب هذا العالم البخيل، والفلك عديم الوفاء، فكل عاقل قد أمّتحن فانتجى زاوية، وكل فاضل قد صار مبتلى بداهية"<sup>(١)</sup>.

وكان من علامات ضيق النظر، اشتغال الشعراء والكتاب - غالباً - بالمسائل الشخصية التافهة، لا بالمسائل العامة العظيمة. فعُني الشعراء بالجزئيات وشُغِفوا بدمّ طريقة مخالفيهم، وصرّوا أوقاتهم وتفكيرهم في الهجاء والقدح، وراج بين الشعراء مدح النفس، وإظهار الفضل، والعلم، والغرور، والمفاخرة، وأمثال هذه الأشياء مقرونةً بالشكوى من بقاء قدر الشاعر مجهولاً، وشغلت هذه المسائل جزءاً كبيراً من أشعار الشعراء في ذلك العصر.

(١) هذه ترجمة قول عبد الواسع الجبلي:

وزهر دو نام ماندچو سيمرغ وكيميا  
شد دوستى عداوت وشد مردى جفا  
زين عالم نهره وگردون بى وفا  
هر فاضلى بداهيه گشته مبتلا  
(قاسم غني: تاريخ تصوف، ص ٤٨٧)

منسوخ شد مروت ومعدوم شد وفا  
شد راستى خيانت وشد زيبرى سفته  
گشته است بار گونه همه رسمهاى خلق  
هر عاقل بزاويه مانده ممتحن

فهذا نظامي يقول في الفخر: "إنني - بفضيلة المعاني - ملكٌ ملوك الفضل، فقد أحاطت شهرتي بالآفاق كإحاطة السماء؛ فصوت شعري العالي هو ناقوس صيتي الرنّان، وقلبي يغزو العالم وكأنه علم فاتح، وقد ضارعت عظمتي عظمة الملك كيقباد، وجاوز نفوذي عنان السماء، فأنا مؤيد الكلام في عالم الفصاحة، ما طرّق أحد غيري باب السعادة، إن مكاتباتي تُشرف ابن مقلة، ونظمي يُجبرّ ابن هانئ، فانظر إلى أشعاري إذا أردت أن تعرف لغة مضر، وأي عجب أن ترى حديثاً عذباً من فصيح لسان مثلي؟!... أنا - والله - فخور بهذا الفن، لأنه لم يكن هناك نظم بهذه اللطافة، وشعر بهذه الفصاحة. فشعري كالصدف الحر، وكالجوهر النقي؛ غير أي معذب - ليلاً ونهاراً - من فاسق، إنه حاسدي، وهو غير شريف. ولسوف يُهزم وينسحب، كالنجم اليماني"<sup>(١)</sup>.

وهذا خاقاني الشرواني يقول: "ليس لملك الكلام ملكٌ أفضل مني، فقد سلّمت الفصاحة - في العالم - عنانها لي، فأنا روح القدس لمريم المعاني العذراء، وأنا ملك عالم المعاني"<sup>(٢)</sup>.

(١) هذه ترجمة قول نظامي:

زمي وزمان گرفتہ بمثال آسمانی  
قلم جهان نوردم علم جهان ستانی  
برحشتمم گذشتہ ز پرند جوزجانی  
زده کسی بجزمن در صاحب القرانی  
زمغالطات نظمم غلط افتد ابن هانی  
چه عجب حدیث شیرین  
زچنین رطب لسانی  
نکنی بدین لطیفی سخنی بدین روانی  
زحرام زاده هم شب وروز درزیانی  
ولسد الزنا کشی آمد چو ستاره یمانی  
(نظامی: گنجینه گنجوی، ص ۱۷۴-۱۷۹)

ملك الملوك فضلتم بفضيلت معاني  
نفس بلند صوتم جرس بلند صيتي  
سرهمتم رسیده بکلاه کيقبادی  
بولایت سخن در که مؤيد الكلام  
بمکاتبات نغزم شرف آرد ابن مقلة  
بلسان مضر خواهی بلسان من نظرکن  
متفاخر بدین فن بخدا و چون نباشد  
چو صدف حلال خوآرم  
و چو گوهر حلال زاده  
ولد الزنا است حاسد منم آنکه اخترمن

(٢) هذه ترجمة قول خاقاني:

درجهان هم ابن سخن رانی مسلم شدمر  
عالم ذکر معانی رامتم فرمان روا  
(قاسم غنی: تاریخ تصوف، ص ۴۸۹)

نیست اقلیم سخن را بهتر ازمن پادشا  
مريم بکر معانی را منم روح القدس

كما أوجدت روح العصر شيئاً من السأم، فمال الناس إلى شيء من الصلح. وكان شيوخ الصوفية، ومن يحدو حدوهم من الشعراء، يحاولون القيام بهذه المهمة، لبُعْدِهِم عن التعصب والجفاف، فوُجِدَتْ الدعوة إلى الصلح والإصلاح بين "أهل الحال" ومذهب "العشق والمحبة" وطريقة "الصلح والصفاء" وعقيدة "وحدة الوجود" من رجال الصوفية، وبين الشعراء كسنائي والطارق من شعراء الصوفية، وعند نظامى الكنجوى الذي كان يميل إلى مذهبهم؛ فكانوا دعاة إصلاح وصفاء، وعدل ووفاء. وقد وصلت هذه الدعوة إلى أسمى درجاتها في القرن السابع الهجري بفضل جلال الدين الرومي.

وهكذا وجدنا الصوفية وأمثالهم، عاملاً ملطفاً في ذلك الجو المُلغَم بالأحداث المختلفة والتيارات المتعارضة، ورغم أنهم كانوا يجنحون في أبحاثهم إلى التعليقات الفلسفية، ويتناولون المسائل المتصلة بالفلسفة وعلم النفس، كالمباحث المتعلقة بحقيقة الله والعالم، والمعرفة، وعلة الخلق، وربط الحادث بالقديم، ووحدة الوجود، والروح والبدن، والعالم الصغير، والعالم الكبير، وأمثالها، إلا أنهم لم ينسوا طريقتهم التي تعتمد على الذوق، والمكاشفة، والوجد، والحال، والوجدان، والشعور.

فلم يكن عجباً - إداً - أن يرد التصوف باب الأدب فيجعله حراً طليقاً مثله، حتى أصبحنا نجد الشعر الذي نشأ في كنف السلاطين، وتأثر بهم، قوةً وضعفاً، يصير حراً، محطّم القيود، بعد أن اصطبغ بصبغة الصوفية، فظهرت بذلك روائع من الشعر، وأصبح الشعراء من غير الصوفية يطرقون الموضوعات غير الصوفية، فيحرصون على تلوينها بلون التصوف.

وهرع كثير من الناس إلى حظيرة التصوف بعد أن رأوا جور الزمان وقسوته وقد تجلّى هذا بصورة أوضح في القرن السابع الهجري، حينما اشتد هجوم المغول، فقد كثرت مجالس الصوفية، وأقبل الناس عليها، وكان يذهب إليه ناس لم يكونوا صوفية، وإنما كانوا أصحاب قلوب وذوق، فرّوا من جور الزمان إلى ساعة في صحبة الصوفية بقلب

فارغ<sup>(١)</sup>. فظهر - في ذلك القرن - بعض كبار الصوفية، من أمثال محيي الدين بن العربي، وجلال الدين الرومي، وسعدي الشيرازي، الذين وصلوا إلى درجة النضج والكمال. وقد ظهرت الاصطلاحات الصوفية في أشعار نظامي كصدى لروح عصره، ونتيجة لتأثير الناحية الدينية في الأدب؛ ذلك التأثير الذي سوف يساعدنا - إلى حد كبير - على فهم شعره. ونكتفي بهذه الإمامة اليسيرة بعصر نظامي من نواحيه السياسية، والاجتماعية، والفنية، والدينية. وسنحاول أن نرى أثرها - مجتمعةً - في الشاعر، فلا شك أنه - كغيره من أبناء عصره - قد تأثر بما كان في ذلك العصر من عوامل وموجهات في نشأته، وتعليمه، ومذهبه في الحياة، فتفاعل معها سلبياً أو إيجابياً، وظهر أثرها واضحاً في شعره. فلنترك هذه البيئة العامة لئلمَّ بيئة الشاعر الخاصة، ونتحسَّس ما فيها من مؤثرات وموجهات، ثم نرى مدى تعاونها، مع البيئة العامة، في التأثير في نفس الشاعر وشعره.

(١) قاسم غني: تاريخ تصوف، ص ٥٠١.





# الباب الثاني

## بيئة نظامي الخاصة

### الفصل الأول

#### البيئة الجغرافية

#### ١- تحديد البيئة الجغرافية التي ولد فيها نظامي:

يحدُّرُبي، أن أحدّد بيئة الشاعر الجغرافية، قبل التحدث عنها، فقد اختلف فيها؛ فقليل إنها گنجه، كما قيل إنها قم<sup>(١)</sup>.

وأرجح أن نظامي وُلد في گنجه وعاش فيها إلى أن قضى نحبّه، ثم دُفن بها، وأن والده كان من أهل قم، فأصل الشاعر قمي، ولكنّ البيئة الجغرافية التي نشأ فيها، هي گنجه.

---

(١) ذكر أمين رازي في هفت إقليم، (الإقليم الرابع)؛ ورضا قليخان هدايت، في كتابه: مجمع الفصحاء، ص ٦٣٧، ورياض العارفين، ص ١٤٩؛ وابن يوسف شيرازي في فهرست كتابخانه مدرسه عالي سبھسلا، جلد دوم، حاشية ص ٥٢٤. أن نظامي لم يولد في گنجه، وإنما ولد في مدينة قم، أو في تفريش، أو في فراهان من توابع قم، ثم رحل والده إلى گنجه حيث قضى أغلب حياته فيها، واشتهر بها، وما دام الذي يعنينا هو تحديد بيئة الشاعر الجغرافية، فإن هذا لو صح يدل على أن بيئة گنجه، هي التي أثرت في نظامي أكثر من غيرها، لأنه عاش فيها أغلب حياته، فهي الجدير بالدراسة.

ومما يرجح أنه وُلِدَ في گنجہ، ما رُوِيَ من أن والده هاجر من قم، لأنه كان - فيما يبدو - سنيًا، بينما كان أهل قم من غلاة الشيعة<sup>(١)</sup>، ثم نزل في گنجہ، دار الإمارة في إقليم آران، وتزوج من الأكراد<sup>(٢)</sup>، وظل مُقيمًا في گنجہ حيث ولد نظامي من أم كردية<sup>(٣)</sup>.

وقد أشار الشاعر إلى إقامته في گنجہ، مبينًا أن أصله من قم، فقال: "ولو أئني مضيع - كالدرا - في بحر گنجہ، إلا أني من مدينة قم، في إقليم قهستان، فقد اشتهرت بأني من قرية "تا" بتفرش التابعة لقم"<sup>(٤)</sup>. ولكن هذين البيتين غير موجودين في النسخ القديمة<sup>(٥)</sup>.

(١) ذكر القزويني في آثار البلاد، ص ٢٩٧. أن أهل قم كانوا يغالون في التشيع، ثم أورد قصة تبين تعصبهم فقال: "حكى أنه أتاهم في بعض الأحوال وآل سني وقال لهم: بلغني لشدة بغضكم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسمون أولادكم بأسمائهم، فإن لم تأتوني منكم من اسمه عمر وكنيته أبو بكر لأفعلن بكم، فداروا في جميع المدينة وفتشوا، ثم أتوا بواحد أفرع، كرهه اللقاء، معوج الأعضاء، وكان أبوه غريبًا ساكن قم، فكناه أبا بكر، فلما رآه الوالي غضب وشمتمهم. وقال إنما كنيتموه أبا بكر لأنه سمح، وهذا دليل على بغضكم لصحابة رسول الله. فقال بعض الظرفاء منهم: أيها الأمير اصنع ما شئت، فإن قرية قم وهواءها لا تأتي بصورة أبي بكر أحسن من هذا. فضحك الوالي وعفا عنهم".

(٢) كان الكرد منتشرين حول گنجہ حيث كانت أسرة الشداديين الكردية تحكم گنجہ حتى عام ٤٦٨هـ؛ ولا يزال الكرد موجودين في گنجہ إلى وقتنا هذا كما يقرر مينورسكي في مقالته التي كتبها في: *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, vol. XII, part 2, 1948, p. 442.

(٣) لطفعلی بيك: آتشکده، ص ٢٤٢؛ عبد النبي قزويني: ميخانه، ص ١٠.

(٤) نظامي: إقبالنامه، ص ٢٩، وهي ترجمة قوله:  
چو در گرچه در بحر گنجہ گمم ولی از قهستان شهر قمم  
بتفرش دهی هست تا نام او نظامی از آنجا شده نامجو

ويروي البيت الأول رواية أخرى هي:  
چو در گر در بحر گنجہ گمم ولی از فراهان شهر قمم  
وهي لا تغير، فيما يهدف إليه الشاعر، شيئًا.

(٥) دستگردی: مقدمه کنجینه گنجوی، ص ١٦؛ برتلس: نظامي شاعر آذربيجان العظيم ص ٣٦، حيث يقول إن نسخة "إسكندرنامه" الخطية الموجودة في باريس لا تحتوي على هذين البيتين، رغم أنها مؤرخة بعام ٧٦٣هـ. وهي تعتبر أقدم نسخة خطية لهذه المنظومة.

كما ذكر أن أصله من العراق العجمي، فقال: "عقدت گنجہ تلايبي، مع أن كنز العراق من نصيبي. ولقد نادى الدنيا بصوت مرتفع: أيها الغلام أي گنجہ تكون، وأي نظامي؟!..."<sup>(١)</sup>.

فهو يستنكر أن يكون أصله من گنجہ، ويؤكد أنه من العراق العجمي، ولكنه مضطر إلى الإقامة في گنجہ.

وطبيعي أن يمدح نظامي العراق، ويشيد بفضله، فنجده يقول: "إن صوتًا عراقياً قد جاوز الفلك، معلناً رفعة شأن العراق"<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً: "ليكن العراق سعيداً، فإن صوت فضله قد صار عاليًا"<sup>(٣)</sup>.

وهذا يؤيد ما رجحته من أن الشاعر كان قمي الأصل<sup>(٤)</sup>، ولكنه لا يدل دلالة قاطعة على أنه وُلد في تلك الناحية، ولا ينفي أن يكون قد وُلد في گنجہ وأقام فيها، لأنه يشكو من شدة تعلقها به.

ومهما يكن من شيء؛ فإن الشيء الثابت الذي لم يَرَقْ إليه شك، هو أن نظامي قد عاش في گنجہ أغلب سني حياته، ولم يفارقها إلا في القليل النادر، وأنه ظلَّ بها إلى آخر لحظة

(١) نظامي: مخزن الأسرار، ص ١٨٥ وهي ترجمة قول الشاعر:

گنجہ گرہ کردہ گریبان من بی گرهی گنج عراق آن من بانگ برآورد جهان کای غلام گنجہ کدام است ونظامی کدام!؟

(٢) نظامي: خسرو وشيرين، ص ٣٦١. حيث يقول:

عراقی وار بانگ از چرخ بگذاشت باهنگ عراق این بانگ برداشت

(٣) نظامي: شرفنامه، ص ٥٣. حيث يقول:

عراق دل افروز با دارچمند که آوازه فضل از واشد بلند

(٤) هذا ما يميل إليه قزويني في ميخانه، ص ٩؛ وواله داغستاني في رياض الشعراء، ص ٤٨٠؛ وشبلي النعماني في شعر العجم، ج ١، ص ٢١٦، وشمس الدين سامي في قاموس الأعلام (باللغة التركية)، ج ٦، ص ٤٥٨٩.

من عمره. ولذلك فإن كنجه قد أثرت - بما فيها من عوامل - في توجيه الشاعر أكثر من غيرها، فهي التي تهمننا في بحثنا، وتتصل بدراستنا.

## ٢- كنجه وما في بيئتها من عوامل:

يبدو أن كنجه كانت من المدن الكبيرة، في إقليم أران<sup>(١)</sup>؛ فقد أصبحت عاصمة هذا الإقليم، بعد اضمحلال بردعة<sup>(٢)</sup>، وصارت عاصمة الدولة الشدادية، التي حكمت من عام ٣٤٠هـ إلى أن أزالها ملكشاه في عام ٤٦٨هـ، ثم أسند أمر كنجه إلى محمد ابن ملكشاه. كما كانت دار الإمارة في عهد قراسنقر أمير آذربيجان<sup>(٣)</sup>.

ويهمنا أن نعرف شيئاً عن كنجه في القرن السادس الهجري، الذي عاش نظامى فيه.

وقد حدثنا التاريخ، أنه في عام ٥٣٣هـ<sup>(٤)</sup>، أو ٥٣٤هـ<sup>(٥)</sup>، أصيبت كنجه بزلازل شديدة<sup>(٦)</sup>، حَسَفَتْ بها وبأعمالها، فباد من أهلها عدد كبير<sup>(٧)</sup>، وأن ديمتريوس، ملك الكرج، قد استفاد من هذه الكارثة، فأغار عليها وحمل بابها. غير أن قراسنقر لم يلبث أن بنى المدينة من جديد، فاستعادت جمالها القديم<sup>(٨)</sup>.

(١) عربت كلمة كنجه فصارت جنزة وقد وصفها ياقوت في معجم البلدان، ج ٣، ٤، ص ١٥، من الجزء الثالث، فقال: "إنها أعظم مدينة بين شروان وآذربيجان، وهي التي يسميها العامة كنجه، وبينها وبين بردعة ستة عشر فرسخاً. خرج منها جماعة من أهل العلم".

(٢) *The Encyclopaedia of Islam*, vol. 2, Art. Gandja.

(٣) برتلست: نظامى شاعر آذربيجان العظيم، ص ٢٤.

(٤) البنداري: مختصر تواريخ آل سلجوق، ص ١٩٠، صدر الدين الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص ١١٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٥١.

(٦) يبدو أن الزلازل كانت كثيرة الوقوع في كنجه، مما جعل نظامى يشير إليها في أشعاره، كما سيأتي.

(٧) يقول البنداري إنه باد من أهلها ثلاثمائة ألف، بينما يذكر ابن الأثير أنه هلك منها مائة وثلاثون ألفاً.

(٨) برتلست: نظامى شاعر آذربيجان العظيم، ص ٢٤.

ولما توفي قراسنقر أصبح جاولي الجاندار حاكمًا على أَران وأذربيجان، غير أن گنجه لم تلبث أن أصبحت تحت حكم إيلدگز وأبنائه، أتابكة أذربيجان، وصارت من المدن الجميلة في غرب آسيا، حتى وجدنا ابن الأثير يُسمِّيها أم بلاد أَران<sup>(١)</sup>.

وقد كانت گنجه - فضلًا عن ذلك - ذات موقع جغرافي مهم، من الناحية الحربية، إذ كانت من الثغور الإسلامية المواجهة للگرج، وطبيعي أن هذا الموقع قد أضفى عليها أهمية "إستراتيجية" كبيرة، فكانت - دائمًا - عرضة لغارات هؤلاء الگرج الكفار في نظر أهلها<sup>(٢)</sup>.

وقد استتبع هذا أن تكون گنجه من المدن الحصينة، حتى تستطيع الوقوف في وجه الأعداء، وأن يُمجَّد أهلها البطولة، ويمارسوا الأسلحة، ويميلوا إلى الحرب<sup>(٣)</sup>.

وكان أهل گنجه كثيرًا عددهم، قوية شوكتهم، كما كانت عندهم شجاعة عظيمة، من طول ممارستهم للحرب مع الگرج<sup>(٤)</sup>.

وقد زاد في حماسهم نَظَرُهم إلى الحرب على أنها واجب ديني مقدس، وجهاد في سبيل الله.

وكانوا - إلى جانب ذلك - أهل السنة والجماعة، وأهل صلاح وخير وديانة<sup>(٥)</sup>. وكان عندهم تعصب لمذهبهم السني، حتى إنهم كانوا لا يتركون أحدًا يسكن بلدهم، إن لم يكن على مذهبهم واعتقادهم، حتى لا يشوش عليهم مذهبهم واعتقادهم<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٢٥١.

(٢) القزويني: آثار البلاد، ص ٣٥١.

(٣) نفس المرجع والصفحة.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ٢٧٦، حمد الله مستوفي قزويني: نزهة القلوب، ص ١٦٠.

(٥) القزويني: آثار البلاد، ص ٣٥١.

(٦) نفس المرجع والصفحة.

وإذا تركنا هذه الناحية. إلى الناحية المناخية، فإننا نجدها ملائمة لخلق جو من الحياة المستقرة المتحضرة، فقد كان هواؤها منعشاً، وماؤها عذباً<sup>(١)</sup>. وكان بها نهر يسمى قردقاس؛ كان مجيئه من ناحية ولاية الكرج، وكان يجري ستة أشهر، كما كانت فيها قناة ينزل إليها من طريقين، أحدهما يُعرف بباب المقبرة، والآخر يعرف بباب البردعة<sup>(٢)</sup>.

وكانت - على مرحلة منها - قلعة هرك تحوطها رياض، ومياه، وأشجار، وبرق نسيمها في الصيف، فيقصدتها أهل كنجه، حيث كان لكل أهل بيت فيها موضع حتى تُكسر سَوْرَة الحر، ولأعيان كنجه بها دور حسنة<sup>(٣)</sup>.

وكانت القلعة على نهر يقال له دروران، ينزل من جبل يقال له مُرّا، يعلوه الضباب، وهو شامخ جداً<sup>(٤)</sup>.

وطبيعي أن وجود الماء، وملاءمة الجو، قد ساعدا على كثرة الخيرات، ووفرة الغلابة بها<sup>(٥)</sup>. فكان فيها فواكه كثيرة<sup>(٦)</sup> كالموز<sup>(٧)</sup>، كما وُجد بها شجر التوت، الذي ساعد على تربية دود القز، وعمل الإبريسم<sup>(٨)</sup>، فأصبح لأهلها يد باسطة في هذه الصناعة<sup>(٩)</sup>، وأصبح يُجلب منها

(١) زين العابدين شرواني: بستان السياحة، ص ٤٨١.

(٢) القزويني: آثار البلاد، ص ٣٥١.

(٣) نفس المرجع والصفحة.

(٤) نفس المرجع والصفحة.

(٥) نفس المرجع والصفحة.

(٦) حمد الله مستوفي قزويني: نزهة القلوب، ص ١٦٠.

(٧) القزويني: آثار البلاد، ص ٣٥١. حيث يقول: "ليس في جميع الدنيا إلا بها، وهي شبيهة بالتوت الشامي إلا أنها مدورة تنفع في أمراض الكبد".

(٨) القزويني: آثار البلاد، ص ٣٥١.

(٩) وردت في أشعار نظامى تشبيهات واستعارات كثيرة استمدت صورها من صناعة الحرير، مما يدل على رواج هذه الصناعة إلى درجة أثرت في الشعراء، وجعلتهم يستمدون من صورها في أشعارهم.

إلى سائر البلاد الإبريسم الجيد، والأطلس، والشباب التي يقال لها الكنجي، والعجم يسمونها القطني، والعمائم الخز ونحوها<sup>(١)</sup>.

وقد ساعد رواج الصناعة، على رواج التجارة، فكثُر في كُنجه الصناعات والتجار<sup>(٢)</sup>. وكانت تصدر المصنوعات إلى بلاد الكرج وما جاورها، فيَسَّر هذا فرصة اتصال أهلها بالشعوب غير المسلمة، والاستفادة مما عندها؛ من حضارة، وعلوم، ومعارف<sup>(٣)</sup>.

وقد ساعد وجود المذهب السني، وميل الأهالي إلى التمسك بالدين، ووجود طبقات متعددة، كالزراع، والصنّاع، والعمال، والتجار، على تهيئة تربية صالحة لتعاليم الصوفية؛ فانتشر شيوخ الصوفية بين الناس، وقاموا بإرشادهم وهدايتهم، عن طريق تعليمهم أصول دينهم.

وقد اشتهر نظامي بأنه كان من مريدي أخي فرج الزنجاني، أحد شيوخهم<sup>(٤)</sup>.

ورغم أن معلوماتنا عن أخي فرج هذا ليست كثيرة<sup>(٥)</sup>، إلا أنه يبدو أن كلمة "أخي" تشير إلى مذهب معين، كان منتشرًا بين القوم.

وقد ذكر ابن بطوطة شيئًا عن "الأخية الفتيان" فقال: إن واحدهم أخي، وإنهم بجميع البلاد التركمانية الرومية؛ في كل بلد، ومدينة، وقريّة، وإنه لا يوجد في الدنيا أشد احتفالاً

(١) القزويني: آثار البلاد، ص ٣٥١.

(٢) برتلس: نظامي شاعر آذربيجان العظيم، ص ٢٤.

(٣) كان نظامي كثيرًا ما يذكر أنه استعمل المراجع غير العربية والفارسية فلعله استفاد من موقع كُنجه الجغرافي، واتصالها بالشعوب غير المسلمة، فأحاط بما عندها من مراجع، أو استفاد من علماء تلك الشعوب ولو عن طريق المشافهة.

(٤) دولتشاه: تذكرة الشعراء، ص ١٢٩، لطفعلي بيك: آتشكده، ص ٢٤٢.

(٥) ذكر أمين رازي في هفت إقليم، ص ٤٨١ ب. شيئًا عن أخي فرج الزنجاني، ولكنه لم يزد على قوله "إنه كان مريد الشيخ أبي العباس النهاوندي، وإنه توفي في عام ٥٥٧هـ، وأن قبره في زنجان". وقد ذكر جنيد شيرازي اسمه في شد الإزار، ص ٢٤٢.

بالغرباء من الناس مثلهم، ولا أسرع منهم إلى إطعام الطعام، وقضاء الحوائج، والضرب على أيدي الظلمة، وقتل الشرطة، ومن لحق بهم من أهل الشر. وإنهم كانوا يعملون ويكتسبون، ويشترون الأشياء، ثم يحملونها إلى زواياهم، ليكرموا الغرباء، ويضيفوهم، حتى يغادروا المدينة؛ ثم ذكر أنه كان لهم لباس خاص، يهمننا منه أن كل واحد منهم كان يشدُّ - إلى وسطه - سكينًا في طول ذراعين<sup>(١)</sup>.

ويبدو من وصف ابن بطوطة، أنهم كانوا جماعة خاصة، وكانوا يهدفون إلى تقديم المساعدة للآخرين، ضد الحكام الظالمين، كما كانوا نزعين إلى إصلاح الحكام بالقوة إذا احتاج الأمر إليها.

وقد تكون لهؤلاء الأخية الفتيان - الذين وصفهم ابن بطوطة، وكانوا منتشرين، في عصره، في آسيا الصغرى - صلةً بالأخية، الذين انتشروا في گنجه في عصر نظامى، وكان منهم أخي فرج الزنجاني الذي كان الشاعر أحد مريديه.

ومما يجعلنا نرجح هذا، أن نعمة الفتوة، التي كان الأخية يمجدها، تشبه نعمة القوة التي مال إليها أهل گنجه، فراجت بينهم، مما يجعلنا لا نستبعد أن مذهبًا كهذا يمكن أن ينتشر في گنجه.

وإن القارئ لشعر نظامى ليحس بتمجيده للقوة، وتأيينه لنعمة الفتوة، فهو يقول مثلاً: "لماذا تعرض نفسك للصفعات؟ ولماذا ترضى بكل جفاء؟ كن قويًا شامخًا كالجبل، وقابل لين العالم بالخشونة؛ لأنك لو نسجت الحرير، أو كنت كالسوسن، فإنك سوف تشرب الماء العكر، حتى من الأرض الصافية، فالذلة لا تُؤدِّي إلى تقليل الاضطهاد، وتحمل الجور يورث

(١) ابن بطوطة: رحلته، ج١، ص ١٨١-١٨٢.



الذل، فكن كالشوك حربته فوق كتفه، حتى تستطيع أن تضم مجموعة الورد إلى صدرك، فإن الظلم والاضطهاد يقصمان ظهر القويّ، ويتسببان في القضاء على الإنسان"<sup>(١)</sup>.

فهذه الدعوة إلى عدم الرضا بالظلم، ودفعه بالقوة، والحث على التسلح، تشبه ما كان يهدف إليه "الأخية الفتية"، الذين ذكرهم ابن بطوطة بعد نظامي بقرنين تقريباً. ونصيحة الشاعر بأن يكون الإنسان شأكي السلاح، تشبه تسلُّح الأخية، لتنفيذ أغراضهم بالقوة إذا دعت الحاجة إلى استعمالها.

ولقد ظلت القوة طابع أهل گنجه، حتى إن المغول حينما هاجموا گنجه، في عام ٦١٨هـ، لم يستطيعوا التغلب على حصونها القوية كما أثبت أهلها شجاعتهم في حروب كثيرة ضد الغرج. واستطاعوا - في عام ٦٢٢هـ - أن يثوروا ضد الدولة الخوارزمية، ويقضوا على نفوذها في گنجه، بعد أن كانت المدينة قد خضعت لتلك الدولة<sup>(٢)</sup>.

وقد مال أهل گنجه إلى النشاط، وحب العمل، وعدم الإخلاق إلى الكسل، وهذا يشبه إلى حد كبير ما كان الأخية يدعون إليه، ويطبقونه هم في أنفسهم.

وكان نظامي - كما سيأتي - كثير التحدث عن وجوب العمل، وضرورة كسب القوات بالجهد والكفاءة.

(١) نظامي: ليلي ومجنون، ص ٥٣-٥٤. وهي ترجمة قوله:

گردن چه نهی بهر قفائی      راضی چه شوی بهز جفائی  
چوکوه بلندیشتی کن      بانرم جهان درشستی کن  
چو سوسن ا گر حریر بافی      دردی خوری از زمین صافی  
خواری خلل درونی آرد      بیدادکشی زبونی آرد  
میباش چوخار حربه بردوش      تاخرمن گل کشتی در آغوش  
نیروشکن است حیف و بیداد      از حیف بمیرد آدمیزاد

(٢) أمير خواند: روضة الصفا (الجزء الرابع)، خواندامير: حبيب السير، ص ١١٧، أمير يحيى قزويني: لب التواريخ (الفصل التاسع).

بقى أن نذكر أنه قد قضى على كنجه - نهائياً - في عام ٦٣٢هـ، حينما استولى المغول عليها وأحرقوها، كما صُمِّت إلى روسيا في عام ١٨٠٤م. ولا يزال قبر نظامى قريباً منها، حيث يبعد كيلو مترين أو ثلاثة عنها<sup>(١)</sup>.

وفي مكان كنجه القديمة، وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات غرباً، بُنيت مدينة جديدة، سُمِّت اليزابتيول، التي هي الآن كيروآباد<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نجد أن بيئة كنجه الجغرافية كانت زاخرة بكثير من العوامل الموجّهة.

وفي جو كنجه هذه، وُلد نظامى ونشأ، وأمضى مدة عمره إلى أن قضى نحبه، فلا بد أنه تأثر بكل ما في بيئته الجغرافية من عوامل؛ في نشأته، وتعليمه، ونظرته إلى الحياة، وفي رسم مُثله العُليا، وقد ظهر هذا الأثر مُصَوِّراً في شعره،

وندع البيئة الجغرافية، لنلم بالبيئة العائلية، ونرى ما فيها من عوامل، تفاعل الشاعر معها، إلى جانب تفاعله مع عوامل بيئته الجغرافية.

(١) اسكندر بيك تركمانى: تاريخ عالم آراى عباسى، ص ٤٩٨.

(٢) برتلس: نظامى شاعر آذربيجان العظيم، ص ٢٥.

## الفصل الثاني

### البيئة العائلية

إذا ما أردنا أن نتناول بيئة نظامى العائلية بشيء من الدرس، لنكتشف ما فيها من عوامل وموجهات، نجد أن معلوماتنا عنها تَقْصُر عن الوصول إلى مثل هذا الهدف، لأن المصادر المختلفة لا تكاد تذكر شيئاً يشفي غلة، أو يسد رمقاً، لمن يريد أن يتناول هذه الناحية بالبحث والتمحيص، كما أن الشاعر نفسه لم يشر - فيما نظمه من شعر - إلى هذه الناحية إلا إشارات عابرة، في مواضع قليلة، لا تكفي لإعطاء صورة واضحة.

وقد يكون السبب في ذلك، أن عائلة الشاعر لم تكن كنجوية الأصل، وإنما كانت نازحة، فلم تكن - فيما يبدو - كبيرة العدد.

وأنا أعرض إشارات الشاعر، لنرى ما قد يمكن استنباطه منها.

أشار نظامى إلى والده، يوسف بن زكي بن مؤيد، إشارة ترجح أنه تُوفي منذ وقت، ليس بالقصير؛ لأن الشاعر حاول أن ينسى الحزن ويتركه، مما يدل على أن الوفاة لم تكن حديثة، فهو يقول: "إذا كان أبي، يوسف بن زكي بن مؤيد، قد مات بسنة الجد، فماذا أصنع أنا مع حكم القضاء؟!... إنه القضاء العادل، وليس جوراً، فكيف أتألم؟!... أي أب بقي منذ آدم،

حتى أطلب بدم أبي من العالم؟!... إني حينما نظرت إلى الآباء الراحلين، قطعت عرق الأبوة من قلبي"<sup>(۱)</sup>.

وهو لا يزيد على ذلك شيئاً، فلا يشير إلى عمل والده، أو المكانة التي كان يحتلها في المجتمع في ذلك الوقت.

غير أننا نكاد نحس بمكانة والده من إشاراتِهِ إلى والدته، على أنها كانت بنت أحد رؤساء الكرد، حينما يقول متحسراً على وفاتها: "لقد تُوفِّيتِ والدتي، رئيسة الكرد، ولكن حنان الأمومة مازال ماثلاً أمام عيني، فمن أدعوه لنصرتي بكثرة العويل، حتى يعيدها إليّ بالبكاء؟!... إن الغم أكثر من أن يُتحمَّل، فهو كالماء المغرق، أعلى من قامة الإنسان، فكأس الغم مفعمة تكفي لأن أشرب منها ألف جرعة، ولا وسيلة لعلاج هذا الحزن، وهذا الألم المفرط إلا محاولة النسيان"<sup>(۲)</sup>.

وهذه الإشارة إلى والدته على أنها بنت أحد رؤساء الكرد، إن دلت على شيء فإنما تدل على أنها كانت من عائلة محترمة، كما تدل على أن والده كان ذا مكانة، حتى استطاع أن يصاهر أحد رؤساء الكرد.

ولم يذكر نظامي من أفراد عائلة والده أحداً غير والده.

(۱) نظامي: ليلي ومجنون، ص ٤٨-٤٩. وهي ترجمة قوله:

گر شد پدم بست جد یوسف پسر زکی مؤید  
بادور بدوری چه کوشم دوراست نه جور چون خروشم  
باقی پدر چه ماند از آدم تاخون پدر خواهم ز عالم؟!  
چون در پدران رفته دیدم عرق پدری زدل بریدم

(۲) نظامي: ليلي ومجنون، ص ٤٩. وهي ترجمة قوله:

گر مادر من رئيسه کرد مادر صفتا نه پيش من مرد  
از لابه گری کراکنم یاد تا پيش من اردش بفریاد  
غم بیشتر از قیاس خوردست گردابه فزون ز قد مردست  
زان بیشتر است کاس این درد کانرا بهزار دم توان خورد  
با این غم و درد بی کناره داروی فرامشیست چاره

أما عائلة والدته، فذكر من أفرادها - غير والدته - خاله السيد "عمر"، وصور حزنه على وفاته في قوله: "لقد كانت وفاة خالي - السيد عمر - وبالاً عليّ فقد بُحَّ صوتي من كثرة العويل، وأصبحت أخشى أنا الموت، فإن شدة جزعي قد تقوده إليّ"<sup>(١)</sup>.

وهذه الإشارة إلى خاله، وتلقيبه بلقب "السيد" تؤيد ما رجحناه من أن عائلة والدته كانت رفيعة الشأن، كما تدل على مكانة خاله في قومه. وهي ترجح - أيضاً - أن أفراد عائلة والدته، كانوا على مذهب أهل السنة، والدليل على ذلك تسمية خاله باسم عمر، لأن هذا الاسم لا يمكن أن يوجد بين الشيعة.

وهذا يرجح بالتالي أن عائلة نظامي كانت سنية المذهب، وإلا ما صاهرت أسرة سنية.

وإذا استعرضنا من صاهرهم نظامي نفسه، لنستشف من الأسرة التي كونها هو شيئاً، قد يساعدنا على فهم بيئته العائلية، فإننا لا نكاد نجد - فيما قاله - شيئاً يلقي ضوءاً كاشفاً على هذه الناحية، فنظامي قد تزوج ثلاث مرات، وأشار إلى زوجاته الثلاث، ولكنه لم يذكر إلا أن زوجته ماتت، فحُرِمَ بفقدائها شريكاً مخلصاً، ومؤنساً ملهماً جميلاً.

وكانت أولى زوجاته قبچاقية تدعى "آفاق" أرسلها إليه حاكم دربند، ويبدو أنها كانت جارية أهديت إليه، مما جعله لا يتحدث عن حسبها ونسبها، ويكتفي بالإشارة إلى جمالها وشدة تعلقه بها.

ويظهر أنه أحب هذه الزوجة حباً عنيفاً سيطر على قلبه، وملك عليه حواسه، ونطق به في شعره، فجنده - في أول منظومة "خسرو وشيرين" - قد تحدث حديثاً مطمئناً عن

(١) نظامي: ليلي ومجنون، ص ٥٠. حيث يقول:

گر خواجه عمر که خال من بود  
از تلخ گوارى نواله ام  
میرسم ازا این کبود زنجیر  
خالی شدنش وبال من بود  
در نای گلوشکست ناله ام  
کافغان کنم او شود گلوگیر

العشق<sup>(۱)</sup>، فقال: "ليس للفلك محراب غير العشق، وليس للعالم حياة إلا في أرض العشق... فالإنسان الذي خلا قلبه من العشق ذليل؛ وهو ميت ولو كانت في جسمه مائة روح"<sup>(۲)</sup>.

ثم ختم حديثه بالإشارة إلى عشقه هو لآفاق فقال: "لما رأيتُ نفسي فاقد الحياة - بدون العشق - بعثُ قلبًا لأشتري روحًا؛ وملأتُ الدنيا بغرامي، فأنمتُ العقل، لأتعلق بقصة العشق، وأديتُ للعالم صلاة العشق"<sup>(۳)</sup>.

وقد توفيتُ هذه الزوجة في ريعان شبابها، ففجع الشاعر بوفاتها حتى إنه أثبت هذه الوفاة في منظومته "خسرو وشيرين"، فذكرها بعد إشارته إلى وفاة شيرين معشوقة خسرو، التي كانت تشبه معشوقته في جمالها وفتنتها؛ فقال في حسرة وألم: "إنه من فرط العبرة، بمثل هذه القصة، ليُحَيَّلَ إليك أنك تقرأ خرافة، تجب فيها إسالة الدموع المرة على شيرين، لأنها كانت قصيرة العمر، كالوردة التي عصفت بها الرياح في يوم نضارتها، لقد كانت جميلة كمعشوقتي القبجاقية حتى ليُحَيَّلَ للإنسان أنها نفسها كانت كأفاتي، التي كانت فتاة ميمونة، عاقلة، أرسلها إلي حاكم دربند"<sup>(۴)</sup>.

(۱) نظامی: خسرو وشيرين، ص ۳۳-۳۵.

(۲) نظامی: خسرو وشيرين، ص ۳۳. حيث يقول:

جهان بی خال عشق آبی ندار  
گرش صدجان بود بی عشق مردست

فلك جز عشق محرابی ندارد  
كسی كز عشق خالی شد فسدست

(۳) المرجع السابق، ص ۳۵. إذ يقول:

دلی بفروختم جانی خریدم  
خرد را دیدم خوب آلود کردم  
صلای عشق در دادم جهان را

چو من بی عشق خود راجان ندیدم  
ز عشق آفاق را پر دود کردم  
کمر بستم بعشق این داستان را

(۴) المرجع السابق، ص ۴۲۹-۴۳۰. حيث يقول:

چه پنداری مگر افسانه خوانی  
گللابی تلخ بر شیرین فشاندن  
چو گل برباد شد روز جوانی  
گمان افتاد خود کآفاق من بود  
فرستاده بمن دارای دربند

توکز عبرت بدین داستان مانی  
در این افسانه شرطست اشک راندن  
بحکم آنکه آن کم زند گانی  
سبک رو چون بت قبجاق من بود  
همایون پیکری نغزو خردمند

ويظهر أن هذه الزوجة قد تُوفيت في عام ۵۸۱هـ، حينما كان الشاعر على وشك الفراغ من نظم "خسرو وشيرين"، وأنها هي التي رُزق منها ابنه الوحيد "محمد".

وقد تزوج الشاعر - بعد وفاتها - زوجة ثانية تُوفيت في أثناء نظم "ليلي ومجنون" في عام ۵۸۴هـ، فتزوج زوجة ثالثة توفيت، في عام ۵۹۹هـ، في أثناء نظم "إقبالنامه"، ويبدو أن الشاعر قد تعلق بها لأنه يعبر عن وفاتها بقوله: "فلما جعلت عيني مصدرًا للنور، أبعثتها عينُ السوء عن ناظري، فسرقها الموت، حتى لكأنها لم تعش أبدًا، فماذا أقول إلا أن أدعو أن يرضى الله عنها، نظير ما لقيتُ على يديها من سعادة"<sup>(۱)</sup>.

وقد أشار نظامي إلى زوجاته الثلاث متعجبًا من حظه؛ فهو لا يكاد يحكي قصة قديمة، حتى يُقدّم عروسًا قربانًا، فقال: "إن لي - من النظم - طالعًا عجيبًا، فكيف أحيي القصص القديمة؟!... في ذلك العيد الذي ينبغي أن أقدم فيه الحلوى، أقدم عروسًا جميلة قربانًا، فبينما كنتُ أصنع حلوى "شيرين" أفرغتُ الدار من صانعة الحلوى، وحينما أنشأتُ سورًا حول كنز "ليلي ومجنون" نثرتُ هناك جوهراً آخر، والآن قد انتهى العرس، أودع إلى رضوان عروسًا أخرى، ولا أدري كيف أنظم قصة الروم والروس وأنا أحمل حزن ثلاث عرائس؟! إن الأفضل ألا أستحضر الحزن القديم، وأن أطيبَ وقتي بهذه القصة"<sup>(۲)</sup>.

(۱) نظامي: إقبالنامه، ص ۶۰-۶۱. إذ يقول:

ز چشم منش چشم بد دور کرد  
که گفتمی که تابود هرگز نبود  
چگویم خدا باد خشنود از او  
که چون کنم داستان کهن  
عروسی شکر خنده قربان کنم  
ز جلوگری خانه پرداختم  
دگر گوهری کردم آنجا نثار  
برضوان سپردم عروسی دگر  
چگونه کنم قصه روم و روس  
بدینداستان خوش کنم وقت خویش  
(نظامی: اقبالنامه، ص ۶۱).

چو چشم مرا جشمه نور کرد  
رباینده چرخ آنچنانش ربود  
بخشنودی کان مرا بود از او  
مرا طالعی طرفه هست از سخن  
در آن عید کان شکر افشان کنم  
چو حلوی شیرین همی ساختم  
چو برگنج لیلی کشیدم حصار  
کنون نیز چون شد عروسی بسر  
ندانم که باداغ چندین عروس  
به ار نامم پیشینه پیش

فنظامی - رغم أنه تزوج ثلاث مرات - لم يذكر شيئاً يتعلق بنسب إحدى زوجاته أو حسبها، وإنما تناول ناحية الجمال في الزوجة، وأظهر الأسف على وفاتها.

وقد توفيت زوجاته جميعهن قبل وفاته؛ ويبدو أنهن توفين في ميعة الصبا، وريعان الشباب، لأن الشاعر قد عبّر عن كل واحدة منهن بكلمة عروس.

وإذا تركنا زوجات الشاعر إلى ابنه محمد، فإننا لا نجد في إشاراتِهِ إليه ما يدل دلالة واضحة على نوع التربية التي ترباها، كما لا نجد فيها شيئاً يكشف عن مكانة الشاعر وعائلته، والعوامل التي كانت موجودة في بيئته العائلية، وأثرها في توجيه التربية، فرغم أن الشاعر قد أشار إلى ابنه في مواضع كثيرة، إلا أنه كان يتحدث بلسان الأب الناصح الذي يزجي النصح لابنه، بين حين وآخر.

وقد خاطب الشاعر ابنه - لأول مرة - حينما كان الابن في السابعة من عمره، فقال: "تَطَّلِعْ إذا السبع سنوات، يا قرة العين إلى مقامك في قاب قوسين<sup>(۱)</sup>، أنا رَبَّيْتُكَ، والله هو الذي منح الرزق، فليكن اسم الله - لا اسمي - هو الذي يراك. اضحك في مرحلة الطفولة هذه بسرور، كما ضحكنا نحن بعض الوقت، فحينما يصير هلالك بدرًا، سيضيء جمالك النجوم. لا تشتغل بالعلوم التافهة، بل اشتغل بالعلم الإلهي في صورة تجعل الفضلاء يقولون: ما أعقل ابن نظامي"<sup>(۲)</sup>.

(۱) الشاعر هنا يقتبس من قوله الله تعالى في سورة النجم آية ۸-۹: "ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى".

(۲) ببين ای هفت ساله قرة العين منت پروردم وروزی خداداد درین دور هلالی شاد می خند چو بیدرانجمن گردد هلال قلم درکش بحرفی کان هوائیست بنا موسی که گوید عقل نامی  
مقام خویشتن درقاب قوسین نه برتو نام من نام خدا باد که خندیدیم ماهم روزی چند برافروزند انجم را جمالت علم برکش بعلمی کان خدائیست زهی فررانه فرزند نظامی (نظامی: خسرو و شیرین، ص ۴۳۰)



ثم نصح ابنه - للمرة الثانية - في "ليلي ومجنون" حينما كان الابن في الرابعة عشرة من عمره، فقال له: "ياذا الأربعة عشر عامًا... يا قرة العين.. يا من وصلت إلى درجة تستطيع أن تتعلم فيها علوم الكونين... حينما كنت في السابعة من عمرك، كنت كالوردة التي تزهر في الرياض، والآن وقد بلغت الرابعة عشرة، صرت كالسرو، فرفعت رأسك إلى السماء فلا تجلس غافلاً، فليس - الآن - وقت اللعب، بل وقت العمل والرفعة. فاطلب العلم، وحاول الرفعة، حتى يشاهدوا ازدياد فضلك يوماً بعد يوم، إن وقت الصغر هو وقت تحصيل العلم، لأن الشجر المسن يخلو من الثمر، وسوف لا تستفيد من أنك ابني في المقام الذي يتطلب العظمة، فكن كالأسد قوياً بنفسك، وكن - بنفسك - فاضلاً، وإذا طلبت الجاه فتمسك بالسبب، وعامل خلق الله بالأدب، ولا تغفل عن ذكر الله، وأنت تفعل شيئاً، واعمل بشوق، حتى لا تفشل في عملك. إنك إذا تَمَسَّكَت - يا بُني - بهذه النصيحة، فسوف تقوى بنصح أبيك. ورغم أي ألم فيك طموح السيادة، وأستشف منك آداب الفصاحة، إلا أنني أنصحك ألا تتورط في فن الشعر، لأن أحسنه أكذبه، فلا تطلب الرفعة عن طريق هذا الفن، لأنها حُتِمَتْ بنظامي، ولو أن مرتبة الشعر عالية، إلا أنني أنصحك أن تطلب العلم المفيد. فحاول - في هذه الدنيا - أن تعرف نفسك، وأن تتعلم تشريح باطنك، فإن ذلك هو العلم الذي يضيء الخاطر، فالنبي قد قال (العلم علمان. علم الأديان، وعلم الأبدان) ففي هذين العلمين رائحة الطيب، وصاحباهما إما فقيه، وإما طبيب فكن طبيباً بذكاء عيسى، لا طبيباً قاتلاً للناس، وكن فقيهاً يدخر الطاعة، لا فقيهاً محتالاً، فإذا صرت كليهما عَظُمْتَ، وأصبحت محترماً أمام الجميع، فتصير ذا عهدين، وتصبح ذا مهدين. وحاول أن تعرف معنى كل صحيفة تقرؤها معرفة تامة، لأنك حينما تبلغ الكمال في العلم، سوف تصبح حسن الذكر عند الجميع، وإذا اشتغلت في عمل، فحاول التخصص فيه، ولو كان

حقیراً، فلأن تكون حائك سروج ماهر، فإن ذلك أفضل من أن تكون صانع قلنسوات غير متخصص. وإن القول مني والعمل منك، ولا يليق أن تجلس بدون عمل<sup>(۱)</sup>.

ونظامی - في نصحه - يبدو في صورة الوالد المحب الذي يمنح ابنه الحنان والعطف، ويحاول أن يرسم له طريق السير في الحياة، ويوجهه الوجهة الصالحة التي يعتقد أنها ترفعه عند الله والناس.

(۱) ای چارده سال قرة العين آنروز که هفت ساله بودی واکنون که پچارده رسیدی غافل منشین نه وقت یازست دانش طلب وبزرگی آموز نام ونسبت بچرد سالی است جائیکه بزرگ بایدت بود چون شیر بخود سپه شکن باش دولت طلبی سبب نگه دار آنجا که فسانه سگالی آن شغل طلب ز روی حالت گردل دهی ای پسر بدین پند گرچه سر سروریت بینم در شعر مپبچ ودرفن او زین فن مطلب بلند نامی نظم ارچه بمرتبت بلند است در جدول این خط قیاسی تشریح نهاد خود بیاموز پیغمبر گفت علم علما در ناف دو علم بوی طیب است میباش طیب عیسوی هش میباش فقیه طاعت اندوز گر هر دو شوی بلند کردی صاحب طرفین عهد باشی میکوش بهر ورق که خوانی در علم چوتو تمام گردی بالان گری بغایت خود گفتن زمن از نوکار بستن

بالغ نظر علوم کونین چون کل بچمن حواله بودی چون سر وبر اوج سرکشیدی وقت هنراست و سرفراز یست تا به نگرند روزت از روز نسل از شجر بزرگ خالی است فرزندى من نـدارت سود فرزند خصال خویشتن باش باخلق خدا ادب نگه دار از ترس خدا مباش خالی کز کرده نباشدت خجالت از پند بدر شوی برومند وایین سخنوریت بینم چون اکذب اوست احسن او کان ختم شد است بر نظامی آن علم طلب که سودمند است میکوش بخویشتن شناسی کاین معرفتی است خاطر افروز علم الأديان وعلم الأبدان وآن هر دو فقیه یا طیب است امانه طیب ادبی کش امانه فقیه حیلت آموز پیش همه ارجمند کردی صاحب طرف دومهد باشی کان دانش را تمام دانی نزد همه نیکنام گردی بهتر زکلاه دوزی بد بی کار نمیتوان نشتن (نظامی: لیلی و مجنون، ص ۴۵-۴۷)

وهو يرى أن أسمى هدف يجب أن يسعى ابنه إليه، ويحاول أن يدركه هو أن يصير طبيباً وفقهياً في وقت واحد، ولا ندري ما إذا كانت هذه التربية هي التي كانت تفضلها عائلته عامة، أم أن هذا كان رأي نظامي الشخصي!...

ومهما يكن من شيء؛ فإن الشاعر لم يزد شيئاً على النصح الطبيعي، الذي يُوجّهه كل والد إلى ابنه في أول درجات النصيح، مدفوعاً بعاطفة الأبوة، فكل والد يتمنى أن يكون ابنه مجتهداً مستقيماً، وأن يصل إلى أسمى درجات العلم والرفعة.

وقد ظلّ ابن نظامي حياً حتى نظم الشاعر منظومته الأخيرة "إقبالنامه" وكان شاباً في ذلك الوقت، فقد أشار نظامي إلى أنه قد أرسل "إقبالنامه" مع ابنه إلى أتابك الموصل عز الدين مسعود، وذلك في عام ٦٠٧هـ. فقال: "خرجتُ جوهرتان من بحري، أضاء بريقهما وجهي، نالت إحداهما عصمة مريم، وأشرق على الثانية نور عيسى، فهذه - في الحسن - كالبدن المنير، وتلك - في الإشراق - كالشمس بلا نظير، فأنا أرسل - إلى باب الملك - عبدئ هنديين، اسم أحدهما مقبل، واسم الآخر إقبال"<sup>(١)</sup>، لأن الصندوق يحفظ الياقوت، والعروس المحبوبة المدللة يحسن أن يكون أخوها هو حاجبها"<sup>(٢)</sup>.

(١) ظن شبلي نعماني في كتابه شعر العجم، ج١، ص٢٢٢-٢٢٣. أن لنظامي بنتاً، وأن الشاعر أرسلها مع أخيها إلى عز الدين مسعود، وكان اسمها "إقبال" واستدل على هذا بما ورد من قول الشاعر. ويبدو أن المقصود من "إقبال" هنا هو "إقبالنامه" إحدى أجزاء قصة الإسكندر، لا بنت نظامي كما توهم شبلي.

(٢) دوگوهر برآمد زدریای من  
یکى عصمت مریمی یافته  
بخوانی شد این یک چو بدر منیر  
بنوبتگه شه دو هندوی نام  
فرستادام هر دورا نزدشاه  
عروسی کله بامهر مادر بود

فروزنده از رویشان رای من  
یکى نور عيسى براو تافته  
چو شمس آن بروشن دلی بی نظیر  
بکى مقبل وديگر اقبال نام  
که ياقوت را درج دارد نگاه  
به ار پرده دارش برادر بود  
(نظامی: إقبالنامه، ص٢٨٥)

ويبدو أن هذا الابن قد توفي بعد ذلك بقليل، في أواخر عام ٦٠٧هـ، أو في أوائل عام ٦٠٨هـ، أي قبل وفاة أبيه الذي توفي في عام ٦٠٨هـ، كما سيأتي. فقد وردت قطعة شعر رثى نظامى فيها ابنه، وقد بلغ الحزن والجزع به كل مبلغ<sup>(١)</sup>. ومن يدري؟! فلعل وفاة ابنه كانت من الأسباب التي ساعدت على تحطيم الشاعر، فتوفى في نفس العام.

وهكذا لا نجد في إشارات الشاعر إلى ابنه إلا النصح والرثاء.

ورغم أن العوامل الموجهة التي في بيئة نظامى العائلية ليست واضحة المعالم تمام الوضوح، إلا أنه يبدو أن عائلته لم تكن فقيرة معدمة، وإلا ما استطاع والده أن يرتبط برباط المصاهرة، مع أسرة كردية محترمة، وما تمكن نظامى من الانقطاع سنوات عديدة لتلقي العلوم المختلفة، ومن البقاء وقتاً طويلاً في كنجه، يرسل مدائح إلى الولاة، ويقدم منظوماته لهم، دون أن يحاول التردد عليهم، وكان لا يصل إليه عطاءً في أغلب الأحيان، ومع ذلك فقد كان يدعو إلى الاعتكاف، وإلى أن السلامة في البعد عن الحكم، ويشيد باعتكافه هو، وعزوفه عن خدمتهم، مما يرجح أن الشاعر لم يكن محتاجاً، بل كان عنده مال، إن لم يكن وفيراً فقد كان كافياً - على كل حال - لسد حاجته، ودفع العوز عنه، والأخذ بيده بعيداً عن ذلّ الاحتياج، وقيد الفاقة.

والآن وقد ألمنا بالعوامل التي في عصر الشاعر وبيئته، نُعرّف بالشاعر نفسه، لنلمس مدى تأثير هذه العوامل مجتمعة، في الشاعر، وشعره.

(١) عوفي: لباب الألباب، ج٢، ص ٣٩٧.

# الباب الثالث التعريف بنظامي

## الفصل الأول

### اسم الشاعر ولقبه وكنيته وتخلصه وتاريخ ولادته

كان اسم الشاعر إلياس<sup>(١)</sup>، ولقبه نظام الدين<sup>(٢)</sup>، وكانت كنيته أبا محمد؛ فهو نظام الدين أبو محمد إلياس بن يوسف بن زكي بن مؤيد الكنجوي<sup>(٣)</sup>، وكان تخلصه الشعري "نظامي".

- (١) يذكر ابن يوسف شيرازي في فهرست كتابخانه مدرسه عالی سپهسالار ج٢، حاشية ص٥٢٤. أن اسم الشاعر: "ويس" ويستدل على ذلك ببيت لنظامي، يقول إنه موجود في النسخ القديمة، وهو قول نظامي: يا رب تو مرا كه ويس نامم در عشق محمدی تمامم ولكن البيت ورد في "الليلى ومجنون" التي نشرها دستگردي، ص٣٥. هكذا: يا رب تو مرا كاويس نامم در عشق محمدی تمامم وقد فسر دستگردي هذا البيت، في مقدمة گنجينه گنجوي (ص و). فقال: إن الشاعر لم يقصد أن اسمه كان "ويس" وإنما كان يقصد أنه أصبح في عشقه لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كأويس القرني، وأصبح جديرًا بأن يطلق عليه اسم "أويس".
- ويبدو أن هذا التفسير صحيح، لأن الشاعر صرح باسمه على أنه إلياس. واتخذ من مطابقة مجموع حروف هذا الاسم - بحسب الجمل - لأسماء الله تعالى دليلاً على حفظه من صفوف الدهر ولم يشر إلى "ويس" ولو كان اسمه كذلك لصرح به في هذه المناسبة؛ مما يجعلني أرجح أن اسم الشاعر كان "إلياس" وليس "ويس".
- (٢) هذا هو الرائج، ولكن حاجي خليفة يذكر لقب الشاعر في كشف الظنون، ج٢، ص١٦٣٨. على أنه جمال الدين.
- (٣) يذكر دولتشاه في تذكرة الشعراء، ص١٢٨. اسم والد نظامي على أنه "أبو يوسف" ولكن الشاعر صرح بأن اسم والده "يوسف".

وقد صرّح الشاعر باسمه وتخلصه في منظومته "ليل ومجنون" فقال: "إذا خطوت خطوة في طريق نظامى، فإنك ترى واحدًا وألفًا؛ أما كلمة إلياس فإنه إذا أسقط من مجموعها مجموع (ألف وباء)، صار مجموع حروفها تسعًا وتسعين<sup>(١)</sup>، فالواحد والألف حصني، والتسع والتسعون سلاحى تجعلني خلواً من المتاعب، وأمنًا من المشقات"<sup>(٢)</sup>.

كما أشار الشاعر إلى كنيته بذكر ابنه محمد، وصرح باسم والده وجده فيما سبق؛ أما تخلصه بنظامى، فقد تردد مرات كثيرة في كل منظومة.

وإذا ما تركنا هذا إلى تاريخ ولادته، فإننا لا نجد - فيما نظمه الشاعر - ذكرًا صريحًا لهذا التاريخ، وقد أدى هذا إلى اختلاف الذين تعرّضوا لدراسة نظامى في تحديد تاريخ ولادته اختلافًا شديدًا، يربو على الثلاثين عامًا. ولعل السبب في ذلك أنهم حاولوا استنباط تاريخ ولادته من تاريخ وفاته، الذي بلغ اختلافهم في تحديده إلى ما يزيد على ثلاثين عامًا كذلك.

وقد كادوا يجمعون على أن نظامى نُؤي في منتصف الرابعة والستين من عمره، مستشهدين بما ورد في آخر منظومة "إسكندرنامه" من أبيات يبدو أنها من نظم شاعر آخر. وهذه الأبيات تصف اللحظات الأخيرة من حياة الشاعر، وقد أثبتتها المنتحل بعد ذكر موت الحكماء السبعة في قصة الإسكندر، فقال: "حينما تمت هذه القصة، عزم نظامى - أيضًا على الرحيل، ولم يمض على هذا وقت طويل، فقد طويت صحائف تاريخ عمره، وكان يزيد

(١) الشاعر هنا يذكر على مجموع الحروف التي تتكون منها كلمتا نظامى وإلياس مع إسقاط مجموع (أ، ب) من مجموع إلياس وذلك بطريقة حساب الجمل المعروفة، ليجعل مجموع حروف اسمه مساويًا لمجموع أسماء الله الحسنى، ويتخذ منها نوعًا من التيمن والبركة.

(٢) در خط نظامى ارنهى كام  
والياس كالف برى زلامش  
زينگونه هزارويك حصارم  
هم فارغم از كشيدين رنج  
بينى عدد هزارويك نام  
هم با - نود ونه است نامش  
باصد كم يك سليح دارم  
هم ايمنم از بريدين رنج  
(نظامى: ليلي ومجنون، ص ٤٤)

سته أشهر على ثلاثة وستين عامًا حينما دَقَّ الطبول إيذانًا بالرحيل، ثم ذكر أحوال الحكماء السابقين ونام كما نام الحكماء؛ وقد أخبر رفاقه - في وقت الرحيل - حينًا عن الطريق، وحينًا عن الدليل؛ ثم ضحك وقال: إن العَفَّار قد أَمَّلني في رحمته، فأبعدوا عنا متاعبكم، فأنتم وهذه الدنيا، ونحن والجنة؛ وفي أثناء هذا الحديث أخذ النعاس، حتى لِيُحَيَّلَ إليك أنه لم يَعِش أبدًا<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الأساس استنبطوا تاريخ ولادته من تاريخ وفاته، فيؤخذ مما ذكره دولتشاه أن الشاعر وُلِدَ في عام ٥١٣هـ<sup>(٢)</sup>، ومما ذكره لطفعلي بيك أنه وُلِدَ في عام ٥٢٣هـ<sup>(٣)</sup>، ومما أثبتته خواندامير أنه وُلِدَ قبل عام ٥٣٢هـ<sup>(٤)</sup>.

(١) نظامی چو این داستان شد تمام  
نه بس روز گاری بر این برگذشت  
فزون بود شش مه زشمت وسه سال  
چو حال حکیمانہ پیشینه گفت  
رفیقان خود را بگاہ رحیل  
بخندید وگفتا که آمرزگار  
زما زحمت خویش دارید دور  
درین گفتگو بد که خوابش ربود  
بعضم شدن نیز برداشت گام  
که تاریخ عمرش ورق در نوشت  
که بر عزم رده بردهل زد دوال  
حکیمان بچفتند واو نیز خفت  
که از راء خیرداد وگاہ از دلیل  
بآمرزشم کرد امیدوار  
شما واین سرا ماودار السرور  
تو گفستی که بیدارش خود نبود  
(نظامی: اقبالنامه، ص ٢٧٩-٢٨٠).

(٢) دولتشاه: تذكرة الشعراء، ص ١٣١. فقد ذكر تاريخ وفاة الشاعر على أنه ٥٧٦هـ، وقد وافقه في هذا حاجي خليفة في كشف الظنون: ج ١، ص ٨٧١.

(٣) لطفعلي بيك: آتشکده، ص ٢٤٢. فقد ذكر تاريخ وفاته على أنه ٥٨٩هـ.

(٤) خواندامير: حبيب السير، ص ١١٢. فقد ذكر أن الشاعر كان معاصرًا للسلطان طغرل السلجوقي، وأنه أتم إسكندرنامه في عام ٥٩٢هـ، وكان عمره قد تجاوز الستين.

كما يستفاد مما ذكره رضا قليخان أن الشاعر وُلِدَ في عام ٥٣٣هـ<sup>(١)</sup>، ومما قرَّره صاحب "جهان آرا" أنه ولد في عام ٥٣٤هـ<sup>(٢)</sup>، ومما نقله صاحب "صبح صادق" أنه ولد في عام ٥٣٨هـ<sup>(٣)</sup>، وما ذكره تقي كاشي أنه ولد في عام ٥٤٣هـ<sup>(٤)</sup>.

هذا عدا تواريخ أخرى استنبطها من تعرضوا لدراسة الشاعر<sup>(٥)</sup>. وإن كانت بعض المصادر المهمة لم تشر إلى هذه المسألة من قريب أو بعيد<sup>(٦)</sup>.

(١) رضا قليخان: مجمع الفصحاء، ص ٦٣٧. ورياض العارفين، ص ١٤٩. كما أورد هذا حاجي خليفة في كشف الظنون: ج ١، ص ٤٠٧.

(٢) هذا يبدو مما نقله ريو في فهرست المخطوطات الفارسية بالمتحف البريطاني، ص ٥٦٤. نقلاً عن جهان آرا، ورقة ١١١، فقد ذكر أن الشاعر توفي في عام ٥٩٧هـ.

(٣) تربيت: دانشمندان آذربيجان، ص ٢٨٤. نقلاً عن "نتائج الأفكار" و"صبح صادق"، حيث ورد أنه توفي في عام ٦٠٢هـ، وقد ورد في حبيب السير، حاشية، ص ١١٢. أن صاحب "نتائج الأفكار" ينقل عن "صبح صادق" أن نظامى قد أتم إسكندرنامه في عام ٥٩٧هـ، وعاش بعدها خمس سنوات، وتوفي في عام ٦٠٢هـ، وهو نفس ما ذكره معصومعل شاه في طرائق الحقائق، ص ٢٧٩.

(٤) مولوى آغا علي أحمد علي: هفت آسمان، ص ٢٩. نقلاً عن تقي كاشي الذي ذكر - في تذكرته - أن الشاعر توفي في عام ٦٠٦هـ.

(٥) من الذين تعرضوا لضبط تاريخ ولادة الشاعر دستگردي في مقدمة گنجينه گنجوي، ص بيج، ولم يقطع برأي، وإنما حصر تاريخ ولادته بين ٥٣٤ و ٥٤٠، أما باخر في كتابه "حياة نظامى وآثاره" (بالألمانية) ص ٦، وبراون في كتابه: تاريخ إيران الأدبي (بالإنجليزية) ج ٢، ص ٤٠٠-٤٠١، وبرتلس في كتابه: نظامى شاعر آذربيجان العظيم (بالروسية) ص ٢٦، فقد رجحوا أن الشاعر ولد في عام ٥٣٥هـ؛ وأما داراب - في مقدمته لترجمة مخزن الأسرار إلى الإنجليزية - فقد حاول إثبات أن الشاعر ولد في عام ٥٤٠هـ، وأن هذا التاريخ هو الصحيح دون غيره، بينما رجح ابن يوسف شيرازي في فهرست كتابخانه مدرسه عالي سپهسالار، ج ٢، ص ٥٢٤. وأنه ولد في عام ٥٤٧هـ.

(٦) كنا نطمع في الحصول على معلومات دقيقة عن تاريخي ولادة الشاعر ووفاته وكل ما يتعلق به من عوفي في "الباب الألباب" والقزويني في "آثار البلاد" وهما من المصادر الأساسية في هذه الناحية، ولكننا لم نظفر بشيء، فلم يذكر عوفي في لباب الألباب، ج ٢، ص ٣٩٦-٣٩٧. قليلاً أو كثيراً يتعلق بهذه المسألة، بل إنه ذكر منظومات الشاعر متفرقة غير مرتبة، وأغفل ذكر "هفت بيكر"؛ أما القزويني في آثار البلاد، ص ٣٥١. فقد ذكر أن الشاعر توفي بقرب عام ٥٩٠هـ، الشيء الذي يثبت التحقيق خلافه، ولم يشر إلى منظومات الشاعر على أنها مجموعة وإنما ذكرها على غير ترتيب، وأغفل منها "إسكندرنامه".

ولعل عدم جمع منظومات الشاعر بعد وفاته بزم قصير، وبقاءها متفرقة هو السبب في كل هذه الاختلافات، كما أن هجوم المغول وما أعقبه من اختلال في أحوال الممالك الإسلامية عامة، وفي إيران خاصة، قد يكون من الأسباب التي جعلت أنباء الشعراء تعمي هذه التعمية الشديدة.



وهكذا يجد الباحث نفسه تائهاً في بحر متلاطم الأمواج، من الأقوال المختلفة التي لا يتفق أكثرها مع إشارات الشاعر نفسه إلى سنه، في مواضع مختلفة من منظوماته، كما لا يتفق مع تواريخ إتمام هذه المنظومات، ومن قُدِّمَتْ لهم من الولاة الذين حدَّدَ التاريخ سني حكمهم.

وأرجح أن نظامي وُلِدَ في عام ٥٣٩هـ؛ لأن إشارات الشاعر إلى سنه في مناسبات مختلفة تجعلنا نرجح هذا التاريخ.

فقد ذكر الشاعر في "إسكندرنامه" أنه بلغ الستين من عمره، فقال: "لم يتغيَّر حالي رغم أن عمري قد بلغ الستين"<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الشاعر قد أتمَّ هذا الجزء من منظومته في عام ٥٩٩هـ، لأنه قال بعد ذلك بقليل: "إن الدنيا في اليوم العاشر من شهر إيار لتسعة وتسعين عامًا بعد الخمسمائة"<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان الشاعر في عام ٥٩٩هـ في الستين من عمره، فإن هذا يرجح أنه ولد في عام ٥٣٩هـ. كما ذكر نظامي في منظومته الأولى "مخزن الأسرار" أنه تجاوز الأربعين فقال: "إن صديقًا يلزمك الآن، فلا تخدع نفسك، ولا تقرأ الآن دروس سن الأربعين"<sup>(٣)</sup>.

(١) بشصت آمد اندازه سال من نگشت از خود اندازه حال من (نظامي: إقبالنامه، ص ٢٩٠).

(٢) جهان را بردهم روز بود از ايار نود نه گذشته ز پانصد شمار (المرجع السابق، ص ٢٩٢).

وقد روى بنفس الرواية في خمسة نظامي طبع كلكنه ص ١٩٠، ريو: فهرست المخطوطات الفارسية في المتحف البريطاني (بالإنجليزية) مخطوطة 117. Foll. 16, 782. Add.

(٣) ياركنون بايدت افسون مخوان درس چهل سالگي اكنون مخوان (نظامي: مخزن الأسرار، ص ٤٩).

ويبدو أن الشاعر قد أتم "مخزن الأسرار" في عام ٥٨١هـ، لأنه دعا الرسول إلى الاستيقاظ بعد أن نام خمسمائة وسبعين عامًا ليُصلح فساد العصر فقال: "كفى نوم سبعين وخمسمائة عامًا؛ أسرع إلى مجلسنا لأن اليوم قد تقدم" (١).

ولقد توفي الرسول في عام ٥١١هـ، مما يدل على أن هذا النظم كان في عام ٥٨١هـ، أي في الوقت الذي كان الشاعر فيه قد تجاوز الأربعين من عمره، كما ذكر هو؛ وهذا يؤيد ما رجحناه من أن نظامى ولد في عام ٥٣٩هـ، ويطمئنا إلى أن هذا التاريخ هو أقرب التواريخ إلى الحقيقة. وندع هذا لنتحدث عن نشأة الشاعر.

(١) بانصد وهفتاد بس ايام خواب روز بلنداست بمجلس شتاب  
(المراجع السابق، ص ٢٧)

وقد روى هذا البيت رواية ثانية تغيرت فيها كلمة سبعين "هفتاد" إلى خمسين "پنجاه" كما روى رواية ثالثة تغيرت فيها الكلمة نفسها إلى ثمانين "هشتاد" ولكن الرواية الأولى، التي سبقت، هي الأصح لأننا لو قبلنا الثانية فإن تاريخ تمام "مخزن الأسرار" يكون ٥٦١هـ، كما أننا لو قبلنا الثالثة، فإن هذا التاريخ يصير ٥٩١هـ، وكلا التاريخين يتناقض مع تاريخ إتمام منظوماته الأخرى التي تلت "مخزن الأسرار" كما يتناقض مع إشارات الشاعر إلى سنه.

## الفصل الثاني

### نشأة نظامي

نستطيع أن نلمس من أشعار نظامي، أنه نشأ نشأة دينية، متأثرًا بوسط كنجه الذي عاش فيه، فقد قرّر هو أنه كان متدينًا منذ شبابه فقال: "لم أقب - منذ شبابي - على باب أحد غيرك لقربي منك"<sup>(١)</sup>.

ولذلك وجدناه في "مخزن الأسرار" أولى منظوماته، كثير التحدث عن الفكر والمراقبة، والانقطاع للعبادة، كما وجدناه نزعًا إلى ما يقوم به المتصوفة من الجلوس جلسة تفكير، في حالة مراقبة، فهو يصوّر الخناء، ووضع رأسه على ركبتيه، كعلامة للتفكير، وحينئذ تنكشف له الأسرار، فينظر بعين القلب ويدرك الحقائق، وذلك في قوله: "وضعت رأسي فوق ركبتي، وأشرق وجهي بنور الله، فصارت مرآة القلب فوق الركبة، فطرح مرآة النظر، ونظرت في مرآة القلب، لأرى من أي أنواع التجلي يأتي القبض الإلهي"<sup>(٢)</sup>.

(١) چون بعهد جوانی از برتو بر درکس نرفتم از درتو (نظامی: هفت پیکر، ص ٥)

(٢) فرق بزیر قدم انداختم گشته زبس روشنی روی من منکه باین آینه پرداختم تاز کدام آینه تالی رسد (نظامی: مخزن الأسرار، ص ٣٢)

ثم بيّن أن الزاهد حين يضع رأسه فوق ركبتيه، ويتفكر، تتجلى أمامه الحقائق بالتدرّج، حتى يحيط بالعالمين، فهو يُحطّم روحه ثم يبنّيها على أساس جديد قوي، يستطيع أن يُسخر به الفلك، فقال: "حينما يجعل الزاهد ركبتيه مسندًا للرأس، ويصبح جسمه كالحلقة، يسبح قلبه في العالمين، وفي أثناء هذه الجلسة يُحطّم روحه، ثم يبنّيها من جديد، وحينذاك يستطيع أن يسخر الفلك، وأن يجني ثمار التعبد أضعافًا مضاعفة"<sup>(١)</sup>.

فنظامي يتحدث بطريقة المتصوفة وأسلوبهم منذ بداية أشعاره، مما يُرَجِّح تغلغل التديّن في قلبه، وأنه نشأ مُحبًّا للعبادة والتقوى.

ويبدو أن نظامي كان إذا جلس للتفكير، أمعن في الجلوس حتى يصل إلى الحقيقة، غير أن طريقه كان وعراً، ولذلك فإنه يعتقد أن أحداً غيره لا يستطيع سلوك هذا الطريق، فيقول: "كثيراً ما مكثت رأسي فوق ركبتي، حتى أهتدي إلى الطريق، وقد قطعت المرحلة عن طريق اليقين. فاسلك نفس الطريق الذي سلكته (فهو الطريق الوحيد إلى الحقيقة). ولكنك لست أهلاً لهذا الطريق، فاحترس، واترك أمر نظامي لنظامي"<sup>(٢)</sup>.

(١) چون سر زانو قدم دل کند  
آید فرکش بسلام قدم  
درخم این حلقه که چستش کند  
گاهی از آن حلقه زانو قرار  
گاهی بدین حلقه فیروز رنگ  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۴۲-۴۳)

(٢) بسکه سرم بر سر زانو نشست  
این سفر از راه یقین رفته ام  
محرم این ره تونسه زینهار  
تاسرا این رشته بیامد بدست  
راء چنین رو که چنین رفته ام  
کار نظامی بنظامی گذار  
(المرجع السابق، ص ۶۲)

وقد وصف الشاعر لنا خلوتين جلس فيهما تحت رعاية القلب، في حالة تفكير ومراقبة، حتى انجلت الحقائق أمامه، وشعر بالسعادة تغمره، وبلذة ملكت عليه حواسه<sup>(١)</sup> وأخذ يصف المراحل التي مرَّ بها، ففي أول الجلسة جرَّده القلب من كل شيء فَنسي العالم وما فيه، وتفرَّغ بكليته للعبادة والتفكير وهو يُصوِّر ذلك في قوله: "حينما بدأت العبادة جرَّدني راضِي من العالم" فصرت متصلاً بجبله، وازددت تعلقاً به حتى وصلت العبادة إلى أسمى درجاتها، وانقطعت عن العالم وما فيه"<sup>(٢)</sup>.

ثم سيطر القلب على نظامي فأصبح رائده، وقائد طريقه، وشريكاً له في غمه، ومشفقاً عليه في شؤنه، رغم أنه كان يلاحظ منه تقصيراً. وفي ذلك يقول الشاعر: "لقد كان القلب متعلقاً بنا في هذه الحالة ولو أنه ليس إلهاً، إلا أنه كان رب شئوننا، فهو قائد طريقي في العالمين، وإلا ما شاركني الغم، ورغم أنه لم يشاهد مني استعداداً كبيراً، إلا أنه لم ينزع عني شفقتة"<sup>(٣)</sup>.

وقد استمر نظامي في هذه الحالة، يرتقي من منزلة إلى منزلة أرفع، حتى وصل إلى درجة الكشف، فأدرك الحقيقة، وصار مقرباً.

(١) نظامي: مخزن الأسرار، ص ٥٣-٧٠.

(٢) رايض من چون ادب آغاز کرد  
گرچه گره در گرهش بود جای  
تا سراين رشته بجائی رسید  
از گره نه فلکم باز کرد  
برنگرفت از سراين رشته پای  
کان گره از رشته بخواهد برید  
(المرجع السابق، ص ٥٣)

(٣) خواجه مع القصه که در بندماست  
شحنه راه دوجهان منست  
گرچه بسی ساز ندارد زمن  
گرچه خدا نيست خداوند ماست  
گرنه چرا درغم جان منست  
شفقت خود باز ندارد زمن  
(نفس المرجع والصفحة)

ويبدو من إشارات الشاعر أنه قضى سنين عديدة من عمره، في عبادة الله على هذا النحو، فهو يتحدث في منظومته الثانية "خسرو وشيرين" عن انزوائه، وكيف أن حديثه كان متصللاً بالسماء يهتك حجب الكواكب، ولم يكن له صديق غير الله، فيقول: "في تلك المدة التي انزويت فيها، كنت قد وصلت الحديث بالسماء، فأحياناً كنتُ أقطع أبراج الكواكب؛ وأحياناً كنت أهتك ستر الملائكة، وكان لي صديق واحد هو الله، عرّفته بروحي، وتفانيتُ في عبادته بكل جوارحي"<sup>(١)</sup>.

وكان يتعبد بطريقة خاصة، هي أن يعتكف أربعين يوماً<sup>(٢)</sup> ينقطع فيها عن الناس: وقد تَعَبَّد بهذه الطريقة خمسين مرة، في مدة أربعين عاماً، وفي ذلك يقول: "لا تضع أصابعك على الورق الملوّث"<sup>(٣)</sup> بعد أن اعتكفت خمسين مرة في أربعين عاماً<sup>(٤)</sup>.

ثم أكد أنه لم يترك العبادة حتى آخر حياته، فقال في آخر منظوماته "إسكندرنامه" مخاطباً ربّه: "إنك في الليل وفي النهار؛ في المساء وفي الصباح، مقدّمٌ في ذاكرتي على كل شيء، فحينما أحاول النوم في الليل، أجدُّ في تسبيحك أولاً، وحينما أستيقظ من النوم في منتصف الليل أذعوك وأذرف الدموع؛ فإذا ما أصبح الصباح، سلكتُ طريقي إليك؛ وأنت ملجئي

(١) درآن مدت که در را بستہ بودم سخن با آسمان پیوسته بودم  
گهی برج کواکب می بریدم گهی ستر ملایک می دریدم  
یگانه دوستی بودم خدائی بصد دل کرده باجان آشنائی

(٢) كانت هذه الطريقة تسمى "چله" أي الأربعينية. وهي أن يظل العابد معتكفاً أربعين يوماً يتعبد ويتفكر، فلا يخرج، ولا يتصل بأحد.

(٣) يقصد بالورقة الملوثة قصة "خسرو وشيرين" فهو يردع نفسه عن نظم قصة عشق بعد أن تعبد كل هذه الأوقات الطويلة.

(٤) پس از پنجاه چله در چهل سال مزن پنجه در این حرف ورق مال  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ٣٦)

طول اليوم حتى المساء، لأنني أطلب منك المعونة ليلاً ونهاراً، فلا تخزني في هذه الدنيا، كما أرجو أيها الإله العادل، أن أصير - بعد الاحتياج - غنياً، فأني معبود يُعبد - عن طريق العبودية - مثلك؟!.. إنني أرجو أن يُخَلِّد اسمي في الدنيا، وتُغْفِر ذنوبي في الآخرة" (١).

وقد جعله هذا يخشى الله، ويسأله الغفران والرحمة. فيخطبه قائلاً: "عاملني بلطفك، ولا تعاملني بعدلك" (٢).

ولذلك؛ فقد حاول الشاعر الاستفادة من وقته، فلم يضيعه عبثاً، بل قضاه في تحصيل العلوم المختلفة، فنشأ محباً للعلم والدراسة، وقد تجلّى هذا في شعره، وقرر هو أنه لم ينم ليلة قبل أن يفتح باباً من أبواب العلم والمعرفة، فقال: "لم أقطع العمر باللعب، فقد كان لي عمل آخر غير الطعام والنوم، ولم أنم ليلة - على فراشي - مسروراً، قبل أن أفتح - في تلك الليلة - باباً من أبواب الحكمة" (٣).

تو بر بادي از هرچه دارم بپاد  
بتسبیح نامت شتاب آورم  
ترا خوانم وریزم از دیده آب  
همه روز تا شب پناهم بتست  
مکن شرمسارم  
در ایمن داوری  
کزین بانیازان شوم بی نیاز  
کنند چون توئی را ستندگی  
در آن عالم آزاد گردد زرنج  
درین عالم آباد گردد بگنج  
(نظامی: شرفنامه، ص ۷)

بعدل خود مکن با فعل من کار  
(نظامی: خسرو و شیرین، ص ۹)

که شغلی دگر بود جز خواب و خور  
که نگشادم آنشب ز دانش دری  
(نظامی: شرفنامه، ص ۴۷)

(۱) شب وروز درشام ودر بامداد  
چو اول شب  
آهننگ خواب آورم  
چو در نیمشب  
سر برارم ز خواب  
وگر بامدادست راهم بتست  
چو خواهم ز تو  
روز و شب ییوری  
چنان دارم ای داور کار ساز  
برستنده کز زه بندگانگی

(۲) بفضل خویش کن فضلی هماریار

(۳) بیازی نبردم جهان را بسر  
تخفتم شی شادبربستری

وقد جعله هذا يطلع على علوم كثيرة مختلفة، ولكنها جميعها لم تَصْرِفُهُ عن هدفه الأسمى، وهو عبادة الله، بل كانت تزيده إيمانًا بقدرة الله وعظمته، وبأن الله ربُّ كل شيء، فيزداد تعلقًا به وقربًا منه، فهو يقول: "لقد قرأتُ كل دقائق النجوم، والعلوم الخفية، وفتَّشت عن السر في كل ورقة اطلعت عليها فلما وجدتكَ محوَّت الأوراق، فقد رأيتُ الجميع يولون وجوههم نحو الله، ورأيتُكَ أنت رب الجميع"<sup>(١)</sup>.

وقد أثرت هذه النشأة الدينية في الشاعر، وفي شعره، فجعلته لا يعتقد في التنجيم - رغم أنه درس علم النجوم - مما نلمسه في قوله: "كيف يأتي الخير والشر من النجم، وهو نفسه عاجز عن الخير والشر؟!... فلو كان النجم يهب السعادة، لكان كيقباد من نسل منجم!... أي منجم استطاع أن يحصل - بتنجيمه - على كنز؟!... إنك قد تعطي - دون وساطة النجوم - كنزًا لمن لا يعرف عدد النجوم وهل هي سبعة أم خمسة!..."<sup>(٢)</sup>.

والشاعر وإن كان قد أكثر من الحديث عن الخمر، إلا أنه لم يقصد بها الخمر المادية، وإنما قصد بها الخمر المعنوية، التي كان يشعر بلذتها من عبادة الله، ونسيان النفس، حينما يكون ساقيه وعد الله، وصبوحه الفناء فيه. فقد أقسم الله أنه لم يُلَوِّث شفتيه بالخمر مدة حياته فقال: "لا تعتقد أيها الخضر المبارك أن قصدي من الشراب الخمر، إنني قصدت -

(١) هرچه هست از دقیقه های نجو خواندم و سر هر ورق جستم همه را روی درخدا دیدم  
بايکايک نهفته های علوم چون ترا یافتم ورق شستم در خدا بر همه ترا دیدم  
(نظامی: هفت پیکر، ص ٥)

(٢) يدونيك از ستاره چون آيد گرسناره سعادتق دادی کیست از مردم ستاره شناس تودهی بی میانجی آنرا گنج  
که خود از نیک و بد زبون آید کیقباد از منجمی زادی که بگنجینه ره برد یقیاس که نداند ستاره هفت از پنج (المرجع السابق، ص ٤)



بتلك الخمر الغيبوبة، وزَيَّنْتُ المحفل بتلك الغيبوبة، لأن لي ساقياً من وعد الله، وصبوحاً من الخلوات، وشراباً من الغيبوبة؛ وإلا فقسماً بالله أني - منذ وُجِدْتُ - لم ألوّث شفتي بالخمّر؛ وليجعل الله كل حلال حراماً عليّ إذا كان حلقي قد لُوّث بالخمّر<sup>(١)</sup>.

كما جعلت هذه النشأة الدينية الشاعر يَتَحَنَّفُ في شعره، فيتغنى بالفضيلة، ويُفَضِّلُ الشعر الذي لا يتعارض مع الشرع، والذي يُصَوِّرُ أسمى الأهداف الدينية ويُجَلِّبُهَا، فهو يقول: "إذا لم يجعلك الشرع مشهوراً فلا تُرَشِّحْ نفسك للشعر، لأن الشرع يجعل الشعر يصل بك إلى سدرة المنتهى، ويمنحك حكومة ملك المعاني، فيصل شعرك عن طريق الشرع إلى مكان، يصل ظلك فيه إلى الجوزاء"<sup>(٢)</sup>.

ولذلك؛ فقد أحدثت محاولته نظم بعض قصص العشق نزاعاً شديداً بين عقله الظاهر، وعقله الباطن؛ أو بينه كإنسان ذي عاطفة تتذوق العشق والجمال، وكرجل عابد متديّن يعتبر حديث العشق لغواً يصرفه عن عبادة الله، إن لم يفسد عليه هذه العبادة.

وقد صَوَّرَ الشاعر هذا النزاع في صورة عاتب عتب عليه حينما شرع في نظم قصة "خسرو وشيرين"؛ فأخذ يذكره باعتكافه الطويل المتكرر، ويلومه على محاولته إحياء رسوم

(١) نپنداری ای خضر پیروز بی  
از آن می همی بیخودی خواستم  
مرا ساقی از وعد ایزدیست  
وگرنه بیزدان که تا بوده ام  
گر از می شدم هرگز آلوده کام  
(نظامی: شرفنامه، ص ۳۸)

(٢) تانکند شرع توراً نامدار  
شعرتوراً سدره نشانی دهد  
شعر تو از شرع بدانجا رسد  
نامزد شعر مشوزینهار  
سلطنت ملک معانی دهد  
کز کمرت سایه بچوزا رسد  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۴۴)

الزردشتیین، وفي هذا يقول الشاعر: "دخل المليم بالسرّ، في حالة عتاب، فلامني لومًا شديدًا (قائلًا): أحسنت يا ملكًا في عالم المعاني، ويا عاهلاً في مُلك الكلام!.. لا تضع أصابعك على هذا الورق الملوّث؛ بعد أن اعتكفت خمسين مرة في أربعين عامًا؛ ولا تُفطر بعظام جيفة بعد هذا الصوم الذي قُمت به، اطرح من يدك خداع المشركين، ولا تنظم الأباطيل كما فعل الزردشتيون... انظّم في توحيد الله، فإن لك شهرة (في هذا الميدان)... لماذا تحيي رسوم المجوس؟!... إن العرفاء يُعدّون قلبك ميتًا، ولو أن الزردشتيين يعتبرونه حيًّا"<sup>(۱)</sup>.

وهكذا نرجح أن نظامی نشأ نشأة دينية، وأن هذه النشأة أثرت فيه وفي شعره تأثيرًا كبيرًا، وحاولت أن توجهه وجهات معينة في نظم الشعر، وقد ظلّ تدينه ملازمًا له طوال حياته.

ونترك هذا لعرض ثقافته وألوانها المختلفة.

(۱) در آمد سرگرفته سرگرفته  
 که احسنت ای جهاندار معانی  
 پس از پنجاه چله در چهل سال  
 درین روزه چوهستی پای برجای  
 عنابی سخت با من در رفته  
 که در ملک سخن صاحبقرانی  
 مزن پنجه در این حرف ورق مال  
 بمردار استخوانی روزه مگشای  
 فربت پرستان بفکن ازمشت  
 فسون خوانی مکن چون زند زردشت  
 چرا رسم مغان راتازه داری  
 اگرچه زند خوانان زنده خوانند  
 (نظامی: خسرو و شیرین، ص ۳۶)

## الفصل الثالث

### ثقافة نظامي

يبدو من أشعار نظامي أنه كان ذا ثقافة واسعة، فكان مُلمًّا بالعلوم الرائدة في عصره؛ من دينية وغير دينية.

أما ثقافة الشاعر الدينية، فإن شعره يدلُّ على أنها واسعة شملت دراسة القرآن والحديث، والإمام بما في كتب السيرة.

فهو يشير إلى قصة الحجر الذي ألقى على الرسول صلى الله عليه وسلم فكسر إحدى أسنانه، فيقول: "إن جوهره لم يجرح قلب الحجر، فلم كسر الحجر جوهره"<sup>(١)</sup>.

ويذكر قصص الأنبياء ويتخذها وسيلة لتقرير أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان خاتمهم وأفضلهم، وأنه لولاه ما خلق الله الأفلاك.

وهو يبدأ بقصة نوح وما حدث من طوفان، فيقول: "لقد وصل نوح الظمان إلى ماء الحياة، ولكنه أخطأ عين الماء فحدث الطوفان"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) گوهر او چون دل سنگی نخست  
سنگت چرا گوهر اورا شکست  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ٢١)

(٢) نوح که لب تشنه بچيوان رسيد  
چشمه غلط کرد ويطوفان رسيد  
(المرجع السابق، ص ٢٩)

ویشیر إلى قصة إبراهيم، وما قيل من أنه زلَّ لحكمة ثلاث مرات<sup>(۱)</sup>.  
 فيقول: "لما أكثر إبراهيم النظر، اختلف به الرأي فزل وسط الطريق، في ثلاثة مواضع"<sup>(۲)</sup>.  
 ويذكر داود وقيثارته مستعملاً اصطلاحات موسيقية، فيقول: "لما أصبح صدر داود  
 ضيقاً صاغ له لحناً يناسبه"<sup>(۳)</sup>.  
 ويشير إلى قصة يوسف وإلقائه في البئر، فيقول: "لم ير يوسف في البئر شيئاً غير الحبل  
 والدلو"<sup>(۴)</sup>.  
 كما يشير إلى قصة الخضر وعثوره على ماء الحياة في قوله: "لوى الخضر عنانه بعد هذا  
 السفر الشاق، فابتلَّ ذيله، فعثر على عين الماء"<sup>(۵)</sup>.

(۱) يقال إن إبراهيم قد زل لحكمة ثلاث مرات؛ الأولى حينما نظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم وقد ورد ذكرها في سورة الصافات، آية ۸۸-۸۹ ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ (۸۸) ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (۸۹). والثانية لما رأى الشمس بازغة فقال هذا ربي وقد جاء ذكرها في سورة الأنعام، آية ۷۸ ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ والثالثة حينما سأله عن حطم الأصنام فقال: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (۱۳) سورة الأنبياء، آية ۶۳.

(۲) مهد براهيم چو رای او فتاد نیم ره آمد دوسه جای او فتاد (نظامی: مخزن الأسرار، ص ۲۹)  
 (۳) چون دل داود نفس تنگ داشت در خور این زیر، بم آهنگ داشت (نفس المرجع والصفحة)  
 (۴) يوسف از آن چاه عیانی ندید (المرجع السابق، ص ۳۰)  
 (۵) خضر عنان زین سفر خشک تافت دامن خود ترشد چشمه یافت (نفس المرجع والصفحة)

ويدشير إلى قصة موسى ورغبته في رؤية الله، فيقول: "لم يستفد موسى شيئاً من طلبه رؤية الله، فخر صعقاً<sup>(١)</sup> بسبب قوله: ربّ أرني أنظر إليك"<sup>(٢)</sup>.

ويذكر قصة المسيح ومجيئه إلى الدنيا بدون والد، مما أثار التهم حول والدته<sup>(٣)</sup>، فيقول: "لقد جاء المسيح بهذه الطريقة (دون والد) فكان بذلك مصدر تُهمة لوالدته"<sup>(٤)</sup>.

ويختم بأن الرسول هو خاتم الأنبياء الذي من أجله خُلِق كل شيء، فيقول مخاطباً الرسول: "لقد كُنْتَ السبب في خلق الفلك، فقد أَلْقَيْتَ ظلك عليه. وأنت خاتم النبيين، فقد خُتِمَ كتابهم باسمك، كما انتهت - بزمانك - خطبة النبوة"<sup>(٥)</sup>.

وكان نظامي إلى جانب معرفته قصص الأنبياء - مُلِمّاً بالتاريخ الفارسي القديم؛ وإن نظمه لقصتي "خسرو وشيرين" و"بهرام گور" لأكبر دليل على ذلك. هذا فضلاً عن ذكره أسماء كثير من ملوك الفرس القدماء، وبعض الوقائع التي حدثت في عصورهم.

أما اطلاع الشاعر على الفلسفة فيتضح من ذكره آراء الفلاسفة، ومناقشته لها، وإظهار رأيه هو، في كثير من الأحيان.

(١) ور ذكر هذه القصة في سورة الأعراف، آية ١٤٣ ﴿وَقَالَ رَبِّ ارْنِيْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرْنِيْ وَلَكِنْ اَنْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ فَاِنْ اَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرْنِيْ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا اَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ بُتْ اِلَيْكَ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿١٤٣﴾

(٢) ضمن نظامي هذا المعنى في قوله، في مخزن الأسرار، ص ٣٠:

موسى از اين جام تهى ديد دست شيشه بگهپايه ارني شكست

(٣) يشير إلى ما ورد في سورة مريم آية ٢٨ ﴿يَتَأَخَذَتَّ هُنُورًا مَّا كَانَ اَبُوْكُمْ اَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ اُمُّكَ بَعِيًّا ﴿٢٨﴾ وهي التي تورد الاتهام.

(٤) عزم مسيحه بددين دانه بود كوز درون تهمتي خانه بود (نظامي: مخزن الأسرار، ص ٣٠)

(٥) هم توفلك طرح در انداختي سايه برايى كار برانداختي مهرشد اين نامه بعنوان نو ختم شد اين خطبه بدوران تو (نفس المرجع والصفحة)

فقد أورد - في قصة الإسكندر - آراء الحكماء السبعة في أصل العالم، والخلق الأول، فقال إن "أرسطو" يرى أنه "الحركة"؛ بينما يرى "واليس" أنه "المادة الأصلية"؛ ويعتقد "بليناس" أنه "الأرض" فهي الطلسم الأول؛ ويرى "سقراط" أنه "السحاب"؛ ويميل "فورفوربوس" إلى أنه "المادة التي تحولت من فيض الله"؛ ويعطي "هرمس" وصف العالم، ثم يقول: "إنه ليس معلومًا لديه كيف خُلِق"؛ ويرى "أفلاطون": "أن الله خلق مواد متفرقة"، لأنه لو كانت هناك مادة أصلية لكانت أزلية. ويختم الإسكندر بقوله: "إن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُقبل كحقيقة هو أن العالم قد خُلِق، وأن الله موجود، وأنه واحد قادر"<sup>(۱)</sup>.

وقد ذكر نظامی رأیه - بعد إيراد هذه الآراء، وهو أن أول شيء خلقه الله هو "العقل"، ثم افتخر بأن الخضر نصحه بالألا يذكر رأي الفلاسفة، مادام يستطيع إظهار فلسفته. فقال: "خلق الله العقل أولاً، وأيقظ العين بنوره... وقد جاءني الهاتف المُسمَّى الخضر، محترقاً القبة الخضراء، فأوصل إليّ السلام، وجلس بعد السلام إلى جواربي، وملاً رأسي كلاماً، ثم قال لي بصوت لطيف: لا تسند هذه الكلمات الدقيقة إلى السنة الفلاسفة، فأنت أعرف بالسر منذ الأصل. فلماذا تُسند الكلام إلى الفلاسفة، وتدع الكلام اللطيف لتلك العظام النخرة؟!... لا تأكل خبزك على مائدة الآخرين، وضع هذا التمر اللذيذ فوق مائدتك أنت"<sup>(۲)</sup>.

(۱) نظامی: إقبالنامه، ص ۱۲۰-۱۳۱.

(۲) نخستین خردراپدیدارگرد ز نور خود شديده بيدار كرد

که خارا شکافت و خضر خرام  
بکاخ من آمد ز گنبد فرود  
سخن گفت با من با آواز نرم  
حوالت مکن بر زبانهای لال  
بر آن فیلسوفان چه بندی سخن  
بر آن استخوانهای پوسیده مغز  
شکینه بنه بر سر خوان خویش  
(نظامی: إقبالنامه، ص ۱۳۲-۱۳۳)

همانا کاین هاتف خضر نام  
درودم رسانید و بعد از درود  
دماغ مرا بر سخن کرد گرم  
که چندین سخنهای خلوت سگال  
تومیخاری این سرورا بیخ وین  
چرا بستی باید سخنهای نغز  
بخوان کسان بر مخور نان خویش

كما كان للشاعر إمام كافٍ بعلم التنجيم، فقد ذكر مصطلحات هذا العلم، في مواضع كثيرة من شعره، فذكر أولاً المجسطي الذي وضعه بطليموس<sup>(١)</sup>.

كما أشار إلى الأسطورة القديمة القائلة بأن الأرض يحملها حوت، فذكر سمكتين إحداهما في أعلى - وهي النجم الذي في بحر الحوت - وأخرى في أسفل<sup>(٢)</sup>.

ثم قال إن شعره روحاني، لأنه مرتبط ببحر الميزان، وكل من يرتبط بهذا البرج يكون روحانياً؛ كما قرّر أن السحر الحلال قد أصبح قوته فطني سحره على سحر هاروت، ولذا فهو حَيٌّ بالشعر، وهو سحره<sup>(٣)</sup>.

وأخذ يشير إلى الكواكب والنجوم، في كل منظومة من منظوماته، ويحاول أن يحكمها في بعض الأشياء، كما سيأتي.

ويبدو أن الشاعر كان مُلمّاً بعلم الهندسة، فقد ذكر اصطلاحات هذا العلم في مناسبات مختلفة. فهو يقول: "لقد أصبحت مقيداً في المدينة كالنقطة في الدائرة"<sup>(٤)</sup>.

(١) يبدو هذا في مدح نظاي لبهرامشاه، حيث يقول في مخزن الأسرار، ص ٣٢:

خضر سكندر منش چشمه راى قطب رصد بند مجسطى گشای

(٢) كوش دوماهى زير وزير تو شد صدف گوهر شمشير تو  
(المرجع السابق، ص ٣٤)

(٣) زهر اين منطقه ميزا نيست سحر حلالم سحرى قوت شد  
شکل نظاي که خيال منست لا جرمش منطق روحانيست  
نسخ کن نسخه هاروت شد جانور از سحر حلال منست  
(المرجع السابق، ص ٤٦)

(٤) من که درين دايره دهر بند چون گره نقطه شدم شهر بند  
(المرجع السابق، ص ٣٢)

وهو يستعمل الهندسة في بيان كيفية خلق العالم، مبتدئاً بالنقطة فيقول: "كان الألف هو أول حركة صدرت عن تلك النقطة التي اختلفت كتاباتها، فلما رسم الفرجار معه خطاً آخر، تكون من الخطين شكلاً بسيطاً، فإذا أحاطت ثلاثة خطوط بثيء كوّنت شكلاً آخر؛ فالخط أحياناً قائم وأحياناً منبسط، وقد صيرت الخطوط الثلاثة الجسم قائماً. وبهذا الترتيب تستطيع أن تعرف العالم من البداية إلى النهاية"<sup>(١)</sup>.

كما يبدو أن الشاعر قد قرأ شيئاً من كتب الطب، فهو لا يفتأ يذكر الاصطلاحات الطبية، والأدوية المختلفة، ويشير إلى العناصر الأربعة، في مناسبات متعددة؛ فهو - مثلاً - يصور شمول الظلام بأن الليل قد مرض من كثرة التفكير، حزناً على فراق الشمس، فاحتاج إلى دواء مُسهل، وكان هذا الدواء من التراب، فالتهم الليل الأرض، فصار التراب منعشاً له، وبذلك عمّ الظلام الكون، وفي ذلك يقول: "لقد صنع الليل المفكر - من شدة حزنه - معجوناً مسهلاً من التراب، فصار التراب له كنفس المسيح"<sup>(٢)</sup>، فأطفاً نيران حزنه ومرضه، وامتزجت الشربة بالمريض، فساد الظلام جميع الأرجاء"<sup>(٣)</sup>.

وكان نظامي - فضلاً عن هذا كله - متصللاً بالحياة اليومية، ملماً بما كان عند القوم من عادات، ورسوم، وتقاليد اجتماعية، فهو حينما يصف الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) ازان نقطه كه خطش مختلف بود بدان خط چو ندگر خط بست پرکار سه خط چونکرد بر مرکز محیطی خط است آنکه بسيط آنگاه اجسام توان دانست عالم را بغایت نخستین جنبشی کامد ألف بود بسیطی زان دوی آمد پدیدار بجسم آماده شد شکل بسیطی که أبعاد ثلاثش کرده اندام بدین ترتیب از اول تانهایت (نظامی: خسرو وشیرین، ص ۴۱)

(٢) المقصود بنفس المسيح "قم بإذن الله".

(٣) از پی سودای شب اندیشه ناک شربت ورنجور بهم ساخته آب زده آتش سودای او خاک شده باد مسیحای او ساخته معجون مفرح زخاک خانه سودا شده پرداخته (نظامی: مخزن الأسرار، ص ۴۷).



بأنه رحمة للعالمين، يصور ذلك في صورة تدل على إمامه ببعض الألعاب الرياضية، وكيفية أدائها؛ فيذكر لعبة الكرة التي تسمى "البولو" فيقول: "لقد صنعوا كرة القبول منذ الأزل، ووضعوها في وسط ميدان القلب، فتقدّم آدم اللاعب الجديد، ليأخذ الكرة؛ بمضربه وجرى حصانه خلف الهدف، ولكن الكرة سقطت بعيداً عن الهدف فتتجى جانباً"<sup>(١)</sup>.

كما ذكر الكرة وما يتعلق بها؛ من مضرب، وميدان لعب، حينما دعا الرسول إلى الاستيقاظ لإصلاح الدنيا، فقال: "قم، وتصرف أحسن من الفلك لأنه لا يصنع شيئاً، فاعمل أنت عملاً مصلحاً، فخط سير الفلك ميدان عملك، وكرة الأرض في ثنايا مضربك"<sup>(٢)</sup>.

كما أشار إلى بعض التقاليد التي اتبعت في عصره، فذكر تقليداً اتبعته قبائل الترك، هو وضع علامة تشبه الهلال فوق خيامهم، فقال في وصف الياسمين: "إن الياسمين التركي قد ارتفع في الهضبة حتى أوصل هلال خيمته إلى الثريا، بينما جاء الورد إلى معبد الأسرار، كعابد هندي"<sup>(٣)</sup> جاء إلى الصلاة"<sup>(٤)</sup>.

(١) گوی قبولی ز ازل ساختند  
آدم نوزخمه در آمد ببیش  
بار گیش چون عقب خوشه رفت  
در صف میدان دل انداختند  
تا برد آن گوی بچوگان خویش  
گوی فروماند و فیرا گوشه رفت  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ٢٩).

(٢) خیزوبه از چرخ مداری بکن  
خط فلك خطه میدان تست  
او نکند کار توکاری بکن  
گوی زمین درخم چوگان تست  
(المرجع السابق، ص ٣٠)

(٣) يشبه الياسمين بالترك في البياض، كما يشبه الورد بالهندود في الحمرة.

(٤) ترك سمن خيمه بصحرا زده  
لاله باتشگه راز آمده  
ما هججه خيمه بثریا زده  
چون مغ هندو بنماز آمده  
(المرجع السابق، ص ٥٦)

وشبّه صعوبة نظم الشعر بطريقته هو، بصناعة الحبل الذي تكون أجزاؤه موزعة بين الفم، واليدين، وأصابع القدم، فقال: "أيها الفلك. متى يخلصون هذا العقد المحكمة من يدك؟!... لقد انتقل العمل من اليد إلى أصابع القدم، فاحلل هذه العقدة من صناعة الكلام"<sup>(١)</sup>.

كما أشار إلى عادة بيع الماء بالخبز، فقال ينبغي على الشعراء بيعهم الشعر - وهو ثمرة القلب - رخيصةً: "إن ثمرة القلب يجب أن يبيعوها غالية، فمتى تصير ماءً حتى يبيعوها بالخبز؟؟؟"<sup>(٢)</sup>.

والملاحظ أننا نحس بهذه الثقافة الواسعة المتنوعة، وبإلمامه بالعلوم الشائعة في عصره، ومعرفته بعادات العصر وتقاليده من منظومته الأولى "مخزن الأسرار"؛ مما يرجح أنه قضى وقتاً طويلاً منقطعاً للدراسة والتحصيل إلى جانب تَعَبُّده.

وقد قرَّرَ هو أنه كان يمعن في البحث والتقصي، ويتحمل المشاق في سبيل الوصول إلى الحقيقة العلمية، فذكر في "هفت بيگر" أنه تكلف جهداً كبيراً، في جمع المادة المتعلقة بالموضوع، فبحث في الكتب القديمة المبعثرة في أنحاء العالم المختلفة، من عربية وفارسية، كما استفاد من الممرِّق منها، ثم درس ما جمعه واختار منه ما يلائم موضوعه. فقال: "لقد اجتهدتُ في هذه المنظومة، أن تكون جمالاً من نوع غريب، فبحثت في الكتب القديمة النادرة التي كانت مبعثرة في أرجاء العالم، من عربية وفارسية، من نسخ البخاري والطبري، ومن النسخ الممزقة الأخرى التي وجدتها مملوءة بالمعلومات القيمة، وقد جمعت كل ورقة

(١) ای فلك از دست تو چون رسته اند  
کارشد از دست بانگشت پای  
این گره هائی که کمر بسته اند  
این گره از کار سخن و آگشای  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ٤٣).

(٢) میوه دل را که بجانی دهند  
کی بود آبی که بنانی دهند  
(نفس المرجع والصفحة)

وقعت في يدي في حقيبة، واطلعت عليها، حتى هضمتها ثم اخترت ما راقني منها<sup>(۱)</sup>. كما أنه حينما أراد نظم قصة الإسكندر، وجد الطريق وعراً أمامه، فقد كانت المادة مبعثرة، غير موجودة في كتاب واحد، فحاول الاستفادة من الكتب المختلفة، كما استفاد من المراجع اليهودية والنصرانية واليهودية، فاختار أحسن ما فيها عن طريق الترجمة من لغة إلى لغة، ثم نظم ما وجده صحيحاً منها؛ وفي ذلك يقول: "حينما أردت نظم هذه القصة، كان الطريق وعراً، والمادة كثيرة، فلم أر آثار ذلك الملك المتجول مجموعة في سجل واحد، بل كانت المادة كالكنوز، مبعثرة في كل نسخة، فأخذت مادة من كل نسخة، وصببْتُها في قالب جميل من الشعر، فضلاً عن استفادتي من التواريخ اليهودية والنصرانية واليهودية الحديثة. وقد حاولت أن أختار من كل مادة أحسنها، ومن كل كتاب خير ما فيه، ثم أحطت بمادتي كالكنز، لأصوغ من تلك الجواهر جوهرة كلية نفيسة، فترجمت من لغة إلى أخرى، لأن الإمام بما في لغة واحدة لا يكفي، فمن يعرف لغة واحدة لن يكون قادراً على النقد؛ ثم عرضت - على مسرح الشعر - كل ما وجدته صحيحاً من تلك النفاثس"<sup>(۲)</sup>.

(۱) جهد کردم که در چنین ترکیب بازجستم زنامه های زان نسخهای گه تازیست ودری وز دگر نسخها پراکنده هر ورق کاوفتاد در دستم چون از آن جمله در سواد قلم

باشد آرایشی ز نقش غریب که پراکنده بود گرد جهان در سواد بخاری و طبری هر دری در دفینی آکنده همه را در خریطه بستم گشته سر جمله ام گزیده بهم (نظامی: هفت پیکر، ص ۱۷)

(۲) چو میکردم این داستان بسیچ اثرهای آن شاه آفاق گرد سخنها که چون گنج آکنده بود زهر نسخه بر داشتم مایه ها زیادت ز تاریخهای نوی گزیده زهر مایه نغزو او زبان در زبان گنج پرداختم زهریک زبان هرکه آگه بود در آن پرده کز راستی یافتم

سخن راست رو بود وره پیچ پیچ ندیدم نگاریده در یک نورد بهر نسختی در پراکنده بود برو بستم از نظم پیرایه ها یهودی و نصرانی و بهاوی زهر پوست پرداختم مغز او از آن جمله سر جمله ساختم زبانش ز بیغاره کوته بود سخن را سرزلف برتافتم (نظامی: شرفنامه، ص ۶۹)

وهذا يدل على أن الشاعر قد استفاد من قرب كنجيه من البيئات غير المسلمة، فاطلع على ما عند أهلها، من علم ومعرفة.

ورغم أن ما أورده نظامى عن الإسكندر لا يتفق كله مع الحقيقة التاريخية، إلا أنه يدل على ما بذله الشاعر، من جهد وعناء، في الاطلاع والبحث، ومحاولة الإمام بكل شيء مهما كلفه ذلك من تعب ووقت، وانقطاع للدراسة والتحصيل. هذا بالإضافة إلا أنه كان ينظم قصة، تمتزج فيها الحقائق بالأساطير.

وأغلب الظن أن الإمام بهذه العلوم المختلفة التي انعكست صور منها في شعره، كان نتيجة لإتقانه اللغتين العربية والفارسية، فقد اجتهد المسلمون - في العصر العباسي - في أن ينقلوا كتب العلم، من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية مما جعل هذه اللغة ضرورية لطلاب العلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكان الشعراء والكتاب العرب منهم والفرس يَعْرِفُونَ - في ذلك العصر - اللسانين العربي والفارسي غالبًا، حتى سُمِّي كثير منهم "أصحاب اللسانين" مما يرجح إتقان نظامى للغتين معًا، وقد أثبتت اقتباسات الشاعر من القرآن والحديث والحكم والأمثال العربية، إحاطته الكاملة باللغة العربية، وهي التي هيأت له توسيع ثقافته، وجعلها مختلفة الألوان.

وندع هذا الحديث عن ثقافة نظامى، لنلم بأخلاقه ومذهبه في الحياة.

# الفصل الرابع

## أخلاق نظامى ومذهبه في الحياة

### ١- أخلاق نظامى:

كان نظامى - كما يبدو من شعره - ذا خلق قويم، ونفس نبيلة، متسامحة حتى مع أعدائه، الذين كانوا يحسدونه؛ فقد وجدناه يدعو لمن يحسده، فيقول: "ليكن لمن يحسد نظامى، نفسٌ بلا تأوه، وعين بلا دموع"<sup>(١)</sup>.

كما أن الشاعر لم يخرج في قصصه عن حدود الفضيلة، فصوّر - في منظوماته - الطهر والعفاف، ورعاية الفضيلة! مما جعل لها نغمة واحدة.

وكان في رثائه لزوجاته مثلاً للزوج المخلص المحب، الذي ينظر إلى زوجته نظرتة إلى الشريكة المخلصة، والمعشوقة الملهمة؛ فرغم أنه تزوج ثلاث مرات، إلا أنه لم يجمع بين زوجتين في وقت واحد، بل إنه كان من أنصار الاقتران بواحدة؛ وهو ينصح بذلك فيقول: "تكفيك زوجة واحدة فقط، لأن الرجل الذي له قرينات كثيرات، يعتبر وحيداً، إذ أنه يفقد حبهن"<sup>(٢)</sup>.

(١) كسى كوبر نظامى ميبرد رشك نفسى بى آه بيند ديدى بى اشك (نظامى: خسرو وشيرين، ص ٤٤٦)

(٢) يكى جفت ترابىس بود كه بسيار كس مرد بيكس بود (نظامى: إقبالنامه، ص ٥٩)

ويرى أن يفنى كل من الزوجين في حب الآخر. لأن هذا له أثر مفيد في الأبناء، فيقول: "لقد صار الزمان مختلف الألوان، لأن له سبعة آباء وأربع أمهات"<sup>(١)</sup>، فإذا أردت أن يكون لابنك لون واحد، فاتحد مع أمه في قلب واحد"<sup>(٢)</sup>.

وقد لاحظنا - في أثناء نصح نظامى لابنه - أنه كان يبدو في صورة الوالد المحب، الذي يمنح ابنه الحنان والعطف، وينصحه محاولاً أن يطرد عنه اليأس والحزن، ويخلق فيه المرح والأمل، ويغرس في قلبه الإيمان بالله والتوكل عليه، ويرسم له طريق السير في الحياة، ويلقنه درساً في الأخلاق الفاضلة، وفي كيفية معاملة الناس، ويشجعه على كسب رزقه بالعمل الشريف، وينصحه إذا عمل عملاً أن يتقنه، ويدعوه إلى الاعتصام بعزة النفس، والكرامة.

ولقد كان هذا صدى لما في نفس الشاعر من عزة نفس، نلمسها في قوله مهيباً بالإنسان أن يترك الذلة والتزلف: "إلى متى تتذلل مثل الثلج المذاب، ومثل الفأر الميت في الماء؟!..."<sup>(٣)</sup>.

ويدعوه إلى ترك خدمة الملوك فيقول: اترك خدمة الملوك، فالخدمة تذهب الكرامة، وتجنب صحبة الملوك كتجنب القطنه الجافة النار المحرقة، فإن البعيد عن تلك النار آمن، وإن تكن مملوءة بالنور"<sup>(٤)</sup>.

(١) يبدو أن الشاعر يقصد بقوله "سبعة آباء" الكواكب السبعة، ويقول "أربع أمهات" العناصر الأربعة.

(٢) از آن مختلف رنگ شد روزگار / چو يك رنگ خواهى كه باشد پسر  
كه دارد پدر هفت ومادر چهار / چو دل باش يك مادر ويك پدر  
(نظامى: إقبالنامه، ص ٥٩)

(٣) تاچند چويخ فسرده بودن / در آب چو موش مرده بودن  
(نظامى: ليلى ومجنون، ص ٥٢)

(٤) بگذار معاش پادشاهى / كآوارگى آورد سباهى  
از صحبت پادشه به پرهيز / چون پنبه خشك از آتش تيز  
زان آتش اگرچه پر نوراست / ايمن بود آن كسيكه دورست  
(المرجع السابق، ص ٥٤)

وهو لذلك يقرّر أنه لا يجيد خدمة الملوك فيقول: "لا أجيد خدمة الملوك، ولا أعرف السجود إلا لله"<sup>(١)</sup>.

وهكذا أثرت النشأة الدينية في أخلاق نظامي، فظل محافظاً على تدينه وأخلاقه الفاضلة بعد اتصاله بالولادة، فلم تغيرها الأحوال المختلفة؛ وقد لازمه الدين والحق طوال حياته، فأثر إلى حد كبير - فيما انتهجه من مذهب في الحياة.

## ٢- مذهب نظامي في الحياة:

إن الشيء الذي لاشك فيه، هو أن نظامي كان من الناحية الدينية سُنيّ المذهب، فهو يطب - في كل منظومة من منظوماته - في مدح الرسول والخلفاء الراشدين، فيقول مثلاً: "حينما أُكْمِل بناء الشرع من جوانبه الأربعة، صار منيعاً إلى الأبد"<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد هذا المعنى ويوضحه في قوله: "كان "الصدّيق" إماماً بصدقه، وقد جاوز قَدْرُ الفاروق "عمر" الفرقدين، وكان الشيخ الخجول التقي "عثمان" زميلاً لأسد الله "علي"، وقد كان الأربعة من معدن واحد، كريحان شرب من ماء واحد، فصار ملك الدين موطداً بفضل هؤلاء الخلفاء الأربعة، كالبيت الذي يُهيأ بأركانه الأربعة"<sup>(٣)</sup>.

(١) ندانم كرد خدمتهای شاهی مگر لختی سجود صحگاهی نظامی: خسرو وشیرین، ص ٢٤

(٢) بنابر چار دیوار ابدیست (المرجع السابق، ص ١١)

(٣) فاروق زفرق هم جدابود باشیر خدای بود همدرس ریحان یک آنخورد بودند خانه به چهار حد مهباست (نظامی: لیلی ومجنون، ص ١١)

(١) ندانم كرد خدمتهای شاهی

(٢) سراي شرع راجون چار حدیست

(٣) صدیق بصدیق پیشوابود وان پیر حیاتی خداترس هر چار زیك نورد بودند زین چار خلیفه ملك شد راست

ثم يقول: "ليس في تقواهم شك ولا ريب، وليس - في هؤلاء الأربعة - أحدٌ<sup>(١)</sup> معيباً"<sup>(٢)</sup>. ولا تكاد منظومة من منظومات الشاعر تخلو من مثل هذا المديح. وقد أثبت حبه للخلفاء الراشدين جميعاً، في قوله: "إذا كان قلبي عامراً بحب علي، فلست أخلو من حب عمر، كما أحبُّ أبا بكر وعثمان، فهما كالشمع والمصباح اللذين يضيئان طريق الشرع"<sup>(٣)</sup>. وما دام الشاعر سنياً، فمن الطبيعي أن يوافق الأشاعرة في تفكيرهم، وقد كانت سوقهم رائجة في عصره، فلعل الشاعر قد تأثر بهم، لأننا نجد يوافقهم في بعض المسائل المذهبية، ويخالف المعتزلة. فهو يوافق الأشاعرة في القول بإمكان رؤية الله بالعين المجردة، أي بعين الرأس، مع التنزيه عن الزمان والمكان؛ وهو - في وصف المعراج - يميل إلى أن الرسول

(١) حاول بعض غلاة الشيعة أن يتخذوا من هذا البيت دليلاً على تشيع نظامى. وقد قال دستغردى في مقدمة كنجينه كنجوى، ص لـ "إن هذا البيت إذا كان من نظم الشاعر فإنه يثبت تشيعه لأنه ترجمة للعبارة التي وردت في محاضرات الراغب الإصفهاني، وهي: "مر ابن المعدل بقوم فسلم عليهم، فلم يجيبوه، فقال لهم لعلكم تظنون ما يقال في من الرفض. إن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً من نقص واحداً منهم فهو كافر وامرأته طالق. قال بعض من كانوا معه من شيعته: ويحك ما هذه اليمين؟!.. قال: أردت بقولي من نقص واحداً منهم علي بن أبي طالب وحده" وهم يعتبرون مقصود الشاعر هنا يشبه مقصود ابن المعدل وهو أن علياً فقط هو النبي الذي لا شك في تقواه. وحاول دستغردى أن يجد مخرجاً من هذا المأزق. فرجح أن البيت ليس من نظم الشاعر وقال إنه غير موجود في النسخ القديمة.

وأرى أن مقصود الشاعر واضح لا لبس فيه، فهو يمدح الخلفاء الأربعة دون تمييز أو ترجيح، ويؤكد أنهم جميعاً تقاة لا شك في تقواهم، وأنهم جميعاً منزهون عن العيوب، ولكن يبدو أن الشيعة قد حاولوا أن يتخذوا هذا البيت دليلاً على تشيع نظامى. وقد ظهرت هذه المحاولة حتى في الكتب المتأخرة مثل: الذريعة إلى تصانيف الشيعة لأفابزرگ الطهراني، ص ٢٥٦.

(٢) در پاکیشان نه شك نه ریبی  
زین چهار یکی نداشت عیبی  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ١١)

(٣) بمهر علی گرچه محکم پیم  
همیدون در این مغز روشن دماغ  
ز عشق عمر نیز خالی نیم  
أبو بكر شمعت عثمان چراغ  
(نظامی: شرفنامه، ص ٢٤-٢٥)



قد رأى الله بعين الظاهر، فيقول: "إِنَّ القول المستحسن هو أن الرسول رأى الله منزهاً عن الصورة والمكان، لأن الله يُرَى، فيجب ألا تُحْجَب رؤيته عن العين، وقد عَمِيَ من لم يقل بالرؤية. وقد رآه النبي بعين الرأس لا بعين القلب؛ ولكن الرؤية - في تلك الليلة - كانت منزهة عن الزمان والمكان، فكل من شاهد قد وجد طريقاً من جهة ليست مكانية"<sup>(١)</sup>.

وهو يكرر هذا المعنى، مؤكداً أن الرسول رأى الله، وسمع كلامه، فيقول: "كان الله - في وقت الرؤية - منزهاً عن المكان، فقد نصب العرش في مكان خاص، بعيداً عن الكونين، ودنا الرسول فكان قاب قوسين، فكان يرى حضرة ذي الجلال، ويدرك سر كلام الحق"<sup>(٢)</sup>.

وقد وافق نظامي الأشاعرة في قولهم بأن الإنسان مجبور في كل أعماله؛ من خير وشر، فلا اختيار له فيما يفعل، فقال: "إني أعيش في هذه الدنيا، ويدي ممسكة بقبضة الفلك"<sup>(٣)</sup>.

وقرر أنه سوءاً كان خيراً أم شريراً، فإن ذلك قضاء عليه لا اختيار له فيه؛ فقال: "لقد عَجَنْتُ طينتي - التي أوجدتها من التراب - بالطيب والخبيث، فإذا كانت نفسي خيرة أو

(١) مطلق از آنجا که پندید نیست دیدنش از دیده نباید نهفت بلکه بدین چشم سر این چشم سر رفتن از راه زمانی نبود هرکه در آن پرده نظر گاه یافت (نظامی: مخزن الأسرار، ص ۲۰)

(٢) بازار جهت بهم شکستی خرگاه برون زدی کونین هم حضرت ذو الجلال دیدی (نظامی: لیلی و مجنون، ص ۱۵)

(٣) پای فرورفته بدین خاک در یافلکم دست بفتراک در (نظامی: مخزن الأسرار، ص ۳۲)

شريرة، فإن قضاءك هو الذي كتب هذا عليّ"<sup>(١)</sup>. وردّ هذه النعمات في مواضع كثيرة من منظوماته.

وقد لاحظنا أن نشأة الشاعر الدينية جعلته يؤثر العزلة، ويتخذ الاعتكاف - للتفكير والعبادة - مذهباً له في الحياة، مُقلِّداً - في ذلك - المتصوفة، وأنه أكثر من الاعتكاف حتى ظن الكثيرون<sup>(٢)</sup> أن الشاعر عاش طيلة حياته في عزلة وانزواء، فلم يحاول الاتصال بحكام عصره، أو التردد على بلاطهم مادحاً، منزلقاً، طامعاً في العطاء؛ بل لقد بالغوا في وصف عزلته إلى درجة أنهم رَووا أن الحكام التمسوا القرب منه للتبرك به والتشرف بالوجود في حضرته. وهم - في ذلك - يشبهونه بشيوخ الصوفية<sup>(٣)</sup>.

(١) سرشت مرا كافریدی ز خاک سرشته تو کردی باپاک ویاک  
اگر نیکم وگر بدم در سرشت قضای تو این نقشه در من نبشت  
(نظامی: شرفنامه، ص ١٢)

(٢) دولتشاه: تذكرة الشعراء، ص ١٢٨؛ القزويني: آثار البلاد، ص ٣٨٥؛ جامي: نفحات الأُنس، ص ٥٤٧، واله داعستاني: رياض الشعراء. ص ٨٤٠؛ راضي تبريزي: زينة التواريخ (الورقة التي قبل الأخيرة)؛ عليشير نوائي: مجلس النفائس، ص ٣٥٢؛ عبد النبي قزويني. ميحانه، ص ١٠؛ ميرتقي كاشي: خلاصة الأفكار، ١٤٦؛ أمين رازي: هفت إقليم (الإقليم السابع).

(٣) يروي دولتشاه في تذكرة الشعراء، ص ١٢٨-١٢٩. أن الأتابك قزل أرسلان زار نظامي ليمتحنه، فعرف الشاعر ذلك، فأظهر له كرامة من عالم الغيب، فرآه يجلس على عرش مرصع بالجواهر. وقد أحاط به مائة ألف من الخدم والجنود والغلمان والحجاب والندماء، فبهت الأتابك، وتقدم لتقبيل قدم الشيخ، وحينذاك خرج نظامي من عالم الغيب إلى عالم الشهادة؛ فرأى الأتابك شيخاً مسنناً يجلس على باب غار، وأمامه مصحف، ودواة، وقلم، ومسبحة، وعصا، وبضع أوراق؛ فقبل الأتابك يده بتواضع، وصار يعتقد فيه اعتقاداً كبيراً منذ ذلك الوقت. وقد روى هذه القصة - أيضاً - لودي في مرآة الخيال، ص ٣٤-٣٥. وأغا علي أحمد علي في هفت آسمان، ص ٢٧؛ ولطفعلي بيك في آتشكده، ٢٤٢، ومير حسين سنهيلي في تذكرته، ص ٣٤٣.

وقد شاعت بين المستشرقين فكرة أن نظامي شاعر صوفي كما يبدو من مقالة لفكفسيكي التي كتبها عن "مخزن الأسرار" ضمن "عدة مقالات حول نظامي" باللغة الروسية، ص ٩٥. نقلاً عن كريمسكي في كتابه "تاريخ آداب إيران وفلسفة الدراويش".

أما القصة التي سبق ذكرها فقد اعتدنا أن نسمع أمثالها حول الأشخاص الذين يمتازون بصفات بارزة، من حرية وعقلية ودينية. فهؤلاء الأبطال كل في ناحيته، يكونون مجالاً خصباً لأن تروى حولهم مثل هذه القصص التي تبالغ في تجسيم ما عندهم من تلك الصفات البارزة، وهي قصص يلعب الخيال فيها دوراً كبيراً.

أما نزوع الشاعر إلى الزهد والاعتكاف، فقد فَسَّرْتُهُ لنا نشأته الدينية التي تحدثنا عنها، في عصر كله حروب ومنازعات تُحِبُّبُ الناس في الاعتكاف؛ ولا يعني هذا أن الشاعر كان صوفيًّا.

ونحن نرجح أن نظامي لم يكن صوفيًّا، بل كان ميَّالاً إلى الحلوة والتعبد، فلم يكن مقيداً بما يتقيد به الصوفية - عادة - من اجتماع، وخرقة، وغناء. كما نرجح أن هذا الميل قد فرضته عليه الظروف التي أحاطت به، فما كان الشاعر ليمانع في الاتصال بالحكام وأعوانهم لو أن أحداً قربه إليه، بل إنه كشاعر، كان يتمنى ذلك حتى يذيع شعره، وينشر ذكره بتلك الوسيلة التي لم يكن أمام الشعراء غيرها.

ونحن نحس من مدح الشاعر للولاء والحكام أنه حاول ذلك، فقدم لهم منظوماته، وأسرف في مدحهم، ولكنهم لم يلتفتوا إليه؛ ولم يفكر أغلبهم في دعوته، لانشغالهم عنه بالحروب والمنازعات. والشاعر يقرر أنه لم يجد من يقدره، فيقول: "إنني أعيش في ظلام دامس دون مصباح يُضيء لي الطريق، كبلبل لا يجد حديقة يأوي إليها، رغم أني مزجتُ دم كبدي بالكلام، فأجَّجتُ نار الشعر بدم الكبد"<sup>(١)</sup>.

وهو يدعو نفسه إلى السكوت لأن الدنيا لا تسمع، فيقول: "اسكت يا نظامي واختم هذه المقالة، فماذا تقول لدنيا تضع القطن في الأذن"<sup>(٢)</sup>.

(١) من يچنین شب که چراغی نداشت  
خون جگر با سخن آمیختم  
بلبل آن روضه که باغی نداشت  
آتش از آب جگر انگیختم  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ٤٨)

(٢) نظامی بس کن این گفتار خاموش  
چه گوئی باجهان پنبه در گوش  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ٤٢٩)

ویبدو أنه كان يرسل مدائح إلى الولاة، فهو حينما يمدح بهرامشاه يُبَيِّن أن هذا ليس أول مديح فيقول: "لقد كان قصدي أن أجِدَّ - في هذين الشهرين - العهد بخدمة الملك"<sup>(۱)</sup>. كما يبدو أن الشاعر كان يظهر عدم رغبته في الذهاب إلى حضرة الولاة، إذا لم يدع، أما إذا دُعِيَ، فإنه كان يلبي فرحاً مسروراً، ويكفي أن نصوّر فرحه حين دعاه قزل أرسلان، فإنه لم يتباطأ لحظة واحدة، ولم يتعلل بحبه للعزلة، بل غمرته موجة من الفرح عبّر عنها في قوله: "فَقَزْتُ من مكاني لأذهب إلى خدمة الملك، وسُقْتُ الدابة في الصحراء مسرعاً، وطفقت أرقص في الجبال والصحارى، وكنتُ أسابق الحمر الوحشية في العدو، وأسبق الطير في الطيران، ولم أشبع من الرقص طول الطريق، وكانت الدابة التي تحتي أكثر مني رقصاً، وقد قطعْتُ الطريق ساجداً لله شاكرًا، وكنت أمضي كالفرجار، أدور حول الطريق، فكنت أسمع الدعاء للملك في كل منزل نزلت فيه، وفي كل مرحلة قطعتها، وكنت أنا أدعوله - في كل مرحلة - دعاءً جديدًا، كما كنت أشكره بالقرب من كل عين شربتُ منها ماءً جديدًا، وكان نسيم الدولة يأتي من كل جبل ونهر لتحيتي، بفضل لطف الملك. وكانت رائحة عدله، تفوح مسكية من كل شبر وطئته قدماي، فلما أرحتُ نفسي من عناء السفر، قبلت الأرض بين يدي الملك"<sup>(۲)</sup>.

تازه كنم عهد زمين بوس شاه  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۳۸)

در آوردم بپشت بارگی پای  
گرفته رقص درکوه و بیانان  
گرو بردم ز سرغان در پریدن  
زمن رقص تر مرکب بزیرم  
بتارک راه میرفتم چو پرکار  
دعای دولت شه میشنیدم  
بشکرشه دعائی تازه کردم  
زلطف شاه میدادم درودی  
زمین در زیر من چون عنبر خام  
زمین بوس بساط شاه کردم  
(نظامی: خسرو و شیرین، ص ۴۵۰-۴۵۱)

(۱) بود بسیجم که در این یکدو ماه

(۲) بعزمت خدمت شه جستم از جای  
برون راندم سوی صحرا شتابان  
ز کوران تک ربودم در دویدن  
ز رقص ره نمیشد طبع سیرم  
همه ره سجده میبردم قلم وار  
بهر منزل کز آن ره میبریدم  
بهر چشمی که آبی تازه خوردم  
نسیم دولت از هرکوه وردی  
زمشگین بوی آن حضرت بهرگام  
چو بر خود رنج ره کوتاه کردم

وهكذا نجد أن الشاعر وإن كان قد عاش في عزلة وانزواء، وأظهر ميله إلى الاعتكاف، وتمجيده له، وأكثر من الحديث عن عزلته، في صورة توحى بأنه قد اتخذ العزلة مذهباً له في الحياة، إلا أنه لم يكن عازقاً عن الاتصال بالحكام، غير أن عدم دعوة أغلبهم له هي التي حالت دون خروجه من گنجہ، وخلقت في نفسه هذا الميل إلى الانزواء، وهذا التمجيد له، كما أوجدت كثرة الحديث عن الظلم وعدم التقدير.

ومما يرجح أن الشاعر كان يتصل بالولاة ورعاياهم؛ أنه نفسه قرر أنه اختار قصة "خسرو وشيرين" لتروج بين الناس، لتحوز إعجاب الولاة، لأنها من الموضوعات المحببة إلى نفوس الناس جميعاً، فانتشارها يؤدي إلى ذبوع شهرته والوصول باسمه إلى درجة الخلود التي كان ينشدها. ولذلك قال الشاعر في تبرير نظمه لهذه القصة: "لماذا أتعب نفسي في قصة العشق، وعندي كنز كمخزن الأسرار؟! لأنه ليس هناك فرد في العالم اليوم لا يميل إلى مثل هذه القصص"<sup>(١)</sup>.

فالواقع أن الظروف هي التي شجعت نظامي على العزلة، أما الشاعر نفسه فلم يكن عازقاً عن الناس، أو عن الاتصال بالحكام. ونختتم تعريفنا بالشاعر، بذكر ما يتعلق بوفاته ومدفنه.

(١) مرا چون مخزن الأسرار گنجی چه باید در هوس پیمود رنجی  
ولیکن در جهان امروز کس نیست  
که اورا در هوس نامه هوس نیست  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ٣٢)



# الفصل الخامس

## وفاة نظامى ومدفنه

أرجح أن نظامى توفي في عام ٦٠٨هـ<sup>(١)</sup>. فقد كان - فيما يبدو - حيًّا في عام ٦٠٧هـ، حينما قدّم "خردنامه وإقبالنامه" للقاهر عز الدين مسعود، حاكم الموصل، الذي ولي أمرها في ذلك العام<sup>(٢)</sup>.

وقد أطنب الشاعر في مدح هذا الحاكم، وبَيَّن أنه حاكم الموصل، فقال: "إنه حاكم الموصل بالحكمة والروية، وهو ملك الملوك بالرجولة"<sup>(٣)</sup>.

(١) سبقت الإشارة إلى اختلاف المراجع في تحديد تاريخ وفاة نظامى اختلافًا كبيرًا، يربو على الثلاثين عامًا، يمكن حصره في المدة ما بين ٥٧٦هـ و٦١١هـ.

وقد ناقشت هذه المسألة في أثناء محاولة تحديد تاريخ ولادة الشاعر، وسنرى أن الدلائل الموجودة في شعر نظامى ترجح أنه توفي بعد عام ٦٠٧هـ، وأن أغلب التواريخ التي ذكرت ليس صحيحًا.

(٢) يذكر الحافظ أبو عبد الله الذهبي، في تاريخ الإسلام الذهبي، ص ٨٤، وأبو الفداء، في تاريخه، ص ١١٩، وابن الوردي، في تاريخه، ص ١٢٨، وابن العماد الحنبلي، في شذرات الذهب، ج ٥، ص ٢٤. أن القاهر عز الدين مسعود قد خلف أباه أرسلان شاه - الذي توفي في عام ٦٠٧هـ - في حكم الموصل وأنه كان في السادسة عشرة من عمره. ويضيف ابن العماد الحنبلي أن القاهر كان مشهورًا بالملاحة والعدل والسماحة. ويذكر ابن يوسف شيرازي في فهرست كتابخانه مدرسة عالي سپهسالار، جلد دوم، ص ٥٣٠. أن وزيره عماد خوي كان يعرف بنظام الملك الثاني.

(٣) طرف دار موصل بفرزانگی قدر خان شاهان بمردانگی (نظامى: إقبالنامه، ص ٣٠)

وقد صرح الشاعر باسمه، ووصفه بالغلبة والبطولة، فقال: "إنه قائد الأبطال والغزاة، الملك عز الدين القاهر، ذو العرش والتاج، إن شعاره في الدولة كشعار طغرل تكين، وهو أبو الفتح مسعود بن نور الدين"<sup>(١)</sup>.

وقد ورد هذا المديح في أكثر من نسخة خطية قديمة<sup>(٢)</sup>. مما يُرجَّح أنه من نظم الشاعر، وأن الممدوح هو حاكم الموصل، القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان.

ومما يؤيد ذلك أن الشاعر مدح وزيره عماد الدين خوئي، وبيَّن أنه - في حسن تدبيره - أفضل من نظام الملك، وزير ملكشاه السلجوقي المشهور، فقال: "إنه وزير أحسن - في التدبير - من نظام الملك، وقد اشتهر بلقب (كفى الكفاة) ولما كان الملك مساوياً في العظمة لملكشاه، فإنه يجب أن يكون نظام الملك الثاني وزيراً له"<sup>(٣)</sup>.

(١) سر سرفرازان وگردنكشان ملك عز دين قاهر شاه نشان بطغراى دولت چو طغرل تكين ابو الفتح مسعود بن نوردين ورد هذا المدح في مخطوطة Add. 276, B كما ذكر ريو، في فهرست المخطوطات الفارسية بالمتحف البريطاني، ج٢، ص٥٦٨.

(٢) نفس المرجع والصفحة فقد وردت الأبيات في مخطوطة Add. 16780. Foll. 214 ومخطوطة Add. 46613. Foll. 267. B.

(٣) وزيرى بتدبير بيش از نظام چوشه چون ملكشه بود دستگير با كفى الكفاة بى آورده نام نظام دوم بايد اورا وزير (نظامى: إقبالنامه، ص٢٨٢)



وقد أشار نظامي إلى موت نور الدين أرسلان والد هذا الحاكم، فقال: "مادام الملك أرسلان<sup>(١)</sup> قد توفي، وتوسد التراب، فإنه لا يمكنني نَظْمُ الشعر؛ اللهمَّ إلا إذا ساعدتني دولة الملك، فأوحت إليّ بقول جديد"<sup>(٢)</sup>.

فهذه القرائن ترجح أن الشاعر توفي بعد عام ٦٠٧هـ.

أما الأبيات المنتحلة التي وردت في آخر "إقبالنامه"، والتي تفيد أن الشاعر توفي بعد إتمامه نظم قصة الإسكندر، وأنه كان - في ذلك الوقت - يزيد ستة أشهر على ثلاثة وستين عامًا، كما مرّ، فيبدو أنها تدل على عمر الشاعر حينما أتم القسم الأخير من "إسكندرنامه"، أي أنه أتم هذا القسم في عام ٦٠٣هـ.

ومما يساعدنا على ترجيح أن "إسكندرنامه" تمت بعد عام ٦٠٠هـ، أن الشاعر وصف زلزالاً حدث في ذلك العام وشمل مصر، والشام، والجزيرة، والروم، وصقلية، وقبرص، والعراق. كما ذكر ابن الوردي<sup>(٣)</sup>، ويبدو أنه شمل گنججه التي كانت الزلازل تحدث فيها من وقت لآخر.

وقد صوّر الشاعر هذا الزلزال في صورة تشبه ما ذكره ابن الوردي فقال: "لقد مرّ ق ذلك الزلزال السماء، فطمست المدن تحت الأرض، وقد وقع في الجبل والصحراء بدرجة

(١) ظن داراب في مقدمة ترجمته "المخزن الأسرار" إلى الإنجليزية، ص ٥٦ أن المقصود من أرسلان شاه هو قزل أرسلان الذي توفي في عام ٥٨٧هـ، وتعجب من رثاء الشاعر له بعد مضي وقت طويل ورجح أن الأبيات نظمت في تاريخ سابق وأن المنظومة قدمت لنصرة الدين أبي بكر أتابك آذربيجان، لا لعز الدين مسعود، ولكن الأبيات صريحة في أن المقصود هو نور الدين أرسلان أبو عز الدين مسعود، أتابك الموصل، الذي ذكر اسمه قبل ذلك.

(٢) جوشاه أرسلان رفت ودرخاک خفت سخن چون توان در چنین حال کفت  
مکر دولت شه کند یاری در آرد بمن تازہ گفتاری  
(نظامی: إقبالنامه، ص ١٢)

(٣) ابن الوردي: تاريخه، ص ١٢٢.

جعلت الغبار يتجاوز عنان السماء، فصارت الأرض مضطربة مثل السماء، تتأرجح من لعب الدهر"<sup>(۱)</sup>.

وبعد أن صور الشاعر البلاد التي شملها الزلزال صور شدته في كنجته في قوله: "لم يصدر عن جماعات النساء والرجال. والشبان، والشيب - بسبب هذا الزلزال - إلا صوت نغير الموت"<sup>(۲)</sup>.

ويبدو أن الزلزال حدث في أثناء نظم القصة، وكان شديدًا إلى درجة أثرت في الشاعر، وجعلته يُثبِّتُه في ثنايا المنظومة. وبديهي أن وصف الزلزال كان بعد وقوعه، في عام ۶۰۰ هـ.

وعلى هذا لا يبدو بعيدًا أن "إسكندرنامه" تمت في عام ۶۰۳ هـ. غير أنه نظرًا لاضطراب الأحوال، لم يستطع الشاعر تقديم باقي القصة لنصرة الدين أبي بكر، أتاك أذربيجان في ذلك الوقت، كما قدّم القسم الأول منها، فانتظر حتى تسنح الفرص.

وقد سنحت له فرصة - في عام ۶۰۷ هـ - حينما تولى القاهر عز الدين مسعود أمر الموصل، فوَلَّى وجهه شطر الموصل لعله يجد في الحاكم الجديد نصيرًا ومشجعًا، فقدم المنظومة له، وأرسلها مع ابنه الشاب، الذي توفي بعد ذلك بقليل.

أما المدة التي تقع بين ۶۰۳ هـ و ۶۰۷ هـ، فقد عميت فيها أبناء الشاعر، لكبر سنه، وضعفه، وانزوائه.

(۱) از ان زلزله کآسمان را درید چنان لرزه افتاه درکوه ودشت زمین گشت چون آسمار بی قرار شد آن شهرها بر زمین ناپدید که کرد از گریبان گردون گذشت معلق زن از یبازی روزگار (نظامی: اقبالنامه، ص ۳۲)

(۲) ز چندان زن ومرد وبرنا وپیر برون نامد آوازه جز نغیر (نظامی: اقبالنامه، ص ۳۳)

وقد ورد أن الشاعر عاش خمس سنوات بعد إتمامه قصة الإسكندر<sup>(١)</sup> في عام ٦٠٣هـ؛ مما يرجح أنه توفي في عام ٦٠٨هـ، أي بعد أن أدرك حكم القاهر عز الدين مسعود، حاكم الموصل.

ولعل موت ابنه في وقت كان هو فيه شيخًا محطّمًا قد أثر في الشاعر، فتوفي بعده بقليل، في نفس العام.

ومهما يكن من شيء؛ فإن نظامي لم يميت قبل عام ٦٠٨هـ، أي أنه توفي في التاسعة والستين من عمره.

أما الحديث عن الموت والاستعداد للرحيل بعد إتمام "إسكندرنامه" - الذي كان سببًا فيما نجده من اختلافات؛ في تحديد وفاة الشاعر، وولادته، ومدة عمره - فلعله كان صدى لكبر سنّ الشاعر، وضعف جسمه، وقد كثره في مناسبات كثيرة، كان فيها أقل هرمًا وأصغر سنًا، فكان يقول إن جسمه قد ضعف، وأصبح في حاجة إلى الراحة التي يقصد بها الموت<sup>(٢)</sup>.

(١) خواندامير: حبيب السير، حاشية، ص ١١٢ نقلًا عن صبح صادق، وقد سبق ذكره.

(٢) تحدث الشاعر عن الموت، ورغبته فيه، في "ليلي ومجنون" ص ٧-٨، و"هفت بيكر"، ص ٤-٥، و"شرفنامه"، ص ٣٢-٣٨.

وقد توفي نظامى في كنجه ودفن بها، وكانت له مقبرة ظلت قائمة بضع سنوات بعد إلحاق كنجه بروسيا<sup>(١)</sup>، ثم تهدمت؛ وتم بناؤها مرة أخرى في عام ١٩٤٠م، في نفس المكان الذي كانت فيه المقبرة القديمة، أي بالقرب من مدينة كنجه القديمة، ثم دُفنت فيها عظام الشاعر بصفة نهائية<sup>(٢)</sup>.

والآن وقد لمسنا ما في عصر نظامى من تيارات موجهة، وما في بيئته من عوامل مؤثرة، وعرفنا به، على ضوء هذه المؤثرات، نستطيع أن ندرس شعره، الذي كان ثمرة لهذه الأشياء جميعها، فقد انعكست فيه أضواؤها. فكان تعبيراً عنها.

وقد خصصنا لذلك الكتاب الثاني من هذا البحث، حيث ندرس شعر الشاعر دراسة نقدية مقارنة، ومحاولين أن نجسم منزلة نظامى بين شعراء الفارسية، وأن نبرز مزايا فنه الشعري.

(١) ممن رأوا مقبرة نظامى رأي العين حاج فرهاد ميرزاي معتمد الدولة، كما يذكر في كتابه "هداية السبيل"، ص ٢٠. وكان سفره في عام ١٢٩٢هـ-١٨٨٣م، وقد خربت المقبرة بعد ذلك بالتدريج حتى أصبحت في صورة كومة من التراب، وكانت قرب مدينة كنجه القديمة، وعلى بعد فرسخ من كنجه الحالية، وقد نشر بارتولد مقالاً بالروسية تحت عنوان "قبر نظامى" ونشر معه صورتين لبقايا المقبرة، كما أشار إليها إسكندر منشى تركمانى، في تاريخه "عالم آراي عباسى"، ص ٤٩٨ وما بعدها، على أنها بقرب كنجه. وقد ورد في كتاب "سفرنامه ناصر الدين شاه قاجار" أنها قرب اليزابيتبول وهو الاسم الذي سميت به كنجه بعد انضمامها إلى روسيا، كما ذكر أنها كانت خربة جداً في عام ١٨٧٣م، وهذا يشبه ما ذكره باكيخانوف، في "گلستان إرم" بالروسية، ص ١٦٥. وقد أعطى شبلينكن، في كتابه "آثار الفن المعماري في عهد نظامى"، بالروسية، ص ٤٩-٥٠. وصفاً لهذه المقبرة وما تم فيها من ترميمات إلى أن تهدمت نهائياً.

وفي عام ١٩٢٣م تكونت هيئة من علماء كنجه عرفت باسم "جماعة نظامى". وقد استطاع أعضاؤها - بعد الحفر والتنقيب - أن يخرجوا ما بقي من عظام الشاعر، ثم أعادوا دفنه في مدينة كيروفاباد في قبر تحوطه حديقة، وهذه المدينة تبعد فرسخين عن كنجه القديمة، كما يبدو مما ذكره دستگردي، في مقدمة كنجينه كنجوي، ص ١٠٠. نقلاً عن مقالة ترجمها خلخالى، عن جريدة "ينگي فكر" التركية عددي ٢٥٦-٢٥٧ لسنة ١٩٢٣م. وظلت عظام الشاعر في هذه المقبرة إلى أن تم بناء مقبرته الجديدة، فنقلت إليها. ونشر دستگردي صورة للمقبرة الجديدة في مقدمة كنجينه كنجوي، ص ١٠٠. وقد كتب عليها بالتركية:

Segh Nisami Gencali, Ilyes Yusuf Oglu "Nisamaddin" T. Tev. 535 vel. 599.

وترجمة هذه العبارة "الشيخ نظامى الكنجوي إلياس بن يوسف (نظام الدين) ولادته ٥٣٥هـ، وفاته ٥٩٩هـ، وقد ضبطت تاريخي ولادته ووفاته فيما سبق، وناقشت الأقوال المختلفة التي وردت فيها.

(٢) كتاب جمعية آذربيجان القديمة (بالروسية)، مقالة سيسيوف، ص ١-٢٧.

# الكتاب الثاني

## شعر نظامي

١- منظومة مخزن الأسرار

٢- منظومة خسرو وشيرين

٣- منظومة ليلى ومجنون

٤- منظومة هفت بيكر

٥- منظومة إسكندرنامه

٦- ديوان نظامي

٧- فن نظامي



## تمهيد

خَلَّف نظامى خمس منظومات، يقرب مجموع أبياتها من ثلاثين ألف بيت من الشعر، ألا وهي: "مخزن الأسرار" و"خسرو وشيرين" و"ليل ومجنون" و"هفت بيكر" و"إسكندرنامه". كما خَلَّف ديوان شعر بقي منه ألفا بيت تقريباً<sup>(١)</sup>.

وقد نظم الشاعر منظوماته الخمس بطريقة المثنوي، مما يجعل من الضروري التعريف بهذا الفن، قبل دراسة المنظومات نفسها.

### ١- فن المثنوي:

يُعتبر فن "المثنوي" من الفنون التي اخترعها العجم، وقد أخذه العرب عنهم وسموه "المزدوج" كما أخذوا فن "الرُّباعي" الذي يُسمَّى "الدُّوبيت"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) لم تحفظ النسخ الخطية الموجودة من ديوان نظامى أكثر من ألفي بيت، بينما يقول دولتشاه في تذكرة الشعراء، ص ١٢٩. إنه كان يبلغ عشرين ألف بيت.

(٢) مولوي أغا علي أحمد علي: هفت آسمان، ص ٤، نقلاً عن صاحب الميزان الوافي.

وقد عرّف "المثنوي" بأنه الشعر الذي يُبنى على أبيات مستقلة مُقفّاة، وسُمّي المثنوي لأنه تلزم قافيتان لكل بيت<sup>(١)</sup>؛ أي أنه الشعر الذي يُقفّى فيه مصراعاً كل بيت، ويكون البيت مستقلاً - من حيث القافية - عن البيت الذي يسبقه أو يليه.

وقد أكثر شعراء الفارسية من نظم "المثنوي" في سبعة أوزان: اثنين من الهزج، واثنين من الرمل المسدس، وواحد من السريع، وواحد من الخفيف المسدس، وواحد من المتقارب المثنى<sup>(٢)</sup>؛ ولم ينظموا "المثنوي" في الأبحر الكبيرة مثل الرجز التام، والهزج التام، وأمثالهما<sup>(٣)</sup>.

وقد اختار الفرس هذا الفن لنظم المنظومات الحماسية والغنائية، ويبدو أنهم فعلوا ذلك ليفروا من قيود القافية الموحدة، في منظومات طويلة قد تصل إلى آلاف الأبيات، مما يجعل وجود قافية موحّدة شيئاً يكاد يكون مستحيلاً. فالشاعر الذي ينظم بطريقة "المثنوي" حر غير مقيد بوحدة القافية، لأن كل بيت يعتبر قائماً بذاته، من حيث القافية.

وقد سبّب هذا سهولة ويسراً؛ فأصبح هذا الفن يصلح لوصف مناظر الطبيعة، وتصوير الإحساسات المتنوعة، كما يصلح لكتابة القصص والوقائع التاريخية، وتصوير جوانب الحياة من فردية واجتماعية، لأن الشاعر لا يكون مقيداً بعدد معين من الأبيات تفرضه عليه القافية الموحدة، بل يكون حراً طليقاً ينظم أي عدد من الأبيات يشاء؛ وهكذا

(١) هذا تعريف شمس الدين محمد بن قيس الرازي في كتابه المعجم في معايير أشعار العجم، ص ٣٠٨. وهو يتفق مع التعريفات التي وردت في غيره من الكتب ونضرب مثلاً بما نقله مولوي آغا علي، في هفت آسمان، ص ٤. عن صاحب الميزان الوافي الذي يقول: "إن المثنوي عند العجم هو الأبيات التي تتفق في الوزن، ويوافق كل مصراع منها المصراع الآخر، المحاذي له، في القافية"، كما نقل تعريف صاحب "بدائع الأفكار" وهو "المثنوي في اللغة أن يقولوا شيئاً يكون منسوباً إلى اثنين اثنين، وفي الاصطلاح الشعري أن يكون كل مصراع منه مستلزماً قافية وبذلك تكون لكل بيت قافيتان، ويسمونه - أيضاً - المزدوج".

(٢) مولوي آغا علي: هفت آسمان، ص ٥. نقلاً عن صاحب الميزان الوافي، وعن مجمع الصنائع، وهفت قلم، ودریای لطافت، ومخزن الفوائد.

(٣) مولوي آغا علي: هفت آسمان، ص ٥. نقلاً عن صاحب كشف الاصطلاحات.



وجدنا المثنويات المطوّلة التي بلغ عدد الواحدة منها آلافًا من الأبيات، فصارت المنظومة أشبه شيء بالكتاب العلمي حسن التأليف.

ويمكن تقسيم المثنويات إلى الأقسام التالية:

١. الحماسية أو التاريخية، مثل "شاهنامه" للفردوسي، و"إسكندرنامه" لنظامي.
٢. الغرامية، مثل "خسرو وشيرين" لنظامي.
٣. القصصية، مثل "هفت بيكر" لنظامي؛ و"هشت بهشت" لأمير خسرو الدهلوي.
٤. الأخلاقية، مثل "حديقة الحقائق" لسنائي؛ و"مخزن الأسرار" لنظامي.
٥. التصوفية الفلسفية، مثل "مثنوي مولانا جلال الدين الرومي"؛ و"جام جم" لأوحد الميراجي<sup>(٤)</sup>.
٦. وقد اشتهر كل بحر من الأبحر التي نُظِمَ فيها "المثنوي" بصلاحيته لبعض الموضوعات.

فبحر الهزج مناسب لإظهار الألفة والمعاشقة، وقد نُظِمَتْ منظومتا "خسرو وشيرين" و"ليلي ومجنون" لنظامي في هذا البحر، لأن فيه سببين ووتدًا، فهو يعطي شيئًا من اللحن، مما جعل الأهازيج من أمّ ملح الغناء<sup>(٥)</sup>.

وبحر المتقارب يصلح للموضوعات الحماسية، بسبب تقارب أوتاده وأسبابه مما جعل نغماته تشبه صوت الشجعان ودق الطبول، ورنين الأسنة، وهو لذلك مناسب لتحريك أعصاب الجنود.

(٤) شبلي نعماني: شعر العجم، ج٤، ص١٧٥.

(٥) تربيت: مقالته عن "مثنوي ومثنوي گویان"، مجلة مهر، سال پنجم، مردادماه ١٣١٦، ص٢٢٧.

وبجر الرمل يلائم حالات الفرح والحزن<sup>(١)</sup>، بينما يصلح بحر الخفيف لحالات الرقص والحركات الخفيفة؛ بسبب قصر مقاطعه<sup>(٢)</sup>.

أما بحر السريع فيناسب وصف الإحساسات القلبية<sup>(٣)</sup>؛ وذلك بسبب كثرة أسبابه، وقلة أوتاده، مما يعطي سرعة وسهولة لنغمة الأبيات<sup>(٤)</sup>.

وقد نُظِمَت مثنويات عديدة قبل منظومات نظامى. نذكر منها "وامق وعذراء" للعنصري، و"شاهنامه" و"يوسف وزليخا" للفردوسي، و"يس ورامين" لفخر الدين الكرگاني، و"حديقة الحقائق" لسنائي، و"مصباح رشيدى" لرشيد الدين الطواط، و"تحفة العرقين" للخاقاني.

ثم جاء نظامى فنظم خمسته التي سبق ذكرها، وهي تسمى أحياناً "الكنوز الخمسة"<sup>(٥)</sup>.

وقد وُصِفَ نظامى بأنه إمام فن المثنوي، لأنه قُلِّدَ كثيراً، كما قيل: إن الصنعة والإحكام والدقة في الفن القصصي قد انتهت إليه<sup>(٦)</sup>؛ غير أننا لا نستطيع أن نتبين مكانة الشاعر بين شعراء هذا الفن إلا إذا انتهينا أولاً من دراسة منظوماته دراسة نقدية مقارنة، يحسن أن تسبقها معرفة النسخ الخطية الموجودة منها، وترتيبها في النظم.

(١) من المثنويات التي نظمت في بحر الرمل "مصباح رشيدى" في التجرد والتصوف.

(٢) من المثنويات التي نظمت في بحر الخفيف "هفت بيكر" لنظامى.

(٣) من المثنويات التي نظمت في بحر السريع "مخزن الأسرار" لنظامى.

(٤) تريبيت: مقالة "مثنوي ومثنوي گوبان" مجلة مهر، سال پنجم، مردادماه ١٣١٦، ص ٢٢٧.

(٥) هذه ترجمة للتسمية الفارسية "پنج گنج".

(٦) عبد الوهاب عزام: ما كتبه متعلقاً بالأدب الفارسي في كتاب: قصة الأدب في العالم، ج ١، ص ٤٤٥.

## ٢- النسخ الخطية الموجودة من خمسه نظامى:

لعل من الأشياء التي تساعد على دراسة شعر نظامى، وجود نص منظوماته الخمس في كثير من النسخ الخطية، فضلاً عن أنه طُبِعَ مرات عديدة.

وقد تكفلت كتب الفهارس بذكر النسخ الخطية الموجودة من الخمسة، ووصفها، وإيراد الأبيات الأولى من كل منظومة، هذا عدا الأبيات التي تشير إلى تاريخ إتمام كل منها، ومدح من قدمت له.

والملاحظ أن كل نسخة من النسخ الخطية تشتمل - غالباً - على منظومات الشاعر الخمس، مما يدل على أنها - كلها - قد جُمِعت في مجلد واحد، وظلت كذلك إلى أن انفصلت أخيراً، فطُبِعَت كل منظومة منها على حدة.

ومما يجدر ذكره أن هذه النسخ الخطية كثيرة منتشرة في مكتبات الشرق<sup>(١)</sup> والغرب<sup>(٢)</sup>، ولكن أغلبها قد كُتِبَ في تواريخ متأخرة.

(١) ابن يوسف شيرازي: فهرست كتابخانه مجلس شورى ملي، جلد سوم وفهرست كتابخانه مدرسة عالی سپهسالار، جلد دوم (ما ذكر فيهما خاصاً بخمسه نظامى). كما توجد نسخة خطية في مكتبة ملك بطهران (الفهرست غير مطبوع).

Abdul Muqtadir: *Catalogue of Arabic and Persian Manuscripts in the Oriental Public Library at Bankipore*, p. 48-57; Radawi and Saheb: *Catalogue of Persian Manuscripts in the Buhar Library*, p. 223-226.

Sprenger: *A Catalogue of Arabic, Persian, and Hindustani Manuscripts of the Library of King Oudh*, p. 519-523.

Browne: *A Catalogue of Persian Manuscripts in the Library of the University of Cambridge*, (٢) p. 303-307.

Rieu: a) *Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum*, p. 564-577.

b) *Supplement to the Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum*, p. 153-155;

.H. Ethé: *Catalogue of the Persian Manuscripts in the Library of the India Office*, p. 595-599.

Victor Rosen: *Les manuscrits persans de l'Institut des langues orientales*, p. 171-178.

Blochét: *Catalogue des manuscrits persans de la Bibliothèque nationale*, tome troisième, p.52-99.

Jackson and Yohannan: *A Catalogue of Persian Manuscripts*, (Cochran Collection), p. 49-58.

وإذا استعرضنا النسخ الخطية الموجودة نلاحظ أنها قد كُتبت في القرن التاسع الهجري، أو بعد ذلك في خلال القرون الثلاثة التالية، حتى القرن الثاني عشر، مما يرجح أن منظومات الشاعر بقيت مبعثرة بعد وفاته أكثر من قرنين من الزمان، قبل أن تتناولها أيدي النساخ بالجمع والنسخ.

غير أننا نجد دستگردى يقرّر أنه اعتمد - في نشره للمنظومات الخمس - على ثلاثين نسخة خطية مكتوبة فيما بين القرنين السابع والحادي عشر الهجريين<sup>(١)</sup>، مما يشعر بأنه كان يمتلك - في مكتبته الخاصة - أقدم النسخ الخطية الموجودة من نص الخمسة، غير أنه - كما ذكرت - لم يصف أية نسخة من النسخ التي اعتمد عليها، وكان عليه أن يعرف بها كما فعل أصحاب كتب الفهارس.

وتوجد نسخة خطية في دار الكتب المصرية<sup>(٢)</sup> مخطوطة بقلم فارسي، أولها محلى بالذهب، وهي تقع في ٣٥٠ ورقة، في كل صفحة منها ٢١ سطرًا، طولها ٣٢ سم، وعرضها ٢٠ سم، ولكن تاريخ كتابتها غير مذكور، فلا ندري في أي قرن كُتبت.

وقد وصف ريو كثيرًا من النسخ الموجودة بالمتحف البريطاني بلندن، وهي نسخ كُتبت بعضها في القرن التاسع الهجري، وبعضها الآخر في القرنين العاشر والحادي عشر، كما اشتمل بعضها على منظومة واحدة مثل مخطوطة Add. 19500، ومخطوطة Add. 23458، فإنهما تحتويان على "مخزن الأسرار" فقط.

أما النسخ التي كُتبت في القرن التاسع، فقد ذكر ريو اثنتين منها في الفهرست، وهما: مخطوطة Add. 7729، وقد وصفها بأنها مكتوبة بالخط النسخ الفارسي الصغير، وعدد

(١) يذكر دستگردى هذا في مقدمة "مخزن الأسرار" وفي خاتمة "خسرو وشيرين"، ص ٤٦٠. ويكرره في كل منظومة.

(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٠ أدب فارسي.

أوراقها ٣١٦ ورقة، طولها ٧,٥، وعرضها ٥ بوصات، كتب في كل صفحة منها ٢٢ سطرًا، طول كل سطر ٣,٥ بوصة؛ وقد تمت كتابتها في شوال من عام ٨٠٢هـ.

ثم نسخة Add. 25900 وعدد أوراقها ٣١٦ ورقة. طولها ٧,٥ بوصة وعرضها ٧,٥ بوصة وعرضها ٤,٧٥ بوصة، تحتوي كل صفحة منها على ٢٥ سطرًا، طول كل سطر ٣,٦٢٥ بوصة.

كما ذكر ريو اثنتين في ملحق الفهرست وهما: مخطوطة Or. 2834، وعدد أوراقها ٣٧٤ ورقة، طولها ١٠,٢٥ بوصة، وعرضها ٦,٢٥ بوصة، وفي كل صفحة من صفحاتها ١٩ سطرًا، طول كل سطر أربع بوصات، وقد تمت كتابتها في عام ٨٩٥هـ.

ومخطوطة Or. 2931 وعدد أوراقها ٥٠٤ ورقة طولها تسع بوصات وعرضها ست بوصات، وقد كتب في صفحة ٢١ سطرًا، طول كل سطر ٢,٥ بوصة. كما ذكر مولوي عبد المقتدر نسخة خطية تحت رقم No. 37 كتبت في القرن التاسع؛ عدد أوراقها ٣٣٧ ورقة طولها ٦,٥ بوصة وعرضها ٥,٧٥ بوصة، وفي كل صفحة منها ٢١ سطرًا<sup>(١)</sup>.

وذكر "إته" مخطوطة تمت كتابتها في عام ٨٩٤هـ<sup>(٢)</sup>.

وهذه هي أقدم النسخ الخطية التي بين أيدي الباحثين؛ وإن كنت قد اعتمدت في هذا البحث، على "خمس نظامي" التي نشرها دستگردي متفرقة، لأن النص الذي نشره يعتبر من أصح النصوص المنشورة؛ فقد قارن - فيما يبدو - بين نصوص نسخ خطية كثيرة قبل أن ينشر النص الذي بين أيدينا.

M. Abdul Muqtadir: *Catalogue of the Arabic and Persian Manuscripts in the Oriental Public Library at Bankipore*, p. 48-58.

H. Ethé: *Catalogue of the Persian Manuscripts in the India Office Library*, vol. I, p. 595-597. (٢)

كما أنني حققتُ روايةً بعض الأبيات المتعلقة بتاريخ إتمام نظم كل منظومة، والأبيات التي ساعدت في إثبات ما يتعلق بولادة الشاعر ووفاته، فقارنتُ بين روايات النسخ الخطية المختلفة، ورجَّحتُ روايةً منها معتمداً على بعض القرائن التاريخية، أو على الأدلة الموجودة في شعر الشاعر.

### ۳- ترتيب خمسه نظامی:

بقي أن نعرف ترتيب منظومات الشاعر لنبني دراستنا على أساسه، والمُرجَّحُ أن نظامي قد نظم "مخزن الأسرار" أولاً، ثم "خسرو وشيرين"، ثم "ليلي ومجنون"، ثم "هفت پيكر"، ثم "إسكندرنامه".

فقد صرح هو بهذا الترتيب، في قوله: "اتجهتُ نحو "مخزن الأسرار" أولاً، فلم أتباطأ في ذلك العمل، وأسلتُ منه الشهد، ثم مزجته "بشيرين وخسرو"، ونصبتُ - بعد ذلك - الخيمة في الفضاء، وطرقت باب عشق "ليلي ومجنون" فلما انتهيت من هذه القصة، أسرعت نحو "هفت پيكر"، والآن، وعلى بساط الفصاحة، أدقُّ طول خط "الإسكندر"<sup>(۱)</sup>.

(۱) که سستی نکرد در آن کار هیچ  
بشیرین و خسرو در آمیختم  
در عشق لیلی و مجنون زدم  
سوی هفت پیکر فرس تاختم  
ز نم کوس اقبال اسکندری  
(نظامی: شرفنامه، ص ۷۸-۷۹)

(۱) سوی مخزن آوردم اول بسیچ  
وزدوزو چرب و شیرینی انگیختم  
واز آنجا سرا برده بیرون زدم  
وزین قصه چون بازپرداختم  
کنون بر بساط سخن پروری

وهذا الترتيب هو الذي أثبتته النسخ الخطية الموجودة بين أيدينا، واتفق عليه أغلب الباحثين<sup>(١)</sup>، بما لا يدع مجالاً للشك فيه.

ونكتفي بهذا التمهيد لندرس منظومات الشاعر حسب ترتيبها في النظم، فنبدأ "بمخزن الأسرار".

(١) ذكر باخر في كتابه: حياة نظامى وآثاره (بالألمانية)، ص ٦-٧. أن "إسكندرنامه" هي المنظومة الرابعة للشاعر، وأن "هفت بيكر" هي الخامسة، واستشهد بأبيات وردت في آخر "شرفنامه"، ص ٥٢٨. ينصح الشاعر فيها ابنه ويصرح بأنه قد بلغ السابعة عشرة من عمره فيقول:  
وزين هفده خصل أوريدن بدست شده هفده ساله بدينسان كه هست  
وقال باخر: إن ابن نظامى كان في الرابعة عشرة من عمره في أثناء نظم "ليلي ومجنون" التي رجح أنها تمت في عام ٥٨٤هـ. مما يدل على أن "إسكندرنامه" تمت في عام ٥٨٧هـ.  
وقد قلده في ذلك براون في كتابه تاريخ إيران الأدبي (بالإنجليزية) ج ٢، ص ٤٠٠؛ بينما بين دستغردى أن الأبيات ملحقة فذكرها في الحاشية، لأنها غير موجودة في النسخ القديمة.  
وأغلب الظن أن تلك الأبيات التي نصح الشاعر فيها ابنه قد نظمت مستقلة غير مرتبطة بمنظومة معينة، فإن توجيه النصح من أب شاعر كنظامى لابنه لا يتقيد بمنظومة بالذات، وإنما يوجهه من حين لآخر، ويكرر في مختلف المناسبات، ومن الجائز أن الأبيات أضيفت إلى المنظومة، فألحقها النساخ بها دون أن تكون جزءاً منها. وما يرجح ذلك ما ورد في شعر الشاعر نفسه، وفي "شرفنامه" نفسها، من أن المنظومة قد تمت في عام ٥٩٧هـ، ثم تقديم "خردنامه وإقبالنامه" أي باقي "إسكندرنامه" لعز الدين مسعود أتابك الموصل الذي بدأ حكمه في عام ٦٠٧هـ. هذا فضلاً عن إضافة الأبيات التي تصور أيام الشاعر الأخيرة إلى "إسكندرنامه" مما يرجح أنها آخر منظومات الشاعر؛ وأن "هفت بيكر" ليست آخر المنظومات كما قرر باخر، وقلده براون.





# الباب الأول

## منظومة مخزن الأسرار

### الفصل الأول

#### دراسة حول منظومة مخزن الأسرار

نُظمت منظومة "مخزن الأسرار" في بحر السريع، وهي تقع في ٢٢٦٠ بيت من الشعر.

وهي أول منظومات الشاعر<sup>(١)</sup>، وأرجح أنه أتمها في عام ٥٨١هـ، ثم قدّمها لفخر الدين بهرامشاه بن داود، حاكم أرزنجان.

وقد اختلف الباحثون في تاريخ إتمام هذه المنظومة اختلافاً يصل إلى ثلاثين عاماً؛ فقررّ ريو<sup>(٢)</sup> أن إحدى النسخ الخطية تحتوي على بيتين، يثبت نظامي فيهما أنه أكمل

---

(١) ليس معنى أن "مخزن الأسرار" أولى منظومات الشاعر أنه لم يكن ينظم شعراً قبلها، فلا بد أن الشاعر كانت له محاولات شعرية كثيرة قبل أن يقدم على نظم منظومة مطولة أربت على ألفي بيت؛ ولعل ديوانه الذي صرح بأنه قد جمعه في عام ٥٨٤هـ، هو ثمرة تلك المحاولات الشعرية التي قام بها في وقت شبابه، لأن الملاحظ أن الشعراء العظام الذين أفدموا على نظم منظومات مطولة مثل الفردوسي، وسنائي، ونظامي وأمثالهم لم يشرعوا في مثل هذا العمل قبل سن الأربعين - غالباً - حينما يكون الشاعر قد تكامل، فأتم تحصيل العلوم المختلفة واستكمل تجاربه في الحياة، كما تكون ملكته الشعرية قد نضجت نضوجاً تاماً يؤهله للقيام بعمل كهذا.

(٢) Rieu: *Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum*, vol. 2, p. 565.

المنظومة في عام ٥٥٥٩هـ، فيقول: "إن الحقيقة بالحساب الدقيق هي أن المنظومة قد تمت في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول، لتسعة وخمسين وخمسمائة عام مضت منذ الهجرة إلى وقتنا هذا"<sup>(١)</sup>.

وهذا التاريخ لا يمكن أن يكون صحيحاً، فقد كان الشاعر - في ذلك الوقت - في العشرين من عمره، بينما صرح هو - في مخزن الأسرار - بأنه قد جاوز الأربعين، كما أن المعلومات التي تبدو في ثنايا المنظومة تجعلنا نستبعد إمكان تحصيل مثلها في سن العشرين. ورجح باخر<sup>(٢)</sup> - وتابعه براون<sup>(٣)</sup> - أن المنظومة قد أكملت في عام ٥٦١هـ، وأنها قدمت لأيلدگز أتابك آذربيجان، وأن الذي ذكره الشاعر ليس شخصاً آخر غير إيلدگز.

وهذا خطأ فاحش؛ لأن الشاعر صرح بأن ممدوحه يحكم في آسيا الصغرى، فقال: "نُظمت منظومتان<sup>(٤)</sup> من أجل حاكمين، وقدمت كل منهما لحاكم اسم بهرامشاه،

(١) بـود حقيقت بشمار درست بیست وچهارم ز ربیع نخست از گه هجرت تا این زمان بانصد وینجاه ونه افسزون برآن (نقل ريو هذين البيتين عن مخطوطة Or. 1216, Fol. 31 بالمتحف البريطاني).

(٢) W. Bacher: *Nizamis Leben und Werke*, p. 16.

(٣) Browne: *A Literary History of Persia*, vol. II, p. 400.

(٤) يقصد نظامى بقوله هذا منظومتي "حديقة الحقائق" لسنايى التي قدمت للسلطان بهرامشاه بن مسعود الغزنوي، ومنظومته "مخزن الأسرار" التي قدمها لبهرامشاه بن داود حاكم أرزنجان.

استخرجت الأولى الذهب من منجم قديم، بينما استخرجت الثانية الدر من بحر جديد، وقد رفعت الأولى علم الغزنوي، بينما مُهرت الثانية بختم الرومي<sup>(١)</sup>.

فهذا يرجح أن نظامي قصد بمدحه بهرامشاه الرومي حاكم أرنجان لا إيلدغر حاكم آذربيجان؛ مما يُبيّن أن التاريخ الذي رجّحه باخر غير صحيح لأن الشاعر كان - في عام ٥٦١هـ - في الثانية والعشرين من عمره، بينما ذكر باخر نفسه أن الشاعر كان في سن الأربعين، في أثناء نظم "مخزن الأسرار"<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر باخر - أيضاً - أن مخطوطة درسدن تثبت أن منظومة "مخزن الأسرار" قد تمت في عام ٥٥٢هـ، ورَدَّ هو هذا التاريخ، وبديهي أنه غير صحيح فقد كان الشاعر - في ذلك الوقت - في الثالثة عشرة من عمره.

ونشر دستگردي - في آخر مخزن الأسرار - أبياتاً قرر أنها ملحقّة؛ وهي تشير إلى تاريخ إتمام هذه المنظومة حيث يقول الشاعر: "حَلَقَ طائر القلم بعيداً عن الكتاب، ثم نشر جناحيه عليه، وأحنى رأسه ونثر الدر، وختم "مخزن الأسرار"، وكانت الحقيقة بالحساب

(١) نامه دو آمد زدو ناموسگاه هردو مسجل بدو بهرامشاه  
آن زری از کان کهن ریخته وین دری از بحر نوانگیخته  
آن بدر آورده ز غزنی علم وین زده برسکه رومی قم  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ٣٧)

وقد أخطأ باخر في ترجمة كلمة "نامه" فترجمها على أنها بمعنى "خطاب" وزعم أن نظامي رفض عرض أميرين أرسل كل منهما إليه خطاباً، وكلمة "نامه" هنا بمعنى "كتاب" أو "منظومة" وليست بمعنى خطاب كما توهم باخر.

W. Bacher: *Nizamis Leben und Werke*, p. 12-13. (٢)

الدقیق أن المنظومة تمت في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول... وقد مضى اثنان وسبعون وخمسمائة عام، منذ الهجرة إلى وقتنا هذا<sup>(۱)</sup>.

وهذا التاريخ ليس دقيقاً - في أغلب الظن - لأنه لا يتلاءم مع إشارة الشاعر إلى أنه قد جاوز الأربعين.

كما أن هناك نسخة خطية تثبت أن المنظومة تمت في عام ۵۸۲هـ؛ حيث يقول الشاعر: "قد مضى اثنان وثمانون وخمسمائة عام منذ الهجرة إلى وقتنا هذا"<sup>(۲)</sup>.

وقد رجح ريو أن منظومة "مخزن الأسرار" لم تتم قبل عام ۵۷۵هـ بكثير؛ بينما رجح دستگردی<sup>(۳)</sup> أنها تمت في عام ۵۷۲هـ؛ ومال برتلس<sup>(۴)</sup> إلى أنها تمت في الفترة ما بين ۵۷۲ و ۵۷۵هـ.

وهذه التواريخ كلها ليست دقيقة، لأن الشاعر صرح بما يفيد أن المنظومة تمت في عام ۵۸۱هـ، فقال إنه قد مضى سبعون وخمسمائة عام منذ وفاة الرسول<sup>(۵)</sup>.

(۱) مرغ قلم نامه بیرواز کرد  
پای زسر کرد وزلب در فشاند  
بود حقیقت بشمار درست  
از گه هجرت تا این زمان  
برسر قرطاس دویر باز کرد  
مخزن اسرار بپایان رساند  
بیست و چهارم ز ربيع نخست  
پانصد وهفتاد ودو فزون برآن  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۸۵)

(۲) أز گه هجرت تا این زمان  
پانصد وهشتاد ودو فزون برآن  
(Rieu: *Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum*, vol. 2, p. 566.)

(۳) دستگردی: مقدمه گنجینه گنجوی، ص عج.

(۴) برتلس: نظامی شاعر آذربایجان العظیم، ص ۳۹.

(۵) پانصد وهفتاد بس آیام خواب  
روز بلندست بمجلس شتاب  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۲۷. وقد سبق ذکر هذا البيت وترجمته).

ونحن نعلم أن الرسول قد توفي في عام ١١هـ، مما يرجح أن المنظومة تمت في عام ٥٨١هـ، وأن هذا التاريخ هو أقرب التواريخ إلى الصحة.

ويبدو أن الذي أوقع الباحثين في هذا الاضطراب هو أنهم اعتمدوا على البيت<sup>(١)</sup> الذي يُثبِتُ تاريخ إتمام المنظومات، دون مراعاة القرائن الأخرى، كإشارة الشاعر إلى سنه في أثناء نظمها، أو المدة التي مضت على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد قدم الشاعر منظومته إلى حاكم أرزنجان وأسرف في مدحه كما مر، ثم بيّن أن عمله جديد مبتكر، وليس تقليدًا، حتى يقدره الحاكم حق قدره.

ويبدو أن الشاعر كان معجبًا بعمله؛ ولذلك نجده يقدم منظومته وهو واثق من أنها ستقبل وتُقدّر، فيقول مخاطبًا الحاكم: "إنني أضع على مائدتك هذا الطعام الشهي من الشعر، قبل أن تمسه يد شخص آخر، فإذا وجدته لذيذًا كُلّ هنيئًا، وإلا.. فليمح الله طعمه من فمك"<sup>(٢)</sup>.

(١) لعل السبب في اختلاف روايات هذا البيت هو عدم وجود فرق من ناحية الوزن الشعري بين خمسين "بنجاه" وسبعين "هفتاد" وثمانين "هشتاد" كما لا يوجد فرق بين اثنين "دو" وواحد "يك" وتسعة "نه" فلو وضعت كلمة

مكان الأخرى لا يحدث تغيير في الوزن، ولعل رواية البيت إن كان من نظم الشاعر هي:

از گه هجرت یا این زمان بانصد وهشتاد ویک فزون برآن

(٢) خوان ترا این دو نواله سخن دست نکر دست برودست کن

کر نمکش هست بخور نوش باد ورنه زیاد توفراموش باد

(نظای: مخزن الأسرار، ص ٣٧)

كما يبدو أن المنظومة قد حازت إعجاب بهرامشاه، فأثاب الشاعر بسخاء فقد رُوي أنه أرسل إليه جائزة ثمينة هي عبارة عن خمسة آلاف دينار، وخمسة أحصنة مسرجة، وثوباً من الوبر، وخمسة بغال، وملابس فاخرة مرصعة بالجواهر على يد رسول لائق<sup>(١)</sup>.

ولكن الشاعر لم يُشير إلى شيء من هذا في "مخزن الأسرار"، أو في منظوماته الأخرى. ومهما يكن من شيء؛ فإننا لا نستطيع أن نحكم على منظومة "مخزن الأسرار" ونقدرها حق قدرها، وندرك مبلغ صدق الشاعر، قبل أن ندرسها دراسة مقارنة، فنكتفي بهذه الدراسة حول المنظومة، لتأخذ في دراسة المنظومة نفسها.

(١) ابن البيبي "مختصر سلجوق نامه، ص ٢١-٢٢.

## الفصل الثاني

### محتويات مخزن الأسرار

تشتمل منظومة "مخزن الأسرار" على مقدمة طويلة تستغرق أكثر من ثلث الكتاب - تحدث نظماً فيها عن موضوعات مختلفة - تتلوها عشرون مقالة تعالج جميعها المسائل الأخلاقية، وتعتبر كل مقالة أساساً لقصة تتلوها مؤكدة الغرض الذي تهدف إليه المقالة في شيء من الشرح والتوضيح.

أما المقدمة؛ فقد تحدث الشاعر فيها عن حمد الله، والثناء عليه، وابتدأ منظومته باسم الله، فقال: "بسم الله الرحمن الرحيم، مفتاح باب كنز الحكيم، فاسم الله فاتحة الفكرة وخاتمة القول، فليكن به البدء والختام، فالله موجود قبل جميع الكائنات، وهو أكثر بقاءً من جميع الخالدين"<sup>(١)</sup>.

ثم صور قدرة الله، وبيّن أن جميع المخلوقات مدينة بوجودها لفضل الله وعظمته؛ وخاطبه بقوله: "يا من خُلِقَت جميع الكائنات بفضلك، وقوي الإنسان الضعيف بقوتك"<sup>(٢)</sup>.

هست كليلد در گنج حكيم  
نام خدايست براو ختم كن  
بيش بقاي همه ايندگان  
(نظامي: مخزن الاسرار، ص ٢)  
خاك ضعيف از تو توانا شده  
(المرجع السابق، ص ٧)

(١) بسم الله الرحمن الرحيم  
فاتحه فكرت وختم سخن  
بيش وجود همه ايندگان

(٢) اي همه هستي نتو پيداشده

وأخذ يتوسل إليه طالبًا العفو والمغفرة، فقال: "اصفح عن الذنب فإننا معترفون بالتقصير، وهَيِّئْ لنا طريق التوبة فنحن ملتجئون ببابك"<sup>(١)</sup>.

وانتقل الشاعر إلى مدح الرسول، فخاطبه بقوله: "كُنْتُ نَبِيًّا حِينَما بدأ الخلق الأول"<sup>(٢)</sup>، ثم خُتِمَتْ النبوة بك"<sup>(٣)</sup>.

ثم ذكر معراج الرسول<sup>(٤)</sup>، وأطنب في مدحه في أربعة نعوت<sup>(٥)</sup>، انتقل بعدها إلى مدح بهرامشاه<sup>(٦)</sup>، وبيان فضل كتابه<sup>(٧)</sup>، وأتبع ذلك بالحديث عن فضل الكلام، وترجيح الشعر على النثر<sup>(٨)</sup>، وختم المقدمة بالحديث عن حالات المراقبة تحت رعاية القلب، في خلوتين كانت لهما ثمراتهما<sup>(٩)</sup>.

ثم تأتي بعد ذلك عشرون مثالة، ترمي جميعها إلى هدف واحد تقريبًا، هو تمجيد العدل، وذم الظلم، والدعوة إلى أن يسود الإنصاف والوفاء بين الناس في دنيا فانية خداعة، سوف تنقضي سريعًا، ولا يبقى للإنسان إلا ما قدمت يداه، مما سَتَبَيَّنَتْهُ بعد عرض المقالات العشرين وقصصها، فلنعرضها في شيء من الاختصار.

(١) در گدر از جرم كه خواننده ايم چاره ماكن كه پناهده ايم (نظامى: مخزن الأسرار، ص ١١)

(٢) يشير الشاعر إلى الحديث القائل "كنت نبيًا وأدم بين الماء والطين".

(٣) كنت نبيا چو علم پيش برد ختم نبوت بمحمد سپرد (المرجع السابق، ص ١٤)

(٤) المرجع السابق، ص ١٤-٢٠.

(٥) المرجع السابق، ص ٢١-٣٢.

(٦) المرجع السابق، ص ٣٢-٣٦. وقد سبق ذكر صور منه.

(٧) المرجع السابق، ص ٣٦-٣٩. وقد سبقت الإشارة إليه.

(٨) المرجع السابق، ص ٣٩-٤٦.

(٩) المرجع السابق، ص ٤٦-٧٠. وقد سبقت الإشارة إليهما.



## ١- المقالة الأولى

## في خلق آدم

خصص نظامي المقالة الأولى للحديث عن خلق آدم، فقال إنه لم يكن هناك إنسان - قبله - يعبد الله، ويسبح بحمده<sup>(١)</sup>؛ فهو أبو البشر، وأول مَنْ فتح باب الوجود، وأسبق البشر إلى تعمير الأرض، بينما كان الجن يسكنونها قبله<sup>(٢)</sup>.

ثم بين أن آدم خُلِق ليكون خليفة في الأرض، وأنه قد عصى ربه في الجنة، ثم تاب، وهبط منها إلى الأرض ليعمرها<sup>(٣)</sup>.

وأخذ الشاعر يُعَدُّ مزايا آدم مستشهداً بالآية الكريمة ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾<sup>(٤)</sup> وبالحدِيث القدسي "خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً"<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) اول كايين عشق پرستی نبود در عدم آوازه هسستی نبود (نظامی: مخزن الأسرار، ص ٧١)
- (٢) مقبل از كنم عدم ساز كرد باز پسین طفل پری زادگان پیشترین بشری زادگان (المرجع السابق، ص ٧١)
- ولعل الشاعر يشير بذلك إلى الآية الكريمة ﴿ وَاللَّيْلَةَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ سورة الحجر، آية ٢٧.
- (٣) آن بخلافت علم آراسته چون علم افتاده ویرخاسته (نفس المرجع والصفحة)
- (٤) سورة البقرة، آية ٣١.
- (٥) علم آدم صفت پاک او خمر طینه شرف خاک او (نظامی: مخزن الأسرار، ص ٧١)

واتخذ ذلك وسيلة للحديث عن صفات الإنسان، فقال: "إنه كدر نسبة للجسم المخلوق من الطين، وَتَقَيَّ بفضل الروح الطاهرة، وَتَحَكَّ لأنه موضع الابتلاء بالشواب والعقاب، وَذَهَبُ لأن الله أحسن تصويره، وصراف لأنه يُمَيِّز بين الخير والشر"<sup>(١)</sup>.

ثم شرح الشاعر كيف عصى آدم ربه فعوى؛ فقد أمره ربه ألا يقرب هو وزوجته شجرة معينة، ولكنهما أكلا منها، فهبطا من الجنة إلى الأرض ليعمرها، وقد أجمل ذلك في قوله: "لما أُعْزِمَ آدم بثمرة الشجرة، ترك الجنة وسكن هذه الأرض، فبذر فيها بذور الوفاء، ونشر العدل، ثم أورثنا إياها"<sup>(٢)</sup>.

وختم نظامى هذه المقالة بدعوة الإنسان إلى ترك الظلم، والتوكل على الله، وفعل الخير دائماً، وترك المعاصي، واتباع أوامر الله، فقال: "تَحَرَّ أوامر الله، واعمل بها، واعترف بخطئك"<sup>(٣)</sup>.

ثم أورد "قصة ملك يائس ظفر بالمغفرة"... وهي أن ملكاً عادلاً رأى آخر ظالماً - في الحلم- فسأله عما فعل الله به - بعد موته - نتيجة لما اقترفه من جور واستبداد، فأجاب الظالم بأنه لم يجد - بعد وفاته - من يعتمد عليه من الكائنات، ليتوسط له عند ربه، أو يهديه سواء السبيل، "فلم تكن هناك شفقة - في قلب أحد نحوه، ولم يوجد شخص

(١) آن بگهر هم كدر وهم صفى هم محك وهم زر وهم صيرفي (نظامى: مخزن الأسرار، ص ٧١)

(٢) چون زپی دانه هوسناك شد تخم وفا در زمی عدل كشت مقطع اين مزرعه خاك شد وقفي اين مزرعه برمانوشت (المرجع السابق، ص ٧٤)

(٣) نيكي او بين وبران كاركن بر بدي خويشتن اقرار كن (المرجع السابق، ص ٧٦)

يستطيع أن - يُحسِنَ الظنَّ به" (١). فارتعش كالصفصاف، وخجل، واستولى اليأس على قلبه، ونفض يده من الاعتماد على الناس، وتوكل على الله، وخاطبه بقوله: "أنا المسكين الذي أصبحت خجلاً منك، فاصفح عني، واغفر ذنبي، رغم أنني لم أتبع أوامرك... لا تُردِّني عن بابك كما ردَّني الجميع، فإما أن ترحمني، وتتصرف في أمري تصرفاً يخالف تصرف الناس، وإما أن تُؤدِّبني فتلقني بي في النار" (٢). ثم قال الظالم: "فلما رأى الله خجلي وندي، ساعدني؛ وصادف دعائي فيض كرمه، فغفر ذنبي، وأنقذني" (٣).

وقد علَّق الشاعر على ذلك بقوله إن كل كلمة تنبعث عن الشعور بالندم، والرغبة في التوبة، يتقبلها الله، ويُنيقذ صاحبها يوم القيامة.

ثم دعا إلى ترك الظلم، وأورد ما قاله الظالم نفسه، بأن من يفعل مثقال ذرة شراً يره يوم الحساب، وأنه اختار هذا المسلك طيلة حياته، فلم يورثه إلا امتلاء ميزانه بالسيئات، فيجب أن يقلع الإنسان عن الظلم لأنه ضعيف، وحيٌّ بنفس واحد، ونصح الإنسان بفعل الخير

- |   |  |
|---|--|
| (١) در دل کس شفقتی از من نبود<br>هیچکسی را بکرم ظن نبود<br>(نفس المرجع والصفحة) | (٢) کی من مسکین بتودر شرمسار<br>گرچه ز فرمان تو بگذشته ام<br>یا ادب من بشراری بکن<br>(نظامی: مخزن الأسرار، ص ٧٧) |
| (٣) چون خجلم دید زباری رسان<br>فیض کرم راستم در گرفت<br>(نفس المرجع والصفحة)    | یاری من کرد کسی بیکیان<br>بار من افکند و برابر گرفت<br>(نفس المرجع والصفحة)                                      |

دائماً، وبيّن له ثمرة ذلك في قوله: "قدم كل ما تملكه في هذه الدنيا، وانزع الطمع من نفسك، وافعل الخير ما استطعت، حتى تصير خاليًا من الذنوب، في يوم القيامة الذي هو أهم الأيام"<sup>(۱)</sup>. وختم نصحه قائلاً: "لا يكن مال اليتيم في رقبته، ولا تحمل وزر العجائز، واترك هذه الدنيا الفانية الملوثة، وخذ زاد طريقك كالغرباء، أو اعتزل العالم كنظامي"<sup>(۲)</sup>. وهكذا ختم الشاعر المقالة والقصة بترديد الدعوة إلى ترك الظلم، واتباع العدل، والتزود من الدنيا بالعمل الصالح، الذي يفيد يوم القيامة.

## ۲- المقالة الثانية

### في العدل ورعاية الإنصاف

خاطب الشاعر - في أول المقالة الثانية - الإنسان بأنه أفضل مخلوقات الله، وأكرمها، لأن كل ما في الوجود مُسَخَّرٌ له، فقال: "إن الشمس التي تتقد نارًا، تُسَرُّ حينما تبصر وجهك، وإن القمر إذا دَقَّ فصار هلالاً كشعرك، يبتسم إذا رأى طلعتك"<sup>(۳)</sup>.

- (۱) هرچه در این پرده ستانی بده  
تابود آنروز که باشد بهی  
خود مستان تابتوانی بده  
گردنت آزاد ودهانت تهی  
(نفس المرجع والصفحة)
- (۲) وام یتیمان نبود دامننت  
باز هل این فرش کهن پوده را  
پاجو غریبان بی ره توشه گیر  
بارکش پییره زنان گردنت  
طرح کن این دامن آلوده را  
پاجو نظامی ز جهان گوشه گیر  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۷۸)
- (۳) سینہ خورشید که پر آتشست  
مه که شود کاسته چون موی تو  
روی تو می بیند از آن دلخوشت  
خنده زند چون نگرد روی تو  
(المرجع السابق، ص ۷۹)

ونصح الإنسان بالتفاؤل، قائلاً: "انظر إلى العالم بتفاؤل لأنك لست ضعيفاً، ولا تحمل همّاً، لأنك لست عبداً للعالم، وكن متواضعاً مع الجميع، ولا تعتمد على أحد"<sup>(١)</sup>.

ثم تحسر الشاعر على بُعد الناس عن دينهم، فقال: "أين الدين؟!.. أين الديانة؟!.. أين نحن وأين الأمانة؟!.." <sup>(٢)</sup>.

ودعا إلى العدل والإحسان، لأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها: "إن الله الذي يهبك زاد الطريق، يتقبل منك الحسنة الواحدة، ويعطيك عشرة"<sup>(٣)</sup>.

ثم انتقل إلى الدعوة إلى ترك الظلم فقال: "إن الملك لا يوجد بالظلم، وإنما يمكن أن يوجد بالعدل والإنصاف"<sup>(٤)</sup>.

وخطب الإنسان بقوله: "إن المملكة تخذ بعدلك، وإن الأمور تستقر بإنصافك"<sup>(٥)</sup>.

- |  |   |
|--|---|
| (١) عالم خوش خور كه زكس كم نه<br>با همه چون خاک زمین پست باش<br>(نفس المرجع والصفحة) | غصه مخور بنند علم نه<br>وزهمه چون باد تهي دست باش<br>(نفس المرجع والصفحة) |
| (٢) و خبر دين وديانت كجاست   | ما بكجائيم وامانت كجاست؟!..<br>(نظاي: مخزن الأسرار، ص ٧٩)                 |
| (٣) آنكه ترا توشه ره ميدهد   | أز تو يكي خواهده وده ميدهد<br>(نفس المرجع والصفحة)                        |
| (٤) رسم ستم نيست جهان يافتن  | ملك بإنصاف توان يافتن<br>(المرجع السابق، ص ٨١)                            |
| (٥) مملكت از عدل توشود يايدار  | كارتواز عدل تو گيرد قرار<br>(نفس المرجع والصفحة)                          |

ثم أورد "قصة نوشيروان مع وزيره" وهي أن الملك نوشيروان خرج للصيد ومعه وزيره وحاشيته ولكنه ضل الطريق، وابتعد عن حاشيته، ولم يبق معه إلا وزيره.

ثم أبصرا طائرين - من البوم - يتحدثان، فسأل الملك وزيره عما يقوله كل طائر للآخر، فأجاب الوزير بأن حديثهما يدور حول مصاهرة، توشك أن تتم بينهما، فطائر منهما يريد أن يتزوج ابنة الطائر الآخر، الذي يطلب منه المهر قرية خربة، فيجيبه الأول بأنه ما دام الملك في هذه الصورة فإنه يستطيع أن يقدم له ألف قرية خربة.

ثم يصور تأثير أنوشيروان في قوله. "لقد عض - من الظلم - إصبع الندم، وقال: انظر كيف وصلت أبناء الظلم إلى الطيور، انظر كيف أحللت - بظلمي - البوم محل الآدميين؛ وبلي من غافل محب للندم؟!.. يكفي هذا القدر الذي اقترفته يداي... كم أخذت أموال الآخرين بالقوة، غافلاً عن الموت ووحدة القبر!... إلى متى أمد يدي بالظلم؟!... انظر كيف أظلم نفسي!... إن الله قد أعطاني الملك حتى لا أفعل ما لا يحسن عمله.. لقد غطى الله رأسي بالذهب، ولكنني أفعل الأشياء التي لم يأمر بها، فلماذا أشوه اسمي بالظلم؟!... أظلم... وبلي!... إنني لا أظلم إلا نفسي"<sup>(١)</sup>.

وقد تحول نوشيروان منذ تلك اللحظة من ظالم إلى عادل: "فلم يكديصل إلى معسكره حتى عم عدله أنحاء المملكة"<sup>(٢)</sup>.

گفت ستم بین کہ بمرغان رسید  
چورنگرکز جهت خاکیان  
ای من غافل شده دنیا پرست  
غافلیم از مردن وفردای گور  
باسر خودبین که چه بازی کنم  
تا نکنم آنچه نیاید بکار  
میکنم آنها را که نفرموده اند  
ظلم کنم وای که برخود کنم  
(مخزن الأسرار، ص ۸۳)

بوی نوزاش بولایت رسید  
(المرجع السابق، ص ۸۴)

(١) زین ستم انگشت بدنجان گزید  
چغدنشانم بدل ماکیان  
بس که زرم برس رایس کاردست  
مال کسان چند ستانم بزور  
تاکی وکی دست درازی کنم  
ملک بدان داد مرا کردگار  
من که منم را بزراندوده اند  
نام خود از ظلم چرا بدکنم

(٢) چونکه بلشکر گه ورایت رسید

## ۳- المقالة الثالثة

## في حوادث العالم

يتحدث نظامي - في المقالة الثالثة - عن الدنيا، فيقول: "إن الدنيا لم تتغير، رغم أنه قد مضت سنون كثيرة من عمرها، فما زالت الأرض هي الخصم القوي، وما زال الفلك ظالمًا قاطعًا للرقاب"<sup>(١)</sup>.

ويصور غدر الدنيا فيقول: "من يتمنى صداقة الدنيا؟!... لِمَنْ أوفت حتى تغي لنا؟!... لقد صار ترابًا كل من عاش على التراب، فكيف يدرك الإنسان، ما تحبّه الدنيا؟!..."<sup>(٢)</sup>.

ثم يقرر أن الإنسان لا يسلم من حوادث الزمان؛ فيقول: "ليس الإنسان خاليًا من هموم الحوادث، وليس آمنًا منها في البركان أم في البحر"<sup>(٣)</sup>.

وهو - لذلك - يدعو الإنسان إلى ترك الغفلة بعد أن وصل إلى مرتبة البلوغ والتعقل، فيقول: "الغفلة جميلة قبل مرتبة التعقل، فما أجمل الغفلة في ذلك الوقت!... أما إذا بلغ نظر العقل غايته، فإن دولة السرور تنتهي، وتصبح الغفلة ضربًا من الجنون، وليست من الحكمة في شيء"<sup>(٤)</sup>.

- (١) سال جهان گرچه بسی در گذشت  
خاک همان خصم قوی گردنست  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۸۵)
- (٢) صحبت گیتی که تمنا کند  
باکه وفا کرد که باما کند  
(المرجع السابق، ص ۸۶)
- (٣) آدمی از حادثه بی غم نیند  
(المرجع السابق، ص ۸۷)
- (٤) پیشتر از مرتبه عاقلی  
چون نظر عقل بغایت رسید  
غافل بودن نه زفر زانگیست  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۸۷)

ثم يدعو إلى الوفاء، فيقول: "ما أساس الأدب؟ بذر الوفاء... وما حق الوفاء؟ رعايته... إن الزارع الذي يتعهد هذه البذرة، سوف يأكل من ثمرها يومًا ما"<sup>(١)</sup>.

ويتبع المقالة بقصة "سليمان والفلاح" وهي أن سليمان توجه مرة إلى الصحراء، فوجد فلاحًا قد بذر الحب في رقعة من تلك الصحراء الفسيحة، فنبتت من كل حبة سنبله.

وقد تأثر سليمان لرؤية الفلاح، فلم تكن لديه آلات لحرث الصحراء، أو ماء لسقي الأرض حتى تنبت النبات، فنصحته بالآلة يتعب نفسه في الزراعة وهو غير مستعد لها، فلن يستطيع أن يحصد شيئًا من تلك المزرعة المحرقة.

وقد أجاب الزارع الفقير بأنه فارغ القلب مما يتعلق بهذه الأرض، فهو لا يفكر في أمر الماء، وما عليه إلا أن يبذر الحب، وعلى الله الإنبات، وقال إنه يأكل من عرق جبينه قانعًا بما قسم الله له، وفسّر ذلك بقوله: "إنني لا أحمل هم ملك أو ولاية، وتكفيني هذه السنابل ما دمت حيًا، وهذا هو الذي يُبشّرني بأن الله سوف يعطيني عن كل حبة سبعمائة حبة"<sup>(٢)</sup>.

ثم قال: "إن مرتبة الإنسان في الدنيا على حسب قدره فيها. فيجب على المشتغل بالأمر أن يكون صبورًا، فلا يضجر سريعًا"<sup>(٣)</sup>.

(١) تخم ادب چيست؟ وفاکاشتن  
برزگر آن دانه که می پرورد  
حق وفا چیست؟ نگه داشتن  
آید روزی که ازو برخورد  
(المرجع السابق، ص ۸۸)

(٢) نیست غم ملک وولایت مرا  
آنکه بشارت بخودم میدهد  
تامنم این دانه کفایت مرا  
دانه یکی هفتصدم میدهد  
(المرجع السابق، ص ۹۰)

(٣) هست در این دایره لاجورد  
دولتی باید صاحب درنگ  
مرتبه مرد بمقدار مرد  
کز قدری ناز نیاید بتنگ  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۹۰)



وختم الشاعر بقوله عن نفسه: "لا أطمع في العظمة قبل الوصول إلى مرتبة النضج، ولذلك فإن تَحْمُلُ المشاق قد أصبح من عادات نظامي"<sup>(١)</sup>.

#### ٤- المقالة الرابعة

##### في رعاية الرعية

يذم الشاعر - في أول المقالة الرابعة - الإنسان الذي يتجرّد عن المروعة، ويعتدّ بملك لا يفني لأحد، وبعمر يفنى، ويشير إلى ما فعلته رابعة العدوية، فقد قصت ذؤابتها، ومزقت ثيابها لتصنع حبلاً تستعين به في إخراج قدر من الماء من بئر، لتسقي كلباً عطشاً، ويدعو الشاعر مثل هذا الإنسان إلى الخجل من مثل هذه المرأة، لأنه أقل منها مروءة وشهامة، وينصحه قائلاً: "لا بد للعقل من الفضل، وليس هناك أفضل من العدل"<sup>(٢)</sup>.

ثم يقول تبعاً لذلك: "لا يجب أن يظهر الإنسان إلا الجوهر الطيب، فإنه المعدن الذي يمكن أن يستفيد منه لأن الظلم غير مأمون العواقب، فالظالم يريق ماء وجهه، ودماء الآخرين"<sup>(٣)</sup>.

ويكرّر النصح بالتزام العدل، فيقول: "اعدلّ واحذر قيام الناس في نصف الليل للتلطم، ولا تحتقر قيامهم، لأن له آثاره، إذا أصاب دعاؤهم الهدف"<sup>(٤)</sup>.

- |  |  |
|--|--|
| (١) نازنگویم که زخامی بود<br>(المرجع السابق، ص ٩١)     | نازکشی کار نظامی بود<br>(المرجع السابق، ص ٩١)                                    |
| (٢) کردن عقل ازهنر آزاد نیست<br>(نفس المرجع والصفحة)   | هیچ هنر خو بتر ازاد نیست<br>(نفس المرجع والصفحة)                                 |
| (٣) جز گهر نیک نباید نمود<br>نیست مبارک ستم انگیختن    | سود توان کرد بدین مایه سود<br>آب خود و خون کسان ریختن<br>(المرجع السابق، ص ٩٢)   |
| (٤) دادکن از همت مرده بترس<br>همت از آنجا که نظرها کند | نیمشب از تیر تظلم بترس<br>خوار مدارش که اثرها کند<br>(نظامی: مخزن الأسرار، ص ٩٢) |

وهو لذلك يخاطب قائلاً: "أبعُدْ سهم الظلم عن طريقهم، حتى لا تصيبك سهام دعائهم في وقت السحر؛ فإن العدل أساس الملك، والتعلق بالدنيا هو سبب الظلم، فكل من يعدل في هذه الدنيا يُعمرَّ آخرته"<sup>(١)</sup>.

ثم يورد "قصة العجوز والسلطان سنجر" وهي أن عجوزاً شكت إلى السلطان سنجر ظلم رجاله، وأخذت تُبَيِّنُ له عاقبة ظلمه، فقد أدّى إلى خراب المملكة وتحطيمها.

ثم خاطبته قائلة: "إنك عبد وتدعي الملك، لست ملكاً لأنك تُحَرِّبُ، إن الملك هو الذي يُنظِّم الدولة، ويرعى الرعية، حتى يطيع الجميع أمره، ويضعوا حبه في قلوبهم وأفتدتهم"<sup>(٢)</sup>.

وهي - لذلك - تنصحه بقولها: "ارفع يدك عن ظلم الفقراء حتى لا تصيبك سهام دعائهم"<sup>(٣)</sup>.

ثم تقول له: "اعلم أنك ملك، بأن تُقْلِعَ عن الظلم، وتأسو جراح المصابين"<sup>(٤)</sup>.

وهكذا يختم الشاعر المقالة والقصة مُرَدِّدًا نفس النغمات التي تدعوا إلى مراعاة العدل والوفاء، وتجنب الظلم ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً.

تاخجوری تیر سحر گاهشان  
شرط جهان بین که ستمکاریست  
خانه فردای خود آباد کرد  
(نفس المرجع والصفحة)

شاه نه چونکه تباهی کنی  
حکم رعیت برعایت کند  
دوستیش در دل وجان نهند  
(المرجع السابق، ص ۹۴)

تاخجوری یاسج غمخوارگان  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۹۴)

گردیگران ریش تومرهم کنی  
(المرجع السابق، ص ۹۶)

(١) تیغ ستم دورکن از راهشان  
داد گری شرط جهانداريست  
هرکه درین خانه شی داد کرد

(٢) بنده ودعوی شاهي کنی  
شاه که ترتیب ولایت کند  
تاهمه سربر خط فرمان کنند

(٣) دست بدار از سر بیچارگان

(٤) شاه بدانی که جفاکم گنی

## ٥- المقالة الخامسة

## في وصف الهَرَم

يتحدث نظامي - في المقالة الخامسة - عن الهَرَم، فيظهر الحزن على نعماته، حينما يقرر أن الشباب قد تولى بأيامه الجميلة؛ فيقول: "الشباب حلورغم أنه كالنار المشبوبة، أما الهَرَم فمر المذاق"<sup>(١)</sup>.

ثم يقول: "إن عهد الشباب قد انتهى فلا تَنَمَّ، وقد جاء الليل... وهذا هو السحر، فلا تَنَمَّ"<sup>(٢)</sup>.

ويُتَّبِع ذلك بالحث على العمل قائلاً: "كل التراب ولا تأكل خبز البخلاء، لست ذليلاً، فلا تتحمل شماتة الأذلاء"<sup>(٣)</sup>.

ثم يورد "قصة صانع آجر مُسِنَّ" وهي أن شيخاً كان يعيش في الشام، ويكسب قوته من صناعة الآجر، وكان الناس يستعملون آجره في بناء لحودهم، مُتَبَرِّكين به، ومعتقدين أن ذنوبهم سوف تغفر، مهما كانت هذه الذنوب كثيرة.

وذات يوم جاءه شاب، وأخذ ينتقد عمله، ويقول له إن صناعة الآجر مذلة، وينصحه بترك هذا العمل، لأن رزقه سيصل إليه بدونه، فضلاً عن أنه شيخ كبير، فيجب أن يترك هذا العمل للشباب.

(١) گرچه جوانی همه خود آشت پیری تلخست وجوانی خوشت (المرجع السابق، ص ٩٨)

(٢) عهد جوانی بسر آمد محسب شب شد واینک سحر آمد محسب (نفس المرجع والصفحة)

(٣) خاک خور و نان بخیلان مخور خاک نه زخم ذیلان مخور (نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٠٠)

وقد أجابه الشيخ راجياً إياه أن يترك الفضول والجرأة، ثم قال له: "إنني أتخذ هذه الحرفة، حتى لا أمد يدي - أمامك - للسؤال يوماً ما"<sup>(١)</sup>.

ونصحه بالإقلاع عن الانتقاد، فتأثر الشاب اللائم من كلام الشيخ، وانصرف باكياً من فرط التأثر.

ثم دعا الشاعر نفسه إلى ترك الدنيا والعمل للآخرة فقال: "يا نظامى! إلى متى تطرق باب الدنيا؟!... استيقظ، واطرق - إذا طرقت - باب الدين"<sup>(٢)</sup>.

## ٦- المقالة السادسة

### في الاعتبار بالموجودات

ينظر الشاعر - في المقالة السادسة - إلى الكون نظرة فيها تأمل واعتبار، ويقرر أن كل ما في السموات والأرض قد سُخِّرَ لخدمة الإنسان، فهو أكرم المخلوقات عند الله، وهو الموجود الذي لا يستغني العالم عنه، ولذلك فهو يخاطبه بقوله: "ليس للعالم ساكن مثلك، إن طيور الأرض ترزق بالحب من أجلك"<sup>(٣)</sup>.

وينصحه باتباع القلب حتى يرتفع شأنه، فيقول: "اتبع القلب حتى تصير سلطاناً، فتسيطر على العقل والروح"<sup>(٤)</sup>.

(١) دست بدين پبشه كشيديم كه هست تا نكشم پبش تو يكروز دست (المرجع السابق، ص ١٠١)

(٢) چند نظامى در دنى زنى خيز ودر دين زن اگرميزنى (نفس المرجع والصفحة)

(٣) نيست جهانرا جوتو همخانه مرغ زمين را زتوبه دانۀ (نظامى: مخزن الأسرار، ص ١٠٢)

(٤) بنده دل باش كه سلطان شوى خواجه عقل وملك جان شوى (المرجع السابق، ص ١٠٣)

ويدعوه إلى تحمل العناء متعبداً حتى يصل إلى بر السلامة، فيقول: "تحمل العناء في الليل البهيم، فكلما كثر التعب زادت العناية الإلهية، فإن كل من وصل - من أهل الوفاء - إلى منزلة، قد وصل إليها عن طريق العناء، لأن نزول البلاء عافية للأنبياء، فالبلاء هو الذي يجلب لك العافية"<sup>(١)</sup>.

ثم يورد قصة "كلب وصياد وثعلب" وهي أنه كان يوجد صياد حادُّ البصر، خبير بمسالك الصحراء، وكان له كلب قوي، سريع العدو، يعاونه في الصيد، ويلازمه في السفر، وقد أفاد منه كثيراً، فأحبه حباً شديداً، وكان الكلب مخلصاً في خدمة سيده، فكان يحرسه إذا نام، ويساعده على كسب قوته في أثناء النهار.

وذات يوم ضاع الكلب، فحزن الصياد على فقدته حزناً شديداً، ثم استعان بالصبر، فصبر صبراً جميلاً، ولكنَّ ثعلباً جاءه ساخرًا وقال له: كيف تصبر؟! لقد كان كلبك يُعتَبَر كل شيء بالنسبة لك، فحياتك متوقفة على وجوده. ثم تهكَّم عليه قائلاً: إن عندك من صيده ما يكفيك شهرين، فقم وكُل فقد استرحت من دهن أعضائنا، فلن تأكل ثعلباً سميئاً بعد الآن، فلم تخزن؟!..

فأجابه الصياد بقوله: إن الليالي حبالى بالأحداث، وإن الغم والسرور لا يخلدان في هذه الدنيا، وإن العز والذل، والأُنجم والأفلاك، والراحة والمحنة، تدور جميعها في عجلة واحدة. إن قلبي سعيد بهذا الغم، لأن مجيء الغم دليل على أنَّ في إثره سروراً، لأن بعد العسر يسراً، حقيقة أن كلبى قد ضاع، ولكني واثق من أنه سوف يعود لي بصيد مثلك.

هرچه عنابیش عنایت فزون  
بیشتر از راه عنائی رسید  
وآنچه ترا عافیت آید بلاست  
(المرجع السابق، ص ١٠٤)

(١) بار عناکش بشب قیرگون  
ز أهل وفا هرکه بجائی رسید  
نزل بلا عافیت انبیاست

وبینما كان الصیاد مسترسلاً فی حدیثه، ثار غبار من بعید، ثم ظهر الكلب المفقود، ودار حول صاحبه، ثم قال: "لقد رَجَعْتُ متأخراً بعض الوقت؛ ولكن يجب أن يعلم الثعلب أنني عُدْتُ قویاً كالأسد.

ثم ینصح الشاعر فیقول: "إن كل من یصطنع الیقین فی عمله، تكون السعادة خاتمة له، فابحث عن طریق الیقین فی كل قصد، فلیس هناك طریق أفضل منه... فلو ثبتت قدمك علی طریق الیقین، فإنك تستطیع أن تأتي بالمعجزات؛ فتُخرج الغبار من البحر، والماء من النار"<sup>(۱)</sup>.

ثم یقول: "إن أهل الیقین طائفة أخرى، فهم الرأس ونحن القدم"<sup>(۲)</sup>.

ویدعو إلى عدم التفكير فی أمر الرزق لأنه مقسوم منذ الأزل، فیقول: "حينما خلق الله صورتنا قسم لنا الرزق منذ الأزل، وقد أرسل رزقك معك، فكل فی الدنيا، ما منحه الله إياك، فمهما تعب إنسان فی طلب الرزق، فإنه لن یأكل أكثر من نصيبه المقسوم"<sup>(۳)</sup>.

وختم الشاعر نصیحته بقوله: "حاول أن تعتقد أن الرزق والجاه لا یزیدان بكثرة التعب والجهد، فإن سعیک يجب أن یحالفه توفیق الله، حتی تصبح عزیزاً، غنیاً عن العالم كله"<sup>(۴)</sup>.

خاتم كارش بسعادت كشد  
نیست مبارکتر ازین منزلی  
گرد زدریانم از آتش برار  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۰۷)

ماهه پائیم گر ایشان سرنند  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۰۷)

قسمت روزی باجل ساختند  
آن خوری اینجاکه تراداده اند  
بیشتر از روزی خود کس نخورد  
(المرجع السابق، ص ۱۰۸)

روزی ودولت نفزاید بجهد  
جهد تو میباید وتوفیق نیز  
(نفس المرجع والصفحة)

(۱) هرکه یقینش بآرادت كشد  
راء یقین جوی زهر حاصلی  
گر قدمت شد بیقین استوار

(۲) أهل یقین طائفه دیگرند

(۳) صورت ما راکه عمال ساختند  
روزی از آنجات فرستاده اند  
گرچه دی این راه بسی جهد کرد

(۴) جهد بدین کن که براینست عهد  
تا شوی از جمله عالم عزیز

## ٧- المقالة السابعة

## في فضل الإنسان على الحيوانات

يكسر نظامي - في المقالة السابعة - الحديث عن فضل الإنسان، وتسخير ما في الوجود لخدمته، لأن قدر الإنسان أسمى مما يتصور الإنسان نفسه، ثم ينصح به بأن يكون شريفًا في أعماله، فيقول: "كن - كالطائر الميمون - شريف العمل.. كل قليلًا، وتكلم قليلًا، وأقل الأذى"<sup>(١)</sup>.

ويدعو إلى تطهير الجسم، فيقول: "اجعل جسمك أكثر طهارة من روحك، بأن تعتكف أربعين يومًا"<sup>(٢)</sup>.

ثم ينصح بالرياضة الروحية - على طريقة الصوفية - فيقول: "إن قدر القلب، ومنزلة الروح لا يمكن الحصول عليهما إلا بالرياضة، فأضف إلى الطبائع صفاء الرياضة، واستخرج بالرياضة خير ما في النفس الإنسانية، حتى تصل عن طريقها إلى تكوين شخص مُهذَّب من شخصك الذي ليس شيئًا"<sup>(٣)</sup>.

ثم يورد قصة "أفريدون والغزال" وهي أن أفريدون خرج يومًا للتنزه مع بعض رجاله، ثم توجه إلى مرعى للصيد، فرأى غزالًا صغيرًا، أعجبه جماله، وتناسق أعضائه، فأغرم به، وعدل عن صيده، بعد أن كان قد استعد لذلك وهكذا نجا الحيوان الضعيف من القتل وعاش حرًا طليقًا.

- |  |   |
|--|---|
| (١) كم خور وكم گوی وکم آزار باش (نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٠٩)                             | (١) جون تو همائی شرف کارباش   |
| چونکه جهل روز بزندان کنی (المرجع السابق، ص ١١٠)  | (٢) جسمت یا کتر از جان کنی  |
| جز بریاضت نتوان یافتن زر طبیعت بریاضت برآر کت بکسی در کشد این ناکسی (نفس المرجع والصفحة) | (٣) قدر دل وپایه جان یافتن سپم ریاضت بطبایع سپار تا زریاضت بمقامی رسی |

وَيُتَّبِعُ الشَّاعِرُ ذَلِكَ بِالنَّصِيحِ بَأَن يَتَرَفَعُ الْإِنْسَانُ عَنِ الصَّغَائِرِ، وَيَتَطَّلِعُ إِلَى الْمُثَلِّ الْعَلِيَاءِ، فَيَقُولُ: إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ الصَّيْدَ، فَيَجِبُ أَنْ يَصِيدَ شَيْئًا عَظِيمًا، حَتَّى يَسْمُوَ، وَيَشْتَهَرَ بِهَذَا الصَّيْدِ. وَيَخْتِمُ نَصْحَهُ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ مَسَاعِدَةَ النَّاسِ أَسَاسَ الرَّجُولَةِ، وَشَرَفَ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَلَيْسَ فِي نَظَرِ الْحُكَمَاءِ أَفْضَلُ مِنَ الْمَسَاعِدَةِ، فَحَافِظْ عَلَى الْوَفَاءِ، وَحَاوِلْ أَلَّا تَنْقُضَهُ"<sup>(١)</sup>.

## ۸- المقالة الثامنة

### في بيان الخلق

يتحدث الشاعر - في هذه المقالة - عن كيفية خلق العالم، فيقول: "قبل أن تضع قدمك في هذا الطريق، كان العالم مملوءًا بالشكر، وكانت الأيام والليالي غير حبالى بالأحداث"<sup>(٢)</sup>. فلما خُلِقَ الْإِنْسَانُ امْتَلَأَ الْعَالَمُ بِالْمَتَاعِ وَالذَّنُوبِ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ يَحَاطَبُهُ بِقَوْلِهِ: "يَا مَنْ أَصْبَحَ كُلُّ مَا عَلَى الْأَرْضِ فِي تَعَبٍ بِسَبَبِكَ، إِنَّ مَكَانَكَ يَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ الْأَرْضِ، مِثْلَ الْكَنْزِ"<sup>(٣)</sup>. وينعي على الإنسان، لأنه يُضَيِّعُ وَقْتَهُ فِي اللَّهْوِ وَالتَّمَتُّعِ، فيقول له: "لا جرم أنك في الدنيا أسير المطبخ، وستكون يوم القيامة علفًا لجنهم"<sup>(٤)</sup>.

- |  |  |
|--|--|
| (١) صورت خدمت صفت مرد میست نیست بر مردم صاحب نظر دست و فادر کمر عهد کن | (١) خدمت کردن شرف آدمیست خدمتی از عهد پسندیده تر تا نشوی عهد شکن جهد کن (نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۱۳) |
| (٢) تا تو درین ره ننهادی قدم فارغ از آبستنی روز وشب                    | (٢) شکر بس داشت وجود از عدم نامیه عنین وطبیعت عزب (المرجع السابق، ص ۱۱۴)                             |
| (٣) ای تو بالای زمین زیر رنج   | (٣) جای توهم زیر زمین به چو گنج (المرجع السابق، ص ۱۱۶)   |
| (٤) لا جرم اینجا دغل مطبخی   | (٤) روز قیامت علف دوزخی (المرجع السابق، ص ۱۱۸)   |



ثم يقول: "لو عاش شخص بالطعام كثيرًا، لعاش كل من يأكل أكثر عمرًا أطول.. فإن الطعام يُعطل عقلك عن العمل المنتج، ولكن الحرص هو الذي يدفعك إلى التكالب عليه، وإني أخشى أن يروق الطعام في نظرك، فيلغي عقلك، فتصير أسير شهواتك"<sup>(١)</sup>.

ثم يورد قصة "بائع فاكهة و ثعلب" وهي أن بائع فاكهة كان يسكن اليمن وكان يستعمل ثعلبًا صغيرًا لحراسة دكانه، وكان الثعلب ذكيًا يحفظ متاع سيده، ويرعاه جيدًا، حتى تغلب عليه نشال، فأنامه، ثم سرق المتاع.

وعلق الشاعر على هذا بقوله: "إن كل من يسلم نفسه للنوم في هذا الطريق سوف يفقد كل شيء في الحياة"<sup>(٢)</sup>.

## ٩- المقالة التاسعة

### في ترك المئونات الدنيوية

يُدكّر الشاعر الإنسان - في هذه المقالة - بقصر عمره، وسرعة انقضائه، وينصحه بأن يتزود لآخرته، وأن يرسل هذا الزاد أمامه، حتى ينفعه إذا ما وصل، ويضرب المثل بالنحل والنمل - في بُعد النظر - ويدعو الإنسان إلى ادخار قوت غده مثل هذه الحشرات، فيقول: "إن الإنسان الغافل إذا لم يكن أعمى، فإنه ليس أقل من هذا النمل، وذلك النحل"<sup>(٣)</sup>.

(١) گر بخورش بیش کسی زیستی هرکه بسی خورد بسی زیستی

عقل تو باخورد چه بازار داشت حرص ترا بر سر اینکار داشت

ترسم از این پیشه که پیشت کند رنگ پذیرنده خویشت کند  
(نفس المرجع والصفحة)

(٢) هرکه در این راه کند خوابگاه یا سرش از دست رود یا کلاه  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١١٩)

(٣) آدمی غافل اگر کورنیست کمتر از ان نحل و ازین مورنیست  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١١٩)

ثم يقول: "إن كل المخلوقات - غير الإنسان - بعيدة النظر، تَدخِر زادها وما ينفعها في مستقبلها، فيجب أن يتفكر الإنسان في عاقبته، لأن عاقبة هذا التفكير مفيدة". "فنحن وإن كُنَّا قد خُلِقْنَا من تراب إلا أننا جواهر لأننا أصحاب قلوب"<sup>(١)</sup>.

وينصح بأن يتفكر الإنسان في السر من خلقه قائلاً: "انظر في أي طريق يقع منزلك، وفكّر في محيئك إلى هذه الدنيا، وفي ذهابك منها، وما السر في محيئك؟ وما الحكمة في ذهابك؟"<sup>(٢)</sup>.

ويشير إلى أن الإنسان كان - قبل هبوطه إلى الأرض - في عالم جميل، ثم هبط إلى الأرض، ولن يدوم عليها كثيراً، بل إن حاله في تَغَيُّر وتَبَدُّل، ويجب أن يلحق بالعالم العلوي مرة أخرى، فيجب أن يتبع نصيحة أبيه آدم، فيترك الدنيا والآثام، ويعمل للآخرة، ويتفكر في حقيقته، فيحمل عبأه. "فنحن قد خُلِقْنَا للعمل، لا للقيام والقال"<sup>(٣)</sup>.

ثم يقول: "إن الإنسان يجب ألا يسر بالمجيء إلى الدنيا لأنه يعرف أن في إثر المجيء الرحيل منها، وليس هناك شيء في المجيء أو الرحيل، وسيأتي اليوم الذي نعود فيه إلى الحياة مرة أخرى في الآخرة." "فمركب العبور الوحيد في هذه البادية هو الدين؛ فهو الوسيلة الوحيدة للنجاة"<sup>(٤)</sup>.

- |  |   |
|--|---|
| (١) ماکه ز صاحب خبران دلیم<br>(المرجع السابق، ص ١٢٠)       | گوهرییم ارچه زکان گلیم  |
| (٢) منزل خود بین که کدامست راه<br>ز آمدن این سفرت رای چیست | وآمدن ورفتن از این جایگاه<br>باز شدن حکمت از اینجای چیست؟<br>(نفس المرجع والصفحة) |
| (٣) ماز بی رنج پدید آمدیم                                  | نزهت گفت وشنید آمدیم<br>(المرجع السابق، ص ١٢٢)                                    |
| (٤) مركب این بادیه دینست وپس                               | چاره این کار همین است وپس<br>(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٢٣)                         |

وينصح بعد ذلك قائلاً: "اطلب المغفرة وعلى الله القبول، ولا تسلم كل شيء للقدر"<sup>(١)</sup>. ثم يذكر "قصة زاهد نقض توبته" فيقول إنه كان يوجد زاهد معتكف للتعبُّد، وكان يندب حظه العاثر، فقد أصبح أسير العبادة والتسبيح، فسرقت القبله كل أوقاته، وصار من سكان بيت الدراويش، فلا علاقة له بهذه الدنيا الحقيرة، رغم أنه لم يستفد من هذا المسلك شيئاً، وهو يعزو سلوكه هذا الطريق إلى القضاء، فهو الذي جعله زاهداً.

ولكن قلبه يجيبه بأنه لا يجب أن يَكِلَ كل شيء للقضاء لأنه، وألفاً مثله لا يساوون أمام القضاء حبة شعير، ثم ينصحه بأن يحاول غسل ذنوبه، دون تَعَلُّل بالأعداء، فلا يحاول ارتكاب المعاصي في أثناء حياته في هذه الدنيا، ويبيِّن له طريق النجاة في قوله: "اهجر نومك قبل أن يُنيمك الموت، وتزوّد قليلاً من هذه الدنيا الفانية، فليس جميلاً أن تنام حياً وميتاً"<sup>(٢)</sup>.

## ١٠- المقالة العاشرة

### في ظهور آخر الزمان

يستمر الشاعر - في هذه المقالة - في الحديث عن تبدُّل الأرض والأفلاك، وعدم بقائها على حال واحد، وأن الساعة ستقوم "فَتُرْزَلُ طبقات الأرض زلزلاً شديداً، لأنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم"<sup>(٣)</sup> وحينذاك تُبَدَّلُ الأرض غير الأرض والسماوات، وتُدَكُّ الأرض دكاً، وتُطوى

جملة ز تسليم قدر درمياى  
(نفس المرجع والصفحة)

اندى از بهر عدم توشه كن  
زنده ومرده بيك خواب در  
(المرجع السابق، ص ١٢٤)

زلزلة الساعة شيء عظيم  
(نظامى: مخزن الأسرار، ص ١٢٤)

(١) عذر زخود دار وقبول از خدای

(٢) تا نبرد خوابت ازو گوشه كن  
خوش نبود ديده بخوناب در

(٣) در طبقات زمی افکنده بيم

السما كطي السجل للكتب، وبذلك "تستريح الأرض والسما من متاعبنا، وتُظَهَّران من ذنوبنا، ويسكن الفلك، فلا يسعى لخدمتنا، فتأمن الأرض مكرنا"<sup>(۱)</sup>.

ثم يخاطب الشاعر الإنسان الذي أرقق الأرض بأفعاله السيئة، فيدعوه إلى ترك متاع الدنيا، وتطهير النفس، لأن الأحداث سريعاً ما تحدث، ولن يستطيع أي إنسان أن ينجو من الموت، فيجب أن يعترف الإنسان بعجزه، وهو لذلك ينصحه بقوله: "إنك واقف على رأس شعرة فلا تتمسك بها، وحاول أن تخرج من الدنيا كما تخرج الشعرة من العجين"<sup>(۲)</sup>.

ثم يُبيِّن الشاعر عيوب العالم، فيقرر أن كل شيء في الدنيا ناقص معيب؛ فالشمس شرارة من جهنم، والقمر قاصر لأنه يعتمد على الشمس، والسحاب يعتمد على بخار الماء. ويُجِيل العيوب في قوله: "العالم مملوء بالعيوب، ولكنك لا تنظر إلى عيوبه مطلقاً"<sup>(۳)</sup>.

وينصح أن يشتغل الإنسان بعيوبه عن عيوب الناس، وأن ينظر إلى محاسن الناس فقط، وأن يترفع عن تقصّي عيوبهم، فيقول: "ارفع عينك عن عيوب الآخرين، وفتّش في نفسك، واعرف عيوبك، ففي كل شيء فضل وعيب، فترفع عن النظر إلى العيوب، حتى تصير فاضلاً"<sup>(۴)</sup>.

- (۱) رسته شود هر دوسر از دردمآ هم فلك از شغل تو ساكن شود (المرجع السابق، ص ۱۳۵)
- (۲) برسر موئی سر موئی مگیر ورنه برون آي چوموی از خمیر (المرجع السابق، ص ۱۲۷)
- (۳) خانه ير عيب شد اينكار گاه خود نكني هيچ بعيش نگاه (نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۲۸)
- (۴) ديده عيب ديگران كن فراز در همه چيز هنر وعيب هست صورت خود بين ودرو عيب ساز عيب مبین تا هنر آری بدست (نفس المرجع والصفحة)

ثم يورد "قصة عيسى"، وهي أن عيسى كان يمر في سوق فأبصر كلباً ميتاً مُلقًى في الطريق، وقد التفت حوله جمع من الناس، فأخذ كل منهم يذكر عيباً من عيوبه، فقال واحد منهم: إن رَأْتَهُ تسبب صداع الرأس، وقال الثاني: إنه يسبب عمى العين ومرض القلب، وكان كل من يتحدث منهم ينتقد الكلب، فلما وصل عيسى إليهم، نصحهم بعدم ذكر العيوب، والنظر إلى المحاسن فقط، وتعيدها، فلا ينبغي أن يضحك الإنسان من مصيبة الآخرين، ونصح قائلاً: "لا تفتش عن عيوب الآخرين، ولا تُعَدِّد محاسنك، بل تأمل في نفسك"<sup>(١)</sup>.

ثم قرَّر أن الأفلاك التسعة حجب لعيون الإنسان، وكل ما في الدنيا لفتنته وسوف يفنى جميعه.

وقد صَوَّر ذلك في قوله: "كل ما في الدنيا من قديم إلى حديث، لن يساوي - حينما يفنى - شعيرتين، فلا تَحْمِلْ هَمَّ الدنيا، واستيقظ أيها السيد، وإذا حملته، فدع نصيب نظامي"<sup>(٢)</sup>.

## ١١- المقالة الحادية عشرة

### في غدر الدنيا

يبدأ نظامي هذه المقالة بقوله: "اسْتَيْقِظْ وَأُخْوِ بِسَاطِ الْفَلَكِ، فليس هناك وفاءً في هذه الدنيا"<sup>(٣)</sup>.

ديده فروكن بگريبان خويش  
(المرجع السابق، ص ١٢٩)

چون گذرندست نيرزد دوجو  
ور تو خورى بخشى نظامى بريز  
(نظامى: مخزن الاسرار، ص ١٣٠)

زانكه وفا نيست درين تخته نرد  
(نفس المرجع والصفحة)

(١) عيب كسان منگر واحسان خويش

(٢) جمله دنيا ز كهن تابنو  
انده دنيا مخوراي خواجه خيز

(٣) خير وبساط فلکی در نورد

ثم يتحدث عن غدر الدنيا، فيقول: "لا تتوَقَّع أن تصل إلى هدفك بحبك للدنيا، ولا تبحث عن خصلة الإنصاف بين خصالها، فليَمَّ تُعَرِّض متاعك لهذا الموج العاتي؟!.." (١).

وَيُحذِّر من غدر الدنيا فَيُبَيِّن أن كنز الوفاء والأمان ليس موجوداً في هذه الأرض، فالدنيا لا تُدَلِّل الإنسان أبداً، فيجب أن يسحب يده من مصاحبتها، والاعتماد عليها، فليس على مائدة الدنيا شيءٌ، اللهمَّ إلا كؤوس ملوثة، فكل من يعتمد عليها تكون عاقبته الخسارة، فهي بريق زائف، وسراب خادع، وهي تغرُّ الإنسان فيتعلق بها، فيعيش مفتوناً بها، حتى يصيبه نوم الغفلة والاضطراب، ولذلك فالشاعر ينصح قائلاً "اجعل الآخرة دار مقامك، واهجر هذه الدار الخرية" (٢).

ويرى أنه يجب أن يترك الإنسان الدنيا وبيوعها لأنه لم يستفيد شيئاً من علاقته بها، فينبغي أن يهملها حتى يعيش سعيداً، وأن يُجَهِّز زاد الآخرة، فيقول: "إن طريقك طويل، ومنزلك بعيد، فجهز زاد الطريق، ومثونة المنزل" (٣).

وهو يعتقد أن الدنيا دار الشياطين، لأنها تمتص عصارة الكبد من كل مَنْ يتعلق بها، فيتحوَّل قلبه دماً، فلن تستطيع قافلة القلب أن تسير في هذا الطريق الذي يُذيب القلب... فأفُّ للدنيا المملوءة بالغم.

(١) نقش مراد از در وصلش مجوی پای درین بحر نهادن که چه؟!  
خلصت انصاف ز خصلش مجوی بار درین موج گشادن که چه؟!  
(نفس المرجع والصفحة)

(٢) خلوت خود ساز عدم خانه را باز گذار این ده ویرانه را  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٣١)

(٣) راه تو دور آمد و منزل دراز برگ ره و توشه منزل بساز  
(نفس المرجع والصفحة)

ولذلك يكرّر الدعوة إلى تركها، ويُحذّر من الانكباب عليها، فيقول: "إن كل من يتّبع هواه في هذه الدنيا، تُحرق كبده، وبصير مهمومًا دائمًا"<sup>(١)</sup>.

ويدل على رأيه بقوله: "ماذا تفعل بهذه الوردة النابتة من جهنم، استيقظ واترك جهنم، وتوجه إلى الجنة، فإن الدهر يتعقبك، ويمسك بيدك، ويحاول أن يضلّك، وهكذا حتى تموت، فتكون عاقبتك وخيمة، كغيرك من الناس، وما دمت ستعود إلى التراب مرة أخرى، فحاول أن تعبر الدنيا بسلام، ولا تحاول أن تحفر حفرة لأحد، فكثيرًا ما طحنت الدنيا غيرك تحت قدمها، فقد فني كل من عليها، دون أن يصلوا إلى أهدافهم، فلا تتعلق بهذه الدنيا التي محصولها الشوك، ولا تحاول الإقامة في مكان ليس مُخصّصًا لإقامتك... إنه مكان مخيف، فماذا تفعل فيه؟!.. إن الدنيا منزل فانٍ، فلا تتوقع بقاءها، وقد بلغت خريف عمرها، فلا تنتظر ربيعها"<sup>(٢)</sup>.

ثم يورد قصة "عابد صاحب نظر" وهي أن عابدًا مرّ على حديقة يانعة فرأها مكانًا مُزيّنًا خلّابًا، ولكنه أدرك بفطنته أنها تقوم على الكذب والخداع، لأن الملكة - التي هي فيها - يسودها الظلم، وأحسّ بأن أزهار الحديقة ملوثة بالدماء، وأنها ترتعش خوفًا على نفسها،

(١) چو نچگر افسرد وچو زهره گداخت (المرجع السابق، ص ١٣٢)

خیز و بده دوزخ وستان بهشت پای بیایت سپرد روزگار دست بدستت زمیان گم کند بر سر این خاک چه باید گذشت کوچو تو سودست بسی زیر پای هیجکس این رقعه پایان نبرد خویشتن از خارنگه دارخیز بیگهی شد چه کنی جای بیم باد خزانیتست بهارش مبین (نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٣٢-١٣٣)

(١) هرکه درین بادیه با طبع ساخت

(٢) تاچکنی این گل دوزخ سرشت تا شود این هیكل خاکی غبار عاقبت چونکه بمردم کند چونکه سوی خاک بود بازگشت زیر کف پای کسی را مسای کس بجهان در زجهان جان نبرد پای منه برسر این خارخیز آنچه مقام تو نباشد مقیم منزل فانیست قرارش مبین

وأن الأشجار تهتزّ من الفساد والجور؛ وأيقن أنها سوف تتبدل سريعاً، وتصبح خاوية على عروشها، وأن دولة الظلم سوف تزول قريباً.

ثم مرّ العابد على هذه الروضة بعد بضعة أشهر، فرأى نواح الغربان مكان البلبل والروض، ورأى جهنم مكان الجنة، وأدرك أن المملكة قد خربت، فذهبت الحضرة، وأصبحت الزهور كومة تراب. "فنظر العابد إليها نظرة عابرة، وسخر منها واعتبر، وبكى على حاله"<sup>(١)</sup>. وقال إن كل من عليها فإن، فكل من خرج من التراب سوف يعود إليه في النهاية، فليست أمامه وسيلة غير التعبد والاعتكاف، وهكذا "نظر العابد بعين البصيرة فعرف ربّه، وأدرك قدر نفسه"<sup>(٢)</sup>.

ثم ينصح بأن يحاول كل إنسان أن يعرف هذه الحقيقة، فيدرك قدرة نفسه، ويعرف ربه، لأن المسلم إذا كان خالياً من الفيض، يصبح كالمجوسي.

ويرى أن الإنسان يجب ألا يكون أقل من ذلك العابد، وأن يترك الدنيا فلا يتعلق بها، وألا يتكبر ويغتر، وأن يستيقظ ويتعبد، ويعمل للأخرة.

ويختم نصيحته بقوله: "اجتهد حتى تنجو من العبودية، وتتخلص - كنظامى - من أسر الشهوات"<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) پير در آن تيز روان بنگريست  
برهه خنديد و بخود برگرست  
(نظامى: مخزن الأسرار، ص ١٣٤)
- (٢) چون نظر از بينش توفيق ساخت  
عارف خود گشت و خدارا شناخت  
(نفس المرجع والصفحة)
- (٣) كوش كزين خواجه غلامى رهى  
ياچو نظامى ز نظامى رهى  
(المرجع السابق، ص ١٣٤)



## ١٢- المقالة الثانية عشرة

## في وداع الدنيا

يكرر الشاعر - في هذه المقالة - دعوته إلى أن يستيقظ الإنسان، ويودع الدنيا ليهيئ لنفسه حياة أسعد في الآخرة، وأن يخشع ويبكي، حتى يتعرض قلبه لفيض الله، لأن الإنسان أعجز من أن يحافظ على شعرة واحدة، فليس أمامه غير طريق العدم، ولذلك فهو يخاطبه بقوله: "ما دُمّت لا تستطيع أن تحفظ شعرة واحدة، فليس أمامك غير طريق العدم، فقد تولى الأصدقاء والظرفاء... مع من تجلس وقد تولى الرفقاء؟!.. إن الطبع يميل إلى الملاطفة، ولكن كيف تكون الملاطفة مع الوحدة والانفراد؟!... فالأجدر أن يبحث الإنسان الطاهر عن صديق مماثل له في هذه الدنيا المظلمة، ويجب أن تنشر علمك قبل أن تذهب من الدنيا، وأن تُخفّف من أحمالك، حتى تصل إلى الجنة سريعاً"<sup>(١)</sup>.

ثم ينصح بالعمل للآخرة، لأن الدنيا عديمة الفائدة، وأن يحاول ألا يكون هدفًا للفلك الدوار، حتى لا يصب عليه قذائفه، ويرى أن الوسيلة الوحيدة هي خروج الإنسان عن دائرته الضيقة، والبحث عن طريق النجاة، وهو يرشد إلى هذا الطريق في قوله: لا تحاول أن

(١) چونکه ترا محرم یکموی نیست  
طبع نوازان و ظریفان شدند  
گرچه بسی طبع لطیفی کند  
به که بجوید دل پرهیزناک  
تا نرسد تفرقه راه پیش  
رخت رهاکن که گران روکسی

جز بعدم رای زدن روی نیست  
باکه نشینی که حریفان شدند  
باتن تنهاکه حریفی کند  
روشنی آب درین تیره خاک  
تفرقه کن حاصل معلوم خویش  
کز سبکی زود بمنزل رسی  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٣٥)

تقوم بأي عمل قبل أن تستعد وتثبت قدمك في الطريق المؤدية إليه، وقبل أن تؤمن طريق رجوعك، فإن معرفة الطريق تحفظ من الزلزل<sup>(۱)</sup>.

ويدعو الإنسان إلى أن يهيئ لنفسه فرصة النجاة دائماً، وإن كان لا يستطيع النجاة من قبضة القضاء؛ وهو - لذلك - يُنبّه الإنسان إلى ترك الغفلة، والعمل للأخرة؛ فيقول مخاطباً إياه: "خذ زادك من الدين، لأن الإقامة في الدنيا قصيرة، واحمل معك الماء لأن الطريق جاف"<sup>(۲)</sup>. ويكرر الحديث عن ضرورة تخليص النفس من هموم الدنيا ومتاعبها، والانتفاع بنصح العارفين.

ثم يورد قصة "حكيمين متنازعين" وهي أن حكيمين متساويين في درجة العلم تناقشا في مسائل الحكمة، واحتدمت المناقشة بينهما، دون أن يصلا إلى شيء، فقد تمسك كل منهما بقوله، وسقاه رأي صاحبه، وحاول أن يستأثر لنفسه بالفضل، ويصبح وحيد دهره في العلم؛ ولما بلغ التعصب للرأي مبلغه، حاولا أن يحسما النزاع عن طريق التحدي، فتحدى كل منهما صاحبه أن يشرب شربة السم التي يقدمها له، دون أن يتأثر بالسم. فتركا النزاع، وخرجا في منتصف الليل عازمين على الرحيل، لينفذ كل منهما تحديه، حتى يتبين أيهما أقوى من صاحبه، وأقدر على تحمل شربة الآخر، فيصير مُلك الحكمة من نصيبه؛ فأعدّ أولهما شربة سم من صداد الحجارة السوداء، وقدمها لصاحبه، فشربها ثم شرب شيئاً ضد السم فنجا من الموت. أما الثاني فقطف وردة من روضة، وقرأ عليها سحراً، ثم قدمها

(۱) تانگنی جای قدم استوار  
در همه کاری که گرائی نخست  
شرط بوّد دیده بره داشتن

(۲) توشه زدين بر که عمارت کمست  
آب ز چشم آر که ره بی نمست  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۳۷)

لصاحبه فكانت أكثر تأثيراً من السم، فقد خشى منافسه من الوردية، وغلب عليه الخوف فمات. "فبينما أخرج الأول السم من جسمه بالعلاج، مات الثاني بوردة من الوهم"<sup>(١)</sup>.

ويعلق الشاعر على القصة بقوله: "إن كل وردة ملوثة في الحديقة قطرة من دم قلب الإنسان، وحديقة الدهر التي أنت ربيعها، دار غم أنت نقوشها"<sup>(٢)</sup>.

ثم يكرر النصيح بترك الدنيا وأوهامها، وعدم التمسك بها لأنها فانية؛ فحوادث الدهر تحرق كبد الإنسان، وتلهيه حتى يفنى عمره، فيجب عليه أن يتفكر ويبكي، حتى تكون عاقبته النجاة، فيثقل ميزانه يوم القيامة. كما يكرر أن الوسيلة الوحيدة هي التمسك بالدين؛ فيقول: "إن الدين هو الذي يُقَوِّي ساعدك، ويُرَجِّح كفة ميزانك، فليس هناك رجل فاضل حر، ارتبط بالدنيا ولم يذق همها، فإذا كانت لك أطماع في الدنيا، فخذها لك وأعط

الدين لنظامي"<sup>(٣)</sup>

(١) آن بعلاج از تن خود زهر برد  
(المرجع السابق، ص ١٣٩)

(٢) هرگل رنگین که بباغ زمیست  
باغ زمانه که بهارش توئی  
قطره از خون دل آدمیست  
خانه غم دان که نگارش توئی  
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) دین که قوی دارد بیازوت را  
هیچ هنریشه آزاد مرد  
چونکه بدنیاست تمناترا  
راست کنند عدل ترازوت را  
در غم دنیا غم دنیا نخورد  
دین بنظامی ده و دنیا ترا  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٤١)

## ١٣- المقالة الثالثة عشرة

## في ذم العالم

يبدأ الشاعر هذه المقالة بدم العالم؛ فيقول: "انظر إلى هَرَمِ العالم وضيقه، حتى لا تخدع بلون شبابه"<sup>(١)</sup>.

وهو يعتقد أن الظاهر الذي يراه الإنسان جميلاً يخفي وراءه حقيقة محزنة، فما يُخَيَّل للإنسان أنه وردة قد يكون ناراً، وما يراه قبلة، قد يكون صليباً، وهكذا. فلا ينبغي أن يخدع الإنسان بالظواهر، بل عليه أن يستعد ويجهز نفسه للآخرة لأنه لن يحمل معه إلا ما أعدة، وكل شيء سيفنى بعد ذلك، وسيستحيل الإنسان تراباً، فيجب أن يتجرد من الدنيا، فلا يعبدها، والشاعر ينصح قائلاً: "احتقر الذهب، فضع عليه قدمك، ولا تُمَدَّ إليه يدك، حتى لا تصير عبداً للذهب، كغيرك من الناس، فإن الذهب الذي لا يهيمُ سبيل النجاة في الآخرة، يكون هو والزرنيخ سواء"<sup>(٢)</sup>.

وهو يرى أن الملوك - الذين يحصلون على الذهب بقوة الحديد - كالحدادين، وأن عاقبتهم ستكون وخيمة، فإن قارون لما كثر ذهبه اختال، فكان ذلك سبباً في هلاكه؛ وهو - لذلك - يقول: "ولو أن مَنَحَ الذهب جميل كمنح الحياة، إلا أن عدم أخذه ظلماً أفضل من ذلك الإعطاء"<sup>(٣)</sup>.

(١) پيرى عالم نگر و تنگيش  
(نفس المرجع والصفحة)

(٢) پای کرم بر سر زر نه نه دست  
زر که بر او سکه مقصود نیست  
آن زر و زرنيخ پنسبت کیست  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٤٢)

(٣) دادن زر گر همه جان دادنست  
(المرجع السابق، ص ١٤٣)

وينصح بأن يترك الإنسان الحرص وهو يريد الذهب، وأن يعطيه عن طيب خاطر، حتى يُسكِّن روحه، ويهب نفسه السعادة.

ويختم المقالة بالدعوة إلى ترك حب الذهب، لأنه خداع، يقود إلى التهلكة، وإن بدا براقاً جميلاً.

ثم يورد قصة "حاج وصوفي" وهي أن رجلاً هرم على الحج، وكان معه مبلغ من المال يزيد على حاجته، ففكر في إيداعه لدى رجل صوفي مشهور بالزهد والورع والتقوى، ثم توجه إلى الرجل وأودع عنده ماله واثقاً في أمانته، ومطمئناً إلى أنه سيرد إليه ماله عقب رجوعه من الحج؛ وسافر الرجل إلى الحجاز، ولكن نفس الصوفي حَدَّثَتْهُ أن ينفق المال، فأنفقه في الطعام، ولم يُبَقِّ منه شيئاً. ولما رجع الحاج، توجه إلى الصوفي، وطلب منه نقوده، فأخبره بأن نفسه سَوَّلت له إنفاق الدنانير الذهبية، فأنفقها، وهكذا أغرى ذهبه قلبه حتى حطمه، وأظهر الصوفي الندم، وطلب المعذرة حتى عفا الحاج عنه، ونصحه بأن يتعفف فلا يمد يده إلى أموال الناس.

ولكن الحاج قرَّر أن الأمانة قد انعدمت من هذه الدنيا، مما عبر عنه الشاعر؛ في قوله: "لا يوجد قلب قط خال من الحرص والحسد، كما لا يوجد شخص أمين على وجه هذه الأرض"<sup>(١)</sup>.

وذم الدنيا في قوله: "الدنيا دار عيب، فاغتنم منها زادك، وتمسك بالدين، واعتزلها جانباً"<sup>(٢)</sup>.

(١) هیچ دل از حرص وحسد پاک نیست  
معمدی بر سراى نخاک نیست  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٤٦)

(٢) منزل عیبست هنر توشه رو  
دامن دین گیر و فیرا گوشه رو  
(نفس المرجع والصفحة)

وهو يعتقد أن الطمع والحرص هما سبب البلاء، ولذلك فقد ختم القصة بالدعوة إلى تجنب الطمع وتطهير النفس.

## ۱۴- المقالة الرابعة عشرة

### في ذم الغفلة

يعود الشاعر - في هذه المقالة - إلى مخاطبة الإنسان الغافل الذي يفرح بالطعام والشراب كالحیوانات، دون تفكير في عظمة الوجود والخلق، ويقرر أن الغفلة لا تصدر عن العارفين، فيقول: "يأتي العمل من العارفين بالله، أما الغافلون فلا يحملون هم الدنيا"<sup>(۱)</sup>.

ثم ينصح قائلًا: "لماذا تنام؟!.. تهيأ للعمل، وأدّه بإتقان.. لماذا تنام ثملًا وقد وقفوا لك بالمرصاد؟!.. إن العارفين لم يفعلوا كما فعَلت"<sup>(۲)</sup>.

ويدعو إلى أن يفكر الإنسان في غده، ويعتبر بعجزه، فينبه عقله، ويُعدّه للعمل، فلولا امتياز الإنسان بشرف العقل لأصبح كالحیوانات، فيجب أن يتبع الإنسان العقل، فلا يعصي أوامره، ولا يلغيه حتى لا يصير مجنونًا، كما ينبغي ألا يثمله، فإن الخمر المحللة في كل مقام، قد حرّمت لعداوتها للعقل، ولأنها تُذهب الكرامة، فيجب على الإنسان العارف أن يبتعد عن شرب أي شيء حتى لا يجهل كل شيء، وألا يتبع هواه، وأن يبتعد عن الحانات، وينصح الشاعر الإنسان بالتواضع، وترك الأنانية، والكف عن الأذى، فيقول: "لست شوگا حتى

(۱) از پی صاحب خیرانست کار بی خیرانرا چه غم از روزگار (المرجع السابق، ص ۱۴۷)

(۲) بر سر کار آي چيرا خفته مست چه خسي که کمين کرده اند کار چنان کن که پذیرفته کار شناسان نه چنين کرده اند (نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۴۸)

ترفع رأسك للصعود، كن كالزهر عطراً ناعماً، ولست طفلاً؛ فلا تركن إلى اللعب، ولست مخلّداً؛ فلا تتوقع الدوام"<sup>(١)</sup>.

وهو يعتقد أن نهار العمر قد أوشك على الانقضاء، فقد بعدت الشمس وأصبح الظل كثيراً، والنور قليلاً، فيجب أن يبتعد الإنسان عن الظل، وأن يحاول أن يحطمه كنور الصباح، وبذلك تطهر نفسه، وفي ذلك يقول الشاعر: "إذا استطعت أن تُبتعد الظلال عن نفسك، فإن عيوبك ستُبدد كما تتبدد الظلال"<sup>(٢)</sup>.

ثم يكرر دعوة الإنسان إلى التطهر، وتزكية النفس؛ وتنظيفها من أدران الذنوب، ليثقل ميزانه يوم يُحْضرون كل شيء أمامه، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ويؤكد أن الله يؤيد الحق والاستقامة، فيقول: "أينما يرفع الحق أعلامه يتأيد بقوة الله تعالى"<sup>(٣)</sup>.

ويختم المقالة بالدعوة إلى الاستقامة، واتباع الحق، حتى ينجو الإنسان من الغم، ويُحفظ من السوء.

ثم يورد قصة "ملك ظالم مع رجل صادق القول"؛ وهي أنه كان يوجد ملك ظالم، يضطهد الرعية كالحجاج<sup>(٤)</sup>، وكان عيونه يخبرونه بكل ما في الدولة، فجاءه أحد جواسيسه ذات صباح، وأخبره بأن فلاناً الشيخ قد اغتابه في الخفاء، وصوّر ظلمه، وسفكه للدماء؛ فغضب الملك، وصمم على قتله، فأمر بإعداد النطع الذي سيقتله عليه، وأعد العدة لقتله،

(١) خارنئ كوج گرائی کنی طفل نئ پای ببازی مکش به که چو گل بیسرو پائی کنی عمر نئ سر بیدرازی مکش (نفس المرجع والصفحة)

(٢) گرتو زخود سایه تووانی برید عیب توچون سایه شود ناپدید (المرجع السابق، ص ١٤٩)

(٣) راستی آنجا که علم برزند یاری حق دست بهم برزند (نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٥٠)

(٤) يقصد الشاعر الحجاج بن يوسف الثقفي.

ثم أرسل في طلبه، فتوضأ الشيخ، وحمل كفنه، وتوجه إلى الملك فواجهه بالتهمة الموجهة إليه، وسأله عن مبلغ صحتها، فلم ينكر الشيخ التهمة، بل قرر أنه قال أسوأ مما سمعه الملك، لأن الشعب كله مهتد بالفناء نتيجة لأعماله، بعد أن خربت المملكة، وقال إنه مرآته، فإذا أظهرت المرآة صورة الإنسان قبيحة، فيجب أن يصلح نفسه، لا أن يحطم المرآة.

فلما سمع الملك كلام الشيخ اتعظ به، فأصلح نفسه، وصار عادلاً، والشاعر يصور ذلك في قوله: "لما تأكد الملك من صدقه، أدرك مبلغ اعوجاج نفسه، فقال لرجاله: دعوا حنوطه وكفنه، وقدموا له خلعتنا. وأقلع عن الظلم، فصار ملكاً عادلاً، عطوفاً على الرعية"<sup>(١)</sup>.

ثم ينصح الشاعر بالألّا يخفي الإنسان صراحته عن أحد، لأن الصراحة واجبة؛ فيجب أن يكون الإنسان صريحاً - رغم أن الحق مر - لأن الله يؤيد الصريح بروح منه، وفي ذلك يقول الشاعر: "إذا تمسكت بالصراحة والصدق في القول فإن الله ينصر مقالك"<sup>(٢)</sup>.

## ١٥- المقالة الخامسة عشرة

### في ذم الحساد

يبدأ الشاعر - هذه المقالة - بقوله إن الدنيا لا تدوم على حال واحد؛ ففي كل لحظة يحدث شيء غريب، فالدنيا مملوءة بالألحان الجميلة؛ ولكن الإنسان لا يعرف كيف يطرب منها، وبحر الحياة مملوء بالدرر؛ ولكنه لا يستطيع أن يغوص فيه، ويستخرج الدرر

(١) چون ملك از راستيش پيش ديد  
گفت حنوط وگفتش بر كشيده  
از سر بيدادگري گشت باز  
راسقى او كژى خوى شديد  
غاليه وخليعت مادركشيده  
دادگري گشت رعيت نواز  
(المرجع السابق، ص ١٥١)

(٢) چون بسخن آرى بجاي  
ناصرگفتارتوباشد خدای  
(نظامى: مخزن الأسرار، ص ١٥١)



منه؛ فالقدر ليس بجيلاً، ويمكن الإنسان أن يرتفع إلى منزلة جبريل؛ لأن فضل الله واسع، فما عليه إلا أن يسلك طريق الله حتى يصل إلى السعادة؛ فإذا اجتهد في السير في هذا الطريق استطاع أن يصل إلى منزلة أعلى، وإلى درجة أرفع. والناس يتفاوتون في هذا؛ فطائفة أمهر من طائفة، ولا دخل للهرم والشباب في ذلك.

والشاعر يرى أن منزلة الإنسان تعلق كلما تقدم به السن، وأن الحساد وحدهم هم الذين يزدادون سوءاً كلما بلغوا من العمر عتياً؛ فالهرم منهم لا يعترف للشباب بفضل، لأن شهد الشباب يتحول إلى سم زعاف في فمه. "فالشيخ لا ينصفون الشباب إلا قليلاً، ولا يعجبون بهم إلا نادراً"<sup>(١)</sup>.

ويوضح الشاعر ذلك بقوله: "إن الورد نبات شاب مما جعل فيه الراحة، أما الشوك فنبات مُسِنّ، ففيه الجراحة"<sup>(٢)</sup>.

ثم يقرر أن الشيخ كالتقويم القديم الذي لا يُستعمل الآن، وأن روحه العالية كروح يوسف، فلن تستطيع الذئاب أن تؤذيه، وأن جرح الشيخ ضعيف مهما بلغ.

وهو يصور الشباب في قوله: "إن الشباب كله حكمة، ولو أن فيه شيئاً من التهور - أحياناً - يجعل الشاب يحب التفاخر، كالورود التي تقلد الصفصاف، أو كالهنود الذين يدعون البياض؛ ولكنني - رغم الشباب - أنثر الحكمة دائماً، وأفوق الشيخ في ذلك"<sup>(٣)</sup>.

(١) در كهن انصاف توان كم بود  
پیر هوا خواه جوان كم بود  
(المرجع السابق، ص ١٥٣)

(٢) گل كه نوآمد همه راحت دروست  
خار كهن شد كه جراحت دروست  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٥٣)

(٣) گر چه جوانی همه فرازنگیست  
یاسمنی چند كه بیدی كند  
منكه چو گل گنج فشانی كنم  
هم نه یكى شاخ زدیوانگیست  
دعوی هندو بسپیدی كند  
دعوی پیری بجوانی كنم  
(نفس المرجع والصفحة)

ثم يدعو الشاعر الإنسان إلى أن يترك الغرور، وأن يجارب هوى النفس، وأن يكون نصيراً للحق أينما وجد. لأن نظرة الإنسان إلى الأشياء قد تتغير بتغير سنه، ومبلغ نضجه؛ فيجب أن يُحسِّن اختيار أصدقائه، لأن "العدو العاقل خير من الصديق الجاهل"<sup>(١)</sup>.

ثم ينصح بترك الأناية والحُمق، والتقاط الحكمة أينما وُجِدَت، ويشرح ذلك في قوله: "لا تحاول أن تعرف من أي عشب نبت القصب، وانظر إلى حلاته، وإلى أين تَصِلُ، وسَلِّمْ نفسك للفضل، لا للادعاء الكاذب، وكن صيداً للفضل أينما وُجِد"<sup>(٢)</sup>.

كما ينصح بعدم الاعتراض على صنع الله، فيقول: "احترس، فلا تعترض على صنع الله، حتى لا تُضْرَبَ بسوط إبليس، فكل من لم يعترف بقضاء الله وحكمه، ستكون عاقبته البوار"<sup>(٣)</sup>.

ثم يورد قصة "أمير شاب مع أعداء مسنين" وهي أنه كان يوجد - في مرو - أمير شاب، معتدل القامة، حسن الطلعة، وكان رجال دولته مُسِنِّين، فاختلّفوا معه، مما أدى إلى اضطراب الدولة، وفساد الأحوال، وقلق الأمير وخوفه.

وذا ليلة نام الأمير مهموماً، فجاءه والده حُلماً، ونصحه بالقضاء على رجال دولته المسنين، حتى تستقر الأحوال؛ وتستقيم له الدولة، فيسعد بها، وتسعد به.

- 
- (١) دشمن داناكه پی جان بود  
بهتر از آن دوست که نادان بود  
(المرجع السابق، ص ۱۵۴)
- (٢) فی منگر کز چه گیا میرسد  
در شکرش بین که کجا میرسد  
دل بهنر ده نه بدعوی پرست  
صید هنرباش بهرجا که هست  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۵۳)
- (٣) محتسب صنع مشوزینهار  
تا نخوری درّه ابلیس وار  
هرکه نه بر حکم وی اقرار کرد  
چرخ سرش در سر انکار کرد  
(نفس المرجع والصفحة)

فلما استيقظ الأمير من نومه أمر بقتل رجال دولته المسنين، وأحل محلهم شبابًا قويًا ناهضًا، وبذلك بنى الدولة على أساس جديد قوي.

ويوافق الشاعر على قتل كل من يعيب بأمّن الدولة، ويعكّر صفو استقرارها ورفاهيتها. لأن الأغصان الجديدة لا تنبت - كما ينبغي - إلا إذا قُطِعَت الأغصان القديمة، فيجب أن يُطَهَّر ماء النهر، حتى ينبت الصفصاف رائعًا.

ثم ينصح الشاعر بأن يحسن الشاب استعمال شبابه، فيقول: "أخرج ذلك السيف من غلافه لحظة، فإلى متى تغلقه يا مخالف؟!... إن الشباب ملك للرحمن، وليس من نصيب هذه الدنيا الفانية الملوثة، وما دام ملكًا لله فيجب أن تبذل كل ما في وسعك، وأن تكون فاضلاً في كل ما تفعل"<sup>(١)</sup>.

ويختتم بمدح الفضيلة والكرم، فيقول: "إن عظماء الدولة الذين ظفروا بالجاه والثروة، قد عمّروا آخرتهم بالكرم. فإن بذرة الكرم تنبت نباتًا حسنًا، يصير محصوله زادًا للأخرة"<sup>(٢)</sup>.

(١) يکنفس آن تیغ بر آر از غلاف  
آن نفس از حقّه این خاک نیست  
پیش همین کس همگی پیش کش  
چند غلافش کنی ای بر خلاف  
این حق آن هم نفس پاک نیست  
نام کرم بر همه خویش کش  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۵۵)

(٢) دولتیان که آب ودرم یافتند  
تخم کرم کشت سلامت بود  
دولت باقی ز کرم یافتند  
چون برسد برگ قیامت بود  
(المرجع السابق، ص ۱۵۶)

## ١٦- المقالة السادسة عشرة

## في سرعة السير

يبدأ الشاعر - هذه المقالة - بدعوة الإنسان الضعيف، إلى الإقلال من الغرور، فلا يدعي العظمة وهو لا يملك أسبابها، كما ينصحه بالكف عن الأذى، ويُجمل ذلك في قوله: "لَسْتُ سَيْفًا فَلِمَاذَا تَتَمَادَى فِي جِرْحِ النَّاسِ؟!.. وَلَسْتُ طَبْلًا، فَلِمَ هَذَا الضَّجِيحَ الْكَثِيرَ؟!..."<sup>(١)</sup>.

وينصح الإنسان بالتنبه، وعدم الانقياد للشيطان، لأنه حي ذو عقل، وليس ميتًا، فيجب أن يكون نشيطًا له مضاء كمضاء السيف، ويحسن أن يترك التعلق بالدنيا، ويسلك طريق العشق الحقيقي، حتى يفوز بعباء الله، ويعلل ذلك بأن مَنْ قبلنا قد ذهبوا دون أن يجنوا من حبهم للدنيا شيئًا، فيقول: "لقد عاش قبلنا ناسٌ لم يتوانوا في طلب الجاه والثروة، فانظر. ماذا أفادوا من ذلك الجاه؟! لقد كانت فائدتهم مؤقتة، فقادتهم إلى الغواية. فما جدواها؟!..."<sup>(٢)</sup>.

ثم يقرر أن الإنسان سوف يعود إلى التراب مرة أخرى، لأنه خلق منه، وحينذاك سيخرج بعيدًا عن دائرة الجاه والثروة، مهما طال مقامه فيها، فيجب أن يترك الغرور حتى يستطيع أن يسرع في السير، ويمكنه الوصول، لأنه ليس طائرًا؛ فلن يتمكن من الطيران إلا إذا صار ربانيًا، فالإنسان هو المسئول عن تخلفه وتقصيره، ولا ذنب للدهر في ذلك، مما يوضحه

(١) تبغ نة زخم بي اندازه چيست كوس نهء اينهمه آوازه چيست؟  
(نفس المرجع والصفحة)

(٢) پيشتر از مادگران بوده اند كز طلب جاه نياسوده اند  
حاصل اين جاه ببين كه تا چه بود  
سودبد اما بزيان شد چه سود؟!..  
(نظامى: مخزن الأسرار، ص ١٥٧)

الشاعر في قوله: "شربت السم. فما ذنب السم؟ وارتكبت الجرم. فما تقصير الدهر؟!... لا تَسبَّ الدهر أيها الرجل اللبيب، لأنه لم يجبرنا على شيء"<sup>(١)</sup>.

ثم يبين أن الدهر قد حاول أن يخلق من كل منا إنساناً كاملاً، ولكننا لم نستجب له، فلا يجب أن نلقي اللوم عليه، لأن كل شيء يتوقف على مبلغ قابلية الإنسان، واستعداده للاستجابة والعمل، وإن كان يرى أن الحظ - أيضاً - يلعب دوراً كبيراً في إنجاح العمل، وأن سوء الحظ قد يجعل الإنسان في الحضيض، كما أن حسن الحظ قد يرفع صاحبه إلى السماكين، ولكن لا بد من العمل والجهد، فالعظمة لا تتفق مع اللعب، ولم يصل من وصلوا إليها إلا بالسعي، والجهد، ومواصلة العمل، فيجب أن يسلك الإنسان سبيلهم، وأن يسترشد بقلبه، ولا يدعه مجالاً للأهواء المتباينة، كما ينبغي عليه أن يترك الحرص لأنه يبعد القناعة، ويقرر أن الدنيا واسعة، ولكن فكر الإنسان ضيق؛ ثم ينصح بأن يسخر الإنسان الدنيا بعدم التفكير فيها، لأنها ألدُّ أعدائه، ويوضح ذلك بقوله: "إن كل ما في هذه الدنيا مملوء بالعيوب؛ فلا تطلب الصداقة من العدو، ولا تحاول أن تحصل على ماء الحياة من سم الأفعى"<sup>(٢)</sup>.

ثم يورد قصة "طفل مجروح" وهي أن طفلاً خرج للعب مع بعض رفاقه، وجرى فزلت قدمه، وكُسِرَ وسط ظهره، حتى أوشك على التلف، فارتاع أصحابه، وفكروا في حيلة يتخلصون بها من الحرج أمام أبيه. "فقال أكثرهم صداقة له: يجب أن ندفنه في الحفرة

(١) باده تو خوردی گنه زهر چیست  
دهر نکوهی مکن ای نیک مرد  
جرم تو کردی خلل دهر چیست؟!..  
دهر بجای من وتوبدنکرد  
(المرجع السابق، ص ١٥٧)

(٢) در دو هنر نامه این نه دبیر  
دوستی از دشمن معنی مجوی  
نیست یکی صورت معنی پذیر  
آب حیات از دم افعی مجوی  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٥٩)

التي زلّت فيها قدمه، حتى لا يُكشَف أمره، فنخجل أمام أبيه<sup>(۱)</sup>. ولكن أحدهم - وكان عدوّاً له - ذهب إلى والده وأخبره بما حدث لابنه، حتى لا يُتَّهم هو بتدبير ما حدث.

ويختم نظامی القصة بقوله: "إن كل من يحمل جوهر العلم قادر على تدبير جميع أموره... فمن يستطيع أن ينتصر على الفلك؟.. إنه ذلك الشخص الذي يمكنه أن يضع قدمه عليه"<sup>(۲)</sup>.

## ۱۷- المقالة السابعة عشرة

### في العبادة والتجرد

يبدأ الشاعر - هذه المقالة - بلوم الإنسان؛ لأنه يهمل نفسه، وينسى ربه، حتى يمرض جسمه، وتشقى روحه، وهو - في نفس الوقت - أناني يتباهى بنفسه وقوته، ويظل غافلاً إلى أن تفارقه الحياة، ثم ينصحه قائلاً: "لا تحرص على الدنيا، ولا تطمع فيما ليس لك، فإن قوة الدنيا وغدورها فوق طاقتك، وإن ثقلها أكبر من أن يقوى عليه ميزانك"<sup>(۳)</sup>.

كما ينصحه بالرياضة والقناعة، لأن الذين حرّموا كنز الحقيقة هم الذين يحرصون على الدنيا، أما الإنسان القانع الذي يرضى بحكم القضاء، فإن يملك - فوق رأسه - تاج الرضا والسرور، لأن الإنسان كلما قلّ ماله قلّ حسابه، وقلت متاعبه؛ والشاعر يدعو إلى التجرد

(۱) آنکه ورا دوسترین بود گفتم  
تانشود راز چون روز اشکار  
(المرجع السابق، ص ۱۵۹-۱۶۰)

(۲) هرکه در وجوه دانائست  
بند فلک راکه تواند گشاد  
(المرجع السابق، ص ۱۶۰)

(۳) چون خم گردون بجهان در مپیچ  
زور جهان بیش ز بازوی تست  
آنچه نه آن تو بآن در مپیچ  
سنگ وی افزون ز ترازی تست  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۶۰)

من الدنيا والتخفف من الأعباء، فيقول: "إن الدنيا كالأمواج المهلكة، فتخفف من الأعباء حتى تنجو سريعاً.. فخلص روحك وألق الأحمال في الماء"<sup>(١)</sup>.

ثم يكرر النصح بعدم التكالب على الدنيا، ويوضح سبيل ذلك في قوله: "اعتدل في الأكل والنوم، وقنّش عن الكنز العظيم في الخرابات، ولا تعشق أكل الميتة كالحداة، بل انفر من الدم كالغراب، فإذا تطهر جسمك من دماء الغير، فإنك تأمن أن ينهش آكل الميتة لحمك"<sup>(٢)</sup>.

والشاعر يعتقد أن كثرة الأكل تميم القلب، وتؤثر في الأخلاق، وتشل حركة العقل، وهو لذلك ينصح بالتزام حد الاعتدال حتى في الضحك؛ "لأن الضحك حينما يخرج في غير وقته، يكون البكاء أفضل منه"<sup>(٣)</sup>.

ويرى أن المؤمن العاقل يجب أن يكون معتدلاً، فيكون بين الخوف والرجاء، يغتم من الخوف أحياناً، ويتسم من الرجاء أحياناً أخرى؛ واجتماع الحزن والفرح ليس مستحيلاً، لأن الليل يعقبه النهار دائماً، وكل شيء زائل لا دوام له، فيجب أن يتقبل الإنسان من الدهر حلوه ومرّه، فلا يضجر ولا يثور حتى يصل إلى العظمة، والشاعر يقرر ذلك في قوله: "يجب أن تتحمل التعب الذي تحمله العظام، حتى تستطيع الوصول إلى العظمة"<sup>(٤)</sup>.

(١) موج هلاکست سبکتر شتاب  
جان پیر وبار در افکن بآب  
(المرجع السابق، ص ١٦١)

(٢) قدری به بی خوردی وخواهی درست  
مرد مردارننه چون زغن  
گرتن بیخون شده چون نگار  
گنج بزرگی بخرابی درست  
زاغ شو ویای مخون در مزن  
ایمنی از زحمت مردار خوار  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٦١)

(٣) خنده چو بیوقت گشاید گره  
گریه از آن خند بیوقت به  
(المرجع السابق، ص ١٦٣)

(٤) ناز بزرگانست ببايد کشيد  
تاب بزرگی بتوانی رسيد  
(المرجع السابق، ص ١٦٤)

ثم يذكر قصة "شيخ ومريد" وهي أن شيخًا كان له مريدون كثيرون، فأودع لديهم بضاعة في صورة أمانة، فخانوها وتركوا حضرته إلا واحدًا، فسأله الشيخ عن العلة في بقاءه، في الوقت الذي ذهب فيه كل رفاقه، فأجاب المريد بأنه يتبع الشيخ دون غرض، ولذلك بقي، أما الذين يتبعونه بقصد الاستفادة، فإنهم يذهبون فور الحصول عليها، فهم كالغبار ليس لهم قرار في مكان واحد، وإنما تذرره الرياح من مكان إلى آخر، أما الجبل فإنه يستقر في مكانه طويلاً؛ "فنقض العهد حرفة البعيدين عن طريق الحقيقة، وتحمّل المشاق شأن الصابرين"<sup>(١)</sup>.

ويختتم الشاعر بالنصح والزهد، وبأن يكون الإنسان كسليمان الذي كان زاهدًا رغم ما كان عنده من الملك والجاه، وكالشمع الذي يقنع بفتيلة واحدة تحت قباء شمعه، رغم ما يشعه من نور؛ ثم يتغنى بفضيلة الزهد مشيدًا بزهده هو.

## ١٨- المقالة الثامنة عشرة

### في ذم المنافقين

يذم الشاعر - في هذه المقالة - المنافقين الذين يخالف ظاهرهم باطنهم، "فهم يُظهرون المحبة بأفواههم، ويُضمِّرون الحقد، ويقابلون الإنسان بجملة واحدة، وأكبادهم محترقة بغير حقد، وحسدًا؛ كما يقابلونه بحبوية، وقلوبهم ميتة"<sup>(٢)</sup>.

(١) پرده درى پيشه دوران بود  
باركشى كار صبوران بود  
(نظامى: مخزن الأسرار، ص ١٦٥)

(٢) مهر، دهن در دهن آموخته  
گرم وليك از جگر افسرده تر  
كينه، گره بر گره اندوخته  
زنده ولي از دل خود مرده تر  
(المرجع السابق، ص ١٦٦)



وينصح بالألا يقبل الإنسان صداقتهم، ولو على سبيل التجربة، لأنهم يفشون سره، كما يردد الجبل صدى الصوت، ولأن صداقتهم لا تنتهي إلا بالعداوة.

ثم يبين أن الصداقة الحقّة كالبلسم الشافي، ويرى ضرورة تخلّص الإنسان من الصداقات المصطنعة، التي تجعل الصديق يؤدي صديقه، كما تأكل الهرة أولادها. وهو لذلك يقرر أصول الصداقة في قوله: "من الصديق؟... إنه الشخص الذي يحفظ السر. أما المنافقون فهم - كالدهر - يهتكون الستر"<sup>(١)</sup>.

والشاعر يعتقد أن القلب هو الذي يعرف العدو من الصديق، مما يتجلى في قوله: "إن الشخص الذي يُنكر قلبك صداقته يجب أن تعتبره عدوّاً، مهما كانت صداقته ظاهرة براقة، فالقلب - لا الجسم - هو الذي يعرف الصديق المخلص الوفي"<sup>(٢)</sup>.

وهو لذلك ينصح بأن يحفظ الإنسان سره في قلبه، فيقول: "كل ما في هذا العالم يهتك السر، فليكن قلبك - حافظاً لسرك، فإذا لم يكن على قلبك قفل، فكيف تطالب بالأطفال على قلوب الآخرين؟!..."<sup>(٣)</sup>.

ويرى أن الإنسان يجب ألا يضيق بسره، وألا يفشيه، كما تفشي الكوب ما فيها من الخمر، وليس معنى هذا أن يعادي الناس أو يبتعد عنهم، وإنما يجب أن يتصل بهم مدة حياته في الدنيا، على أن يكون حذراً، يحسن اختيار أصدقائه؛ مما يوضحه الشاعر في قوله:

(١) دوست کدام؟ آنکه بود پرده دار  
پرده درند اینهمه چون روزگار  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٦٧)

(٢) دوستی هرکه ترا روشنست  
تن چه شناسد که ترا یارکيست  
چون دلت انکار کند دشمنست  
دل بود آگه که وفادارکيست  
(نفس المرجع والصفحة)

(٣) پرده درد هرچه درین عالمست  
چون دل تو بند ندارد بر آن  
راز ترا هم دل تو محرمست  
قفل چه خواهی زدل دیگران؟!  
(المرجع السابق، ص ١٦٧)

"ما دُمْتُ تعيش في هذه الدنيا، فاجتهد في أن تحصل على صديق وفي؛ ولا تفش إليه أسرارك، قبل أن تمتحن جوهره"<sup>(١)</sup>.

ثم يورد قصة "جمشيد مع تابع مؤتمن على السر"، وهي أن جمشيد كان له تابع يأتّمه على أسراره جدًّا، حتى لقد بلغت ثقته به درجة جعلته يأتّمه على أسرار خزائنه، مما جعل الشاب يتتبع عن كل المقربين إلى الملك، ويحاول ألا يُطلع أحدًا على السر، وأخيرًا استطاعت عجوز أن تصل إليه، فوجدت لونه مصفّرًا مثل لونها، وقد ذُبل رغم شبابه، ورغم معيشته في النعيم، فسألته عن سر ذلك، فأجاب بأنه يحمل في قلبه أسرار الملك، وأنه لا يستطيع إفشاءها، وأن صبره على حملها هو الذي غيّر وجعله في هذه الصورة، وأنه قد عوّد نفسه على الصمت في جميع الأحوال، حتى لا يفشي السر لأن حفظه للسر حفّظ حياته. فنصحتة العجوز بالألّا يثق في أحد ولو كان ظله، وأن يكون هو رفيق نفسه، لأن العاقل هو الذي يحفظ لسانه، فلا يخرج كالكلب المجنون، فيجب أن يحفظ الإنسان لسانه دائمًا، لأن للحيطان أذانًا تسمع الكلام وتنقله.

ثم قالت له: "كن كالماء، وامح كل ما تسمعه، ولا تقل كل ما تراه كالمرأة"<sup>(٢)</sup>.

ويعلق الشاعر على هذه القصة ناصحًا بالألّا يتحدث الإنسان بكل ما يراه في الليل من الفيوضات الإلهية، فالليل مملوء بالأسرار والدفائن، والعارفون لا يتحدثون عما يرون من الأسرار الإلهية، ويبين سر ذلك قوله: "العشق الخفي كرامة، فإذا ظهر تبخّر وتلاشى"<sup>(٣)</sup>.

(١) پای نهادی چو درین داوری  
تا نشناسی گوهر یار خویش  
کوش که همدست بدست آوری  
یاوه مکن گوهر اسرار خویش  
(نفس المرجع والصفحة)

(٢) آب صفت هرچه شنیدی بشوی  
آینه سان آنچه ببینی مگوی  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٧٠)

(٣) عشق که در پرده کرامات شد  
چون بدر آمد بخرابات شد  
(نفس المرجع والصفحة)

وهو يعتقد أن القلب وحده هو القادر على رواية قصته، فيؤكد ذلك في قوله: "إن قصة القلب لا يرويها إلا لسان القلب، فمتى استطاع الفم أن يصل إلى هذه المرتبة؟!..."<sup>(١)</sup>.

كما يرى أن السكوت ضروري في حالة العشق، فيقول: "إن الفصاحة - في هذه الحالة - هي أن ينعقد اللسان، والسرعة هي أن يتأني الإنسان ويتمهل"<sup>(٢)</sup>.

ويختم بقوله: "تلك لغة القلب، التي هي بيان القلب، وترجمتها لا تيسر إلا بلسان القلب"<sup>(٣)</sup>.

## ١٩- المقالة التاسعة عشرة

### في استقبال الآخرة

يبدأ نظامي هذه المقالة بتصوير مجلس الخلوة، فيبين أنه مزين، مشرق بنور الله، وأن التجليات فيه عميمة، والأنفاس الإلهية تعطره، فيفوح منه أجمل عبير.

ثم يدعو إلى الإسراع إلى ذلك المجلس، والاستعداد للآخرة، والتجرد من كل ما يعوق عن عبادة الله، وينصح بعدم التعلق بالدنيا؛ قائلاً: "إن الدهر هو عدوك الوحيد، فأرح نفسك من صداقته، فكل من تعلق به قهره، وجّره إلى الهلاك"<sup>(٤)</sup>.

- |                                |                              |
|--------------------------------|------------------------------|
| (١) كي دهن اين مرتبه حاصل كند  | قصة دل هم دهن دل كند         |
| (٢) اينت فصاحت كه زبان بستگيست | (نظامي: مخزن الأسرار، ص ١٧١) |
| (٣) آن لغت دل كه بيان دلست     | اينت شتاي كه در آهستگيست     |
| (٤) دشمن جانست ترا روزگار      | (نفس المرجع والصفحة)         |
| بين كه بزنجير كيانرا كشيده     | ترجمتش هم بزبان دلست         |
|                                | (نفس المرجع والصفحة)         |
|                                | خويشتن از دوستيش واگذار      |
|                                | هر كه درو ديد زبانرا كشيده   |
|                                | (نفس المرجع والصفحة)         |

ویوجه الخطاب إلى الإنسان الغافل، فيقول: "يناديك الرقباء أنت يا طالب الدنيا، ويا تارك الدين؛ أن ارجع عن باب الظالمين، وحاول أن تلحق بهذا المجلس المليء بالأسرار"<sup>(۱)</sup>.  
ويقرر أن الإنسان، الذي خدعته الدنيا فارتكب فيها المعاصي، سوف يُحَاسَبُ يوم القيامة حسابًا عسيرًا، على كل ما فعله، ولذلك فهو يدعو إلى الحذر واحتقار الدنيا، والتجرد من كل ما يتعلق بها، حتى يصير الإنسان حرًا طليقًا.

كما يرى ضرورة ابتعاد الإنسان عن الأنانية لأنها أخطر شيء على المجتمع. فيقول: "إن كل من يدعي الأنانية في هذه الدنيا، يقطع الطريق علينا، فهو يسرقني ويسرقك"<sup>(۲)</sup>.

ويحذر من اتباع المضللين، وينصح بأن يلوذ الإنسان بالتسبيح لدفع غارتهم، وألا يستصغر عدوًّا، لأن الغفلة في ذلك بلاء عظيم، وأن يكون بعيد النظر حتى لا يهلك، لأن النملة الصغيرة، تنزع عين الأسد، وأن يعد نفسه للرحيل من الدنيا لأنها على وشك الفناء، وإلا فسوف يخرج منها محترق الكبد مطرودًا؛ ويبين أن الرحيل شرف، ويدلل على ذلك بالليل والنهار، فيقول: "لو لم يكن السفر من التراب شرقًا، لما سافر الفلك ليلاً ونهارًا، فاستيقظ قبل أن يُعَرَّرَ الشيطان بك، وَتَمَسَّكَ بالدين، واعتصم بالإيمان"<sup>(۳)</sup>.

(۱) باتودنيا طلب دين گزار  
کز در بیداد گران باز گرد  
بانگ بر آورده رقیبان بار  
گرد سرا پرده این راز گرد  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۷۲)

(۲) هرکه در این راه منی میکند  
بر من تو راهزنی میکند  
(نفس المرجع والصفحة)

(۳) گر سفر از خاک نبودی هنر  
تا ندرد دیو گریبانت خیز  
چرخ شب و روز نکردی سفر  
دامن دین گیر ودر ایمان گریز  
(المرجع السابق، ص ۱۷۳)

ويكرر النصح بالتجرد عن الجميع، وعدم الاعتماد إلا على الله، فيقول: "الناس جميعًا كالظل؛ فكن أنت كالنور، ولا تعتمد عليهم، ولو كانوا جميعًا طوع أمرك"<sup>(١)</sup>.

ويؤكد أن الإنسان لا يستطيع أن يتخلص من قبضة الفلك؛ لأنه لو قص على الإنسان قصته، وحدثه عما تم في خلال عمره، لوجد أنه ليس شيئًا بالنسبة إليه، وأن عمر الإنسان لا يقاس في شيء إلى دوراته، وأن عاقبة أمره السكوت والنسيان.

ويرى أن يقف الإنسان نفسه لعبادة الله مدة حياته، فيقول: "يجسن أن تكون عاشقًا لله مدة حياتك في هذه الدنيا"<sup>(٢)</sup>.

ويعلل ذلك بأنه سوف لا يُنظر إلى صورة الإنسان يوم القيامة، بل يُنظر إلى عمله، فيطلق عليه اسم "خير" أو "شرير" على حسب عمله؛ ثم ينصح بعدم التقلب حتى لا يندم الإنسان يوم القيامة؛ فيقول: "لا تتقلب حتى لا تحجل - يوم الحساب - من نفسك وربك"<sup>(٣)</sup>.

ثم يكرر وجوب قطع علاقة الإنسان بالدنيا الظالمة، حتى يرتفع شأنه، ويسيطر على الفلك، فيقول: "انبذ هذا الفلك الذي يحرق الكبد، واكسر هذه الزجاجاة المليئة بالدم، وارجم هذه اللعبة البراقة، وانسخ هذه الكلمة، وسخر هذه القلعة، وطهر ما فيها من خبث، وضع قدمك على هذا الأبلق المختال، حتى تصير الملك المسيطر على هذا العالم"<sup>(٤)</sup>.

(١) اينهمه چون سایه توجون نورباش

گر همه داری ز همه دورباش

(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۷۳)  
به که در عشق کسی میزنی

(٢) تا بجهان در نفسی میزنی

(المرجع السابق، ص ۱۷۴)  
هم زخود وهم زخدا شرمسار

(٣) قلب مشوتانشوی وقت کار

(نفس المرجع والصفحة)  
سنگ بر این شیشه خوناب زن  
در قلم نسخ کیش این حرف را  
پای در این ابلق ختلی در آر  
برتو کنند خطبه شاهنشهی

(٤) بانگ بر این دور جگر تاب زن  
رجم کن این لعبت شنگرف را  
دست بر این قلعه قلبی بر آر  
تا فلك از منبر نه خرگهی

(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۷۴-۱۷۵)

ويختتم نظامى المقالة مفتخرًا بنفسه، وبأنه رب هذا الميدان، ومشيدًا بعلو قدره، ورفعته منزله.

ثم يورد قصة "هارون الرشيد والحلاق" وهي: أن الرشيد استيقظ مرة في منتصف الليل، وتوجه إلى الحمام مصطحبًا الحلاق معه، فطلب الحلاق منه أن يزوجه ابنته قائلاً: "يا من تأكدت من مهارتي، خصص اليوم لمصاهرتي، واعلن نبأ الزواج، واجعل ابنتك خطيبة لي"<sup>(١)</sup>.

فغلى طبع الخليفة، ولكنه لاذ بالحياء، ظانًا أن حرارة الحمام، ورهبة الموقف، قد أثرتا في الحلاق، فغاب عن نفسه وتكلم هذا الهراء، ولكنه جربه في ليلة أخرى، فوجد منه نفس الشيء، وكرر هذا عدة مرات، فلم يغير الرجل أسلوبه؛ فقص الخليفة القصة على الوزير، وطلب منه أن يدبر وسيلة لزجر الحلاق، بعد أن ترك الأدب معه، وتناول عليه.

فقال الوزير: إن أمر الحلاق أتفه من أن يشغل بال الخليفة، وإنه يعلل ما حدث بأن الحلاق يضع قدمه على كنز، مما يجعله مغرورًا، وأشار على الخليفة، بأن يغير مكان الحلاق في الحمام، حتى يتغير موضع قدمه، فإذا أقلع الحلاق عن عادته عفا عنه، وإلا ضرب عنقه.

وقبل الخليفة ما أشار الوزير به، وغيّر موضع جلوسه في الحمام، فلما تغير موضع قدم الحلاق، امتنع لونه، وأصبح قليل الكلام مؤدبًا، يتبع ما ينبغي عليه كحلاق، ثم أمر الخليفة بأن يحفروا تحت الموضع الأول لقدم الحلاق، ففعلوا، فوجدوا كنزًا زاخرًا.

(١) كای شد آگاه زاستادیم  
خطبه تزویج پراکنده کن  
خاص کن این روز بدامادیم  
دختر خود نامزد بنده کن  
(المرجع السابق، ص ١٧٥-١٧٧)

ويعلق نظامي على هذه القصة بقوله: "إن كل من يضع قدمه على كنز، ينثر الجواهر إذا تحدث، وكنز نظامي المحطم للطلسم ينحصر في صدر صاف، وقلب مشرق"<sup>(١)</sup>.

## ٢٠- المقالة العشرون

### في وقاحة أبناء العصر

يبدأ الشاعر هذه المقالة بقوله: "لِمَ ظللنا تائهين في هذه الدنيا رغم أننا قد أهملنا أنفسنا؟!"<sup>(٢)</sup>.

ثم يعلل هذا بأن حب الدنيا - وهي تراب - قد جعل الإنسان في الحضيض - كالتراب - ويبين أن العمر قد ولى، ومع ذلك فالناس متأخرون عن القافلة، وقد جُنَّ الملكان من كثرة ما سجلاه من الأعمال السيئة، كما تولى نور القلب وإشراق الصدر، وانعدمت البركة، وأوشك صبح القيامة على الطلوع، ولكن يبدو أنه سيكون أسود من كثرة ذنوب البشر، وهكذا ذهب السرور، وضاع هدف العمر.

وينصح بأن يحاول الإنسان أن يطهر روحه، وينجو بها سالمة، فيبتعد بها عن شرك الدنيا، ويرى أن يستعمل الإنسان مهارته في هذا؛ ثم يدعو إلى الوفاء، فيقول: "حاول أن تكون ذا وفاء فلا تعبد شهواتك، بل كن ربّانياً"<sup>(٣)</sup>.

(١) هرکه قدم بر سر گنجی نهاد  
گنج نظامی که طلسم افکنست  
چون بسخن آمد گنجی گشاد  
سینه صافی ودل روشنست  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٧٨)

(٢) ما که بخود دست برافشاند  
بر سر خاکی چرا فرومانده ایم؟!  
نفس المرجع والصفحة

(٣) جهد بر آن کن که وفارا شوی  
خود نپرستی و خیدارا شوی  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٧٩)

كما يرى أن يطيع الإنسان قلبه، لأنه مصدر الوفاء، ولأن وفاءه دائم، وأن يقدر الإنسان ما عند غيره من الفضل، ويشيد به، حتى لا يضيع جوهر الفضل من هذه الدنيا؛ وهو لذلك يقول: "إن الفضل إذا وُجد في الناس، ولم تستحسنه ضاع جوهره، أما إذا استحسنته فإنه يتخذ شكلاً آخر، فيتضاعف، ويثمر"<sup>(۱)</sup>.

ثم يبين الفرق بين الفضلاء وغيرهم، فيقول: "إن الفضلاء يرعون الفضل - بأرواحهم - إذا رأوه في مكان ما، لأن الأرض لا تطهر بغير الفضل، ولكنه ليس موجوداً في الدنيا اليوم، فلو رفع الفضل - الآن - فإن الرذيلة تضع يدها عليه لتخفيه، والناس يذلون الفاضل حتى يقضوا على فضله"<sup>(۲)</sup>.

ويصور إيذاء الناس للفضلاء، فيقول: "إنهم يسخرون من الرياضة الفكرية، ويعتبرون التفكير نوعاً من الجنون، والكرم سفهاً، والوفاء بلهاً، فيسخرون من السخي، وينددون بالفصيح، وقد نقشوا وفاءهم على الثلج فهو سريع الذوبان، وهم ميالون إلى الشر بطبيعتهم، فإذا نعم قوم براحة، أكل الحسد قلوبهم، وإذا أصابهم إحسان من إنسان، انقلبوا حرباً عليه"<sup>(۳)</sup>.

ويواصل الشاعر تصويره للحساد؛ فيبين أنهم يظهرون الجفاء للفضلاء، ولا يبحثون إلا عن عيوبهم، رغم ندرة الفضلاء، وقلة الفضل في عصره.

چون نپسندی گهري کم بود  
چشمه آن آب دوچندان شود  
(المرجع السابق، ص ۱۸۰)

گر هنری در طرفی بنگرند  
واین هنر امروز درین خاک نیست  
بی هنری دست بدان در زند  
تا هنرش را بزبان آورند  
(نفس المرجع والصفحة)

بردل این قوم جراحیست بود  
دست بشیرینه برویش کشند  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۱۸۰)

(۱) گرهنری در تن مردم بود  
گر بیسندهش دگر سان شود

(۲) مردم پرورده بجان پرورند  
خاک زمین جز بهتر پاک نیست  
گر هنری سر ز میان برزند  
کار هنرمند بجان آورند

(۳) گر نفسی مرهم راحت بود  
گر زلسی شربت شیرین چشند



ويبدو أن الشاعر كان له بضعة حساد، يقللون من شأنه - رغم ما فيهم من عيوب - فهم يحسدونه لخلوهم من الفضل، وهو يشرح كيفية إيدائهم في قوله: "إنهم يصيرون دخانًا إذا وصلوا إلى أنف، ويتحولون إلى ريح إذا وصلوا إلى مصباح... فتأمل حال الدنيا... من رؤسائها اليوم؟!... ومن المشهورون فيها؟!... ومن المرشحوں للرئاسة والشهرة؟!... إن هؤلاء النفر الأوغاد، يسيئون إلى بلادهم، ويحاولون أن يحطموني كما يحطمون عهودهم؛ ولكني كالبدر في السماء، فلن يستطيعوا القضاء عليّ، لأنني أتكامل باستمرار، ولو أن سرورهم يزداد كلما أصابني مكروه، إلا أنهم لن يتمكنوا من التئيل مني، لأنني أقوى منهم"<sup>(١)</sup>.

ثم ينادي الخضر أن يحضر بعلمه ليتغلب عليهم، ويطلب من نوح أن يدعو عليهم ليهلكوا، ويتمنى أن ينسأهم قلبه الساخط، وأن يكون إهماله لهم أكثر من إساءتهم التي لا حدود لها؛ وهو يعتقد أن ضجيجهم دليل على خلوهم من الفضل؛ لأن الصدف يحدث صوتًا إذا كانت فيه درة واحدة، أما إذا امتلأ درًا، فإنه لا يحدث صوتًا، كما أن الجرة تُحدث صوتًا إذا كان نصفها ماء، أما إذا امتلأت ماء فإنها تصمت، وهو لذلك ينصح بقوله: "إذا امتلأت علمًا فاصمت، واستمع كثيرًا دون أن تتكلم"<sup>(٢)</sup>.

ثم يورد قصة "بلبل وصقر" وهي أن بلبلًا تحدث مع صقر في فصل الربيع بينما كانت الزهور متفتحة؛ والجو عطرا، فقال له: "أنت أكثر الطيور صمتًا، فلم حُزّت قصب السبق بين الطيور؟!... إنك لم تغن لحنا عذبًا منذ جئت إلى هذه الدنيا، ومع ذلك فمنازلك قصور

(١) دود شونند ار بدماغی رسند  
حال جهان بین که سرانش که اند  
این دوسه بدنام کهن مهد خویش  
من بصفه چون مه گردون شوم  
رنج گرفتم زحد افزون برند  
باد شونند ار بچراخی رسند  
نامزد ونامورانیش که اند؟!  
می شکنند همه چون عهد خویش  
نشکنم ار بشکنم افزون شوم  
با فلک این رقعہ بسر چون برند  
(المرجع السابق، ص ١٨١)

(٢) گر پری از دانش خاموش باش  
ترك زبان گوی وهمه خاموش باش  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٨٢)

السلطين، وطعامك قلب الطيور؛ وأنا أستطيع أن أغني مائة لحن جميل في يسر وسرعة، فلم صار طعامي ديدان الصيد، ومنزلي فوق الأشواك؟!...<sup>(١)</sup>.

"فأجابه الصقر: استمع إليّ يجب أن تتعظ بصمتي، فتكون صامتاً مثلي، فأنا أعمل كثيراً، وأتكلم قليلاً، أما أنت فعاشق للدنيا، تتكلم كثيراً، ولا تعمل شيئاً، وأنا مشغول بالصيد دائماً، وهو يوصلني إلى قلب الطير ويد الملك"<sup>(٢)</sup>. أما أنت فجارح اللسان، فكل الديدان واجلس على الشوك. والسلام عليك"<sup>(٣)</sup>.

ويتهكم الشاعر من الذين يكثرون الضجيج رغبة في الشهرة ولذلك فهو يختم بقوله:  
"لا ترفع صوت النظم عاليًا، حتى لا تصير - كنظامي - أسير المدينة"<sup>(٤)</sup>.

ثم تأتي بعد ذلك خاتمة المنظومة فيقول الشاعر: "أيها الكاتب. صبحك الله بالخير، فقد انتهت هذه المنظومة بعد أن صوّر شعري المعاني في صور زاهية جميلة كالطاووس، ولو أنني قمتُ بعمل صغير، إلا أنه كان شاقاً صعباً؛ لأن مادته كانت نادرة قليلة، ولولا مساعدة

(١) كز همه مرغان تو خاموش ساز  
تا تولب بسته گشادی نفس  
منزل تو دستگه سنجری  
منکه بیک چشم زد ازان غیب  
طعمه من کرم شکاری چراست  
گوى چرا برد آخر بباز  
یک سخن نغز نگفتی بکس  
طعمه تو سینه کبک درى  
صد گهر نغز بر آرم ز جیب  
خانه من بر سر خارى چراست؟!  
(المرجع السابق، ص ١٨٢)

(٢) يشير الشاعر إلى عادة كانت مستعملة في وقت الصيد، فقد كان الناس يضعون الصقر فوق يد الملك، ثم يطلقونه كعلامة لبدء الصيد.

(٣) باز بدو گفتم همه گوش باش  
منکه شدم کار شناس اندکی  
روکه توئی شیفته روزگار  
منکه همه معنیم این صیدگاه  
چون تو همه زخم زبانی تمام  
خا مشیم بنگر وخاموش باش  
صد کنم وباز نگویم یکی  
زانکه یکی نکئی وگوئی هزار  
سینه کبک دهد ودست شاه  
کرم خور وخار نشین والسلام  
(المرجع السابق، ص ١٨٢-١٨٣)

(٤) بر مکش آواز نظم بلند  
(المرجع السابق، ص ١٨٣)

الحظ إياي ما وُقِّتُ حتى في القيام بهذا القدر، وطالما راودني الإحساس بأنني أخطأت،  
لأني قمت بنظم هذه المنظومة<sup>(١)</sup>.

ثم يطلب من الوالي - الذي قدم له المنظومة - أن يقرأها متعمقاً، وأن يحوكل ما يجده  
خارجاً عن حد اللياقة والأدب، لأنه يعتقد أن منظومته قد رفعت لواء العلم والأخلاق؛  
فيقول: "اقرأ واجعل التآني شعارك، وفكر بتعقل، وامح كل ما تجده بعيداً عن الأدب، فإن  
المنظومة قد تمت كما ينبغي، وأنا - شخصياً - مستعد لمحو كل ما أجده لا يرفع لواء العلم،  
ولولم أكن قد استعملت فيها منتهى الفصاحة، ما أرسلتها من مدينة إلى أخرى"<sup>(٢)</sup>.

ويقرر أنه لم يستفد من تعبه شيئاً غير الشهرة، فيقول: "ما محصولي من كل قديم  
وحديث. غير الشهرة؟!... شهرة الحرب دون فائدة؛ وتعب السوق، ولا شيء غير ذلك"<sup>(٣)</sup>.

ويدشير في النهاية إلى تقيده بكنجه، ثم يحمد الله أن تمت المنظومة قبل وفاته، فجعلته  
غارقاً في الذهب من رأسه إلى إخص قدميه.

چون قلم از دست شدم دستگیر  
با قلمم بوقلمونی کند  
کز لکی از بهر ملک ساختم  
کوره آهنگریم تنگ بود  
بخت بدین نیز نپرداختی  
کین ورقی چندسیه کرده ام  
(نفس المرجع والصفحة)

گر کنی اندیشه بانديشه کن  
دست بر او مال که دستوريست  
گر منم آن حرف درو کش قلم  
شهر بيشهرش نفرستادی  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ١٨٤)

حاصل من چيست جز آوازه  
زحمت بازار و دگر هيچ نه  
(نفس المرجع والصفحة)

(١) صبحك الله صباح اي دبیر  
كاین نمط از چرخ فزونی کند  
زین همه الماس که بگداختم  
گاهن شمشیرم در سنگ بود  
دولت اگر همدمیئی ساختی  
در دلم آید گنه کرده ام

(٢) بیش رو وآهستگی بیشه کن  
هرسخنی کز ادبش دوریست  
و آنچه نه از علم بر آرد علم  
گر نه درو داد سخن دادی

(٣) از نظر هر کن وتاز  
گری هنگامه وزر هيچ نه

ويدعو لمن تكون هذه المنظومة من نصيبه فيقول: "لتكن هذه المنظومة - التي تنثر الذهب - مباركة على ملك تكون هي من نصيبه"<sup>(١)</sup>.

وهكذا تنتهي منظومة "مخزن الأسرار".

ونكتفي بهذا القدر في عرض محتوياتها، لننتقل إلى المقارنة بينها وبين "حديقة الحقائق" لسنائي، حتى يتسنى لنا أن نقدرها حق قدرها، وأن نحكم عليها حكمًا صحيحًا دقيقًا.

---

(١) باد مبارك گهر افشان او بر ملكى كاين گهرست آن او (المرجع السابق، ص ١٨٥)

## الفصل الثالث

### مقارنة مخزن الأسرار لنظامي بحديقة الحقائق لسنائي

راجت - بين الباحثين -<sup>(١)</sup> فكرة أن نظامي قد نظم "مخزن الأسرار" ليقلد سنائي في منظومته "حديقة الحقائق"؛ واستشهدوا على ذلك بإشارة نظامي إلى منظومة سنائي، وذكره أنها قد قُدمت - مثل منظومته - إلى حاكم يُدعى بهرامشاه<sup>(٢)</sup>، ثم قالوا: إن الفرق بين المنظومتين ينحصر في اختلافهما في الوزن الشعري، فقد اختار نظامي بحرًا غير بحر "الحديقة" ونظم فيه منظومته<sup>(٣)</sup>.

ومن الجائز أن يكون نظامي قد قلد سنائي، فإن منظومتي "مخزن الأسرار" و"حديقة الحقائق" تدوران حول محور واحد، هو التهذيب الخلقي، ونشر الفضائل في المجتمع، وإن كنا نجد نظامي نفسه يحاول جاهدًا أن يثبت أنه مبتكر، وليس مقلدًا، وأن عمله جديد، لم يسبق إليه، فيقول: "لم أقبل عارية شخص آخر، بل قلت كل ما أوحى به قلبي، فأودعت

(١) باخر: حياة نظامي وآثاره (بالألمانية)، ص ١١؛ برتلس: نظامي شاعر آذربيجان العظيم (بالروسية)، ص ٥٥.

(٢) نظامي: مخزن الأسرار، ص ٣٧. حيث قال:

نامه دو آمد زدو ناموسگاه هر دو مسجل بدو بهرامشاه

وقد سبقت الإشارة إلى هذا البيت

(٣) نظم سنائي "حديقة الحقائق" في بحر الخفيف، بينما نظم نظامي "مخزن الأسرار" في بحر السريع.

في المنظومة نعمة جديدة، وأخرجت تحفة من قالب جديد، فهي كنز للفقير وبركة للغني، وهي مخزنٌ للأسرار الإلهية<sup>(١)</sup>.

ثم يؤكد جده عمله فيقول: "لم يجلس على سكر منظومتي ذباب، ولم تمد - هي - يدها إلى سكر شخص آخر"<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن الشاعر نفسه قد أحس بأنه ينظم في نفس الموضوع الذي سبقه إليه سنائي، فحاول أن يُثبت أن نعمته جديدة؛ وإن كان دفاعه عن منظومته، لا يكفي دليلاً على أنها جديدة - من حيث الموضوع؛ بل الواقع أنها تقليد لموضوع منظومة سنائي. وليس هذا عيباً، لأن الموضوعات التي تدور حول الفضائل، والتهديب الخلقي لا تقتصر على شاعر دون الآخر، فهي موضوعات إنسانية عامة، وقد ظهرت في الشعر، نتيجة لنفوذ التصوف، وارتفاع شأن علماء الصوفية في ذلك العصر، وكان سنائي ونظامى من السباقين في هذا الميدان.

ومهما يكن من شيء، فإن بين المنظومتين تفاوتاً من الناحيتين المنهجية والأسلوبية. أما من الناحية المنهجية، فنلاحظ أن منظومة "مخزن الأسرار" أحسن تنظيمًا وتماسكًا، لأن الوحدة الموضوعية ظاهرة فيها، فقد رأينا كيف قسمها إلى عشرين مقالة تتلو كل مقالة منها قصةً؛ وهي - جميعها - ترمي إلى هدف واحد، وتحاول إصابته في دقة وقوة، فحديثه فيها يحارب الظلم والفساد، وعدم الوفاء، ويدعو إلى الإصلاح، والتجرد من الدنيا، والعمل للآخرة، ونغماتها - جميعها - متشابهة، والوحدة الموضوعية فيها واضحة، مما جعل ترتيب

(١) عاريت كس نپذيرفته ام  
شعبد تازہ برانگیختم  
مایہ درویشی وشاهی درو  
نظامی: مخزن الأسرار، ص ٣٦

(٢) بر شکر او ننشته مگس  
نی مگس او شکر آلود کسی  
(المرجع السابق، ص ٣٧)

"مخزن الأسرار" أدق - من الناحية المنهجية - من ترتيب "حدايقة الحقائق" التي قسمها سنائي إلى عشرة أقسام:

الأول: في التقديس والتمجيد.

والثاني: في نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

والثالث: في صفة العقل.

والرابع: في فضيلة العلم.

والخامس: في الغفلة.

والسادس: في صفة الأفلاك والبروج.

والسابع: في الحكمة والأمثال.

والثامن: في العشق والمحبة.

والتاسع: في بيان أحواله.

والعاشر: في مدح السلطان.

وهكذا نجد أن الفكرة التي سيطرت في "مخزن الأسرار"، وشملت المنظومة كلها، ليست واضحة في "حدايقة الحقائق" التي دار الحديث فيها حول موضوعات مختلفة.

وأما من الناحية الأسلوبية الفنية، فإن نظرة فاحصة في المنظومتين تظهر لنا الفرق الواضح بينهما. فأسلوب سنائي يُعتَبَر جافاً إذا ما قيس بأسلوب نظامي وما فيه من رقة وعدووية، وأضواء زاهية، وصور جميلة، تفنن في إبرازها، مستعملاً منتهى الدقة والعناية، وبإدلاً جهداً كلفه عصارة قلبه، ودم كبده، كما كان يقول كثيراً.

ولعل السبب في ذلك أن سنائي أراد أن يتحدث بأسلوب العقل الذي يعتمد على الحجة والاستدلال والبرهان، وهذه الطريقة لا تبدو خلافة في الأسلوب الشعري، الذي يلعب الخيال فيه دوراً هاماً.

وقد حاول سنائي أن يقنعنا بإمكان إخضاع كل شيء - حتى الشعر - لقواعد المنطق والاستدلال، حتى لا ننتقد استعماله أسلوب العقل، والمنطق، وتطبيقه في الشعر، فأكثر من الحديث عن العقل، بل إنه خصص الباب الثالث من حديقته لبيان مزايا العقل، تحت عنوان "صفة العقل"<sup>(۱)</sup>. فبين أن العقل أفضل ما خلق الله، وأنه مفتاح كل الأمور المغلقة. وذلك في قوله: "كل ما تحت السماء من خير وشر من محصول العقل، فحينما خرج العقل من الملكوت الإلهي، استقام به العلم والعمل، ففي يده مفتاح الأمور، وكل شيء يتوقف على وجوده، فهو أساس الخير، ومبعث الشر، وسبب ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، فقد ورد في العلوم المنقولة أن العقل أول شيء، ثم يليه الشرع"<sup>(۲)</sup>.

(۱) سنائي: حديقة الحقائق، ص ۱۵۹-۲۰۰.

(۲) هرچه در زیر چرخ نیک و بدند  
چون در آمد زیرگاه ازل  
هم کلید امور در دستش  
مایه نیک و سایه بد اوست  
در حرورفی که برده نقلست  
خوشه چینان خرمن خردند  
شد بدو راستکار علم و عمل  
هم راه امر بسته در هستش  
سبب بود وهست و باشد اوست  
آخر شرع اول عقلست  
(سنائی: حدیقه الحقائق، ص ۱۶۹)



وشرح قوة العقل وسيطرته فقال: "حينما يرتفع صوت العقل يختفي كل شيء؛ فالعقل هو الجوهر، وهو المعدن، وهو الرسول، وهو الحارس، وهو السلطان القادر حسن الطبع، وهو الذي يسمونه ظل الله في الأرض، والظل متصل بالذات دائماً، وإلا فمتى كان الظل منفصلاً عن الذات؟!.." (١).

ثم بين الأشياء التي تخضع لنفوذ العقل، فقال مستعملاً الطريقة الفلسفية: "إن النفس النامية تحت رعايته، والنفس الناطقة تسير على هديه.. فالعقل هو الحاكم المسيطر على جسم البشر، وهو المطلع على جميع الأحوال.. وهو ملك؛ والأعضاء الأخرى حشم، لأنها أقل مرتبة منه" (٢).

ويبلغ تصويره لقوة العقل ونفوذه درجة جعلته يقول: "اعلم أن العقل الشريف، والنفس الناطقة، هما والدا العالم اللطيف" (٣).

ثم وضع هذا فقال: "إنه السبب في الأمة والرسالة، وهو العلة في الصورة والهيولا، وهو الذي خلق - أيضاً - منذ الخلق الأول، فالصورة تحت هيولا العالم" (٤).

- |  |   |
|--|---|
| <p>(١) حرف وأواز در خزرد بعدم هم رسولست وهم نگهبانست آنکه سایه خداست گویند اوست سایه باذات کی جدا باشد (سنائی: حدیقة الحدائق، ١٦٩-١٧٠)</p> | <p>(١) هر کجا نطق عقل برزد دم عقل هم گوهر است وهم کانت عقل سلطان قادر خوش خوست سایه باذات آشنا باشد</p> |
| <p>(٢) نفس گوینده در هدایت اوست از همه حال باخبر عقلست ز آنکه در مرتبت ز عقل کم اند (المرجع السابق، ص ١٧١)</p>                             | <p>(٢) نفس روینده در رعایت اوست کدخدای تن بشر عقلست عقل شاهست و دیگران حشم اند</p>                      |
| <p>(٣) نفس گویا شناس وعقل شریف (المرجع السابق، ص ١٧٤)</p>  | <p>(٣) پدر و مادر جهان لطیف</p>   |
| <p>(٤) علت صورت وهیولی او صورت اندر هیولی عالم (المرجع السابق، ص ١٧٧)</p>  | <p>(٤) سبب أمست ورسولی او اونها داست هم بامر قدم</p>  |

ثم جمع بين العقل والشرع، لأنه يعتقد أن كليهما لا ينفصل عن صاحبه. فشبههما بالعين والنور، فقال: "العقل عين والنبوة نورها، فهو منها وهي منه، لا يفترقان كثيرًا"<sup>(١)</sup>. وقد جعل سنائي العقل يتحكم في كل شيء حتى في أسلوبه، فبدا جافًا، كما نلاحظ من هذه الأمثلة التي مرّت، وهي صورة صادقة لأسلوبه في المنظومة.

أما نظامى، فإنه رغم موافقته لسنائي في أن العقل هو أول شيء خلقه الله، إلا أنه يؤمن بوجود قوة أخرى، تستطيع أن تصل - بفضل الله - إلى ما لا يستطيع العقل بلوغه بوسائله القاصرة؛ وهي قوة القلب.

وأسلوب نظامى إن وصف بشيء فإنما يوصف بأنه أسلوب القلب، لأنه يعتمد على الرياضة، والتجلي، والكشف، والإلهام، وهي العناصر التي تغذي الشعر، وتجعله رائعًا جميلًا، فالشعر لسان القلب الذي يحسن التعبير عن إحساساته.

وأسلوب نظامى - من هذه الناحية - جذاب فتان، لأنه يعتمد على القلب. وقد حاول الشاعر نفسه أن يجعلنا نقنع معه بقوة القلب، وروعة التجليات التي يصل الإنسان - بواسطته - إليها، بفضل الرياضة الروحية.

ولذلك؛ أطنب نظامى في ذكر القلب ووصفه<sup>(٢)</sup>. فبيّن أن الإنسان يجب أن يعتصم بحبل القلب، حتى يصير عزيزًا، فقال: "تعلّق برباط القلب، فإن عزتك في أن تخضع للقلب"<sup>(٣)</sup>.

(١) عقل چشم وپيمبرى نوراست  
آن ازين اين از آن نه بس دوراست  
(المرجع السابق، ص ١٧٩)

(٢) نظامى: مخزن الأسرار، ص ٤٦-٧٠.

(٣) دست در آویز بفتراك دل  
آب تو باشد كه شوى خاك دل  
(المرجع السابق، ص ٥٠)

وهو يعتقد أن القلب مزيج من الروح والجسد، ويشرح ذلك في قوله: "حينما خلق الله العالم، أوجد مملكة الجسم والروح، عن طريق التزاوج، فظهر منهما القلب، فهو النسل الذي وصل إلى الخلافة، وهو الذي تقرأ باسمه خطبة السلطنة. إنه مخلوط النسل من الجسم والروح. وإن نور طريقك يعتمد على إشعاع القلب، لأن الروح والبدن تابعان له"<sup>(١)</sup>.

ثم صور قدرة القلب على إدراك الحقائق عن طريق التجلي، وبين سروره حينما وصل هو إلى الحقيقة، التي أنارت ذهنه، وملأت طبعه سروراً، وجعلته ينظم الشعر، فقال: "حينما وصل حديث القلب إلى عقلي، وصل الزيت إلى مصباحي فأضاء، وأخذت أنصت إلى هاتف الروح، وأستقبل التجليات الإلهية، فصرت عذب اللسان من ذلك الفيض، وبعُد عني الغم، فامتلاً طبعي سروراً، وذرفت - من العين - دموعاً باردة، صيرتها حرارة القلب ساخنة، وتخلصت من قيود الأعضاء، فصرت قوياً، بينما أصبحت هي ضعيفة عاجزة، فحثت السير في هذا الطريق، حتى أفتح باب كنز القلب سريعاً"<sup>(٢)</sup>.

فنظامي يستوحي قلبه، ويستلهمه، ويتحدث بلسانه، وأسلوبه متأثر بهذا، بل إنه كثيراً ما كان يقول إن هاتفاً قد جاءه، وأوحى إليه بما ينشده، أو إن وحياً قد نزل عليه.

(١) چون ملك العرش جهان آفرید داد بترتیب ادب ریزشی زین دوهم آگرش دل آمد پدید دل که بر او خطبه سلطانیت نورادیمت زسهیل دلست

(٢) چون سخن دل بدماغم رسید گوش در این حلقه زبان ساختم چرب زبان گشتم از آن فربهی ریختم از چشمه چشم آب سرد دست بر آوردم از آن دست بند در تک آنراه دو منزل شدم

مملکت صورت و جان آفرید صورت و جانرا بهم آمیزشی آن خلقی کو بخلافت رسید آکدش جسمانی و روحانیست صورت و جان هر دو طفیل دلست (نظامی: مخزن الأسرار، ص ٥٠)

روغن مغزم بچراغم رسید جان هدف هاتف جان ساختم طبع ز شادی پرواز غم تهی کانش دل آب مرا گرم کرد راه زنان عاجز و من زورمند تا بیکی تک بدر دل شدم (نفس المرجع والصفحة)

وهذه الطريقة أقرب إلى طبيعة الشعر من طريقة سنائي، فكلما كان الشاعر مُلهمًا ما يقول، كان شعره أرق وأجمل، لأن الطريقة المنطقية تفقد الشعر رواءه وبهائه، وتذهب بجلاوته.

وقد حاول نظامي أن يثبت أنه تحدث بما رآه في أثناء الرياضة، والمراقبة، وأنه دُعي إلى الدخول، فانضم إلى المجلس الذي أشرق بنور الله، فأدرك الحقائق التي صاغها شعرًا، فأثبت ذلك في قوله: "لقد احتبس لساني في ذلك المجلس، فأمسك العشق بعناني، وقادني إلى حيث التجليات الإلهية، فقال ملك الستر: من الذي جاء في هذا الوقت؟. فقلت: إنني آدمي، فإذا أذنتُم لي - مرة - سَعِدْتُ برؤية الحقائق. فألقى الملائكة الحجب بعيدًا، كما أبعادوا عني حُجُب جسمي، وجاء صوت من أخص بقعة. أن ادخل يا نظامي، فاقتربتُ من أخص حارس لها، فقال ادخل، فتوغلتُ في الدخول، حتى بلغتُ مجلسًا مشرقًا بالأنوار الإلهية، وقد أقفلت عين السوء عن رؤيته. وحينذاك أدركت الحقيقة"<sup>(۱)</sup>.

فكما قلد الشاعر الصوفية في الاعتكاف للتفكير والمراقبة، نجده يستعمل أسلوبهم في شعره فيجعله برآقًا خلابًا.

ولعل هذا يفسر لنا الفرق بين أسلوب كل من سنائي ونظامي؛ فأسلوب نظامي أرق وأجمل.

عشق نقیبا نه عنانم گرفت  
گفتم اگر باردهی آدمیست  
پسردہ ترکیب در انداختند  
بانگ در آمد که نظامی در آی  
گفت درون آی درونتر شدم  
چشم بد از دیدن او دوخته  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۵۱)

(۱) چونکه در آن نقب زبانم گرفت  
حلقه زدم گفت بدینوقت کیست؟  
پیشروان پسردہ برانداختند  
لا جرم از خاصترین سرای  
خاصترین محرم آندر شدم  
بارگهی یافتم افروخته

ويبدو أن نظامي - نفسه - قد أحس بالفرق بين أسلوبه وأسلوب سنائي، وأيقن أن أسلوبه يَفْضَلُ أسلوب صاحبه، لأننا نجد يقول: "ولو أن الشعر في "الحديقة" كالذهب، إلا أن سكة ذهبي أفضل"<sup>(١)</sup>.

وهكذا نرى أن نظامي - في "مخزن الأسرار" - وإن يكن قد قلد سنائي - في "حديقة الحقائق" - من حيث الموضوع، فاتخذ الشعر وسيلة للتهديب الخلقى - على طريقة الصوفية - إلا أنه قد تقدم خطوة جديدة، فجعل منظومته أدقَّ تنظيمًا، وأرقَّ أسلوبًا، وتناول فيها موضوعًا محددًا، فاستوفى الحديث عنه بأسلوب شعري جميل.

وقد عرض نظامي المساوي - التي كانت في عصره - في صراحة وجرأة، وكان حديثه مملوءًا بالاحتجاج الغاضب، كما كان يتمنى أن يسود العدل والوفاء في دنيا سريعة الزوال، أتفه من أن يُزْرَع فيها ظلم أو حقد. وهو - في هذا - عكس شعراء البلاط تمامًا، لأنه لا يوافق مثلهم، بل يعتمد على الأسس الدينية في محاربة الظلم والاضطهاد، وهي طريقة لم تكن تخدم أغراض الحكام المتناحرين في عصره.

وقد أصبح نظامي - بطريقته هذه - إمامًا قلده كثير من الشعراء في إيران، والهند.

فمن قلده: أمير خسرو الدهلوي المتوفى في عام ٧٢٥هـ، الذي نظم "مطلع الأنوار"؛ وخواجو كرماني المتوفى في عام ٧٤٢هـ، الذي نظم "روضة الأزهار"؛ وكاتب المتوفى في عام ٨٣٨هـ، الذي نظم "گلشن أبرار"؛ وعرفي الشيرازي المتوفى في عام ٩٩٩هـ، الذي نظم "مجمع الأبيكار".

(١) گرچه در آن سکه سخن چون زرست سکه زرمن از آن بهتراست  
(نظامي: مخزن الأسرار، ص ٣٧)

وقد قلد هؤلاء جميعاً منظومة "مخزن الأسرار" لنظامى شكلاً وموضوعاً؛ فاختاروا وزنهما الشعري، وتأثروا بما ورد فيها من محتويات.

ونذكر منهم على سبيل المثال أمير خسرو الدهلوى الذى قسم منظومته "مطلع الأنوار" إلى عشرين مقالة، تحدث فيها عن الأخلاق، والفضيلة، والوحدة مع الله، مُقلِّداً أستاذه نظامى - فى "مخزن الأسرار" - إلى حد كبير<sup>(١)</sup>.

ونكتفى بهذا القدر من الحديث عن "مخزن الأسرار"؛ لتحدث عن منظومة الشاعر الثانية "خسرو وشيرين".

Mohammad Wahid Mirza: *The Life and Works of Amir Khusrau*, p. 190. (١)

# الباب الثاني

## منظومة خسرو وشيرين

### الفصل الأول

#### دراسة حول منظومة خسرو وشيرين

##### ١- تاريخ إتمام المنظومة:

شرح نظامي في نظم قصة "خسرو وشيرين" بعد فراغه من نظم "مخزن الأسرار". ويبدو أن اختياره لها كان استجابة لما في نفسه من حب لزوجته الأولى "آفاق" - من ناحية، وإرضاءً لميل الناس في عصره - من ناحية أخرى؛ فقد كانوا يميلون إلى هذا النوع من القصص الذي يصور العشق في أجلى صورته وأروعها<sup>(١)</sup>.

وهي تقع في ٦٥٠٠ بيت من الشعر تقريباً، نظمها الشاعر في بحر الهزج المسدس.

وأرجح أنه فرغ من نظمها في عام ٥٨٢ هـ، وإن كان الباحثون يختلفون في ضبط تاريخ إتمامها؛ فباخر يقرّر أنها تمت بعد "مخزن الأسرار" بعشر سنوات، أي في عام ٥٧١ هـ، لأنه يرجح أن منظومة "مخزن الأسرار" قد أكملت في عام ٥٦١ هـ، مما سبقت مناقشته.

(١) سبق ذكر الأبيات التي تشير إلى سبب اختيار الشاعر لهذه القصة رغم أنه بدأ بمخزن الأسرار.

ويستشهد على ذلك ببيت من الشعر، هو قول نظامى: "لم يضع شخصٌ مثلاً هذا الخال على وجه الجميلات، منذ إحدى وسبعين وخمسمائة سنة"<sup>(١)</sup>.

وقد ورد هذا البيت - بنفس الرواية السابقة - في إحدى مخطوطات المتحف البريطاني بلندن<sup>(٢)</sup>، كما روى روايات مختلفة، تَعَيَّرَ التاريخ فيها إلى عام ٥٧٦ هـ<sup>(٣)</sup>، كما تغير إلى عام ٥٧٩ هـ<sup>(٤)</sup>، وإلى عام ٥٨٠ هـ<sup>(٥)</sup>.

ولكننا نستبعد كل هذه التواريخ، التي نتجت عن تغير روايات البيت الذي يثبت تاريخ إتمام المنظومة؛ خصوصاً بعد أن أثبتنا أن الشاعر أكمل منظومة "مخزن الأسرار" - التي تسبقها - في عام ٥٨١ هـ، مما يرجح أن منظومة "خسرو وشيرين" تمت بعد هذا التاريخ.

كما أكمل منظومته الثالثة "ليلي ومجنون" في عام ٥٨٤ هـ - كما سيأتي - وهذا يرجح أن "خسرو وشيرين" تمت في المدة التي تقع بين ٥٨١ هـ و ٥٨٤ هـ.

ونحن نميل إلى أنها تمت في عام ٥٨٢ هـ؛ لأن نظامى - حينما دعاه قزل أرسلان إليه، وسأله عما إذا كان أخوه جهان پهلوان قد أعطاه شيئاً - أجاب بما يفهم منه أن جهان پهلوان مات منذ مدة قصيرة، لأنه ألقى اللوم على الأقدار التي اختطفته من الدنيا - سريعاً - قبل أن يُنفذ ما أوصى به، فأصابته كما أصابت العالم بحسارة فادحة، فقال: "نعم، لقد

(١) W. Bacher: *Nizamis Leben und Werke*, p. 4.

(٢) Rieu: *Supplement to the Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum*, (٢) p.155.

(٣) گذشته از پانصد وهفتاد شش سال نزدبر خط خوبان کس چنين خال (نظامى: خسرو وشيرين "نشر دستگردى"، ص ٤٤٥)

(٤) Rieu: *Supplement to the Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum*, p. 154.

(٥) گذشته از پانصد وينجاه سى سال نزدبر خط خوبان کس چنين خال (خمسه نظامى "طبع طهران" ص ٤٤٥ من المقدمة)



أمر - لي - الملك الراحل السعيد بجائزة من ماله الخاص، فلما طوت السفينة بحر عمره سريعاً، أصابني بل أصابت العالم كله بضرر بالغ... ولكن سوقي سوف تروح من جديد، فتقدّر مثل هذه المنظومة المحببة إلى النفوس؛ ما دام قد خلفه على العرش حاكم مثلك، من نسل الحكام المصلحين"<sup>(١)</sup>.

فهذا دليل على أن دعوة قزل أرسلان كانت عقب وفاة أخيه جهان پهلوان - الذي توفي في أوائل عام ٥٨٢ هـ؛ يرجح أن الشاعر أتم قصة "خسرو وشيرين" قرب وفاة هذا الأتابك، ولكن سرعة موته حالت بين الشاعر وبين الجائزة؛ فأرسل مديحاً إلى أخيه - وخليفته - قزل أرسلان، فدعاه إليه، وأثابه بسخاء.

وهذا هو الذي يجعلنا نرجح أن المنظومة أكملت في عام ٥٨٢ هـ، بينما كان السلطان طغرل السلجوقي شاباً، في الثامنة عشرة من عمره. وقد أشار الشاعر إلى ذلك في قوله: "إن السلطان الشاب ملك حسن الحظ، فليكن ذا عرش وتاج دائماً"<sup>(٢)</sup>.

## ٢- تقديم المنظومة وما أصابته من نجاح:

قدم الشاعر هذه المنظومة للأتابك جهان پهلوان، ثم قدمها لأخيه. قزل أرسلان من بعده، ولكنه بدأ بمدح السلطان طغرل السلجوقي الذي كان ابن أخيها، وكان فضلاً عن ذلك السلطان الشرعي على العراق وكردستان وأذربيجان، رغم أنهما كانا متصرفين في كل شئون الدولة - منذ كانا وصيين عليه - لصغر سنه.

پذيرفت آنجه فرمودی ز پیشم  
مرانه جمله عالم را زیانکرد  
همان شهزادگان کشور آرای  
دگر باره شود بازار من تیز  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ٤٥٥)  
که بر خوردار باد از تاج وارتخت  
(المرجع السابق، ص ١٥)

(١) بلی شاه سعید از خاص خویشم  
چو بحر عمر او کشتی روانکرد  
ولی چون هست شاهی چون تو برجای  
از آن پذیرفتهای رغبت انگیز

(٢) چو سلطان جوان شاه جوانبخت

وقد أصابت هذه المنظومة نجاحًا لم تصبه غيرها من منظومات الشاعر، فقد تقبلها جهان پهلوآن بقبول حسن، وأمر بإثابة الشاعر على عمله، ولو أن أمره لم يكتب له التنفيذ، نظرًا لوفاته، وعدم تنفيذ أتباعه ما أمر به.

كما رحّب بها قزل أرسلان، فدعا الشاعر، وأحسن استقباله، وجالسه يومًا كاملًا؛ مما يصوره الشاعر في قوله: "أمر الأتابك برفع أواني الخمر احترامًا لي، فتوقف السُّقاة، وسكت المطربون، وقال: لنستفد - هذا اليوم - من نظامي، - من الصباح إلى المساء - بدل الشراب والغناء، فنغمات نظمه أحلى من العود، وشعره غناء... لقد جاء الخضر، فلنترك الخمر، لأننا نجد - بفضل - ماء الحياة"<sup>(۱)</sup>.

ثم أخذ الشاعر يصور مبلغ احترام الأتابك له، واستماعه إلى نصائحه، وثنائه على عمله، وحكمته، وإشادته بشعره، وإعجابه بمنظومة "خسرو وشيرين" فقال: "كان الإعجاب يغمر الأتابك وهو يستمع إلى نظمي، فلما وصل الحديث إلى خسرو وشيرين، كان الإعجاب قد بلغ أعلى درجاته، فوضع يده على كتفي، وأخذ يغمرني باستحسانه - دون انقطاع - قائلاً: لقد أحييت - بمنظومتك - تاريخنا القديم"<sup>(۲)</sup>.

مـدارای مـرا پی بر گرفتـن  
بسجده مطربانرا داشت دریند  
نظامی را شویم از رود واز جام  
سراسر قوهای ا سروداست  
که اب زندگی باخضر یابیم  
(نظامی خسرو وشیرین، ص ۴۵۲)

ز شیرینی دهن پرنوش میگرد  
حدیث خسرو وشیرین در آمد  
ز تحسین حلقه در گوشم نهاده  
بدان تاریخ مارا تازه کردی  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ۴۵۳ - ۴۵۴)

(۱) بفرمود از میان می بر گرفتـن  
بخدمت ساقیانرا داشت دریند  
اشارت کرد کاین یک روز تاشام  
نوای نظم او خوشتر ز رودست  
چو خضر آمد زباده سر بتابیم

(۲) حدیثم راچو خسرو گوش میگرد  
حکایت چو بشیرینی در آمد  
شهنش دست بردوشم نهاده  
گزارشهای بی اندازه کردی

ثم منح الأتابك الشاعر قرية - كجائزة له على نظمه هذه القصة - وأثبت الشاعر ذلك في قوله: "قال الأتابك: لقد أصبحت فرضاً - عليّ وعلى أخي - أن نخصص لك مرتباً، تقديرًا لتعبك الذي استغرق سنوات - في سبيل نظم هذه القصة -... وقد كان أخي بطلاً مظفراً، فماذا قدم لك من الجواهر؟ سمعتُ أنه منحك قرية من ماله الخاص لتعيش في رفاهية، فهل سلموك هذه القرية أم لا؟! وهل أرسلوا إليك أمر ملكيتها أم لا؟!..."<sup>(١)</sup>.

وقد أجاب الشاعر بلباقة، فقال: "إنني - منذ البداية - لم أنظم هذه القصة الجميلة طمعاً في العطاء؛ فقد كان هدفي - من نظمها - أن تكون وسيلة لمدحك، والآن... لم أطلب الأجر بعد أن ظفرت بشكركم، ورضاكم!"<sup>(٢)</sup>.

ثم قال إنه لم يظفر بمنحة أخيه الراحل لسرعة وفاته، فسُرَّ الأتابك بإجابته؛ وأمر له بالقرية، مما وضحه الشاعر في قوله: "قبل الأتابك مني هذه الإجابة، لأنه أحس بإخلاصي الدائم له، فأهداني قرية "حمدونيان" وأعطاني أمراً بملكيتها، وأن تكون متوارثة من بعدي، ووقع عليه باسم قزل شاه، فأصبحت القرية ملكاً لي بكل ما فيها، لسد حاجتي

معاشی فرض شد چون شیر مادر  
جهان را هم ملک وهم پهلوان بود  
چه دادت دست مزد از گوهر واز گنج  
دوباره قرعه زد از مال خاصت  
مثال ده فرستادند یانه؟  
(المرجع السابق، ص ٤٥٤)

نه از بهر بها پرستم اول  
دعای خسروان آمد بهانه  
فسون شکر و شیرین چه خوانم؟  
(المرجع السابق، ص ٤٥٤ - ٤٥٥)

(١) ترا هم بر من وهم بر برادر  
برادر کو شهنشاه جهان بود  
بدان نامه که بردی سالها رنج  
شنیدم قرعه زد بر خلاصت  
چه گوئی آن دخت دادند یانه

(٢) که من یاقوت این تاج مکال  
مرا مقصود ازین شیرین فسانه  
چو شکر خسرو آمد برز بانم

وحاجات ذریقی - نسلأ بعد نسل - وجعلها معفاة من الضرائب، وأسقطها من ملكيته إلى يوم القيامة<sup>(۱)</sup>.

وهكذا أثنى الشاعر بسخاء<sup>(۲)</sup>، فأطرب في وصف ما حدث، فقد كانت زيارته لقرنل أرسلان هي المرة الوحيدة - فيما يبدو - التي ذهب الشاعر فيها إلى حاكم - بناءً على طلبه - مما جعل لسانه يلهج بشكره، والثناء عليه.

والواقع أن هذه المنظومة هي أسعد منظومات الشاعر حظًا، فطبيعي أن يسهب الشاعر في مدح الأتابك، وأن يرثيه بعد قتله.

وقد ألحق بالمنظومة قطعة شعرية في رثاء الأتابك<sup>(۳)</sup>، فأشار إلى استشهاده قائلاً: "استشهد إثر ضربة من أحد أهل السوء، سوف تكون عاقبته في الآخرة، أسوأ من نهايته في الدنيا"<sup>(۴)</sup>.

(۱) پذیرفت آن دعا وحمدر شاه  
چو خوبا حمد وبا اخلاص من کرد  
بمملوک خطی دادم مسلسل  
که شد بخشیده این ده بر تمامی  
بملك طلق دادم بی غرامت  
باخلاصی که بود از دل بدو راه  
ده حمدونیان را خاص من کرد  
بتوقیع قزلشاه مسجل  
زما بر زاد بر زاد تمامی  
بطلق ملک او شد تا قیامت  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ۴۵۵)

(۲) بالغ دولتشاه في تقدير الجائزة التي أعطاها قرنل أرسلان لنظامی فقال في تذكرة الشعراء، ص ۱۲۹. إن الأتابك خلع عليه أربع قرى مزروعة معمورة والطريف أن باخر أخطأ في كتابه: حياة نظامی وآثاره بالألمانية، ص ۲۷. فتوهم أن «حمدونیان» تدل على قريتين اسم إحداهما «حمد» واسم الأخرى «نيان»، وحاول أن يصحح خطأ دولتشاه فوقع هو في الخطأ، لأنه ترجم «چهار ده معمور ومزروع» - أي أربع قرى معمورة مزروعة -، على أنها «چهار ده» أي أربع عشرة قرية.

(۳) نظامی: خسرو وشیرین، ص ۴۵۸ - ۴۵۹.

(۴) شهادت یافت از زخم بداندیش  
که پاداش آنجهان پاداش ازین بیش  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ۴۵۸)

وبديهي أن وصف الشاعر لمجلس الأتابك، وتسجيله لما دار بينهما من أحاديث، كان بعد زيارته له، أي بعد عام ٥٨٢ هـ، وأن رثاءه للأتابك كان بعد قتله في عام ٥٨٧ هـ، مما يرجح أنه كان يضيف إلى منظوماته بعض الملحقات أحياناً.

### ٣- شخصيات القصة وأماكنها:

منظومة "خسرو وشيرين" قصة أساسها الحب الذي يربط بين قلبي "خسرو وپرويز" أحد ملوك الساسانيين، ومعشوقته الأرمنية "شيرين".

وقصة عشق "خسرو وشيرين" معروفة متداولة؛ فقد كان الناس يتناقلونها في صورة روايات شفوية، يؤيدها وجود بعض الآثار المتصلة بها، والأماكن التي مُثِّلت فيها بعض أدوارها.

وقد أشار الطبري إلى أن قصصاً كثيرة تدور حول "خسرو وپرويز" تنتشر بين الإيرانيين<sup>(١)</sup>؛ وأيده الفردوسي الشاعر، فقال - حينما بدأ يعرض هذه القصة نظماً: "الآن أجدد قصة قديمة، فأنظم قصة خسرو وشيرين"<sup>(٢)</sup>.

ولهذه القصة أبطال، وأماكن مُثِّلت فيها أدوارها.

أما أبطالها؛ فهم - كما عرضهم نظامي - ينحصرون في هذين الاسمين:

"خسرو وشيرين" - كما يدل عليهما عنوان المنظومة - وفي شخص ثالث اسمه "فرهاد".

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ١٣٧ - ١٦٠.

(٢) كنون داستان كهن نو كنم خنهای شیرین و خسرو کنم (فردوسي: شاهنامه، ج٥، ص ٢٢٥)

ولئن كان "خسرو" أحد ملوك الساسانيين، فإن "شيرين" مختلف في أصلها، وموطنها؛ فقد روي أنها كانت من بلاد الأرمن، كما قيل إنها كانت من آذربيجان، وإن كان اسمها يرجح أنها إيرانية<sup>(١)</sup>.

ويبدو من عرض نظامى للقصة أنها كانت أرمنية، عاشت في المنطقة القريبة من بحر الخزر.

وسواء أكانت شيرين إيرانية أم أرمنية، فهي شخصية تاريخية - كخسرو سواء بسواء - لم يَشْكُ أحد في وجودها. ولا يعنينا أصلها بقدر ما يعنينا ما كان بينها وبين خسرو من صلات الحب، وحرارة العشق.

أما فرهاد؛ فمن الجائز أن يكون شخصاً خيالياً - من خلق نظامى - تمشيًا مع الطريقة المتبعة في نظم مثل هذه القصص، ومع مذهبه هو الذي سيأتي الحديث عنه.

والذى يجعلنا نرجح أن فرهاد شخصية خيالية انعدام الدلائل التاريخية التي تثبت وجوده، فلم يرد اسمه في الكتب القديمة: كتاريخ الطبري<sup>(٢)</sup>؛ وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي<sup>(٣)</sup>؛ وكتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني<sup>(٤)</sup>؛ ولم يذكر في الشاهنامه للفردوسي<sup>(٥)</sup>.

(١) من الجائز أن يكون اسم شيرين قد وضع لمعشوقة خسرو بعد زواجها منه، لإثبات أنها إيرانية، كما بذلت محاولات لإثبات أن الإسكندر إيراني، وقد نقل دودا، في كتابه فرهاد وشيرين بالألمانية، ص ١. عن المؤرخ الأرميني سبثوس أن شيرين من أهالي خوزستان، وقال إن خوزستان كانت مشهورة بقصب السكر، وأن اسمها شيرين - أي حلوة - مأخوذة من هذا.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ١٣٧ - ١٦٠.

(٣) الثعالبي: غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، ص ٦٩١ - ٦٩٤.

(٤) ابن الفقيه الهمداني: كتاب البلدان، ص ١٥٨.

(٥) فردوسي. شاهنامه، ج ٥، ص ٢٢٥ - ٢٥٥.

ويبدو أن نظامي هو أول من ذكر اسم فرهاد، في منظومته "خسرو وشيرين".

أما القناة المنحوتة في جبل "بيستون" والتي قيل إن فرهاد شقها لِيُنقَل اللين بواسطتها من مراعي الملك إلى قصر شيرين؛ فقد ذكرها القزويني في كتابه آثار البلاد<sup>(١)</sup>، ومن يدري؟!... فلعل القزويني متأثر - في ذلك - بما ورد في "خسرو وشيرين" لنظامي، لأن كتابه مؤلف في عام ٦٧٤ هـ، أي بعد أن نظم الشاعر القصة بأكثر من تسعين عاماً.

ويبدو أن وجود هذه القناة، وإشارة الشاعر - في منظومته - إلى أن فرهاد هو الذي قام بشقها، حتى يحظى - إذا ما أفلح - بالزواج من شيرين، هو الذي ساعد على اختلاق القصص حولها، وحول فرهاد. وقد راجت هذه القصص حتى أضفت على فرهاد مسحة تاريخية - خصوصاً بعد أن جعله نظامي منافساً لخسرو - جعلته شخصية تاريخية، كخسرو وشيرين سواءً بسواء.

وأما الأماكن التي مثلت فيها أدوار القصة فهي: بلاد الأرمن، في الشمال الغربي لإيران، خصوصاً في عاصمتها "بردع" بالقرب من بحر الخرز - حيث كانت ديار شيرين - ، ثم أجزاء مختلفة من إيران - ديار خسرو - كآذربيجان، والمدائن، وقصر شيرين - بالقرب من كرمانشاهان؛ ولا زالت أطلال القصر، والقناة المنحوتة في الجبل، وبعض الآثار الأخرى توجد حتى الآن.

وندع هذا الحديث حول المنظومة، لنعرض - في اختصار - قصة "خسرو وشيرين" كما صوّرها نظامي.

(١) القزويني: آثار البلاد، ص ٢٢٨ - ٢٣٢.





## الفصل الثاني

### قصة خسرو وشيرين كما عرضها نظامي

بدأ نظامي منظومة "خسرو وشيرين" بمقدمة تقليدية؛ تحدث فيها عن توحيد الله، ومدح الرسول، وسبب نظم القصة، ومدح مَنْ قدمت لهم، ثم تحدث عن العشق، وأهميته في حياة البشر، حتى يبرر نظمه لقصته "خسرو وشيرين". وختم المقدمة بالإشارة إلى الصراع الذي حدث بينه وبين نفسه، حينما شرع في نظم هذه القصة<sup>(١)</sup>.

ثم بدأ القصة بالحديث عن ولادة "خسرو پرويز"<sup>(٢)</sup> فقال: "لما أصبح قمري كسرى أنوشيروان محاقاً، أسند العرش إلى "هرمز" الذي كان ملكاً مظفراً عادلاً، فعمر الدنيا بعدله، وترسم خطى والده، فأكثر من البر والعطف، وأحيا رسوم الدين"<sup>(٣)</sup>.

ودعا "هرمز" ربه - في تضرع وخشوع - أن يهبه ابناً، فاستجاب الله دعاءه، ومنَّ عليه بابن جميل "لمح فيه علامات الملك فسماه خسرو پرويز"<sup>(٤)</sup>.

(١) نظامي: خسرو وشيرين، ص ٢ - ٣٩. وقد سبقت الإشارة إلى هذه الأشياء، وعرض صور منها.

(٢) «خسرو پرويز» معناها «الملك المظفر».

(٣) که چون شد ماه کسری در سیاهی  
جهان افروز هرمنز داد میگرد  
بهرمنز داد تخت پادشاهی  
بداد خود جهان آباد میگرد  
دهش بردست و دین بریای میداشت  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ٤٠)

(٤) پدر در خسروی دیده تمامش  
نهاده خسرو پرویز نامش  
(نفس المرجع والصفحة)

وقد أحاط الشاعر " خسرو پرویز" - بطل القصة - بهالات البطولة منذ صغره، فتحدث عن ذكائه، وحسن نمائه، واعتدال قامته، وفرط جماله، وروعة فصاحته، وإلمامه بكل علم وفن، قبل أن يبلغ العاشرة من عمره.

كما تحدث عن قوته الخارقة، "فقد كان - وهو في العاشرة من عمره - يصرع من كانوا في سن الثلاثين"<sup>(۱)</sup>.

كما كان قويًا يشطر بسيفه الحجر نصفين، ويحكم الرماية، فلا يخطئ الهدف أبدًا. "فلما بلغ عمره الرابعة عشرة بدأ علمه يظهر، وأخذ يلّم بالعلوم الخفية، ويطلع على حسنات العالم وسيثاته"<sup>(۲)</sup>.

"وكان أستاذه يدعى "بزرگ امید" ... وكان عالمًا، عاقلًا، ملتمًا بدقائق العلوم العلوية"<sup>(۳)</sup>. وقد توفر على تربية خسرو؛ "فأشرق قلبه بتعليمه، وتلقن عنه حكمًا كثيرة"<sup>(۴)</sup>.

ثم تحدث الشاعر عن حرص "هرمز" على تلقين ابنه مبادئ العدل، وأخذه بالشدّة في تطبيق العدالة، فذكر أن "خسرو" ذهب يومًا للصيد، ثم نزل في قرية ليقضي فيها ليلته، وشُغل بالشراب، بينما أكل حصانه نبات المزرعة، وسرق خادمه ما فيها، فلما رجع إلى نفسه، غضب، وأمر بقطع قوائم الحصان، وقدم خادمه لصاحب المزرعة. ولم يكتف

(۱) چو برده سالگی افکند بنیاد سر سی سالگان میداد برباد (نظامی: خسرو وشیرین، ص ۴۱)

(۲) چو عمر آمد بجد چارده سال نظر در جستنیهای نهان کرد حساب نیک و بدهای جهان کرد (المرجع السابق، ص ۴۲)

(۳) بزرگ امید نامی بود دانای بدست آورده اسرار نهائی بزرگ امید از عقل و توانا کلید گنجهای آسمانی (المرجع السابق، ص ۴۲)

(۴) دل روشن بتعلیمش برافروخت زو بسیار حکمتها در آموخت (نفس المرجع والصفحة)

والده "هرمز" بهذا بل غضب عليه، وأنبه لتعديه على الرعية، ولم يعف عنه إلا بعد ضراعة ومعدرة، حينما أيقن أنه استقام، وأصبح أهلاً لولاية العرش من بعده<sup>(١)</sup>.

ثم أخذ الشاعر يمهّد لظهور "شيرين" فأورد أن "خسرو" رأى - في منامه - جده "آنوشيروان" يعطيه أربعة أشياء هي: شيرين الجميلة، وشبديز - وهو حصان سرعته كسرعة الرياح المرسلّة، والعرش - الذي اعتز به آباؤه وأجداده، وباريد المغني الذي طبقت شهرته الآفاق<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر أن "خسرو" كان له نديم خاص اسمه "شاپور"، كان ماهراً في فن الرسم والتصوير مهارة "ماني"<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن طوافه العالم من المغرب إلى المشرق.

وذات يوم أخبر شاپور خسرو بأن امرأة تدعى "شميرا" تحكم بالقرب من بحر الخزر، وهي تلقب بـ "مهين بانو"<sup>(٤)</sup> لفرط قوتها، التي فاقت قوة الرجال.

وكانت "شميرا" تقضي فصل الربيع في موقان، والصيف في بلاد الأرمن، والخريف في بلاد الأبخاز، والشتاء في بردع<sup>(٥)</sup>، كما كانت تبسط نفوذها على إقليم أران، وتمتلك من الخيل المسومة ما لا عدّ له ولا حصر<sup>(٦)</sup>.

(١) نظامي: خسرو وشيرين، ص ٤٣ - ٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٧ - ٤٨.

(٣) المقصود بماني هذا النبي الفارسي القديم الذي بشر بالديانة المانوية المعروفة ويبدو أنه كان ماهراً في فن النقش والتصوير، كما ذكر أبو المعالي محمد الحسيني العلوي في كتابه بيان الأديان، ص ١٧.

(٤) لقب «مهين بانو» معناه «أعظم النساء» أو «المرأة العظيمة».

(٥) كانت بردع أو بردعة - قديماً - عاصمة إقليم أران، وقد احتلت گنجه مكانها بعد اضمحلالها، كما مر.

(٦) نظامي: خسرو وشيرين، ص ٤٩.

ولم تكن متزوجة، وإنما كانت تعيش مع ابنة أخيها "شيرين". التي كانت ولية عهدها، وكانت فتاة عفيفة بارعة الجمال، كالزهرة المتفتحة، عطرة الرائحة... شفتاها حلوتان، واسمها - أيضًا - شيرين<sup>(١)</sup>. ولهذا فقد شبَّه الشعراء شفتها بالحلوى<sup>(٢)</sup>.

وكان أمراء العالم يطيعونها، كما كانت سبعون فتاة جميلة يقمن بخدمتها؛ حتى ليُخَيَّل للإنسان أن مكانها كالجنة، وأن هؤلاء الفتيات كحور الجنة المشهورات<sup>(٣)</sup>.

وكان عندها حصان جميل أسود اللون يسمى "شبديز"<sup>(٤)</sup> كان سريع العدو جدًا، يستطيع أن يغزو بسرعته جميع أرجاء العالم<sup>(٥)</sup>.

وهنا بدأت قصة عشق "خسرو" لـ "شيرين"، فإن شاپور الذي لم يكذب يفرغ من كلامه عن "شميرا" و"شيرين" حتى استيقظ العشق في قلب "خسرو" فصار ولها، لا ينام ولا يستريح من فرط العشق<sup>(٦)</sup>.

ورجا "خسرو" شاپور أن يُخضِر له "شيرين" فوعد بذلك، ورحل إلى بلاد الأرمن حيث أقام في دير، وأخذ يسأل الرهبان عن مساكن "شيرين" وبعد جمع المعلومات الكافية رسم صورة "خسرو" على ورقة كبيرة، وأرسلها إليها.

(١) سبقت الإشارة إلى أن «شيرين» معناها حلوة.

(٢) هنر فتنه شده برجان پاكش  
رخش نسرین وپویش نیز نسرین  
شكر لفظان لبش را نوش خوانند  
(نظامى: خسرو وشيرين، ص ٥٢)

(٣) اگر حور بهشتی هست مشهور  
(المرجع السابق، ص ٥٣)

(٤) كلمة «شبديز» معناها «أسود كالليل».

(٥) نظامى: خسرو وشيرين، ص ٥٣.

(٦) چو برگفت اینسخن شاپور هوشیار  
چنان آشفته شد خسرو بدان گفت  
فراغت خفته گشت وعشق بیدار  
کزان سودا نیاسود ونمیخفت  
(نظامى: خسرو وشيرين، ص ٥٤)

وهنا - أيضًا - بدأ عشق "شيرين" لخسرو، فلم يكد نظرها يقع على صورة "خسرو" حتى قالت لفتياتها "أحضرن هذه الصورة... من رسمها؟ لا تخفين هذا الأمر.. فأحضرن الصورة أمام العاشقة، فجلست تنظر إليها بضع ساعات، فقد تعلق قلبها بها، فلم يستسغ الانفصال عنها، وكانت كل نظرة إليها تجعلها ثملة، فتغيب عن وعيها... وقد ضعف قلبها من شدة العشق، ولكنها - رغم ذلك - كانت تبحث عن الصورة - كلما أخفتها فتياتها من أمامها - حتى خشين أن تصير شيرين أسيرة الصورة، فتذبل وتذوي، فقطعنها - رغم جمالها - حتى يتلاشى رسم صاحبها من ذاكرتها<sup>(١)</sup>.

ولكن شاپور رسم صورة خسرو مرة أخرى، وأرسلها إلى "شيرين" فلما تأملت فيها - مرة ثانية - انعقد لسانها وهامت روحها<sup>(٢)</sup>.

ثم أرسل شاپور إلى شيرين صورة ثالثة "فأرت عينها الموحبة فيها مسكنًا لروحها، وراحة لقلبها.. كما أبصرت فيها انعكاسًا لنفسها، فسكّر لُبُّها حينًا"<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) بخوبان گفت کان صورت بیارید  
بیاوردند صورت پیش دلبند  
نه دل میداد ازو دل بر گرفتن  
بهر دیداری ازوی مست میشد  
چو میدید از هوس میشد دلش سست  
نگهبانان بترسیدند از آن کار  
دریدند از هم آن نقش گزین را
- (٢) دگر باره چو شیرین دیده بر کرد  
بپرواز اندر آمد مرغ جانش
- (٣) دگر ره دید چشم مهر بانش  
در آن آینه دید از خود نشانی
- که کرداست این رقم پنهان مدارید  
بر آن صورت فروشد ساعتی چند  
نه میشاییش اندر بر گرفتن  
بهر جای که خورد از دست میشد  
چو میکردند پنهان باز می جست  
کز آن صورت شود شیرین گرفتار  
که رنگ از روی بردی نقش چین را  
(المرجع السابق، ص ۶۰)
- در آن تمثال روحانی نظر کرد  
فرویست از سخن گفتن زبانش  
(نظامی: خسرو و شیرین، ص ۶۱)
- در آن صورت که بود آرام جانش  
چو خود را یافت بیخود شد زمانی  
(المرجع السابق، ص ۶۳)

"وَعَرَفَتْ حَارِسَاتَهَا أَنَّ الْأَمْرَ جَدُّ لَا هَزْلَ، فَندَمْنَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُنَّ وَأَخَذْنَ يَثْنِينَ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ"<sup>(۱)</sup>.

فَأرسلت شیرین إلى شاپور، وطلبت منه الحضور لمقابلتها، فلما مثل بين يديها، سألته عن صاحب الصورة، فأخبرها بأنه خسرو پرويز الذي يعتز به مُلك إيران، وبالغ في وصف محاسنه والثناء عليه "وكانت شیرین تنصت إلى حديثه، وقد ثاب إليها رشدها"<sup>(۲)</sup>.

وسألها شاپور عن عواطفها نحو صاحب الصورة، فأجابت بقولها: "لقد أَحَبَّبْتُه وتعلقتُ به، وصرْتُ أفكر فيه ليلاً ونهاراً"<sup>(۳)</sup>.

فقال شاپور: "أنا الذي رسمت تلك الصورة، ومهما تكن متقنة فإنها لا تعدو أن تكون رسماً لا روح فيه"<sup>(۴)</sup>. ثم خاطبها بقوله: "إذا كنتِ قد فَعَلْتِ مثل هذا بعد رؤية صورة خسرو، فكيف بك إذا رأيتَه هو شخصياً؟! سوف ترين دنيا مشرقة يشع نورها، فيغمر جميع الأرجاء، وتبصرين شجاعاً ماهراً جميلاً، كالغزال في جماله، وكالأسد في قوته ويطشه"<sup>(۵)</sup>.

- |  |  |
|--|--|
| (۱) بدانستند کان کار پری نیست<br>از آن پیشه پشیمانی گرفتند                       | عجب کاریست کاری سرسری نیست<br>بر آن صورت ثنا خوانی گرفتند<br>(نفس المرجع والصفحة)                      |
| (۲) سخن میگفت و شیرین هوش داده   | بدان گفتار شیرین گوش داده<br>(المرجع السابق، ص ۶۷)   |
| (۳) در این صورت بدانسان مهر بستم   | که گوئی روز و شب صورت پرستم<br>(نظامی: خسرو و شیرین، ص ۶۸)   |
| (۴) من آن صورتگرم کز نقش پرگار<br>هرآن صورتکه صورتگر نگارد                       | ز خسرو کردم اینصورت نمودار<br>نشان دارد ولیکن جان ندارد<br>(المرجع السابق، ص ۶۹)                       |
| (۵) چوتوبر صورت خسرو چینی<br>جهانی بینی از نور آفریده<br>شگرفی چا یکی جستی دلیری | بین تا چون بود کاورا بینی<br>جهان نا دیده امانور دیده<br>بمهر آهوبکینه تندشیری<br>(نفس المرجع والصفحة) |

"وَدُهَشْتُ شيرين من سماع هذا الكلام العذب، وقبلته جميعه، فكان ألد في سمعها من الأنغام الحلوة"<sup>(١)</sup>.

وهكذا نلاحظ أنه كما عشق خسرو شيرين قبل أن يراها، عشقته هي قبل أن تراه، وقد حرص الشاعر على تصوير عاطفة الحب المشوبة عند كل من العاشقين قبل أن تضمهما جلسة واحدة.

ثم أخذ يصور كيف حاول كل من العاشقين أن يلتقي بصاحبه، وكانت الخطوة الأولى من شيرين، فقد نصحتها شاپور بالسفر للقاء خسرو، قائلاً لها:

"يحسن أن تخرجي غداً للصيد دون أن تخبري أحداً، ثم تمتطي صهوة شبديز لتتوجهي إلى خسرو، فاخرجي للصيد، ثم اهربي منه إلى المعشوق"<sup>(٢)</sup>.

ثم أعطاهما خاتم خسرو كعلامة مميزة لها، ووصف لها زيّه، وملامح وجهه حتى تعرفه إذا رأته.

واستأذنت شيرين عمتها "مهين بانو" في ركوب شبديز، والخروج للصيد، فأذنت لها؛ فركبته، وتوجهت إلى المدائن، للقاء خسرو<sup>(٣)</sup>.

همي خورد آن سخنها خوشتر از نوش  
(المرجع السابق، ص ٧١)

کني فردا سوی نخجیر پرواز  
بنخجیر آی واز نخجیر بگریز  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ٧١)

(١) وز آن شیرین سخن شیرین مدهوش

(٢) صواب آنشد که نگشائی بکس راز  
چو مردان برنشین بریشت شبديز

(٣) المرجع السابق، ص ١٧ - ٧٣.

وأبصرت شیرین في وسط الطريق عين ماء، "وكانت متوعكة من تعب السفر، فضلاً عما علاها من الغبار، فنزلت لتستريح وتستحم، بعد أن طافت حول العين فلم تر آثاراً لشخص ما"<sup>(۱)</sup>.

وهنا حدثت مفاجأة لم تكن متوقعة، فقد دبر خصم خسرو مكيدة للإيقاع بينه وبين والده، فضرب نقوداً باسم "برويز" ليوهم "هرمز" أن خسرو هو الذي ضرب هذه النقود، لأنه يريد أن يستولي على العرش.

وأحس خسرو بما دبر له، فأثر الفرار حتى تهدأ الأحوال، فأخبر جواريه بأنه ذاهب إلى الصيد، وأمرهن بإكرام شیرین الجميلة، إذا وصلت إلى المدائن لأنها ضيفة عزيزة، كما أمرهن ببناء قصر لها في أي مكان تريده من الصحراء - إذا لم تنطق الحياة في المدائن - وأن ينفذن رغباتها لأنها تتصرف بإلهام من الله"<sup>(۲)</sup>.

ثم توجه خسرو صوب بلاد الأرمن مسرعاً يطوي الأرض طياً"<sup>(۳)</sup>.

غبار از پای تا سربر نشسته  
ده اندرده ندید از کس نشانی  
(المرجع السابق، ص ۷۷)

(۱) زرنج راه بود اندام خسته  
بگرد چشمه جولان زد زمانی

چو طاووس نشسته برپر زاغ  
شما ماهید وخورشید آن کنیز است  
چو خضر آهنگ سازد سوی صحرا  
بهشتی روی را قصری بسازید  
خبر میداد از الهام خدائی  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ۷۹ - ۸۰)

(۲) هذا تضمین لقول الشاعر:  
گر آید نار پستانی در این باغ  
فرود آرید کان مهمان عزیز است  
وگر تنگ آیداز مشکوی خضرا  
در آن صحرا که او خواهد بتازید  
بدان صورت که دل دادش گوائی

سوی ارمن زمین را نرم کرده  
(المرجع السابق، ص ۸۰)

(۳) زمین کن کوه خودرا گرم کرده



وتصادف أن تعب حصانه في نفس المكان الذي نزلت فيه شيرين، فنزل "فرأى عروسًا جميلة كالبدر المتلألئ في وسط السماء"<sup>(٤)</sup>.

"ورأته شيرين فنثرت شعرها فوق وجهها"<sup>(٥)</sup>.

ولكنها شعرت بحب نحو الشاب الذي رأته دون أن تعرفه، وخاطبت نفسها قائلة: "عجيب أن يستولى على قلبي إذا لم يكن معشوقتي!. فكيف يستولى على قلبي إذا لم يكن محبوبي!؟"<sup>(٦)</sup>.

كما فُتِنَ خسرو بالفتاة التي رآها دون أن يعرفها؛ "فتوجه إلى بلاد الأرمن يائسًا لأنه أحس بأنه قد انفصل عن معشوقته"<sup>(٧)</sup>.

وهكذا تقابل العاشقان، وانفصلا دون أن يتعرف كل منهما على الآخر. وتوجه خسرو إلى ديار شيرين على أمل أن يراها، كما توجهت هي إلى المدائن وهي تطمع في لقائه.

ووصلت شيرين إلى المدائن "فاستقبلتها الجوارى بالطريقة التي أمر بها خسرو، ولم يخبرنها بشيء عنه"<sup>(٨)</sup>.

ولكن شيرين لم تلبث أن علمت بعله هروب خسرو، وأدركت أنه كان الشاب الذي قابلته بالقرب من العين، وتأكدت من صدق الشعور الذي أحسّت به.

(٤) عروسی دید چون ماهی مهیا که باشد جای آن مه بر ثریا (المرجع السابق، ص ٨٠)

(٥) زهر سو شاخ گیسو شانه میگرد بنفشه بر سر گل دانه میگرد (المرجع السابق، ص ٨١)

(٦) شگفت آید مرا گر یارمن نیست دلم چون برد اگر دلدارمن نیست (المرجع السابق، ص ٨٣)

(٧) بنومیدی دل از دلخواه برداشت بدار الملک آرمن راه برداشت (نظامی: خسرو و شیرین، ص ٨٨)

(٨) برسرم خسرو بنواختندش ز خسرو هیچ وانشناختندش (المرجع السابق، ص ٨٩)

وأقامت في المدائن بعض الوقت، ثم خشيت أن تمرض، فطلبت من الجوارى أن يبنين لها قصرًا - في الصحراء - قريبًا من المراعي، فامتلن الأمر، وبنى القصر، وكان يبعد عشرة فراسخ عن كرمانشاهان، ولكنه - بسبب فراق خسرو - لم يكن بعيدًا عن كرمانشاهان وحدها، بل عن العالم كله<sup>(۱)</sup>.

وعاشت شيرين في القصر الجديد، "وقد جعلت عشق خسرو، والحزن على فراقه شغلها الشاغل، فاعتزلت العالم جميعه"<sup>(۲)</sup>.

ووصل خسرو إلى بلاد الأرمن، ثم توجه إلى "موقان"، ثم جاوزها إلى "باخرزان" وعلمت "مهين بانو" بمجيئه فأسرعت لاستقباله، وجهزت له جيشًا ومؤنًا<sup>(۳)</sup>.

وقد قضى خسرو أسبوعًا في ضيافتها، ثم دعت له لقضاء الشتاء في مدينة "بردع" مما صوره الشاعر في قوله: "قبّلت مهين بانو" الأرض بين يدي خسرو، وقالت: إن لنا حاجة، هي أن تشرف دار الملك "بردع" بقضاء فصل الشتاء فيها، حيث الجو معتدل، والماء والزرع متوافران، فقبل خسرو مطلبها، وقال لها: تفضلي بالذهاب إليها، وسأجيء أنا في إثرك<sup>(۴)</sup>.

- (۱) بده فرسنگ از کرمانشهان دور  
(المرجع السابق، ص ۹۲)
- (۲) غم خسرو رقیب خویش کرده  
(المرجع السابق، ص ۹۲)
- (۳) از آنجا سوی موقان سر بدر کرد  
مهین بانو چو زین حالت خبر یافت  
باستقبال شاه آورد پرواز  
(نظامی: خسرو و شیرین، ص ۹۳)
- (۴) مهین بانو زمین بوسید و برجست  
که دار الملک بردع را نوازی  
هوای گرمسیر آن طرف را  
اجابت کرد خسرو گفت برخیز  
بخسرو گفت مارا حاجتی هست  
زمستانی در آنجا عیش سازی  
فراخیها بود آب و علف را  
تو میرو کامدم من بر اثر نیز  
(المرجع السابق، ص ۹۵)

وقضى خسرو - في تلك الديار - أوقاتاً جميلة، "ولم تقصر مهين بانو في خدمته، فكان يشتغل باللهو والطرب ليلاً ونهاراً، ولكنه إلى جانب شرب الخمر كان يحس بمرارة فراق شيرين"<sup>(١)</sup>.

و ذات ليلة، أقام خسرو حفلاً زاخراً، وجلس يشرب الخمر، ويستمتع بالغناء حتى غاب عن نفسه، ولم يُثب إلى رشده إلا حينما علما بنياً عودة شاپور من بلاده، فاستدعاه إليه وسأله عن شيرين، فأخذ يصفها له، وقص عليه خسرو ما حدث بالقرب من عين الماء - بعد أن أدرك أن الفتاة التي رآها لم تكن غير شيرين - معشوقته - التي هرب إلى بلادها ليلحق بها، ثم "أمر شاپور أن يذهب - إليها - مرة أخرى، كما تذهب الفراشة في إثر النور"<sup>(٢)</sup>.

وفي اليوم التالي دخلت "مهين بانو" على خسرو وتحدثت معه في أمر شيرين واختفائها، فأخبرها بأنها تقيم في بلاده، وأنه قرر إرسال رسول لإحضارها، فسُرّت، وشكرته، وقالت له: "إذا أرسلت - أيها الملك - رسولاً إليها فأرجو أن تخبرني بموعد سفره، حتى أهدى إليه حصاناً يُسمّى گلگون"<sup>(٣)</sup>، وهو سريع العدو من فصيلة شبيذ"<sup>(٤)</sup>.

ثم رحل شاپور راكباً هذا الحصان السريع حتى وصل إلى المدائن، وبحث عن شيرين فلم يجدها، وعلم أنها تقيم في قصر خاص، فتوجه إليها، ودعاها للسفر إلى ديارها، حيث يوجد

(١) مهين بانو بدرگاه جهانگیر  
شه آنجا روز وشب عشرت همیکرد  
بکرد از شرط خدمت هیچ تقصیر  
می تلخ وغم شیرین همی خورد  
(نفس المرجع والصفحة)

(٢) قرار آن شد که دیگر باره شاپور  
چو پروانه شود دنبال آن نور  
(نظای: خسرو و شیرین، ص ١٠٢)

(٣) «گلگون» کلمة فارسیة معناها «وردی اللون».

(٤) اگر قاصد فرستد سوی اوشاه  
بجکم آنکه گلگون سبک خیز  
مرا باید ز قاصد کردن آگاه  
بدو بچشم زهمزادان شبيذ  
(المرجع السابق، ص ١٠٤)

خسرو، قائلاً لها: "تهيئي للسفر كما أمر پرويز، ثم أركبها لگگون، وجعلها تتوجه إلى حيث تحقق أحلام معشوقها"<sup>(۱)</sup>.

وهكذا بدا أن العاشقين في طريقهما إلى اللقاء، ولكن الأقدار كانت لهما بالمرصاد، فحالت بينهما وبين ذلك، لتزيد ما بينهما من حب شدة واشتعالاً.

فلم تكذ شيرين تأخذ طريقها إلى خسرو، حتى وصل إليه رسول يحمل أنباء سمل عيني والده، وموته، وأنه صار الوارث الشرعي لعرش الأكَاسرة. "فلما علم الملك الشاب أن قضاء الله قد حكم على عرش والده "هرمز" بالانهيار؛ توجه إلى دار ملكه، ليجلس على العرش، وقد غمره السرور"<sup>(۲)</sup>.

ووصل خسرو إلى عاصمة ملكه، وكانت شيرين قد بلغت ديارها.

ولكنه كان يظن أنها لم تتحرك بعد من مقامها، فخرج بحجة الصيد، وتوجه إلى قصرها فلم يجدها "وأخبروه أن المعشوقة الحسنة قد رحلت مع شاپور - منذ مدة - وأنهم لا يعلمون أين حملها، وتعجبوا من صنيع شاپور ما دام الملك لم يأذن له بذلك!..."<sup>(۳)</sup>.

(۱) پس آنکه گفت شاپورش که برخیز  
وز آنکخن بر آنکگون نشاندش  
که فرمان اینچنین داداست پرویز  
بگزارمیرادشاه راندش  
(المرجع السابق، ص ۱۰۸)

(۲) چو شد معلوم کز حکم إلهی  
بفرخ تر زمان شاه جوانبخت  
بهرمز برتبه شد پادشاهی  
بدار الملك خود شد بر سر تخت  
(نظامی: خسرو وشيرين، ص ۱۱۰)

(۳) خير دادند کاکنون مدق هست  
نمیدانيم شاپورش کجا برد  
کز اين قصر آنگارين رخت بردست  
چو شاهنشاه نفرمودش چرا برد ؟  
(المرجع السابق، ص ۱۱۱)

"ولم يبق من شيرين - على سبيل الذكرى - إلا حصانها شبديز؛ فكان شريكًا لخسرو في الحزن على فراقها"<sup>(١)</sup>.

ثم انتقل الشاعر بنا إلى بلاد الأرمن لنجد شاپور قد وصل إلى محل إقامة خسرو، فلم يجده، فسلم شيرين لعمتها مهين بانو التي سرت بلقائها، ولم تعاتبها "لأنها أيقنت أن العشق هو السبب في سلوكها هذا المسلك"<sup>(٢)</sup>.

وأقامت شيرين في ديارها تطوي بين جوانحها قلبًا مفعمًا بحب خسرو، ونفسًا هائمة ولهة، تفكر في معشوقها، وتود لو سمح الدهر لهما باللقاء. وظلت تترقب الفرص، حتى أذنت الأقدار للعاشقين بالاجتماع في مكان واحد؛ فقد رفع أحد قواد خسرو علم العصيان ضده، واستطاع أن يؤلب الشعب، ويثيره وأكره خسرو على الفرار فوّل وجهه شطر آذربيجان، ليلجأ مرة ثانية إلى ديار معشوقته، ثم توجه من هناك إلى موقان بحجة الصيد، حيث التقى بشيرين - مصادفة - للمرة الأولى.

"وحينذاك أخذ كل منهما ينظر إلى صاحبه، ويزرف الدموع السخينة فرحًا باللقاء، فلم يعد خسرو بعيدًا عن شيرين، ولم يصبح گلگون بمنأى عن شبديز، فأخذا يهيئان لنفسيهما طريق الحب والسعادة"<sup>(٣)</sup>.

- (١) ز شيرين بر طريق يادگاری  
تک شبديز کردش غمگساری  
(نفس المرجع والصفحة)
- (٢) چو میدانست کآن نیرنگ سازی  
دلیلی روشن است از عشق بازی  
(نظامی: خسرو و شیرین، ص ١١٢)
- (٣) نظر بر یکدیگر چندان نهادند  
نه از شیرین جدا میگشت پرویز  
طریق دوستی را ساز جستند  
که آب از چشم یکدیگر گشادند  
نه از گلگون گذر میکرد شبديز  
ز یکدیگر نشانها باز جستند  
(المرجع السابق، ص ١١٦)

و جمع خسرو و شیرین جیسا، ثم توجهها إلى مهین بانو التي "لم تكذ تعلم بما تم للملك حتى سعت جهدها لإبلاغه أهدافه، فأحسنت استقباله، ونثرت الدراهم تحت قدميه، وقدمي معشوقته الجميلة"<sup>(۱)</sup>.

ثم أخذت مهین بانو تنصح شیرین بأن تحافظ على عفافها. فلا تستسلم "فأقسمت شیرین بالله رب العالمین، وبالسماوات والأفلاك، بأنها لن تصیر مملکاً له إلا بعد الزواج الشرعی، ولو بکت دماً من فرط حبها إياه"<sup>(۲)</sup>.

وقد أجازت مهین بانو لشیرین أن تقابل خسرو بشرط وجود شخص ثالث معهما، فطلت تنعم بحبه لها عن قرب، وظل هو يقضي معها أوقاتاً جميلة غير مفكر في ملك أو جاه، وغير متطلع إلا إلى التمتع بمعشوقته، ما وسعه التمتع.

وتكرر لقاء العاشقين؛ فمرة لعبت شیرین وجواربها الكرة ضد خسرو ورجاله، كما قضت معه - في مرة أخرى - يوماً جميلاً، وكان الفصل ربيعاً، فجلس خسرو يشرب الخمر حتى سكر، وتصادف أن خرج أسد من غابة مجاورة لمجلسهما، وقتل رجلين من رجال خسرو، ولكن خسرو رماه بسهم قوي فقتله، فقبّلت شیرین يده، وطبع هو قبلة حارة "غیرت لون وجنتيها فأصبح لونهما الوردی بنفسجياً"<sup>(۳)</sup>.

و ذات ليلة زارت شیرین خسرو ومعها عشرة من جواربها هن: فرنگیس وسهیل، وعجب نوش، وملك ناز، وهميلا، وهمايون، وسمن ترك، وبريزاد، وختن خاتون، وكومر

(۱) مهین بانو چو از کار آگهی یافت  
باستقبال شد بانزل واسباب  
بر اسباب غرض شاهنشهی یافت  
نثار افشاند برخوردار شد ومهتاب  
(المرجع السابق، ص ۱۱۸)

(۲) بهفت اورنگ روشن خورد سوگند  
که گر خون گریم از عشق جمالش  
بروشن نامه گیتی خداوند  
نخواهم شد مگر جفت حلالش  
(نظامی: خسرو و شیرین، ص ۱۲۱)

(۳) زیس کز گاز نیلش در کشیدی  
(المرجع السابق، ص ۱۳۰)

ملك. فطلب خسرو أن تقص كل منهن قصة فقصصن القصص، ثم قال كل من شاپور وشيرين وخسرو قصة، وكانت قصة خسرو هي قوله: "حدث مرة أن أسدًا أسود قويًا كان يعيش في مزرعة، فاعترضت غزالة طريقه، وتمكنت من وضع الحبل حول عنقه!... وأنا ذلك الأسد، فقد اصطادتني شيرين، وجعلت حول رقبتني قيدًا من شعرها الجميل، فإذا لم تأخذ شيرين بيدي، فسوف أموت كما يحترق الشمع من تحرك الرياح"<sup>(١)</sup>.

وقد أثرت نغمة خسرو في قلب شيرين، فقدمت له كأسًا من الخمر، وقضت معه وقتًا سعيدًا، يرفرف عليهما السرور.

و ذات ليلة؛ اختلى خسرو بمعشوقته "فقبل شفيتها وقال لها: يا من صرتُ أسير عشقك، قدّمي حبة للطائر الذي وقع في فخك... دعي كل ما مضى من عمرنا يذهب دون ندم، ولنبدأ - الآن - العمر من جديد، برزق جديد. فأنا - هنا - وأنتِ... فمن غيرنا في هذا المكان؟! فلا تحذري... فأى شيء هنا يدعو إلى الحذر؟!..."<sup>(٢)</sup>.

فأجابت شيرين بأنها غير مستعدة للاشتراك معه في فراش واحد، فطلب خسرو أن يقبلها فعاودت الرفض، فلم يجد غير أن يمسك بخصلة من شعرها، وينام ممسكًا بها حتى الصباح، وحينذاك نصحته شيرين بأن يدع اللهو، ويجتهد في استخلاص عرشه المغصوب<sup>(٣)</sup>. فغضب خسرو وتركها، ثم توجه إلى قيصر الروم النصراني.

سيه شيرى بد اندر مرغزاري  
رسن در گردن شير زيان كرد  
بگردن برنهاد از زلف زنجير  
چو شمع از سوزش بادی بميرم  
(نظامی: خسرو وشيرين، ص ١٣٧)

بده دانه كه مرغ آمد بدامت  
كنون روز از نوست وروزی از نو  
حذر كردن نگوئی چيست اينجا؟  
(المرجع السابق، ص ١٤٢)

(١) چو دور آمد بخسرو گفت باری  
گوزنی برره شیراشیان کرد  
من آن شیرم که شیرینم بنخجیر  
اگر شیرین نباشد دستکیرم

(٢) لبش بوسی وگفت ای من غلامت  
هر آنچه از عمر پیشین رفت گورو  
من وتوجز من وتوکیست اینجا؟!

(٣) نظامی: خسرو وشيرين، ص ١٤٤ - ١٥٩.

"وقد وجد القيصر أن فرصة مواتية قد سنحت له، فاعترف به ملكاً على إيران وزوجه ابنته مريم، وسرَّ به كما تقتضي بذلك تعاليم الدين المسيحي"<sup>(١)</sup>.

وبعد الزواج، جهَّز القيصر جيشاً بقيادة نياطوس، فتوجه خسرو لقتال بهرام، ولم تلبث الحرب أن نشبت بينهما، وظل خسرو يراقب الحرب راكباً فيلاً إلى أن اختار "بزرگ أمید" له الوقت المناسب الذي يستطيع فيه أن يشترك في الحرب بنفسه، فقاتل خسرو ببسالة، وتمكن من الانتصار على خصمه بهرام، الذي فرَّ إلى الصين، بينما جلس خسرو على عرشه من جديد<sup>(٢)</sup>.

ثم أخذ خسرو يحن إلى شيرين، ويتذكرها، قائلاً: "أين شيرين؟!.. أين ذلك اللسان الحلو الذي يشبه في عذوبته ماء الحياة؟! أين ذلك اللهو البريء وتلك الليالي الساهرة التي كنا نقضيها في سرد القصص، حتى مطلع الفجر؟!.."<sup>(٣)</sup>.

وفي نفس الوقت كانت شيرين تحن إلى خسرو، وأيامه الجميلة "فإن قلبها بقي أسير عشقه، بعد أن تخلفت عن اللحاق به، كما بقيت روحها مشغوفة بحبه"<sup>(٤)</sup>.

وكانت مهين بانو تنصحها بالصبر عسى الله أن يبدل الأحوال، فيحالفها الحظ الحسن.

ثم حدث تغير جديد في حياة شيرين، فقد توفيت عمته "مهين بانو" تاركة لها عرشها، وكنوزها، فأصبحت شيرين ملكة؛ لها عرش، وجاه، وثراء، كخسرو سواءً بسواء.

(١) چوقیصر دید کامد بردرش بخت چنان در کیش عیسی بدوشاد بدو تسلیم کرد آن تاج با تخت که رخت خویش مریمرا بدوداد (المرجع السابق، ص ۱۶۰)

(٢) المرجع السابق، ص ۱۶۰ - ۱۶۶.

(٣) کجا شیرین وآن شیرین زبانی؟ کجا آن عیش وآن شبها نحفتن بشیرینی چو آب زندگانی همه شب تا سحر افسانه گفتن؟ (المرجع السابق، ص ۱۶۷)

(٤) که چون شیرین ز خسرو باز پس ماند دلش در بند وجانش در هوس ماند (نظامی: خسرو و شیرین، ص ۱۷۰)



"فلما استقر الملك بشيرين الجميلة، صار بفضلها جميلاً، فقد سعد - بعدها - أفراد شعبها، وتحرر المسجونون لأنها رفعت الظلم، وألغت القوانين الجائرة، في جميع أنحاء المملكة، وأسقطت الجزية عن الولايات التي تدين لها بالولاء، كما أهملت أخذ الخراج من القرويين، فأمن الجميع، لأنها فضلت أن تظفر - من الدنيا - بالرضا والدعاء، حتى عاش - بفضل عدلها - العصفور مع الصقر، وشرب الذئب والشاة من مكان واحد"<sup>(١)</sup>.

وبعد فراغ شيرين من إرضاء شعبها، أخذت تعمل على إسعاد قلبها، فأخذت تسأل القوافل عن أبناء خسرو حتى علمت بجلوسه على العرش بعد زواجه من مريم ابنة القيصر، وأن "خسرو قد أقسم في بلاد الروم، ألا يعشق أو يتزوج امرأة أخرى غير مريم"<sup>(٢)</sup>.

وعزمت شيرين على أن تسعى هي للقاء خسرو، فتركت أمور الدولة في يد أحد أتباعها، ثم ركبت حصانها، وتوجهت - مع شاپور وبعض رجالها - صوب المدائن، ثم سارت - من هناك - إلى قصرها، وأقامت فيه، وحاولت أن تتحين الفرص المناسبة التي تستطيع أن ترى فيها خسرو.

"وعلم خسرو أن معشوقته قد جاءت بالقرب منه، فأيقن أن الأمل في الاتصال بها صار وشيئاً، ولكنه كان يخشى مريم لأنها كانت تراقبه ليلاً ونهاراً"<sup>(٣)</sup>.

(١) فروغ ملك برمه شد زماهی همه زندانیان آزاد گشتند همه آیین جور از دور برداشت نجست از هیچ دهقانی خراجی آکه بهتر داشت از دنیا دعا را بیک جا آب خورده گرگ بامیش (المرجع السابق، ص ١٨١)

که باکس در نسازد مهر و پیوند (نظامی: خسرو و شیرین، ص ١٨٢)

بیدید امید را در کار نزدیک که مريم روز و شب میداشت پاشش (المرجع السابق، ص ١٨٣)

(١) جو بر شیرین مقرر گشت شاهی بانصافش رعیت شاد گشتند ز مظلومان عالم جور برداشت زهر درواز برداشت باجی مسلم کرد شهر و روستار ز عدلش باز باتیهو شده خویش

(٢) ملك را داده بد در روم سوگند

(٣) ملك دانست كامد يار نزيك ز مريم بود در خاطر هراسش

وساعد الحظ خسرو، فقد توفي في تلك الأثناء منافسه بهرام، فخلا الجوله ولو أنه لم يُسَرَّ بموت خصمه، لأن الموت لا شماتة فيه، ولا فرح به، بل إنه أخذ يفكر في الموت والقضاء، كما أظهر الحزن على بهرام في صورة أبكت العظماء. "وقد حزن على بهرام ثلاثة أيام، أهمل في أثنائها مظاهر الملك، ومجالس الشراب"<sup>(١)</sup>.

ثم ترك الحداد في اليوم الرابع، فأقام حفلاً، غنّى فيه "بَارُؤْد" وكان يعرف مائة لحن، فاختار منها ثلاثين، غناها في ذلك الحفل، فمنحه الملك هدايا كثيرة<sup>(٢)</sup>.

وحاول خسرو أن يهيئ مريم لقبول فكرة إحضار شيرين إلى القصر، فتحدث عنها أمامها، ثم طلب منها أن يحضرها - على أن تكون تابعة لها - فرفضت مريم، وهددت بالانتحار إذا دخلت شيرين القصر<sup>(٣)</sup>.

ثم أرسل خسرو شاپور إلى شيرين، ليلتمس منها الحضور إلى القصر - ولو لليلة واحدة- ولكنها رفضت، وطلبت أن يحضر هو إذا كان يريد رؤيتها، قائلة: "إذا كان هو صاحب مُلك، فإن لي - أيضاً - تاجاً"<sup>(٤)</sup>.

وكتبت شيرين خطاباً مفصلاً دعت فيه خسرو للحضور إلى قصرها، ليعرف أحوالها<sup>(٥)</sup>، وتعجبت كيف يستطيع العاشق الصبر على فراق معشوقته، "لأن الصبر بعيد عن طريق العشق، فالصبور لن يكون عاشقاً"<sup>(٦)</sup>.

(١) سه روز اندوه خورد از بهر بهرام نه با نخت آشنا میشد نه با جام (المرجع السابق، ص ١٩٠)

(٢) نظامی: خسرو وشيرين، ص ١٩٠ - ١٩٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٩٥ - ١٩٨.

(٤) گر اورا دعوى صاحب كلاهيست مرا نیز از قصب سربند شاهيست (المرجع السابق، ص ٢٠٦)

(٥) المرجع السابق، ص ٢١٠ - ٢١٤.

(٦) صبوری از طریق عشق دوراست نباشد عاشق آنکس کو صبوراست (المرجع السابق، ص ٢١٥)

وهنا يُدخِل الشاعر عناصر جديدة في القصة، فيبدأ عشق "فرهاد".

ويبدو فرهاد في صورة مهندس بارع، صديق لشاپور، الذي حاول أن يستعين به في تيسير نقل اللبن من مراعي الملك إلى قصر شيرين، "ففي ذلك الوادي الجميل - الذي بُني فيه القصر - كان اللبن أشهى طعام ذاقته شيرين، فكان غذاءها المفضل، الذي يرجح عندها مائة نوع من الحلوى، ولكن المسافة - بين قصرها والمراعي - كانت بعيدة، فكان إحضار اللبن إلى القصر شاقاً متعباً"<sup>(١)</sup>.

وكان هذا هو السبب الذي جعل شاپور يفكر في وسيلة لإحضار اللبن إلى قصر شيرين، ويستعين بفرهاد، وانتهى الأمر بإرساله إلى شيرين ليتحدث معها في هذا الموضوع. "فوقف فرهاد (يتحدث مع شيرين) من وراء حجاب، وقد استعد للعمل وشمر عن ساعد الجِد"<sup>(٢)</sup>.

"ولم يكد فرهاد المسكين يسمع صوت شيرين العذب، وكلامها الجميل، حتى طار صوابه، وهام بها حباً"<sup>(٣)</sup>.

وقد طلبت منه شيرين أن يفكر في وسيلة لإحضار اللبن إلى قصرها، فقالت له: "دبّر شئون هذا القصر بمهارتك وفنك، فالماشية بعيدة عنا، ونحن في حاجة إلى اللبن، فحاول

- (١) در آن وادی که جائی بود دلگیر  
گوش صد گونه حلوی پیش بودی  
از او تا چار پایان دورتر بود  
نخوردی هیچ خوردی خوشتر از شیر  
غذاش از مادیان و میش بودی  
ز شیر آوردن او را در دسر بود  
(نظامی: خسرو و شیرین، ص ۲۱۵)
- (٢) برون پرده فرهاده ایستاد  
میان در بسته و بازو گشاده  
(المرجع السابق، ص ۲۱۸)
- (٣) ز شیرین گفتن و گفتار شیرین  
شده هوش از سر فرهاد مسکین  
(المرجع السابق، ص ۲۱۹).

أن تحضر اللبن بسهولة، إن بيننا وبين الماشية فرسخًا<sup>(۱)</sup> أو فرسخين، فيجب شق قناة في الصخور الصلبة، حتى يجلب رعاتنا اللبن هناك، فيشرب خدمنا اللبن هنا<sup>(۲)</sup>.

وأسر العشق فرهاد، فنسى لسانه الجواب، فقبل دون جدال، وأظهر الطاعة والانقياد. وحاول أن يخفي عشقه؛ ولكن أنباءه تطايرت إلى خسرو، فأحضره، وطلب منه أن ينجز ما كُلف به، على أن يتنازل له عن حقه في شیرین، إذا نجح في إتمام العمل.

وكان خسرو يعلم أن شق قناة في الصخر أمر ليس بالهين اليسير، كما كان يشعر بمدى سيطرة العشق على قلب فرهاد، فجعل شق القناة هو المهر الذي يقدمه لشیرین، إذا أراد أن يتزوجها.

وقبل فرهاد أن يقوم بالعمل، ولم يلبث أن شرع في أدائه، وعلمت شیرین بذلك، فذهبت لرؤيته وتشجيعه، وتحدثت معه فازداد بها تعلقًا، ولها عشقًا، "ووصلت حرارة العشق إلى رأسه فكاد يحترق من شدتها، وأصابته سهام الحب قلبه، فأثخنه بالجراح، وهكذا تسبب هو في هلاك نفسه، فامتلاً بلاءً وتعبًا، وزاد البلاء عن حده، وجاوز التعب أقصى درجاته، فكان يبكي من عشق شیرین بكاءً مرًا، حتى انتشر صوت بكائه في جميع الأرجاء"<sup>(۳)</sup>.

وأحس خسرو بحقيقة عشق فرهاد، وأبلغه الواشون "أنه يمر على قصرها مرة كل أسبوع، فيسلم عليها، ويسعد بتلقي الجواب منها"<sup>(۴)</sup>.

(۱) «الفرسخ» ستة كيلومترات.

(۲) زبانش کرد پاسخ را فرامشت (نظامی: خسرو وشیرین، ص ۲۱۹)

(۳) رسیده آتش دل در دماغش ز مجروحی دلش صد جای سوراخ چنان از عشق شیرین تلخ بگریست (المرجع السابق، ص ۲۲۳)

(۴) کند هر هفته بر قصرش سلامی شود راضی چو بنیوشد پیامی (نظامی: خسرو وشیرین، ص ۲۲۷)

وحيثما سمع خسرو أنباء عشق فرهاد، أكلت الغيرة قلبه، وصار هو وفرهاد كفارسين يتصارعان في ميدان، أو بلبلين يصدحان على زهرة جميلة (يحاول كل منهما أن يكون حبه أكثر، وغناؤه أعذب)<sup>(١)</sup>.

وأيقن خسرو أن عند فرهاد استعداداً لإنهاء العمل المكلف به، فصمم على التخلص منه "فأرسل إليه يخبره كذباً - من شدة الحسد - أن شيرين قد ماتت، وأن فرهاد لا يعلم بذلك"<sup>(٢)</sup>.

وهنا تجلّى عشق فرهاد القوي الصادق بصورة واضحة جلية، فلم يحاول أن يتبين مبلغ الصدق فيما وصله، بل استسلم للحزن، فاستبد به، وجعله يفكر في الانتحار ليلحق بمعشوقته، فأخذ يناجي نفسه قائلاً: "سألتني بشيرين بعد العدم، وسأسرع بخطوة واحدة نحو العدم"<sup>(٣)</sup>.

ثم ألقي فرهاد بنفسه من أعلى الجبل فمات منتحراً، وأخبر خسرو بما حدث "فندم على صنيعه، ولام نفسه على إيذائه للغير"<sup>(٤)</sup>.

وهكذا انقضى فرهاد بعد أن ضرب مثلاً في الوفاء، والإخلاص في الحب، والتفاني في سبيل مَنْ يحب.

- 
- |   |   |
|---|---|
| (١) هوس در دل فيزود آن دلستان را دو بلبل بر گل بهتر سرايند (المرجع السابق، ص ٢٢٧) | (١) ملك چون كرد گوش اين داستان را دو هم ميدان بهم بهتر گرايند |
| (٢) كه شيرين مرد واگه نيست فرهاد (المرجع السابق، ص ٢٥٦)                           | (٢) بر آورد از سر حسرتي يكي باد                               |
| بيك تك تا عدم خواهم دويدن (المرجع السابق، ص ٢٥٧)                                  | (٣) بشيرين در عدم خواهم رسيدن                                 |
| وز آن آزار گشت آزرده خويش (المرجع السابق، ص ٢٦٣)                                  | (٤) پشيمان كرد شاه از کرده خويش                               |

وقد حزنت شیرین علی وفاة فرهاد، فدفنته وأقامت له مأتمًا؛ مما جعل خسرو يرسل إليها خطاب تعزية مملوءًا بالتهكم والسخرية، قال فيه: "سَمِعْتُ أَنَّهُ - علی أثر موت الحبيب العاشق - قد أقيم مأتمٌ بالقرب من قبره"<sup>(۱)</sup>.

ثم خاطبها بقوله: "إنك لو جلستِ مائة عام على قبره، فلن تشاهدي شخصًا أكثر - منه - فناءً"<sup>(۲)</sup>.

وشاءت الأقدار أن تموت مريم - زوجة خسرو - في تلك الأثناء، فأرسلت شیرین خطابًا تهكميًا لتعزية خسرو - بنفس طريقته - قالت له فيه: "لماذا يخاف الملك من أن تتوسد زوجته التراب وعنده عرائس أخريات؟!..."<sup>(۳)</sup>.

وقد وصل خطاب شیرین إلى خسرو، فأعجبه عذوبة ألفاظها، وكان يجلس في "طاقديس" ويشتغل باحتساء الخمر، والبحث عن الجمال، فسمع عن امرأة جميلة من أهل إصفهان، كانت تدعى "شكر"<sup>(۴)</sup>؛ فأرسل إليها وأحضرها إلى قصره، ثم تزوجها"<sup>(۵)</sup>.

أما شیرین فقد ظلت وحيدة تحن إلى خسرو "وصار قلبها من الوحدة ضيقًا حرجًا، كما لو كانت في صراع مع الدنيا"<sup>(۶)</sup>.

(۱) شنيدم كزپی یاری هوسناك

بمأتم نوبتی زد برسر خاك

(نظامی: خسرو وشیرین، ص ۲۶۳)

ازو خاكی تری ك سرا نبینی

(المرجع السابق، ص ۲۶۵)

عروسان دگر دارد چه باكست؟!

(المرجع السابق، ص ۲۶۹)

بآیین زناشوئی نشاندهش

(المرجع السابق، ص ۲۸۵)

كه ميكرد از ملالت باجهان جنگ

(نظامی: خسرو وشیرین، ص ۲۹۲)

(۲) اگر صد سال برخاكش نشینی

(۳) عروس شاه اگر در زیر خاكست

(۴) «شكر» كلمة فارسية معناها «سكر».

(۵) فرستاد از سرای خویش خواندهش

(۶) ز تنهائی دل شیرین چنان تنگ

وأخيراً لجأت إلى الله لينقذها من حالتها، وخاطبته قائلة: "إلهي: بدّل لي لي نهاراً، وانصري - كالنهار - على الدنيا.. إن عندي ليلاً حالاً لا يأمل في النهار، فنور وجهي، وانصري عليه كالشمس.. إن عندي غمّاً يُهلك الأقياء.. فأسعدني، وانصري على هذا الغم... لقد ضقت ذرعاً بهذه البوتقة الضيقة، فخلصني منها، كما تخلص الجوهر الكريم من الحجارة... يا من تجيب دعاء السائلين، أجب دعائي... لم أعد أحتمل وطأة المرض كثيراً، فأغثنني يا غياث المستغيثين"<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الله قد استجاب دعاءها، فقد توجه خسرو إلى قصرها - بحجة الصيد - "فوقفت فوق سطح القصر، وأطلت منه كالبدر، وجعلت بصرها يتطلع إلى الطريق، وأذنها تتسمّع طرق الباب"<sup>(٢)</sup>.

"وحينما رأت شيرين خسرو مقبلاً سقطت على الأرض مغشياً عليها، وبقيت فاقدة الوعي مدة، فلما أفاقت فكرت في أمرها، وقالت في نفسها: إذا لم أرتبط اليوم بوثاقه، فليست عندي طاقة لتحمل أمل فراقه"<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) خداوندا شبنم را روز گردان  
شبی دارم سیاه از صبح نومید  
غمی دارم هلاک شیر مردان  
ندارم طاقت این کوره تنگ  
توئی یاری رس فریاد هر کس  
ندارم طاقت تیمار چندین  
(المرجع السابق، ص ۲۹۴)
- (٢) بام قصر برشد چون یکی ماء  
نهاده گوش بر در دیده بر راه  
(المرجع السابق، ص ۳۰۱)
- (٣) چو شیرین دید خسرو را چنان مست  
ز بیهوشی زمانی بی خبر ماند  
که گر نگذارم اکنون در وثاقش  
زیای اقتاد وشد یکباره از دست  
بهوش آمد بکار خویش در ماند  
ندارم طاقت زخم فراقش  
(نظامی، خسرو و شیرین، ص ۳۰۲)

وقد اقترب خسرو من القصر فرأى شیرین " وأخذ يتحدث معها معذراً، متلطفاً، مثنياً عليها، سائلاً عن أحوالها"<sup>(۱)</sup>.

ثم طلب منها أن ترافقه إلى قصره، ولكنها اعتذرت فرجع يائساً، بينما أخذ شاپوريسري عنه قائلاً: "لا تغضب من عصبية مزاج شیرین المريضة، لأن الحلوى مشهورة بالحرارة"<sup>(۲)</sup>.

"أما شیرین: فإنها أصبحت بعد فراق الملك حزينة مهمومة، فأخذت تؤنب قلبها القاسي (وتنتقد تصرفها مع خسرو)"<sup>(۳)</sup>.

ثم ذهبت شیرین في إثر خسرو، وأظهرت حبه لها، وشوقها إليه، في غزليات رقيقة قالتها "نكيساً" بلسان شیرین، ورد عليها "باربد" بلسان خسرو<sup>(۴)</sup>.

ولم تلبث شیرین أن قابلت خسرو طائعة مختارة. "فلما رأى الملك معشوقته قد صارت تابعة له، وأنها خضعت لأمره، ونفذت رغباته، أكرمها، وأعلى من قدرها، فزين بها عرشه كما يزين التاج الرأس"<sup>(۵)</sup>.

(۱) زبان بگشاد با عذر دلایوز ز پرسش کرد بر شیرین شکر ریز (المرجع السابق، ص ۳۰۶)

(۲) مرنج از گرمی شیرین رنجور (المرجع السابق، ص ۳۴۵)

(۳) که چون بی شاه شد شیرینی دلتنگ بدل برمیزد از سنگین دلی سنگ (المرجع السابق، ص ۳۵۰)

(۴) المرجع السابق، ص ۳۵۹-۳۷۹.

(۵) چوشه معشوق را مولای خود دید سر خود را بزیر پای خود دید که شه را تاج بر سر به که در پای ز شادی ساختش بر فرق خود جای (نظامی: خسرو و شیرین، ص ۳۷۹)



ثم أحضر خسرو شيرين إلى المدائن، وتزوجها، وخصها بكل حب وإعزاز، وقال لرجال الدين وعظماء الدولة "إن شيرين قد صارت لي زوجة وصديقة، وهي جديرة بكل حب دلُّها به"<sup>(١)</sup>.

وبعد الزفاف، أخذت شيرين تنصح خسرو بعدم الانغماس في الملذات، وأشارت عليه بتعلم أصول الحكم، والعمل على إسعاد الشعب، وتوفير سبل الراحة له، حتى يلتف حوله، فلا ينهار ملكه. وقد صور الشاعر ذلك في قوله: "قَبَلت شيرين الأرض بين يدئِ الملك، ثم قالت له: أيها الملك. اترك الترف بعض الوقت، وانصرف إلى العلم.. لقد اجتهدت كثيرًا في سبيل الحصول على الملذات، فحاول أن تنصرف - بكليتك - إلى إصلاح القلب، ولقد عمرت العالم بالعز والنعمة، فكيف يمكن أن تخربه الظلم؟!"<sup>(٢)</sup>.

كما نصحته بأن يعمل للأخرة؛ فقالت: "دبر وسيلة النجاة في الآخرة، واعلم أن في إثر المجيء إلى الدنيا الذهاب منها، (فلا تحاول التكالب عليها) لأن الشخص الذي يجمع الذهب والفضة لا يستطيع تدبير أمر الآخرة، واعتبر بالملوك الذين ماتوا قبلك، فإنهم لم يحملوا معهم شيئًا من المال والملك، فإذا كنزت المال فإنه سوف يؤذيك، وإذا أنفقتة في الخير فسيكون زاد طريقك إلى الآخرة"<sup>(٣)</sup>.

- (١) كه شيرين شد مراهم جفت وهم يار (المراجع السابق، ص ٣٨٦)
- (٢) زمين بوسيد شيرين كاي خداوند بسى كوشيد در كامراني جهان را كرد از نعمت آباد (المراجع السابق، ص ٣٩٨)
- (٣) نجات آخرت را چاره گر باش کسی کوسیم وزر ترکیب سازد ببین دور از تو شاهانی که مردند بمانی. مال بد خواه تو باشد (نظامی: خسرو و شیرین، ص ٣٩٩)

وآثر نصح شیرین فی خسرو، فاستدعی أستاذہ (بزرگ امید)، وطلب منه أن يعلمه العلوم المختلفة، وأخذ يسأله عن الحركة الأولى، وأجرام الكواكب، والمبدأ، والمعاد، والخروج من الدنيا، وخلود الروح، وكيفية رؤية الجسم في المنام، وتذكر الحياة بعد الموت، والهواء، وحفظ الصحة عن طريق الاعتدال، وكيفية خروج الروح من الجسد.

وقد أجابه (بزرگ امید) عن كل ما سأل، فأفاد خسرو من ذلك فائدة عظيمة<sup>(۱)</sup>.

وفي تلك الأوقات كان رسول الإسلام محمد ﷺ (صلى الله عليه وسلم) قد أرسل للناس كافة بشيراً ونديراً، وأخذ يرسل رسله إلى الملوك والولاة، ويدعوهم إلى الدخول في الدين الجديد، مما جعله حديث الدنيا في ذلك الوقت، فانتهز خسرو فرصة وجوده مع أستاذہ (بزرگ امید) وذكر الإسلام بشيء من الاستخفاف والاستهزاء، فنصحه أستاذہ قائلاً: "لا تهزأ أيها الملك بالدين العربي، لأنه الدين الحق؛ ولا يجب الاستهزاء بالحق"<sup>(۲)</sup>.

"وأدرکت شیرین أن ذلك الأستاذ القدير قد فتح - للملك - باب كنز العلم، فأثنت عليه. وقالت: أيها الشيخ القدير. إن عين الزمان لم تر عالمًا مثلك، فأعطني نصيبًا من العلم - إذا استطعت - كما فتحت لخسرو أبواب كنز الفضل.. فافتح أمني كنز العلم، ولا تقفله، واقراء علي بعض الحكم من كتاب كليله ودمنة"<sup>(۳)</sup>.

وقد قرأ "بزرگ امید" على شیرین أربعين قصة من هذا الكتاب<sup>(۴)</sup>.

(۱) المرجع السابق، ص ۴۰۰-۴۰۴.

که دین حق است و با حق نیست بازی (المرجع السابق، ص ۴۰۵)

(۲) مکن بازی شهابادین تازی

در گنج سخن برشاه گشاد  
ندیده چوتوئی چشم زمانه  
نصیبی ده مرانیز ار توانی  
فروخوان از کلیلہ نکتہ چند  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ۴۰۵-۴۰۶)

(۳) چو شیرین دید گان دیرینه استاد  
ثنا گفتش که ای پیر یگانه  
چو بر خسرو گشادی گنج کافی  
کلیدی کن نه زنجیری دراین بند

(۴) المرجع السابق، ص ۴۰۶-۴۱۰.

ولكن المشاكل لن تلبث أن ظهرت في وجه العاشقين، فقد عشق "شيرويه" - بن خسرو من مريم - زوجة أبيه "شيرين"، ثم تحالف مع عظماء الدولة ضد أبيه، واستطاع - عن طريق الرشوة، والمؤامرات - أن يجلس على العرش؛ ثم سجن أباه، ولكن شيرين أصرت على أن تكون زميلة خسرو في السجن.

وحاول "شيرويه" بعد ذلك أن يتخلص من أبيه نهائيًا، فأرسل إليه قاتلاً ليقتله في السجن.

وذهب القاتل فوجد خسرو نائمًا بجوار شيرين، فأيقظه ليدرك مصيره المحتوم.

وشعر خسرو بدنو أجله، وأحس بحاجة شديدة إلى جرعة ماء، "فقال في نفسه أوقظ شيرين من نومها الجميل، وأطلب شربة ماء"<sup>(١)</sup>.

ولكنه أفلح عن هذا الخاطر خشية أن تجزع شيرين لرؤية ما سوف يحل به، وأخذ يناجي نفسه قائلاً: "حينما ترى شيرين ما سيصيبني نتيجة للظلم والحسة سوف لا تنام مرة أخرى من شدة الحزن والعيول، فالأفضل ألا أوقظها، فأموت أنا وهي نائمة. وهكذا مات هذا الوفي عطشًا، دون أن يوقظ شيرين من النوم"<sup>(٢)</sup>.

"غير أن شيرين استيقظت من نومها العذب، بسبب غزارة الدماء التي تفجرت من جسم خسرو"<sup>(٣)</sup>.

(١) كنم بيدار وخواهم شربتی آب  
(نظامی: خسرو و شیرین، ص ٤١٨)

نخسید دیگر از فریاد وزاری  
شوم من مرده و او خفته باشد  
که شیرین را نکرد از خواب بیداد  
(نفس المرجع والصفحة)

در آمد نرگس شیرین زخوشواب  
(المرجع السابق، ص ٤١٩)

(١) بدل گفتا که شیرین را زخوشواب

(٢) چو بیند برمن این بیداد وخوازی  
همان به کین سخن نا گفته باشد  
بتلخی جان چنان داد آن وفا دار

(٣) ز بس خون کز تن شه رفت چون آب

فأخذت تندبه، وتريق الدموع، وتنعي خاتمة السيئة، وحظها العاثر.

ولم يلبث "شيرويه" أن أرسل إليها وخطبها لنفسه، ومناها بأعذب الأمانى، فتظاهرت بالقبول على أن يدفن خسرو، وتدخل القبر في أثناء دفن جثمانه؛ وقد قبل شيرويه ما اشترطته.

فدخلت شيرين قبر خسرو ثم انتحرت مستعملة سكينًا، فطعنت نفسها بنفس الطريقة التي قتل بها خسرو، ثم ضمته إليها واضعة شفيتها على شفيتها، وصاحت بأعلى صوتها معلنة أنها انتحرت، لتسمع القوم، وتعلمهم بأنها وضعت خاتمة لقصة حبها لخسرو، وحبها لها، مما صوره الشاعر في قوله: "طعنت شيرين نفسها بسكين بنفس الطريقة التي طعن بها الملك من قبل، فغسلت القبر بدمها الحار، وأضافت جرحًا جديدًا إلى جراح الملك، ثم احتضنت معشوقها، ووضعت شفيتها على شفيتها، وكتيفها على كتفيه، وصاحت بأعلى صوتها - ليسمع القوم قولها - وهي تقول: أن الروح قد ائتلفت مع الروح، وإن الجسد قد اتحد مع الجسد، فنجا الجسم من ألم الفراق، ونجت الروح من قسوة الزمان"<sup>(۱)</sup>.

وقد أنهى الشاعر القصة بحديث عن ذم الدنيا، وفناء العالم، وتلاشي السعادة<sup>(۲)</sup>.

ثم تحدث عن موت زوجته مشبهًا إياها بشيرين، ونصح ابنه الذي كان في السابعة من عمره كما مر.

(۱) هماغجا دشنة زد برتن خویش  
جراجت تازہ کرد اندام شه را  
لبش برلب نهاد ودوش بردوش  
چنان کان قوم از آوازش خبر داشت  
تن از دوری وجان از داوری رست  
(نظامی: خسرو وشیرین، ص ۴۳۲-۴۴۴)

(۱) بدان آیین که دیدان زخم راریش  
بخون گرم شست آن خویگه را  
پس آورد آنگهی شه رادر آغوش  
به نیروی باشد آواز برادشت  
که جان باجان وتن باتن به پیوست

(۲) المرجع السابق، ص ۴۲۴-۴۲۸.

ثم أشار إلى رؤية خسرو للنبي في المنام<sup>(١)</sup>، وإرسال الرسول خطابًا إليه، كان نصيبه التمزيق، فدعا الرسول على خسرو بتمزيق ملكه؛ وقد استجاب الله الدعوة؛ فضع ملك العجم، وسقط طاق من إيوان خسرو، وتحطم معبر دجلة من سيل ألم به. وصور نظامي ذلك كله في صورة توحى بشماتته وتشفيه، مستعملًا نعمات تدل على فرجه بما حدث، واعتباره من معجزات الرسول.

ثم أخذ في مدح الرسول، وتمجيده والإشادة بالأعمال الخالدة التي تمت على يديه، وكانت نتيجتها تحطيم دول الكفر، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور<sup>(٢)</sup>. ثم وصف معراج الرسول<sup>(٣)</sup>.

ثم أخذ الشاعر ينصح بضرورة اتباع العدل، ونشر السلام؛ فتحدث عن الدنيا وما فيها من ظلم، وتعجب من أمر الإنسان الضعيف الذي يصر على الظلم - برغم ضعفه - فهو لا يكاد يفرغ من ظلم حتى يشرع في ظلم جديد، وشبهه بالطائر المفترس الذي لا يكاد ينزع أظفاره من صيد حتى ينشبهها في صيد جديد. ثم قال إن الظالم - في رأيه - لا يظلم إلا نفسه، لأن عدل الله موجود، وقوته محيطة، ومشيتته نافذة، ولذا فهو يدعو إلى الإقلاع عن الظلم، ونشر العدل والمحبة<sup>(٤)</sup>.

وختم منظومته بالإشارة إلى تاريخ إتمامها، مبيّنًا أن اسمه سيظل - بفضلها - حيًا مخلدًا<sup>(٥)</sup>، ثم ذكر ذم حساده<sup>(٦)</sup>. ثم أشار إلى دعوة قزل أرسلان له، ووصف ما حدث<sup>(٧)</sup>؛ ثم

(١) المرجع السابق، ص ٤٣٠ - ٤٣٤.

(٢) نظامي: خسرو وشيرين، ص ٤٣٨ - ٤٤١.

(٣) المرجع السابق، ٤٣٤ - ٤٣٨.

(٤) المرجع السابق، ٤٤١ - ٤٤٥.

(٥) المرجع السابق، ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٦) المرجع السابق، ٤٤٦ - ٤٤٩.

(٧) المرجع السابق، ٤٤٩ - ٤٥٨. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

رثى هذا الوالى، ومدح خليفته أبا بكر بن أخيه "جهان پهلوان"<sup>(١)</sup>. وبذلك تنتهي منظومة "خسرو وشيرين".

والواقع أن نظامى هو أول من نظم قصة "خسرو وشيرين" في هذه الصورة، ولكننا لا نستطيع أن نحكم على عمله، إلا إذا قارنا بين منظومته وبين ما نظمه سابقه الفردوسي - متعلقًا بخسرو وشيرين - في منظومته "شاهنامه"، فندع هذا التصوير لعمل نظامى لنختم - هذا الباب - بمقارنة بينه وبين الفردوسي - في كيفية تصويرهما لهذه القصة - حتى يكون حكمنا صحيحًا صادقًا.

(١) المرجع السابق، ٤٥٨ - ٤٥٩. وقد سبق ذكر شيء منه.

## الفصل الثالث

### مقارنة بين تصوير كل من الفردوسي ونظامي لقصة خسرو وشيرين

خصص الفردوسي جزءاً من الشاهنامه للحديث عن خسرو، وقد شمل حديثه قصة "خسرو وشيرين". ولكن تصوير لنظامي لهذه القصة كان يختلف اختلافاً جوهرياً عن تصوير الفردوسي لها، فقد كان كل منهما متأثراً بروحه هو، بالفردوسي كانت روحه حماسية، بينما كانت روح نظامي غنائية<sup>(١)</sup>.

كما تأثر كل منهما بروح عصره، وحاول أن يستحيب لها، ويتلاءم معها.

فعصر الفردوسي كان يمجد البطولة، والانتصارات الحربية، والغلبة على الأعداء، فقد تميّز عصر السلطان محمود الغزنوي - الوالي الذي قدم الفردوسي له الشاهنامه - بالانتصارات الحربية، لأن هذا السلطان غزا الهند مرات عديدة، واستطاع أن يوطد نفوذ المسلمين فيها، حتى سُمي فاتح الهند، كما اتخذت حروبه طابع الجهاد في سبيل الله، وفي سبيل نشر دينه، فمن الطبيعي أن يكون تمجيد البطولة، والفتح، والغلبة على الأعداء، من الأشياء المحببة إلى قلوب الناس - في ذلك الوقت - وهذا يستلزم الشعر الحماسي.

أما عصر نظامي؛ فقد رأينا أنه كان عصرًا إقطاعياً مملوءاً بالمنازعات المستمرة بين الدول والدويلات المختلفة، كما لاحظنا أنه اتسم بروح الغدر، وتدبير المؤامرات. وكان الدافع إلى

(١) I. Pizzi: *Storia Della Poesia Persiana*, II, p. 194.

هذا كله الرغبة في الظفر بالحكم، والنفع الشخصي المادي، فكان الولاة والأمراء، والوزراء، والعظماء يتطاحنون في سبيل الوصول إلى الحكم والاحتفاظ بالنفوذ. مما جعل الناس يُمَجِّدُون السلم، وينشدون الراحة والطمأنينة، فكان عملاً لا غناء فيه أن ينظم شاعر شعراً حماسياً، في وقت غير وقته، وظروف غير مناسبة له<sup>(١)</sup>، وقد تنبه نظامى لهذا؛ فقال إنه اختار هذه القصة لتلائم هوى الناس في عصره<sup>(٢)</sup>.

فروح كل من الشاعرين - متأثرة بروح العصر الذي عاش فيه - قد أثرت في تناول كل منهما لقصة "خسرو وشيرين" وتصويره لمناظرها.

ولذلك وجدنا الفردوسي يحرص على تصوير "خسرو" في صورة ملك قوي، وقائد مظفر، يستطيع أن يكسب المعارك، ويظفر بانتصارات باهرة، ويوسع حدود دولته، ويقضي على أعدائه.

فخسرو - عند الفردوسي - صورة لتراث إيران القديم، ورمز من رموز مجدها، وعظمتها، وماضيها التليد، الحافل بالمفاخر، وجلائل الأعمال، وهو مثلاً واضح قوي للأكاسرة في جلالهم، وهيبتهم، وقوتهم، وغلبتهم، ورفاهيتهم، وملادهم.

وكان الفردوسي يتخذ من تمجيده لخسرو تمجيحاً لأمته، وتحليلاً لتاريخها القديم.

أما نظامى؛ فقد صَوَّرَ خسرو في صورة عاشق قد يخطئ، وقد يصيب، ولكنه يستطيع أن يموت كبطل.

ونظامى في هذا موضوعي، بينما الفردوسي مثالي

(١) I. Pizzi: *Storia Della Poesia Persiana*, II, p. 195.

(٢) سبق ذكر البيتين اللذين سجل الشاعر فيهما سبب اختياره لقصة خسرو وشيرين، وهما يؤيدان ما ذهبنا إليه.



وطبيعي - تبعاً لهذا - أن نجد الفردوسي يمهّل ناحية العشق إهمالاً يكاد يكون تاماً، ويقصر همه على تصوير البطولة الحربية التي تميز خسرو بها.

ولاحظ نظامي ذلك فقال: "لقد أهمل الحكيم "الفردوسي" ناحية العشق، حينما عرض هذه القصة؛ لأنه كان في سن الستين، فبعد عن دائرة الشباب"<sup>(١)</sup>.

بينما جعل نظامي كل همه منصرفاً إلى تصوير ناحية العشق، مما جعله لا يعيد ما قاله الفردوسي.

وقرر هو ذلك فقال: "لم أكرّر ما قاله العالم (الفردوسي) قبل ذلك، لأن الحديث المعاد ليس جميلاً، فذكرت ناحية العشق، بعد أن شرح هو ناحية البطولة"<sup>(٢)</sup>.

ولذلك فإن شخصية شيرين من الشخصيات الثانوية عند الفردوسي، فالجزء الخاص بخسرو - في الشاهنامه - يكاد معظمه يخلو من ذكر شيرين، أو مجرد الإشارة إليها<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر الفردوسي شيرين - لأول مرة - حينما أشار إلى زواج خسرو بـ "كردويه" أخت "بهرام چوبين"<sup>(٤)</sup>.

(١) حكيمى كاین حکایت شرح کردست چو در شصت اوفتادش زندگانی

حديث عشق از ایشان طرح کردست

خدنگ افتادش از شست جوانی

(نظامی: خسرو و شیرین، ص ۳۳)

که فرخ نیست گفتن گفته را باز

سخن راندام نیت بر مرد غازی

(نفس المرجع والصفحة)

(٢) نگفتم هرچه دانا گفت از آغاز  
در ان جزوی که ماند از عشقبازی

(٣) فردوسی: شاهنامه، ج، ص ۸۳-۲۵۵.

(٤) المرجع السابق، ص ۲۱۰.

ثم أفرد لقصة "خسرو وشيرين" - بعد ذلك - مكانًا في نهاية الجزء الخاص بخسرو<sup>(١)</sup>، غير أن القصة كانت مختصرة، فكان المكان المخصص لها ضيقًا إذا قورن بما نظم عن خسرو.

وقد صور الفردوسي شيرين، في صورة إحدى صديقات خسرو في وقت شبابه، فقال: "كانت شيرين صديقة خسرو وپرويز؛ حينما كان شابًا غير هيّاب، - وحينما كان والده حيًّا، وكان هو بطلاً - فكانت شيرين بالنسبة إليه كالعين المبصرة، فلم يكن يجب - في الدنيا - غيرها، سواء من الفاتنات، أو من بنات الملوك"<sup>(٢)</sup>.

فشيرين - عند الفردوسي - معشوقة خسرو في وقت النزق والطيش، وعدم المبالاة، وهي فتاة سيئة الأخلاق؛ مما جعل خسرو يهملها بعد تولّيه العرش، فأخذت تحتال لرؤيته، والتقرب منه، ونجحت في أن تريه نفسها - وهو في طريقه إلى الصيد - فحن إليها، وخفق قلبه لها، فأعادها إلى قصره، ثم تزوجها. غير أن هذا الزواج كان سببًا في إثارة رجال الدين، وعظماء الدولة، فقاطعوا مجلسه - بحجة أنه تزوج امرأة ساقطة - واضطّر خسرو إلى مجادلتهم، معترفًا بسوء أخلاقها، وقائلًا إن اتخاذها زوجة، سوف يجعلها طاهرة نقية، وظل يجادلهم، ويضرب لهم الأمثال، حتى اقتنعوا، وأقروا الزواج<sup>(٣)</sup>.

أما نظامى، فقد جعل شيرين بطلة القصة، فهي من الشخصيات الرئيسية في المنظومة، كما أضفى عليها ما يؤهلها للبطولة، فصوّرها في صورة أميرة، ثم ملكة، وجعلها مَثَلًا للفتاة العفيفة التي تحافظ على عفافها - إلى آخر لحظة - فتقبل أن تُغضب معشوقها، وتجعله

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٥-٢٥٥. قد ذكرها تحت عنوان "داستان خسرو وپرويز وشيرين" أى «قصة خسرو وپرويز وشيرين».

(٢) چوپرويز بيباك بودوجوان  
ورا در زمين دوست شيرين بدى  
پسندش نبودى جز او در جهان  
پدر زنده وپورجون پهلوان  
بر او بر چو روشن جهان بين بدى  
ز خوبان واز دختران جهان  
(فردوسي: شاهنامه، ج ٥، ص ٢٢٦)

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٦-٢٣٠.

يغادر ديارها، ولا تقبل أن تستلم له، أو أن تفرط في عفافها. كما لاحظنا ذلك حينما اختلى بها خسرو، وحاول أن يستولى عليها، فأبّت، وجعلته يغادر بلادها إلى بلاد الروم.

فشيرين - عند نظامي - فتاة عفيفة، تقدم العفة على كل شيء، ولا ترى العشق يتنافى مع الفضيلة، بل تراه حارسًا لها، وداعيًا إلى التمسك بها.

وشخصيتها - من هذه الناحية - تختلف - عند نظامي - اختلافاً جوهرياً عن شخصيتها عند الفردوسي.

وكما حرص نظامي على تصوير شيرين في صورة راعية للفضيلة، فقد جعلها تضرب أروع الأمثلة في الوفاء، والإخلاص، والتضحية، فصور في منظومته كيف ظلت شيرين وفية إلى آخر لحظة من حياتها، كما ظلت مخلصه في حبها، فلم تنقض العهد أبداً، ولم تحاول أن تحب شخصاً غيره، حتى في الأوقات التي تزوج خسرو - فيها - غيرها، كما عبّرت عن وفائها وإخلاصها بعد قتله، فلم تتزوج غيره ولم تحتفظ حتى بالحياة، بل آثرت أن تلحق بمن أحببت، لتقاسمه القبر بعد موته، كما قاسمته العيش في حياته.

ورغم أن الفردوسي قد أظهر شيرين في صورة الوفية، وقرر أنها انتحرت لتلحق بمن أحببت، إلا أن نظامي قد عبر عن هذا الوفاء بصورة أبلغ وأروع، فقد رأيناها - في منظومته - أسرع إظهاراً لوفائها وإخلاصها، فلم يكد خسرو يُقتل، ويُحْمَل ليُدفن حتى قتلت نفسها - في قبره - بسكين، وبنفس الطريقة التي قتل هو بها، لكي توسد التراب في نفس الوقت الذي وُسّد هو فيه. بينما نلاحظ - فيما نظمه الفردوسي - أن شيرين لم تنتحر بهذه السرعة، وإنما انتحرت بعد ثلاثة وخمسين يوماً من مقتل خسرو<sup>(١)</sup>، حينما حاول "شيرويه" أن يتخذها زوجة له، فاشتربت عليه شروطاً منها أن يفتح قبر خسرو لتزوره، ثم

(١) فردوسي: شاهنامه، ج ٥، ص ٢٧٨.

سَمَّتْ نفسها داخل القبر؛ مما صوره الفردوسي في قوله: "شربت سُمًّا مهلِكًا، يكفي للقضاء عليها، ثم جلست بالقرب من الملك المسجى، وقد لَقَّتْ جسمها بلباس فيه رائحة الكافور، وأسندت ظهرها إلى حائط القبر، ثم ماتت، فاستحقت بموتها الشناء من الدنيا"<sup>(١)</sup>.

أما تضحية شيرين فقد ظهرت في منظومة نظامى بصورة رائعة، فرأيناها تضحى بكل شيء - حتى بعرشها - في سبيل معشوقها، بينما هي - عند الفردوسي - أنانية؛ دفعتها أنانيتها إلى قتل منافستها "مريم" - بنت قيصر الروم - حتى لا تشاركها الحياة مع خسرو.

فقد ذكر الفردوسي أن خسرو تزوج شيرين بينما كانت زوجته الأولى مريم لا تزال على قيد الحياة، وأن شيرين حقدت عليها، فدست لها السم، مما صوره في قوله: "كانت شيرين في حزن دائم - بسبب وجود مريم - وكان لون خديها أصفر - فانتهى الأمر بأن دست شيرين لها السم، فماتت تلك الفتاة الجميلة - التي كانت من نسل قيصر الروم - ولم تُطلع شيرين أحدًا على تلك المؤامرة، فقد احتفظت هي - وحدها - بسرها"<sup>(٢)</sup>.

ثم بيّن الفردوسي أنها كانت تهدف - بمؤامرتها - إلى أن تصبح زوجة خسرو المفضلة، فقال<sup>(٣)</sup>: "ولما انقضى عام على وفاة مريم، أسكن خسرو شيرين في الحجرة الذهبية"<sup>(٤)</sup>.

(١) هم انگاه زهره لاهل بخورد  
نشسته برشاه پوشیده روى  
بديوار پشتش نهاد وبمرد  
ز شيرين روانش بر اورد گرد  
به تن دريکى جامه کافور بوى  
بمرد وز گيتى ستايش ببرد  
(فردوسي: شاهنامه، ص ٢٨٣)

(٢) ز مريم همى بود شيرين بدرد  
بفرجام شيرين بدو زهر داد  
از آن چاره آکه نبد هيچکس  
هميشه زرشکش دور خساره زرد  
شد آن دختر خوب قيصر نژاد  
که اوداشت آن راز پنهان ويس  
(المرجع السابق، ص ٢٣٠)

(٣) چو سالى برآمد که مريم بمرد  
شبستان زرين بشيرين سپرد  
(فردوسي: شاهنامه، ج ٥، ص ٢٣٠)

(٤) المقصود بالحجرة الذهبية الحجرة الخاصة بالملكة، أي الزوجة الأولى المقدمة على غيرها، والشاعر يقصد بقوله هذا أن شيرين أصبحت - بعد موت مريم - زوجة خسرو الأولى، أي صارت ملكة، فحققت بذلك هدفها الذي سعت إليه، ودبرت قتل مريم في سبيل بلوغه.

ولم يذكر نظامى هذه المؤامرة، وإنما قرر أن شیرين لم تتزوج خسرو إلا بعد وفاة مريم. وهكذا نلاحظ فرقاً واضحاً بين شخصية شیرين فيما نظمه الفردوسي، وبين شخصيتها في منظومة نظامى.

فالفردوسي قد صوّرها في صورة تدعو إلى الازدراء، فجعلها فتاة فاسدة الخلق أنانية. أما نظامى؛ فأضفى عليها كل صفات البطولة؛ من عفة، ووفاء، وإخلاص، وتضحية، وصوّرها توحى بالإعجاب، وتبعث على الاحترام؛ مما جعل خسرو يعتز بها بعد أن تزوجها، ويعتبرها مثلاً للزوجة الصالحة، فلم ينجل من زواجها، ولم يحاول أن يقنع رجال الدين والعظماء بصلاحياتها كزوجة، ولم يهملها وينسها، فوجدناه يلجأ إلى ديارها - كلما دُبِّرَتْ له المكائد - سواء في حياة أبيه أو بعد عزل أبيه وقتله، كما وجدناه يذكرها بعد انتصاره على "بهرام چوبين" وجلسه على العرش، وزواجه من "مريم"، ويرسل إليها مراراً، ثم يذهب إلى قصرها بحجة الصيد أملاً في رؤيتها، والاتصال بها.

وهذه الصورة لخسرو - عند نظامى - تختلف كثيراً عن صورة الفردوسي التي عرضناها. وما لاحظناه في تصوير نظامى لخسرو شیرين نلاحظه في تصويره لشخصية "فرهاد" المبتكرة، فقد صور الشاعر هذه الشخصية في صورة جعلت من صاحبها بطلاً، يحتل مكاناً بارزاً في القصة، ويبدو قريناً ومنافساً خطراً لخسرو؛ بل إن الشاعر أضفى على "فرهاد" كل صفات البطولة التي أضفها على "شیرين"؛ من إخلاص، ووفاء، وتضحية بكل شيء - حتى بحياته - في سبيل من يحب؛ في صورة تدعو إلى العطف والتقدير.

وشخصية فرهاد شخصية مبتكرة - كما قلنا - خلقها نظامى ليكسب القصة عنصر الطرافة، والتشويق؛ عن طريق خلق المشاكل والمواقف الدقيقة، وعقد المقارنات بين الشخصيات المتباينة.

ولم يشر الفردوسي إلى فرهاد في قليل أو كثير، ولم يذكر اسمه فيما نظمه عن خسرو وشيرين؛ فكان ما نظمه عن هذه القصة سردًا للحوادث دون إعطائها الإطار الفني، أو حبكها الحبكة الفنية التي تستلزمها القصة.

وهكذا نلاحظ أن تصوير نظامى لشخصيات القصة، ومناظرها المتنوعة، يختلف - عن تصوير الفردوسي - اختلافًا جوهريًا.

وفضلاً عن الفرق الشاسع الذي يُوجد بين الشاعرين - من هذه الناحية - فإننا نلاحظ أن منظومة نظامى فيها كل مقومات تأليف القصة "الرومانتيكية"؛ من اختيار الفكرة التي تقوم عليها، وخلق المشاكل، وحسن التصوير، وتنوع المناظر، والجدة، والابتكار؛ وهي عناصر معدومة - أو كالمعدومة - فيما نظمه الفردوسي.

وقد أحسن نظامى اختيار الفكرة، فالحب من الموضوعات الإنسانية، وهو وثيق الصلة بالنفس البشرية - في كل زمان ومكان - خصوصاً في الصورة التي حرص نظامى على إبرازها، وهي صورة الحب الطاهر الذي يرفع القيم الأخلاقية، ويسمو بالنفس البشرية، ويتطلع إلى مثل أعلى: هو الزواج، ويظل بعد الزواج ليوجه العاشقين إلى الخير، ويُبصِّرهما بطريق السعادة الدنيوية والأخروية.

كما أحسن نظامى خلق المشاكل، وحسن التصوير، وتنوع المناظر، مع الجدة والابتكار، فأدخل في القصة عنصر الطرافة والتشويق، فوجدناه يقارن بين شخصيات القصة، ويوجد شخصيات متناقضة ليظهر الفرق - بينها - واضحًا. فقد قارن بين شخصية فرهاد وشخصية خسرو؛ فالأول عاشق مخلص يتفانى في حبه، ويحاول أن يتحد مع معشوقته ولو بعد الموت. بينما الثاني عاشق ينظر إلى المرأة على أنها متعة، فلا يكتفي بواحدة بل يتزوج الكثيرات، وهو أناني لا يتورع عن إلحاق الضرر بالغير - في سبيل ملذاته - كما فعل مع فرهاد، فقد قاده إلى القتل ليتخلص منه، فيخلو - له - الجو دون منازع.

كما قارن بين شخصية شيرين، وشخصية خسرو؛ فقد نقلها من شخصية ثانوية - عند الفردوسي- إلى بطلنة القصة، وجعلها ألمع شخصية فيها، وأضفى عليها شيئاً كبيراً من الأهمية، جعلنا نشعر بالإعجاب بشخصيتها، والتقدير لنبلها. ويبدو أن الشاعر فعل ذلك ليقارن بينها، وبين خسرو، فقد أصبحت - بهذه الصورة - على النقيض من خسرو، خصوصاً فيما يتعلق بالمحافظة على العفة والشرف؛ كما أصبحت تمتلك صفات الإنسانية التي تؤهلها للبطولة، وتجعلها أسمى وأنبى من خسرو؛ فوجدناها تحب الشعب، وتسهر على راحته، وتنصح خسرو بتعلم أصول الحكم الصالح، ورعاية العدل والإنصاف، حتى يظفر بحب الشعب، ورضا الله.

وفضلاً عن هذا كله، فإنه يبدو من دراسة منظومة نظامي أن له مذهباً خاصاً في نظم مثل هذه القصص، فقد حاول الشاعر أن يتخذ القصة وسيلة لتسجيل آرائه، وما يدعو إليه؛ فقد كان يؤمن بضرورة الإصلاح الخلفي، وتطهير النفوس حتى تترفع عن الحقد والحسد، وتتجنب إيذاء الناس، وتتطلع إلى المثل العليا.

وكان يدعو - في شدة وتحمس وإصرار - إلى ترك الظلم؛ لأنه غير مأمون العواقب، فقد يعود على صاحبه بشر مستطير. كما كان ينادي باتباع العدل، والتزام الإخلاص، والتمسك بالوفاء، ويندد بمن يخالفون هذه الدعوة، ويحذرهم من غدر الدنيا، وفنائها.

وقد جهر بهذه الدعوة في منظومته الأولى "مخزن الأسرار"، ورددتها في منظومته الثانية "خسرو وشيرين" - كما رأينا - وسيردها في كل منظوماته، كما سيأتي.

ولذلك فقد حاول الشاعر أن يتخذ من منظومته "خسرو وشيرين" ميداناً يعرض فيه آراءه، ويردد فيه دعوته، وذلك عن طريق إنطاق بعض شخصيات القصة بما يؤمن به، ويدعو إليه، أو إظهار بعضها في الصورة التي يتمناها كإظهار شيرين في صورة راعية للعفة، وداعية للأخلاق والفضيلة، أو إظهار فرهاد في صورة مَثلٍ للوفاء والتضحية، وهكذا.

كما أن هناك ظاهرة جديرة بالملاحظة، وهي أن الشاعر قد أظهر العاشقين في حالة انتقال - من جهة إلى أخرى - وسفر - من مكان إلى آخر - فكل منهما يبحث عن صاحبه، ويلجأ إلى ديار معشوقه. والطريف أن الواحد منهما لا يكاد يسعى للقاء صاحبه، ويتخذ طريقه إلى الجهة التي يقيم فيها، حتى يغادر هذا صاحب مكانه لسبب من الأسباب؛ فظل العاشقان في حركة دائمة.

وهذه ميزة انفرد بها نظامى، فلم نجدها عند الفردوسي، وقد أكسبت القصة نوعاً من الحيوية، وجعلتها طريقة مشوقة.

كما بدا نظامى - في هذه القصة - في صورة عالم نفسي، فأحسن تحليل شخصيات أبطال القصة، ولذَّ له أن يقارن بينها. وهذه الميزة ليست واضحة عند الفردوسي.

ومن الملاحظ - أيضاً - أن عاطفة نظامى الإسلامية طغت على عاطفته الوطنية الإيرانية، فقد طرب لتمزُّق ملك خسرو، وانتهياره، واعتبر ذلك من معجزات رسول الإسلام ﷺ، وهذه ظاهرة سنلاحظها في منظوماته الأخرى.

وهو في ذلك عكس الفردوسي تماماً، فقد كانت عاطفة الفردوسي الوطنية مشبوبة، فتعصب لوطنه، وحاول أن يعلي من شأنه، وأن يمجد مفاخره، ويخلد ماضيه، ويتخذ من ملوك الفرس القدماء رمزاً لهذه المفاخر، ودليلاً على عظمة الماضي وروعته، ورفع شأن وطنه.

ولعلَّ هذا هو السبب في ظفر الفردوسي بحب الإيرانيين، وتمجيدهم؛ إلى درجة لا يتسامى إليها نظامى، بل ولا يصل إليها شاعر إيراني آخر.



ولعل هذا هو السبب - أيضاً - في عدم الاهتمام بدراسة نظامي، وعدم محاولة إظهار مكانه بين شعراء الفارسية، رغم تميزه في فن القصة، وفن المثنوي، وفي اتخاذ الشعر وسيلة للدعوة إلى نشر الفضيلة، وإصلاح المجتمع.

ومهما يكن من شيء، فإن قصة "خسرو وشيرين" - في الصورة التي أخرجها نظامي - تعتبر جديدة مبتكرة، وإن الطريقة التي نُظِمَتْ بها لتعتبر جديدة في نظم القصص بالفارسية في تلك الأوقات. وقد يكون لإمام نظامي بثقافات مختلفة أثر في انتهاج هذه الطريقة.

ولعلنا - بعد هذه الدراسة المقارنة - نستطيع أن نقرر أن نظامي هو أول من نظم قصة "خسرو وشيرين" في هذه الصورة. فقد رأينا أن تناوله لها يختلف اختلافاً جوهرياً عن تناول الفردوسي، لأنهما اختلفا في تصوير مناظر القصة، وترتيب حوادثها، وفي المحور الذي تدور حوله، وفي الإطار الفني الذي يضم كل هذه الأشياء.

فليس من الإسراف - إذًا - أن نصدر هذا الحكم، فنعتبر نظامي أول من أخرج حب "خسرو وشيرين" في صورة قصة "رومانتيكية".

وحاول كثير من الشعراء تقليده، ونذكر - على سبيل المثال - ممن قلدوه من شعراء الفارسية: أمير خسرو الدهلوي المتوفى في عام ٧٢٥ هـ، وهاتفى المتوفى في عام ٧١٩ هـ. وقد نظم كل منهما القصة تحت عنوان "خسرو وشيرين".

كما نذكر وحشي الكرمانى المتوفى في عام ٩٩١ هـ، وعرفى الشيرازى المتوفى في عام ٩٩٩ هـ، ورفيعى المولود - في خراسان - في عام ٩٤٢ هـ. ونظم كل منهم القصة تحت عنوان "فرهادو شيرين"، ونذكر آهى المتوفى في عام ٩٢٣ هـ. وقد نظمها تحت عنوان "شيرين وپرويز".

وإذا تركنا شعراء الفارسية الى شعراء التركية نجد كثيرًا منهم قد نظم القصة مقلدًا " نظامى"، ونذكر منهم - على سبيل المثال أيضًا - لامعى المتوفى في عام ٩٣٨هـ. ونظم القصة تحت عنوان " فرهاد وشيرين".

وهذا يدل على مدى ما أحدثته منظومة "نظامى" من صدى في الميدان الشعري.

وقد تأثر هؤلاء الشعراء - جميعًا - بما ورد في هذه المنظومة، فقلدوا "نظامى"، واقتبسوا مما ذكره، وحاولوا تقليد طريقته.

ولعل أوضح مثل لذلك أمير خسرو الدهلوي، الذي تأثر - في منظومته - بنظامى - إلى حد كبير - سواء في البحر الذى نَظَم فيه القصة، أو في ذكر الوقائع وتسلسلها<sup>(١)</sup>.

ونكتفي بهذا القدر عن منظومة نظامى الثانية " خسرو وشيرين" لندرس منظومته الثالثة "ليلي ومجنون".

M. Wahid Mirza: *The Life and Works of Amir Khusrau*, p. 196-198. (١)

# الباب الثالث

## منظومة "ليلي ومجنون"

### الفصل الأول

#### دراسة حول منظومة "ليلي ومجنون"

شرح نظامي في نظم "ليلي ومجنون" في عام ٥٨٤ هـ، بناءً على طلب أخستان بن منوچهر، حاكم شروان.

وقد نظمها في بحر الهزج المسدس، وتشتمل المنظومة على ٤٥٠٠ بيت تقريبًا.

وقصة "ليلي والمجنون" قصة حب - كقصة "خسرو وشيرين" - يمثل دور البطولة فيها بطلان، هما: قيس بن الملوح مجنون بني عامر، ومعشوقته ليلي.

وأتم الشاعر نظم هذه القصة في نفس العام - الذي بدأ فيه نظمها - ويبدو أنه فرغ من نظمها في مدة وجيزة، لم تتعدَّ أربعة أشهر، مما نتبَّه من قوله: "نظمتُ أكثر من أربعة آلاف بيت في أقل من أربعة أشهر، ولولا الاشتغال بأعمال أخرى، لتمت في أربع عشرة ليلة"<sup>(١)</sup>.

(١) ابن چهار هزار بيت أكثر  
گر شغل دگر حرام بودی  
در چارده شب تمام بودی  
شد گفته چارميه کمتر  
(نظامي: ليلي ومجنون، ص ٢٩)

ولذلك؛ فقد تمت المنظومة في عام ٥٨٤ هـ. وسجل الشاعر هذا التاريخ في قوله: "رُيِّنَتْ  
المنظومة - في أبهى صورة - في آخر رجب من العام الرابع والثمانين بعد الخمسمائة، وهو  
التاريخ الذى تمت فيه، ويساوى مجموع (ث، ف، د)<sup>(١)</sup> بحساب الجمل"<sup>(٢)</sup>.

وهذا التاريخ متفق عليه بين جميع الباحثين.

غير أن هناك تاريخًا آخر - ذُكر في آخر المنظومة - يدل على أنها تمت بصفة نهائية في  
عام ٥٨٨ هـ؛ حيث قال الشاعر: "انتهت - بفضل الله الواحد القهار - في يوم الإثنين، بعد  
أن انقضت ثمانية وثمانون وخمسمائة عام على هجرة الرسول"<sup>(٣)</sup>.

ويمكن أن نقبل التاريخين، رغم أنهما مختلفان، لأننا لاحظنا أن الشاعر كان يضيف  
بعض القطع إلى منظوماته - أحيانًا، خصوصًا إذا كانت القطعة المضافة تتصل بالشاعر، أو  
بأحد ممدوحيه، وقد فعل ذلك في منظومته السابقة "خسرو وشيرين"؛ فأضاف إليها وصف  
زيارته للأتابك "قزل أرسلان"، كما أضاف إليها قطعة في رثاء هذا الأتابك، وأخرى في  
مدح خليفته "نصرة الدين أبي بكر" وكان ذلك بعد إتمامها بخمس سنوات.

فمن الجائز أن الشاعر فعل في منظومة "ليلى ومجنون" ما فعله في "خسرو وشيرين"،  
فأضاف إليها بعض القطع، بعد إتمامها ببضع سنوات.

(١) مجموع (ث، ف، د) - بحساب الجمل - يساوى ٥٨٤.

(٢) آراسته شديده بهترین حال  
تاریخ عیان که داشت باخود  
در سلخ به ثی وفي دال  
هشتاد و چهار بعد پانصد  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ٢٩)

(٣) در روز دوشنبه آمد آخر  
پانصد هشتاد و هشت برسل  
از لطف خدای فرد قاهر  
بگذشته ز هجرت پیپر  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ٢٧٤)

ويبدو أن القطعة التي نصح الشاعر فيها ابنه، وصَّحَّ فيها بأن هذا الابن في الرابعة عشرة من عمره<sup>(١)</sup>، قد نظمها في عام ٥٨٨هـ، لأن ابنه كان في نهاية "خسرو وشيرين". في السابعة من عمره، فطبيعي أن يبلغ الرابعة عشرة في عام ٥٨٨هـ؛ بل إن هذا من الأسباب التي تجعلنا نقبل هذا التاريخ.

وأغلب الظن أن الشاعر أتم نظم قصة "ليلي ومجنون" وقدمها لحاكم شروان في عام ٥٨٤هـ، ثم أضاف إليها قطعاً في النصح، وفي مدح هذا الحاكم، في عام ٥٨٨هـ، وختم المنظومة بصفة نهائية.

أما أخستان بن منوچهر حاكم شروان الذي قُدِّمَت المنظومة له، فقد قيل إنه كان من نسل بهران چويين، القائد الإيراني الذي ثار في وجه "خسرو پرويز" كما مرَّ.

ويبدو أن هذا الحاكم هو الذي طلب من الشاعر نظم القصة، لأنه قال: "جاءني رسول يحمل أمر الملك الذي كتبه بخطه الجميل، وكان مكوِّناً مما يقرب من خمسة عشر سطرًا، بأسلوب جميل جمال الزهر المونع، متألُّع تألُّؤ البدر، (وكان يقول فيه): يا تابعي الأمين.. يا نظامي.. يا ساحر الكلام في العالم.. استيقظ رغم حلاوة نسيم السَّحر، وهَيِّئ من الكلام سِحْرًا آخر، وأظْهر ما عندك من فصاحة في فن النظم الجميل، لأني أريد أن تنظم الكلام كالدر المكنون، في ذكر عشق المجنون"<sup>(٢)</sup>.

(١) سبق إيراد هذه القطعة والتعليق عليها، فيما سبق.

(٢) در حال رسید قاصد از راه  
بنوشته بخط خوب خویشم  
هر حرفی از او شکفته باغی  
کای محرم حلقه غلامی  
از چاشنی دم سحر خیر  
در لافگه شگفته کاری  
خواهم که بیاد عشق مجنون  
آورد مثال حضرت شاه  
ده پانزده سطر نغر بیشم  
افروخته ترز شب چراغی  
جاد و سخن جهان نظامی  
سحری دگر از سخن برانگیز  
بنمای فصاحتی که داری  
رانی سخنی چو در مکنون  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ٢٥)

كما طلب الحاكم من الشاعر أن يُجودّ القصة، ويخرجها في صورة رائعة جميلة، مما صوره الشاعر في قوله: "إن هذه القصة تُرَجِّح ألف قصة، فزيئها بنظمك الجميل... إنها ملكة قصص العشق جميعها، فيحسن أن تتفَنَّ في نظمها".<sup>(١)</sup>

وأظهر نظامى تحيره بعد قراءة خطاب الحاكم، فلم يكن يجرؤ على مخالفته، وبين أن ابنه أشار عليه بامثال أمر الحاكم، ونظم القصة، مما صوره قائلاً على لسان ابنه: "حينما نظمت قصة خسرو وشيرين ملأت قلوب الناس سروراً، فيجب أن تنظم قصة ليلى والمجنون، حتى تصبح لديك جوهرتان ثمينتان".<sup>(٢)</sup>

ويبدو أن ما ذكره الشاعر من عدم رغبته في نظم القصة، وإشارة شخص آخر - كابنه - عليه بنظمها، ثم قبوله بعد التردد، إنما هو من خلق الشاعر، ليضفي على عمله شيئاً من الأهمية، ويلفت الأنظار إليه، ويلتمس لنفسه العذر في نظم قصص العشق رغم زهده وتحنفه. وقد فعل هذا من قبل؛ فأشار إلى عاتب عتب عليه حينما شرع في نظم قصة "خسرو وشيرين"، كما سزاه يفعلها في منظوماته الأخرى، فيشير إلى أن هاتفاً أتاه ونصحه بنظم القصة، أو يذكر أن "الحضر" جاء إليه، وأشار عليه بما فعل، وهكذا.

وأكبر الظن أن الشاعر أراد أن يبرر عمله، ويظهر مبلغ قدرته وبراعته في تصوير مناظر كل قصة من القصص التي نظمها، رغم صعوبتها.

(١) بالاي هزار عشق نامه  
آراسته كن بنوك خامه  
شاه همه حرفهاست اين حرف  
شايد كه در او كنى سخن حرف  
(نظامى: ليلى ومجنون، ص ٢٥)

(٢) خسرو شيرين چوياد كردى  
ليلى مجنون ببايدت گفتم  
چندين دل خلق شاد كردى  
تا گوهر قيمتى شود جفت  
(المرجع السابق، ص ٢٦)

ومما يرجح ما ذهبنا إليه أن ابن نظامي كان صغيراً - في الوقت الذي بدأ الشاعر فيه نظم قصة "ليلي ومجنون" - فمن المستبعد أن يشير عليه بشيء.

كما أن نظامي أشار إلى صعوبة نظم هذه القصة، لأنها غير مألوفة لديه، وأظهر خوفه من الفشل، لعدم توفر مادة القصة عنده، في حين أنه - بعد موافقته، لم يستغرق - في نظمها - أكثر من أربعة أشهر، وقال إنه لو لم يكن مشغولاً بأعمال أخرى لأتمها في أربع عشرة ليلة، رغم أنها أربت على أربعة آلاف بيت، مما يرجح أن تمنع الشاعر لم يكن لعدم وجود مادة القصة، أو صعوبة نظمها، وإنما كان تبريراً لموقفه، وهي طريقة درج عليها في كل منظومة.

ومن المرجح أن الشاعر قد أرسل منظومته مع ابنه الصغير، لأنه مدح الحاكم<sup>(١)</sup> وابنه، وبين أنه فعل ذلك تحقيقاً لرغبة ابنه الذي طلب منه أن يقدمه لولي عهد الحاكم، وصور ذلك في قوله على لسان ابنه: "قدمني لولي عهده اليوم، فكلانا حديث السن، في مدرسة الحياة"<sup>(٢)</sup>.

وشبّه الشاعر منظومته بابنته، وصور اعتزازها بها، فقال: "اعلم أن هذه العروس المهداة لم تخلق في عهد من العهود، فإذا لم تلتفت إلى أبيها، فينبغي أن ترعى أخاها"<sup>(٣)</sup>.

غير أننا لا نعلم ما جناه الشاعر من ثمار عمله؛ لأنه لم يشر إلى شيء من ذلك في شعره؛ وإن كان يبدو عجبياً أن يطلب الحاكم منه نظم القصة، ثم لا يثيبه على عمله.

ونكتفي بهذه الدراسة حول المنظومة، لندرس المنظومة نفسها؛ فنعرض قصة "ليلي والمجنون" كما صورها نظامي، ثم نقارنها بالأصل العربي الذي استمدت منه.

(١) نظامي: ليلي ومجنون، ص ٣٠-٣٨. وقد سبق عرض صور من هذا المدح.

(٢) بسپار مرا بعهدش امروز  
كونوقلم است ومن نوآموز  
(نظامي: ليلي ومجنون، ص ٣٨)

(٣) دانی که چنین عروس مهدی  
گر در پدرش نظر نیاری  
ناید زقران هیچ عهدی  
تیمار برادرش بداري  
(المرجع السابق، ص ٣٩)



أصل هذه الصورة محفوظ في مكتبة ليننجراد  
وقد رسمت لنظامي بيد أحد الرسامين المهرة القدماء .  
( منظومة ليلى و مجنون نشر دستگردى بين ص ٢٤ و ٢٥ )



## الفصل الثاني

### قصة ليلة والمجنون كما صوّرها نظامي

بدأ الشاعر منظومته "ليلي ومجنون" بمقدمته التقليدية عن التوحيد، ونعت الرسول، ثم تحدث عن سبب نظم القصة، ومدح الملك وابنه، وإيداع ابنه لديه، ثم أعقب ذلك بنصيحة ابنه محمد، وذكر من تُوفِّي من أفراد أسرته، وختم المقدمة بالنصح بالقناعة، وتركه التذلل، والابتعاد عن خدمة الملوك والولاة، وشغل الفراغ بنظم الشعر<sup>(١)</sup>.

ثم أخذ الشاعر بعد ذلك في سرد القصة، فقال: "قال راوي القصة حينما شرع في نظم الكلام، إنه كان يوجد - بين العرب - رجل عظيم، يسكن في بقعة من أحسن البقاع، ويرأس بني عامر، وقد أصبحت دياره - بفضل - أعمر الديار، فتعطرت بلاد العرب بذكره الحسن".<sup>(٢)</sup>

وكان هذا الحاكم العربي مشهورًا بالفضل، والشجاعة، وقري الضيفان، ولم يكن له ابن يخلفه في منصبه، إذا قُدِّر له أن يرحل من الدنيا، فكان كثير الضراعة إلى الله أن يهبه ابنًا.

(١) نظامي: ليلي ومجنون، ص ١-٥٧. وقد سبقت الإشارة إلى هذه المسائل.

(٢) گوینده داستان چنین گفت  
کز مملک عرب بزرگواری  
بر عامریان کفایت اورا  
خاک عرب از نسیم نامش  
آن لحظه که در این سخن سفت  
بوداست بخوب تر دیاری  
معمور ترین ولایت اورا  
خوش بوی تر از ریح جاش  
(المرجع السابق، ص ٥٧)

واستجاب الله دعاءه، فوهبة ابنًا جميلًا، "سر بمولده، وسماه "قيس".<sup>(١)</sup>

"ولما أتم قيس العام الأول من عمره، بلغ من الجمال أعلى مراتبه، وكان جوهر العشق كامنًا بين جوانحه، وبريقه يشع من وجهه المتألئع".<sup>(٢)</sup>

وقضى قيس سنواته الأولى في اللعب، وكان نشيطًا مرحًا، كالزهرة المفتحة بين الأغصان.

"ولما بلغ عمره العاشرة، أخذت القصص تروي عن جماله المفرط، فكل من رأى وجهه من بعيد، كان يدعو له بالحفظ والوقاية، فسر والده بجمال طلعتة، وأرسله إلى المكتب ليتعلم".<sup>(٣)</sup>

وكان أبناء القبائل وبناتها، يذهبون إلى هذا المكتب، فيعكفون على التعليم - منذ الصغر - في جد، ومثابرة، فاجتمع قيس هناك بعدد غير قليل من الزملاء والزميلات، وأخذ يتعلم في شوق، وانتظام.

ولكن "قيس" لم يلبث أن تعلق بحب ليلي - زميلته في الدراسة -، وكانت مشهورة - منذ صغرها - بالجمال، وتناسق الأعضاء؛ فكان شعرها أسود كالليل، بينما كان وجهها متألئعًا كالقمر. فألفها الجميع، ودعوا الله أن يرعاها، ويحفظ جمالها.

- |   |   |
|---|---|
| (١) شرط هنرش تمام کردند<br>(المرجع السابق، ص ٦٠)                            | قيس هنريش نام کردند<br>(المرجع السابق، ص ٦٠)  |
| (٢) چون بر سر این گذشت سالی<br>عشقش بدو دستی آب میداد                       | بفزود جمال را کمالی<br>زو گوهر عشق تاب میداد<br>(نظامی: لیلی و مجنون، ص ٦٠)                   |
| (٣) کز هفت بده رسيد سالش<br>هرکس که رخش زدور ديدی<br>شد چشم پدر بروی او شاد | افسانه خلق شد جمالش<br>پادی زدعا بر او دمیدی<br>از خانه بمکتبش فرستاد<br>(نفس المرجع والصفحة) |

"وقد استولى العشق على قيس، فملاً جوانحه، وأخضع قلبه، وكانت ليلي -أيضاً- تعشقه،  
فما الحب وترعرع في قلبيهما معاً".<sup>(١)</sup>

ولما اكتمل نضج قيس وليلي كان حبهما قد بلغ الذروة؛ فراجت أنباؤه، وانتشرت في  
كل مكان، وأخذت الألسن تتناقلها، "ففسا السر، وعُرف في كافة الأماكن، وأخذ يُسمع  
بروايات مختلفة، وأصبحت على كل لسان رواية لهذه القصة المحبوكة".<sup>(٢)</sup>

"ثم لم يلبث العشق أن استبد بقيس فطار صوابه، وذهب عقله، واشتهر أمره، ولقبه  
الناس بالمجنون، وكان هو يؤيد - ذلك بتصرفاته الشاذة".<sup>(٣)</sup>

وكثر كلام القوم حول ليلي، فأخفاها أهلها عن أعين المجنون".<sup>(٤)</sup>

"فلما فصلت ليلي عن المجنون أخذت تبكي بدمع كالدر المكنون، كما أن المجنون لما  
أحس بأنه لم يعد يرى وجه ليلي، ذرف من عينيه سيلاً من الدموع".<sup>(٥)</sup>

ولم يطب لقيس قرار في مكان واحد، فأخذ يتنقل من مكان إلى آخر.

(١) از دلداري كه قيس ديدش  
اونيز هوای قيس ميجست  
دلداد و بمهر دل خريدش  
در سينه هر دو مهر ميرست  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ٦١)

(٢) اين پرده دريده شد زهر سوی  
ز قصه كه محكم آيتي بود  
وان راز شنیده شد بهر کوی  
در هر دهني حکایتی بود  
(المرجع السابق، ص ٦٣)

(٣) يكباره دلش ز پا درافتاد  
وآنسان كه نيوفتاده پوند  
اونيز بوجه بينوائی  
هم خيك دريد وهم خرافتاد  
مجنون لقبش نهاده بودند  
ميداد برايین سخن گوائی  
(المرجع السابق، ص ٦٤)

(٤) از بس كه سخن بطعنه گفتند  
از شيفته ماه نوه نهفتند  
(نفس المرجع والصفحة)

(٥) ليلي چوپريده شد ز مجنون  
مجنون چو نديد روی ليلي  
می ريخت ز دیده در مكنون  
از هر مژگنه گشاد سيل  
(نفس المرجع والصفحة)

"وہام في المحلات والأسواق، وقد امتلأت عيناه بالدموع، وقلبه بالوجد، وكان ينظم أشعار العشق، وينشدها بطريقة مؤثرة، ثم يمضي في طريقه، والناس يتصايحون من خلفه، ومن أمامه، قائلين: المجنون!... المجنون!..."<sup>(۱)</sup>

وأخذ قيس يقضي أيامه ولياليه عارياً في الصحراء، بين الحيوانات والوحوش الضارية، فساءت حالته، وزاد جنونه.

وكان يذهب كل ليلة - متخفياً - إلى بيت معشوقته - رغم بعد المسافة - فيقبل الأبواب، ثم يرجع متثاقلاً"<sup>(۲)</sup>.

وكان كل من العاشقين يتبع أخبار الآخر في لهفة، وشوق؛ فكان (قيس) يقنع بتنسم رائحة من (ليلي)، كما رضيت هي بكونه يبحث عنها، فسعدا رغم البعد كالغرباء، لأنهما كانا يخشيان تجسس الرقباء"<sup>(۳)</sup>.

ولما رأى والد قيس ما حل بابنه من تباريح العشق حزن، وأشفق عليه، وفكر في وسيلة يرد بها إلى ابنه صوابه، ويهدئ بها روحه الهائمة، فاستقر رأيه على أن يخاطب له ليلي، وعرض الأمر على شيوخ القبيلة فوافقوه، واستصوبوا رأيه، فتوجه مع جماعة منهم إلى والد ليلي، ثم طلبها منه لتكون زوجة لابنه.

در دیدہ سرشک ودر دل آزار  
میخواند چو عاشقان بزاری  
مجنون مجنون ز بیش واز پس  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ۶۴)  
بنہان رفتی بکوی جانان  
باز آمدنش دراز گشتی  
(المرجع السابق، ص ۶۵)  
وآن راضی از این مجستجوی  
سازنده زدور چون غریبان  
(المرجع السابق، ص ۶۹)

(۱) میگشت بگرد کوی و بازار  
میگفت سرودهای کاری  
او میشد و میزدند هرکس

(۲) هر شب ز فراق بیت خوانان  
در بوسه زدی و باز گشتی

(۳) قانع شده این از آن بیوی  
از بیم تجسس رقیبان

ولكن والد ليلى رفض قائلاً: "إنه يُظهر الجنون، فلا يليق بنا أن نصاهر مجنوناً"<sup>(١)</sup>.  
 ثم خاطب والد قيس قائلاً: "أنت تعرف كيف يتتبع العرب العيوب، فماذا يقولون إذا أقدمتُ  
 أنا على هذا الأمر؟!.. فدع الحديث في هذا الموضوع، ولا تحاول أن تتحدث فيه بعد الآن"<sup>(٢)</sup>.  
 "فلما سمع العامريون هذا الكلام، لم يجدوا وسيلة غير الرجوع، فعادوا إلى ديارهم  
 نادمين متأثرين"<sup>(٣)</sup>.

ونصحوا قيس بترك حب ليلى على أن يزوجه من هي أجمل منها، "فلما سمع المجنون  
 نصيحة أهله، ازداد اضطراباً من شدة مرارتها، فلطم وجهه، وشق قميصه.. وماذا يستطيع  
 أن يفعل غير هذا؟!...!"<sup>(٤)</sup>.

وهام على وجهه في الصحراء مرة أخرى، وأخذ ينشد الأشعار المؤثرة، "فتحير الناس في  
 أمره، وصار كل من رآه يرثي لحاله"<sup>(٥)</sup>.

ثم فكر والده في طريقة يدفع بها عنه حرارة العشق، فقرر أن يحمله إلى مكة في موسم  
 الحج، ليدعو الله في بيته الحرام، ويسأله أن يُبعد عنه حرارة العشق، وأن يفك عنه قيوده،

- 
- (١) ديوانگي همی نمايد ديوانه حريف مانشايد  
 (نظامی: ليلى ومجنون، ٧٢)
- (٢) دانی که عرب چه عیب جویند این کار کنم مرا چه گویند  
 بامن بکن این سخن فراموش ختم است برین و گشت خاموش  
 (المرجع السابق، ص ٧٢)
- (٣) چون عامریان سخن شنیدند نومید شده ز پیش رفتند  
 جز باز شدن درى ندیدند آزرده بجای خویش رفتند  
 (المرجع السابق، ص ٧٢)
- (٤) مجنون چو شنید پند خویشان زد دست و پیرید پیرهن را  
 از تلخی پند شد پریشان کاین مرده چه میکند کفن را؟  
 (المرجع السابق، ص ٧٣)
- (٥) حیران شده هرکسی در آن پی میدید وهمیگریست بروی  
 (نظامی: ليلى ومجنون، ص ٧٤)

وحمله إلى هناك؛ ولكن المجنون دعا الله أن يزيده عشقًا. فقال: "يارب بعزة ربوبيتك، وجلال ألوهيتك، اجعلني أبلغ أقصى درجات العشق، حتى يبقى حبي بعد فنائي... وامنحني النور من عين العشق، ولا تحرمني منه أبدًا؛ ولو أنني سكرت من شراب العشق، إلا أنني أدعوك أن تجعلني أكثر عشقًا من هذا ما دمت حيًّا.... إنهم يقولون خَلَّص نفسك من العشق، وابتعد عن قلبك حُبَّ ليلي، فيارب هبني - في كل لحظة - ميلاً أعظم إلى ليلي، وخذ ما بقي من عمري، وزده في عمرها، فرغم أنني أصبحتُ - من شدة الغم - نحيلًا مثل شعرها، إلا أنني أتمنى ألا تنقص شعرة من رأسها".<sup>(۱)</sup>

ولما سمع والده هذا الدعاء رجع يائسًا، وعرف أن داء عشقه ليس له دواء.

أما قوم ليلي فقد ساءهم عشق المجنون لابنتهم، وذكره اسمها في أشعاره، فشكوه إلى الوالي، فأباح الوالي دمه.

وعلم والد قيس بإباحة دم ابنه، ففزع، وأرسل شخصًا للبحث عنه، فأخذ يقتفي آثاره حتى اهتدى إلى مكانه، ثم توجه إليه، فوجده جالسًا في غار، وقد وضع رأسه على حجر، وأخذ يئنشد قصائده، فتأثر، وتألّم لحاله، وقال له: "يا مفتونًا!.. إلى متى هذا الاضطراب؟!.. ويا محترقًا بجمرة العشق!.. إلى متى هذا الطيش؟!.."<sup>(۲)</sup>.

(۱) یارب بخدائی خدائیت  
کز عشق بغایتی رسانم  
از چشمه عشق ده مرانور  
گرچه ز شراب عشق مستم  
گویند که خوز عشق واکن  
یارب تو میرا بروی لیلی  
از عمر من آنچه هست بر جای  
گرچه شده ام چو مویش از غم

(۲) ای شیفته چند بیقراری  
وی سوخته چند خامکاری  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ۸۶)

وانگه بکمال پادشائیت  
کومانند اگرچه من نامم  
واین سرمه مکن ز چشم من دور  
عاشق تر ازین کنم که هستم  
لیلی طلبی زدل رهاکن  
هر لحظه بده زیاده میل  
بستان وبعمر لیلی افزای  
یک موی نخواهم از سرش کم  
(المرجع السابق، ص ۸۰- ۸۱)

ثم أخذ يؤنبه قائلاً: "ألم تتعب من شدة الغم، ومن كثرة تلقي طعنات الأعداء؟!.. ألم تملأ القلب من الملامة؟!.. ألم تستيقظ رغم هذه القيامة؟!.. ضع حدًا لهذا العشق الذي شقيت به، فقد أضعت هيبتك، وأذهبت ماء وجهي!..."<sup>(١)</sup>.

ولكن المجنون أجاب قائلاً: "حيث إن الأمر ليس باختيارنا، فإن تحسين الحال (وتغييره) ليس من شأننا"<sup>(٢)</sup>.

فلما أيقن والده أنه لم يتأثر بنصيحته حزن، وحمله إلى منزله حيث جمع حوله بعض أصدقائه، ولكن المجنون ظل شارداً اللب مضطرب الفؤاد وقتاً، فلم يفلح أصدقاؤه في إدخال السرور إلى قلبه، ولم يطق المجنون البقاء في المنزل، فهرب إلى الصحراء من جديد وعاش فيها. "وصار من شدة الاضطراب كالشيطان الثمل، فأصبح يضع الحديد في رجله، ويحمل الحجارة بيديه، وكان ينشد أشعار الغزل مختلفة الألحان، كلما ثارت إحساساته، فاجتمع الخلائق من كل صوب - حول مكانه - وأخذوا يرقبون أحواله، ويسجلون كل قصيدة يسمعونها - بواسطة الكتابة أو الحفظ، ثم حملوا شعره إلى الآفاق، فسعد العشاق بهذه الأغاني"<sup>(٣)</sup>.

وز طعنه دشمنان كشيدن؟  
زننده نشدى بدايين قيامت؟  
كاب من وسنگ خویش بردی  
(نفس المرجع والصفحة)  
به كردن کارکار مانیست  
(المرجع السابق، ص ٩٠)  
آهن بریای وسنگ بردست  
گفتی غزلی بهر خروشی  
نظاره شدی بگردان کوه  
در خاطر ودر قلم کشیدند  
زان غنیه غنی شدند عشاق  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ٩١-٩٢)

(١) مانده نشدى زغم كشيدن  
دل سير نگشتی از ملامت؟  
بس کن هوس که پیش بردی

(٢) چون کار باختيارما

(٣) برنجدشدى چوديو سمرمت  
چون بر زدى از نفيير جوشي  
از هر طرفي خلائق انبوه  
هر نادر كز او شنيدند  
برند به تحفه ها در آفاق

أما ليلي؛ فلم تكن حالها بأحسن من حال قيس، فقد كان توالي السنين يزيد لها عشقاً، ولهفة لرؤية معشوقها، والجلوس معه، وكانت تعلق الهضاب، وتنظر إلى الطريق، أماً في أن تحظى برؤيته، ولو مرة.

ولكنها كانت تخفي حبها خوفاً من الرقباء، فكانت تحمل النسيم تحياتها لقيس، وتبثه شوقها إليه.

ثم نضجت ملكتها الشعرية فتمكنت من نظم الشعر الفصيح، فاتخذت الشعر وسيلة لبث أشواقها، وإيصال سلامها إلى معشوقها، فكانت - أحياناً - ترسل إليه رسالة شعرية - مع أحد المارين - وتعبّر فيها عن مشاعرهما، وما تكنه له من حب، وما تشعر به من شوق للقائه.

وكان قيس يجيبها شعراً كذلك. وقد صور الشاعر ذلك في قوله: "كانت تنظم أبياتاً كالدر المكنون، تناسب حال المجنون، وكان هو يجيب بنفس الطريقة، فيرد على الأبيات المنتهبة - من نيران الشوق - بأخرى رقيقة، تلقي على قلبها برداً وسلاماً، وكانت ترسل الورقة التي تحمل الأبيات في الخفاء ممزوجة بدم قلبها، بأن تلقىها إلى عابر سبيل، ليحمل رسالة الزهر الباسم إلى السر والجميل.. وكان الشخص الذي يحمل الرسالة يقرأها فيرقص من جمال ما فيها من شعر، ثم يسلمها إلى المجنون؛ فيقول - على البديهة - شعراً في جوابها، وقد تبادل العاشقان رسائل عديدة بهذه الطريقة"<sup>(۱)</sup>.

(۱) خواندی بمثل چو در مکنون  
آتش بشنیدی آب گفتمی  
وان بیتک را بر او نوشتمی  
دادی بسمن ز سرو پیغام  
بر خواندی ورقص در گرفتمی  
کزوی سخن غریب زادی  
گفتمی بنشان آن نشانه  
میرفت پیام گونه چند  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ۹۵)

(۱) بیتمی که ز حسب حال مجنون  
آنرا دیگری جواب گفتمی  
پنهان ورق بخون سرشتمی  
پراهمگذری فکندی از بام  
آن رقعه کسی که بر گرفتمی  
بردی و بدان غریب زادی  
او نیز بدمی روائه  
زین گونه میان آن دودلبند



وذات مرة - بينما كان الفصل ربيعاً - اجتمعت ليلى ببعض زميلاتهما في بستان، فأخذت تذكر معشوقها. وفجأة مر شخص ينشد بعض أشعار المجنون، فاضطربت، ولاحظت إحدى زميلاتهما ذلك، فقصته على والدة ليلى، فشددت الرقابة عليها، فأصبحت ليلى محصورة كالكنز، وكالقمر داخل هالته، وصارت ضيقة القلب كالضباب، تخفي بين جوانحها غمًا قاتلاً كالسيف".<sup>(١)</sup>

وبينما كانت ليلى في البستان، رآها شابٌ من قبيلة بني أسد، يُدعى ابن سلام، وكان ذا جاه وفضل، فأرسل إلى قومها يخاطبها لنفسه، "فجلس والدها ووالدتها يتشاوران في الأمر، وعلّقاً أملاً كبيراً على تلك الخطبة، وقررا أن قوله صادق قبولاً، ولكن هذا الأمر يجب أن يتأخر بعض الوقت، لأن ليلى - بستان هذا الربيع الجديد - تبدو عليها عوارض المرض".<sup>(٢)</sup> ففرح ابن سلام ورجع إلى قومه مسروراً.

وفي ذلك الوقت أيضاً، كان رجل من فضلاء العرب يدعى "نوفل" - يصطاد بالقرب من المكان الذي أقام المجنون فيه، فرأى المجنون مضطرباً، يعيش بين الحيوانات ممزق الثياب؛ وسأل عن حقيقته، فعرف أنه فتى عاشق من قبيلة بني عامر، وقص رفاقه عليه قصته، فرّق له، وجلس إلى جانبه، وتحدث معه، ثم وعده ببذل كل وسيلة للجمع بينه وبين ليلى، سواء عن طريق المال، أو بقوة السلاح، فطيّب بذلك خاطره، ثم حمّله ليقضي معه بعض الوقت في لهو وسرور، فقبل المجنون دعوته، وهدأ "فأصبح بهدوئه ووقاره زينة لمجلس الطرب، وكان ذلك الرجل العظيم الكريم، يسرّي عنه، ويُدللّه بكل وسيلة، فلا يأنس إلا بوجوده،

(١) می بود چوماه در عمارى  
میخورد غمی نهفته چون تیغ  
(المرجع السابق، ص ١٠٠)

(٢) وامید در آن حدیث بستند  
لیکن قدری درنگ پیش است  
دارد عرضی زناتوانی  
(نظامی: لیلى و مجنون، ص ١٠٢)

(١) لیلى كه چو گنج شد حصارى  
میزد نفسى گرفتته چون میغ

(٢) هم مادر وهم پدر نشتند  
گفتند سخن بجای خویش است  
کاین تاز بهار بوستانی

ولا يشرب الخمر إلا بصحبته الجميلة، ففضيا معاً بضعة أشهر في لهو ومرح، يشربان الخمر ويمرحان<sup>(۱)</sup>."

ولكن المجنون تذكر ليلى، وأحس بمرارة الفراق، فلام نوفل على تقصيره في الوفاء بما وعد به، وأخذ يحثه على البر بوعده، ويصور له مبلغ ما يحس به من تبايح العشق، ويقول له: "إنني لا أستسيغ من رجل مثلك قولاً لا وفاء فيه، لأنني بدون المعشوقة ضعيف عليل، كالظمان البعيد عن ماء الحياة، فكما يجب إعطاء الماء للظمان، ومَنح الثروة للقربة الخربة المحتاجة، يجب أن توصلني بليلى، وإلا فذبح متيماً مثلي يهيم في الصحاري، وفك قيدي، فيجب أن توصل ليلى إليّ، وإلا فلن أوجد، ولن توجد الحياة"<sup>(۲)</sup>.

فتأثر نوفل بكلام قيس، وجمع جيشاً، وسار به إلى قوم ليلى، ثم أرسل رسولاً لمفاوضتهم، فخيّرهم الرسول بين الحرب، وبين أن يقبلوا زواج المجنون من ابنتهم ليلى. وقد رفض قوم ليلى فكرة الزواج، فقامت الحرب بين الطرفين، وكان قوم ليلى أكثر عدداً، فاضطر نوفل إلى قبول الصلح، وزالت - بالصلح حالة الحرب بين الطائفتين<sup>(۳)</sup>.

شده عاقل مجلس معاني  
میداشت بصد هزار نازش  
می جز بجمال او نمیخورد  
کردند بهم شراب خواری  
(المرجع السابق، ص ۱۰۷-۱۰۸)

از چون توکسی روانه بینم  
چون تشنه ز آب زندگی دور  
گنجی بده خراب دادن  
ورنه شده گیر شیفته باز  
ورنه نه من ونه زندگی  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ۱۰۸-۱۰۹)

تا از دو گروه شد جنگ  
(المرجع السابق، ص ۱۱۴)

(۱) مجنون بسکونت و گراتی  
وآن مهتر مهیمان نوازش  
بی طلعت او طرب نمی کرد  
ماهی دوسه در نشاط کاری

(۲) قوی که در او وفانه بینم  
بی یار منم ضعیف و رنجور  
شرطست بتشنه آب دادن  
گرسلسله مراکتی ساز  
گر لیلی را بمن رسانی

(۳) صلح آمد دور باش در چنگک

ولكن المجنون ثار على نوفل، وعاتبه عتابًا شديدًا، فاعتذر نوفل بقلة عدد رجاله في المرة الأولى، ووعد بمعاودة الحرب، حتى يتم له ما يريد، ثم جمع جيشًا كبيرًا، ولم تلبث الحرب أن قامت - من جديد - بينه وبين قوم ليلي، فانتصر قوم نوفل "وأمعنوا في خصمهم قتلاً وتجريراً"<sup>(١)</sup>.

ثم أسرع قوم ليلي إلى نوفل يحاولون استرضاءه، فطلب منهم ألا يقفوا في طريق المجنون، وأن يدعوه يتزوج ليلي التي يعشقها، ويتفانى في حبها، فتصرَّع والد ليلي إلى نوفل أن يُعفيه من هذا الشرط، لأن من العار عليهم أن يصاهروا مجنونًا، ثم قال له: "إما أن تستجيب لتضرعي، وتعفيني من هذا القيد، فندعوك بأن تعيش حُرًا طليقًا دائمًا، وإلا فيني أقسم بالله أنني حينما أعود إلى ديارى، وأبتعد عن تحكمك، سوف أقتل هذه العروس الجميلة، وألقي برأسها في الطريق أمام الكلاب، حتى أتخلص من اسمها وعارها، واستريح من الحرب والصلح بسببها"<sup>(٢)</sup>.

فرَّق نوفل لحاله، وكفَّ عن التدخل في الموضوع، بينما لامه المجنون، وازداد اضطرابًا، وأسرع إلى الصحراء، يعيد سيرته الأولى، ويعاود معيشته بين الوحوش.

وألفت الحيوانات المجنون، فاجتمعت حوله، وكان هو يحاول تخليص بعضها من شبكة الصيادين، فاطمأنت إليه، واطمأن إليها، وتابع حياته على هذه الصورة<sup>(٣)</sup>.

(١) بر خصم زند شكستند كشتند وبريختند وختند (نظامی: لیلی ومجنون، ص ١١٧)

(٢) گر هیچ رسی مرا بفریاد ورنه بخدا که بازگردم برم سر آن عروس چون ماه تابازرهم زنام ونگش آزاد کنی که بادی آزاد ورنارتو بی نیاز گردم در پیش سگ افکنم در این راه آزاد شوم ز صلح وجنگش (المرجع السابق، ص ١١٩ - ١٢٠)

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٤ - ١٢٩.

وذات یوم، كان المجنون یستريح تحت شجرة فأبصر غرابًا، فخطبه - راجيًا إياه - أن یخبر معشوقته بما یعانيه في سبيل حبها، ثم یتوسط في الجمع بينهما، وأخذ یقول له: "قل لمعشوقتي (على لسانی) في اليوم الذي تصل فيه إليها - إن حالي قد ساءت لبُعْدِكَ عنه، فأنقذيني لأنك إن لم تنقذيني فسوف أهلك في هذه الصحراء الخربة، وإني أخشى أن أموت بسبب هذا العشق الذي استبد بي، إن لم تأخذ بيدي، وتعملي على خلاصي، وأن تأتي يومًا أكون فيه قد متُّ، وحملتُ حبك إلى التراب"<sup>(۱)</sup>.

ومرة، كان المجنون یولی وجهة شطر منازل لیلی، فأبصر عجوزًا تضع حبلًا في عنق رجل - وكأنه أسیر - ثم تقوده، وتطوف به بين القبائل، فرقَّ المجنون لحال الرجل، واستفسر عنه، فعرف أنها حيلة من المرأة والرجل لجمع الصدقات، فأرسل المجنون إلى المرأة، وتوسل إليها أن تقوده هو، وتتوجه به شطر منازل معشوقته، فقبلت، وسار معها "وكان كلما وصل إلى باب خيمة عَنِّي - بجنون - أشعار العشق، وذكر اسم لیلی وأكل الحجارة، ثم رقص"<sup>(۲)</sup>.

وأخذ یناجي معشوقته بهذه الطريقة، ویبكي، ویتذكر ما أصابه بسبب الحب، وكيف أنه أصبح یحترق كالشمعة، وكاد ینتهي، وأنه - لذلك - یود أن یلقاها، لیموت تحت قدميها، ووجه - لها الخطاب، قائلاً: "أفضل أن أموت تحت قدميك على أن أعیش معذب الروح،

(۱) روزیکه رسی بنزدیام  
دریاب که گرتونیایی  
گفتی که مترس دستگیرم  
روزی ای که مرده باشم  
گو بی تو زدست رفت کارم  
نا چیز شوم در این خرابی  
ترسم که در این هوس بمیرم  
مهرتو بخاک برده باشم  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ۱۳۰)

(۲) چون بر در خیمه رسیدی  
لیل گفתי و سنگک خودری  
مستانه سرود برکشیدی  
در خوردن سنگک رقص کردی  
(المرجع السابق، ص ۱۳۳)

فإذا لم يكن لي طريق إليك، فإنني - بعد الآن - سوف أنزوي، وأتأوّه وأنطوي على نفسي، فلا أجهر بالتأوّه، حتى لا يُصدّع رأسك".<sup>(١)</sup>

ثم غلب عليه الوجد "فانطلق كالسهم - بعد أن قال هذا - وازداد جنونًا، فقطع الحبل، وكرّر راجعًا إلى الصحراء، وكأنما تحبّطه مسّ من الشيطان".<sup>(٢)</sup>

أما ليلي، فإن قومها لما فرغوا من حرب نوفل، وأمنوا عدم مساعدته للمجنون، عقدوا لابن سلام عليها، ولم تثبت أن زُفّت إليه، فكانت مضطربة قلقة، وصارت في حيرة من أمرها، فلم تكن تحب ابن سلام، ولكنها في الوقت نفسه - كانت مضطربة لأن تقاسمه الحياة.

وحاول ابن سلام أن يرضي ليلي باللين من القول، وبالوعود الخلابة ولكنه فشل، فلم يستطع أن ينال منها شيئًا، بل إنها أقسمت له قائلة: "سوف لا يتحقق غرضك مني، ولو أراق سيفك دمي".<sup>(٣)</sup>

وعلم المجنون بزواج ليلي، فازداد اضطرابًا، ويَمّم شطر ديارها، ثم أرسل إليها عتابه مع الريح، قائلاً: "لقد اشتريتُ حبك بالروح، فاخترتِ أنتِ حبّ راجلٍ آخر".<sup>(٤)</sup>

- |  |   |
|--|---|
| (١) در پای توبه که مرده باشم<br>چون نیست مرا برتوراهی<br>سر داده و آه برنیام | تا زنده وبی توجان خراشم<br>زین پس من وگوشه واهی<br>تا پیش تو درد سر نیارم<br>(نظامی: لیلی و مجنون، ص ١٣٥) |
| (٢) این گفت وز جای جست چون تیر<br>از گوهه غم شکوه. بگرفت                     | دیوانه شد و برید زنجیر<br>چون کوهه گرفته کوه بگرفت<br>(نفس المرجع والصفحة)                                |
| (٣) کز من غرض تو برنجیرد   | ور تیغ تو خون من بریزد<br>(المرجع السابق، ص ١٤١)  |
| (٤) من مهر ترا بجان خریده  | تو مهر کسی دگر گزیده<br>(نظامی: لیلی و مجنون، ص ١٤٧)  |

ثم بيّن لها كيف خانت العهد، وسجل عليها هذه الخيانة، فقال لها: "حينما يتحرون عن العهد، ماذا يقولون عنك غير أنك خُنْتِ العهد؟!".<sup>(١)</sup>

وفي تلك الأثناء، اشتاق والد المجنون لرؤية ابنه، فذهب إلى الصحراء - للبحث عنه - حتى وجدته، ولكن المجنون لم يعرفه أولاً، "فقال له والده: أنا أبوك، أبحث عنك بقلب محترق".<sup>(٢)</sup>

فهدأ المجنون، وعرف والده، وركع ليقبل قدميه، ثم قبّل كل منهما الآخر، وطلب والده منه أن يقضي ما بقي من عمره في منزله قائلاً: "يا روح والدك، أقبل مسرعاً، وأنقد روح والدك قبل أن تذهب، وعمرّ المنزل قبل أن أموت".<sup>(٣)</sup>

غير أن المجنون اعتذر عن قبول دعوة والده، قائلاً: "أعرف أن أمرك واجب التنفيذ، وأحاول أن أنفذه فلا أستطيع، وليس عندي عقل، فلمَ تعجب من تصرفاتي؟!.. إني - وأنا عاشق - أرى أن العالم - جميعه - لا يساوي حبة شعير؛ وقد ساء حظي، فأصبحت لا أعي شيئاً مما سمعته"<sup>(٤)</sup>.

فرجع والده حزيناً، ثم مرض من شدة الغم، ومات سريعاً.

- |   |   |
|---|---|
| (١) چون عهده عهد باز جویند<br>(المرجع السابق، ص ١٤٨)  | جز عهد شکن ترا چه گویند<br>(المرجع السابق، ص ١٤٨)   |
| (٢) گفتا پدر توام بدین روز<br>(المرجع السابق، ص ١٥١)  | جویای تو بادل جگرسوز<br>(المرجع السابق، ص ١٥١)  |
| (٣) ای جان پدر بیا ویشتاب<br>زان پیش که من در ایم از پای  | تاجان پدر نرفته دریاب<br>در خانه خویش گرم کن جای<br>(المرجع السابق، ص ١٥٥)  |
| (٤) فرمان تو کردنی است دانم<br>برمن زخرد چه سکه بندی<br>عالم همه حب نیرزد<br>بختم نه چنان بباد داداست | کوشم که کنم نمیتوانم<br>برسکه کارمن چه خندی؟!<br>در خاطر من که عشق ورزد<br>کز هیچ شنیده ایم باداست<br>(نظامی: لیل و مجنون، ص ١٥٦) |

وسمع المجنون بوفاة والده، فأسرع إلى قبره، وأخذ يبكي، ويترحم عليه، ويسأل الله أن يغفر خطاياها هو، لأنه أحدث لوالده كثيرًا من المتاعب، وسبب له مزيدًا من الحزن والتألم، ثم رجع مسرعًا إلى الصحراء، ليأنس بالوحوش من جديد<sup>(١)</sup>.

"وسار يومًا بين أنحاء تلك الهضبة، فمر على منازل قوم معشوقته، فرأى اسمي ليلي والمجنون مكتوبين معًا في ورقة، بطريقة توحى بما بينهما من وفاء، فحك بظفره الورقة، فمحا اسم معشوقته، وبقي اسمه، فقال الناظرون: ما الحكمة في أن أبقيت - من الاسمين - اسمًا واحدًا، فأجاب بأن الأفضل أن يرمز لنا بشخص واحد، لأننا اتحدنا، فصرنا قلبًا واحدًا، فيكفينا اسم واحد<sup>(٢)</sup>".

وأنست الوحوش بالمجنون، وكان كلما مر عليه مسافر قدم له طعامًا، فكان يأكل منه، ثم يلقي الباقي لتطعم منه الحيوانات، مما جعلها تلتف حوله، وتطيعه، وصار هو كالمملك عليها. وقد علق نظامي على ذلك بأن الإحساس يأسر الحيوانات، ويجعل الوحوش مستأنسة، وخاطب الإنسان بقوله "وأنت أيضًا - إذا فعلت ما فعله، فإنك سوف لا تحمل هم الدنيا، ولو كان الخليفة جليسك، لأنه سيصبح خادمك بعد أن يأكل طعامك<sup>(٣)</sup>".

(١) المرجع السابق، ص ١٦٢ - ١٦٦.

(٢) روزی ز قرار گاه آن دشت  
دید از قلم وفا سرشته  
ناخن زد آن ورق خراشید  
گفتند نظاگان چه رایست  
گفتارقمی په ار پس افتد  
برخاک دیار یار بگنشت  
لیلی مجنون بهم نوشتته  
خود مانند ورفیق را تراشید  
کز هر دو رقم یکی بجایست  
کز مادورقم یکی بس افتد  
(المرجع السابق، ص، ١٦٦ - ١٦٧)

(٣) توپنز گر آن کنی که او کرد  
همخوان تو گر خلیفه نامست  
خوناب جهان نبایدت خورد  
چون از تو خورد ترا غلامست  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ١٧٢)

وذات ليلة جلس المجنون يراقب النجوم ويناجيها، فخطب الزهرة بقوله: "تلطفي - بما لك من لطف - فافتحي أمامي باب الأمل، وأوصلي رائحة من المعشوقة إلى مشامي، فإنها دواء لروحي الهائمة، وإن الوقت الآن مناسب لها"<sup>(١)</sup>.

ثم وجه الحديث إلى المشتري قائلاً: "انظر إليّ بوفاء، وإذا كانت لديك وسيلة - لمعاونتي - فهيها"<sup>(٢)</sup>.

ولكنه يئس من الاستعانة بالكواكب، فالتجأ إلى الله خالق الجميع، وخطبه، "فقال: يا من بابك ملجئي.. لم الجأ إلى أحد غيرك؟! يامن الزهرة والمشتري طوع إرادتك.. إنك ربُّ الجميع.. إن علمك أكثر مما يعرف الخلق، وإن فضلك أعظم مما يطلبون"<sup>(٣)</sup>.

وختم مناجاته لله بقوله: "لا تحرمني من رحمتك، وأنا عاجز غريب، فأوصل بفضلك ليبي إلى نور الصباح، واجعل نهاري مباركاً بنعمة الوفاء، وخلِّص حظي من القيود والعقبات"<sup>(٤)</sup>.

"فلما فرغ من مناجاته ذهب في النوم، فرأى في الحلم صورة لحظّه الحسن، وهي أن شجرته ارتفعت، ثم طار طائر من أعلى أغصانها، وتوجه نحوه في مرح وسرور، ثم ألقي جوهرة، فاستقرت فوق مفرق رأسه، فلما استيقظ من نومه، كانت بشائر الصباح قد لاحت

(١) لطفی کن ازان لطف که داری  
زان یار که او دواى جانست  
(المرجع السابق، ص ۱۷۸)

(٢) در من بوفان نظار کن  
(المرجع السابق، ص ۱۷۹)

(٣) گفت ای در تو پناهاگام  
ای زهره ومشتري غلامت  
ای علم توبيش از آنکه دانند  
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) مگذار که عاجزی غریبم  
آن کن ز عنایت خدائی  
روزم بوفان خجسته گردد  
(نظامی: لیلی ومجنون، ص ۱۸۰)



في الأفق، فاستيقظ مسرورًا نشيطًا كالصباح، يحاول أن يحقق أحلامه في العشق، فسعد بهذا الحلم الجميل، وطار من شدة الفرح، كما طار ذلك الطائر الذي أبصره في النوم، لأن مجال الوصال ضيق في العشق، فلا يكون السرور إلا في الخيال، أو في الحلم".<sup>(١)</sup>

ثم جلس المجنون بين الوحوش كعادته، وقلبه يخفق بالآمال، وما لبث أن رأى رسولاً يأتي إليه، ويخبره بأنه أبصر ليل في حالة اضطراب وحزن، لبُعدها عنه، وأنها كتبت عشقها حتى كادت تهلك؛ ثم قال له على لسان ليلي: "كنت ليلي ولكني - الآن - أكثر جنونًا من ألف مجنون".<sup>(٢)</sup>

وسلمه رسالة منها، قالت فيها: إنها وإن كانت مع زوج غيره، فإن قلبها متعلق به، وتود أن تعيش في كنفه، ولكنها لا تملك من الأمر شيئًا، فهي تترثي لحاله، ولكنها لا تستطيع أن تفعل شيئًا.<sup>(٣)</sup>

فلما قرأ المجنون رسالتها بكى وناح، وأخذ من الرسول ورقة وقلماً، وكتب الرد على رسالتها، فوصف لها ما يعانیه من ألم الفرقة، وأخذ يصفها بالوفاء تارة، ويلومها تارة أخرى، ثم ختم رسالته بقوله: "ليس عندي غم مادمت سالمة، ولو أن جرحي لا علاج له".<sup>(٤)</sup>

در گفتن این سخن فرو گفت  
کز خاک بر اوج شد درختش  
رفتی بر او بطبع گستاخ  
بر تارک تاج او نشانیدی  
صبح از آفتی فلک بر آمد  
میگرد نشاط مهر جوئی  
زان ورغ چو مرغ بر گرفته  
شادی بخیمال با بخوابست  
(نفس المرجع والصفحة)

مجنون ترم از هزار مجنون  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ۱۸۳)

چون تو بسلامی غمی نیست  
(المرجع السابق، ص ۱۹۸)

(١) چون يك بیک این سخن فرو گفت  
در خراب چنان نمود بختش  
مرغی بپیریدی از سرشاخ  
گوهر زدهن فروشانیدی  
بیننده ز خواب چون در آمد  
چون صبح ز روی تازه روئی  
زان خواب مزاج برگرفته  
در عشق که وصل تنگک یا بست

(٢) لیلی بودم و لکن اکنون

(٣) المرجع السابق، ص ۱۸۶ - ۱۹۰.

(٤) بازخم من آنچه مرهمی نیست

وفي تلك الأثناء حاول خال المجنون - وكان يدعي "سليم العامري" أن يراه، فأخذ يبحث عنه حتى وجده، فألفاه ممزَّق الثياب، يعيش في ذهول وحيرة، فعرض نفسه عليه، ولكن المجنون لم يعرفه، فعرفه سليم بنفسه، فاطمأن إليه، وجلس بجواره؛ ثم حاول سليم أن يقدم للمجنون ثوبًا وطعامًا، فرفض، وطلب منه أن يحضر له والدته ليراها.

فرجع سليم، ثم عاد إليه - مرة أخرى - ومعه والدته، فسرَّ المجنون برؤية والدته، وأرادت هي أن تحمله معها إلى المنزل، فلم يقبل فرجعت حزينة، ثم لم تلبث أن مرضت، وماتت، فزاره خاله للمرة الثالثة، وأنبأه بما حدث فبكى المجنون، وتذكر والديه، وأسرع للجلوس على قبريهما. وعلم بنو قبيلته بما فعل، فذهبوا إليه، وواسوه، فهدأ قليلاً، ثم صرخ، وتركهم، وقلل راجعًا إلى الصحراء؛ وأخذ يهيم على وجهه، وصار حزينًا مغمومًا، وتبعته بعض الحيوانات، بعد أن أصبح وحيدًا، لا صديق له.<sup>(١)</sup>

ولما وصلت رسالة المجنون إلى ليل بكت حتى بلبل دمعها الرسالة، ثم صممت على رؤية معشوقها بأية وسيلة - رغم تجسس الرقباء، فاستعانت بشيخ مجرب خبير بمسالك الصحراء، وأعطته بعض المال، لكي يهيئ لها فرصة لقاء المجنون، والجلوس معه.

ونجح الشيخ في مهمته، فتمكنت ليل من رؤية قيس، ولكنه لم يكد يراها حتى سقط على الأرض مغشيًا عليه، فلما أفاق قرأ عليها بعض أشعاره التي تغنى فيها بحبه، ثم أخذ يناجيها "فلما فرغ من هذا عاد إلى الصحراء، وقلبه يتفطر حزناً، وعقله يطير شعاعاً، أما معشوقته الجميلة، فقد رجعت - إلى مخيمها - من حيث أتت".<sup>(٢)</sup>

(١) آهي زد وراه كوه برادشت  
ميگشت بگرد كوه وهامون  
مشتي ددگان فتاده ازيس  
رخت خود آزان گروه برادشت  
دل پرجگر و جگر پرازخون  
نه ياركس ونه يارواكس  
(نظامی: لیلی و مجنون، ص ٢٠٧)

(٢) اين گفست وگرافت راه صحرا  
خون در دل ودر دماغ صفرا  
وان سرو رونده زان چمنكاه  
شد روی گرفته سوی خرگاه  
(المرجع السابق، ص ٢١٨ - ٢١٩)

وسمع شاب ثري - يدعي "سلام"<sup>(١)</sup> - قصة المجنون، وكان هو عاشقاً متيمًا، فتوجه إلى ديار المجنون، وظل يبحث عنه حتى وجده، فجلس بجواره، والتفت الوحوش حولهما، ثم قدم له طعامًا ولباسًا، فلم يقبل شيئًا؛ فأقام معه بضعة أيام، كان في إثنائها يسجل شعره، ويحفظه؛ ثم رحل، وتركه، وصار راوية لأشعاره، وقد أثرت أشعار المجنون في الناس، فاستولت على مشاعرهم، وسلبت عقولهم، "فكان (سلام) كلما قرأ قصيدة، في مكان ما، اضطربت عقول السامعين"<sup>(٢)</sup>.

أما ليلي فإنها زوجها لم يلبث أن مرض ومات، بعد أن قضى معها مدة، لم تحقق له في إثنائها رغبة، ولم تشعره بأي حب أو ميل، فتظاهرت بالحزن "وأخذت تندب زوجها في الظاهر، وتبكي على فراق معشوقها في الحقيقة"<sup>(٣)</sup>.

وكانت عادة العرب أن تحتجب المرأة بعد وفاة زوجها، فلا تُرى وجهها لأحد؛ فتظل في خيمتها عامين، لا ترى باب أحد، ولا يرى أحد بابها<sup>(٤)</sup>.

فاحتجبت ليلي، ثم لم تلبث أن مرضت بعد ذلك، وأحسّت بدنو أجلها، فنادت والدتها، وأوصتها قائلة: "اجعلي كفني أحمر اللون لأني شهيدة، حتى يكون - هذا اللون لون ثياب زفاني (يوم القيامة)، وزيني كالعروس، وأسلميني للتراب مغطاة الوجه، فإنني أعرف أن

(١) ذكر نظاي في منظومته هذه أن "سلام" كان من أهل بغداد، رغم أن بغداد لم تكن قد بُنيت في الوقت الذي وجدت فيه قصة عشق ليلي والمجنون، ويبدو أن الشاعر أخطأ في ذكر هذه الواقعة. وقد ورد في كتاب "تزيين الأسواق" للأنطاكي، ص ٦٤. أن "سلام" رجل شامي، ولعل هذا أقرب إلى الحقيقة مما ذكره نظاي.

(٢) هرجا كه يكي قصيده خواندى هوش شنونده خيره ماندى (نظاي: ليلي ومجنون، ص ٢٢٦)

(٣) ميكرد ز بهر شوى فرياد وأورده نهفته دوست را ياد (المرجع السابق، ص ٢٣٦)

(٤) رسم عريست كز پس شوى نمابد زن بهيچكس روى سالى دويخانه در نشنيد أو دركس وكس در أو نينيد (نفس المرجع والصفحة)

معشوقى حينما يعلم أنى اغتربت عن وطنى سوف يأتى ليسلم على قبرى - على سبيل العزاء؛ فإذا جلس على قبرى فسوف يبحث عن القمر، ولكنه لن يجد إلا التراب، فيبكي ذلك الغريب المسكين من شدة الحزن والألم.... إنه معشوقى، وهو حبيب عزيز للغاية، وهو تذكاري لديك، فأكرميته بحق الله عليك، ولا تنظري إليه باحتقار، فقد كنتُ أُعزُّه، فأعزِّيه أنت - أيضًا - مثلي، وقولي له: إن ليلى حينما تخلصت من قيود هذه الدنيا الكثيبة، كانت تُسلم جسدها للتراب في سبيل حبك، وتسلم الروح الطاهرة، مطوية على ذكراك، فقد أخلصت في عشقها إياك، وقدمت روحها قربانًا للعشق، فلم نسأل عن أحوالها حينما رحلت؟!.. إنها خرجت من الدنيا بحبك.

وكانت حتى آخر لحظة من حياتها، لا تحمل غير همك، وفي الوقت الذي كانت تودع فيه الحياة حزنًا على فراقك، كانت تحمل زاد طريقها من إحساساتك، واليوم - وهي خلف

حجاب التراب - تتألم حينئذ إليك، وهي كالمنتظرين في طريق الآخرة، تقف قبلك لترقب مجيئك، وستقف وترقب حتى تلحق بها<sup>(۱)</sup>.

ثم لفظت ليل نفسها الأخير، فقام أهلها بدفنها حسب الوصية، وعلم المجنون بوفاتها، فأخذ يبكي وينوح، وازداد اضطراباً وجنوناً، ثم صار يدعو الله أن يخلصه مما هو فيه من عناء، ويوصله إلى محبوبته، فناجاه بقوله: "يا خالق كل الموجودات، أدعوك وأتوسل إليه بأحب المخلوقات إليك، أن تخلصني من محنتي، وأن توصلني إلى حضرة معشوقتي؛ حتى أخلص من قيد الروح، وأستريح بالرحيل من الدنيا<sup>(۲)</sup>".

تا باشد رنگ روز عیدم  
بسپار بچاک پرده دارم  
کاواره شدم من از وطن گاه  
آید بسلام این عماری  
مه جوید لیک خاک بیند  
نالد بدریغ و درد ناک  
از من ببرتو یادگار است  
در وی نکنی نظر بجواری  
وآن قصه که دانیش بگوئی  
تونیز چو من عزیز دارش  
آن لحظه که میرید زنجیر  
بریاد توجان پاک میداد  
جان در سر کار عاشقی کرد  
باعشق تواز جهان برون رفت  
جز باغم و نداشت کاری  
غمهای تو راه توشه می برد  
هم در هوس دردناکست  
هست از قبل تو چشم بر راه  
سرباز پس است تاک ای  
(نظای: لیلی و مجنون، ص ۲۵۱-۲۵۲)

سوگند بهره چه برگزیداست  
در حضرت یا خویش رسانم  
وایساد کنم بسخت رانی  
(المرجع السابق، ص ۲۶۴)

(۱) خون کن کفنم من شهیدم  
آراسته کن عروس وارم  
آوراه من چو گردد آگاه  
دانم که ز راه سوگواری  
چون بر سر خاک من نشیند  
برخاک من آن غریب خاکی  
یاراست و عجب عزیز یاراست  
از بهر خدا نکوش داری  
آن دل که نیابیش بجوئی  
من داشته ام عزیز وارش  
گولیلی ازین سرای دلگیر  
در مهرتو تن بچاک میداد  
در عاشقی تو صادق کرد  
احوال چه پرسم که چون رفت  
تا داشت در این جهان شماری  
وآن لحظه که در غم تو میمرد  
و امروز که در نقاب خاکست  
چون منتظران درین گذرگاه  
می پاید تاتو در پی ای

(۲) کای خالق هرچه آفریداست  
کز محنت خویش وارهانم  
آزاد کنم ز سخت جانی

"ووضع المجنون رأسه على قبر معشوقته - بعد أن قال هذا - وضم القبر إلى صدره، وأخذ يقول: يا معشوقتي حتى فاضت روحه، فعبر من نفس الطريق، ومن ذا الذي لا يعبر من هذا الطريق؟!..."<sup>(١)</sup>

"وظل المجنون ملقى على تلك الصورة شهرًا وقيل عامًا"<sup>(٢)</sup>.

وكانت الوحوش تحرسه، فلم يجرؤ أحد على أخذه ودفنه، حتى شاع نبأ موته بين القبائل، وعلم أهله بذلك، فتوجهوا إلى المكان الذي مات فيه، "فتحوا القبر، ودفنوه بجوار معشوقته ليلي، فانما بالحب إلى يوم القيامة، وبعدت عن طريقهما الملامة، فقد كانا - في هذه الدنيا - مرتبطين بعهد واحد، فانما - في الآخرة - في مهد واحد"<sup>(٣)</sup>.

ثم ختم الشاعر منظومته بمدح حاكم شروان الذي قدم له القصة متمنيًا أن تكون عاقبتها سعيدة<sup>(٤)</sup>. وذكر أبياتًا تشير إلى تاريخ إتمامها بصفة نهائية<sup>(٥)</sup>.

هذه قصة "ليلي والمجنون" كما عرضها نظامى، وبديهي أنه اعتمد في نظمها، وتصوير مناظرها على الأصل العربي لها، فيحسن أن نقارن بين تصويره للقصة وبين أصلها العربي، حتى نستطيع أن نصدر حكمًا صحيحًا على الشاعر وفنه.

- (١) اين گفت ونهاد برزمين سر  
چون تربت دوست دربر آورد  
اؤنيز گنشت از اين گذرگاه  
وان کيست که نگذرد بر اين راه  
(نفس المرجع والصفحة)
- (٢) افتاده بماند هم رآن حال  
يکماه وشنيده ام که یکسال  
(المرجع السابق، ص ٢٦٨)
- (٣) پهلوگه دمخه را گشادند  
خفتند بنناز تا قيامت  
در پهلوى ليليش نهادند  
برخاست ز راهشان ملامت  
(نظامى: ليلي ومجنون، ص ٢٦٦)

(٤) المرجع السابق، ص ٢٧١ - ٢٧٤، وقد سبقت الإشارة إلى شيء من هذا المديح.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٧٤. حيث ذكر أن المنظومة ختمت في عام ٥٨٨هـ، وقد سبقت مناقشة ما يتعلق بهذا التاريخ.

## الفصل الثالث

### مقارنة تصوير نظامي لقصة "ليلي والمجنون" بالأصل العربي لها

لعل أهم ما نلاحظه في تصوير نظامي - لقصة "ليلي والمجنون" - أنه تقيد في تصويره لمناظرها، وفي تسلسل هذه المناظر، بالأصل العربي لها إلى حد كبير، فلم يحدث فيها تغييراً حاسماً، ولكنه - رغم هذا - أضاف إليها مناظر جديدة، جعلها تتخلل المناظر التي سجلتها المصادر العربية، لتوضيح بعض جوانب القصة، وإكمال بعض أجزاءها.

وأشهر هذه المناظر هي: ذهاب ليلي إلى البستان مع بعض زميلاتها، واضطرابها لسماع بعض غزليات المجنون، ومجيء خال المجنون إليه، وإحضار أمه لرؤيته، وقصة المجنون مع سلام البغدادي<sup>(١)</sup>، ووفاة زوج ليلي. فهذه المناظر لم تشاهد في الأصل العربي للقصة، بل أضافها نظامي إليها، في منظومته "ليلي ومجنون"<sup>(٢)</sup>.

(١) سبقت الإشارة إلى خطأ الشاعر في نسبة سلام إلى بغداد لأنها لم تكن بنيت في ذلك الوقت.

(٢) علي أصغر حكمت: رومئو وجوليت شكسبير مقايسه بليلي ومجنون نظامي، ص ١٠٢-٥٥.

كما جعل الشاعر ليلي والمجنون يتعارفان في أثناء دراستهما في مكتب - كان يتعلم فيه أبناء القبائل - فخالف بذلك الروايات العربية التي تشير إلى أنهما تعارفا بينما كانا يرعيان الإبل<sup>(١)</sup>، أو في مجمع كان يضم ليلي وبعض زميلاتها<sup>(٢)</sup>.

ولكننا - مع ذلك - نستطيع أن نقرر أن نظامى لم يحور في القصة تحويرًا كبيرًا، ولم يغيّر في تسلسل سير الوقائع تغييرًا واضحًا، لأنه وجدها قصة مشهورة ترددها مصادر كثيرة<sup>(٣)</sup>.

ويبدو من ثنايا المنظومة أن الشاعر اطلع على الأصل العربي، وتقيد به، مما جعل المجال ضيقًا أمامه، وسد في وجهه طريق الابتكار، وخلّق مشاكل جديدة في القصة، قد تُكسبها جدة وطرافة.

ويبدو هذا واضحًا إذا قارنا منظومة "ليلي ومجنون" بمنظومة الشاعر السابقة "خسرو وشيرين"؛ التي كان المجال فيها واسعًا أما الشاعر، فتمكّن من الخلق والابتكار، مما أكسب المنظومة شيئًا من الطرافة، يفوق ما نجده في منظومة "ليلي والمجنون" بمراتب كثيرة<sup>(٤)</sup>.

(١) الإصفهاني: الأغاني، ج١، ص١٧٠، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٣٥٦. وهذا ما يبدو من أشعار قيس في ديوانه الذي جمعه أبو بكر الوالي، ص٢.

(٢) الإصفهاني: الأغاني ج٢، ص١٧٨، الأنطاكى: تزيين الأسواق ص٥٣.

(٣) وردت قصة ليلي والمجنون في كثير من الكتب التي ألّفت قبل نظامى وبعده مثل: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٣٥٥-٣٦٤، الإصفهاني: الأغاني، ج١، ص١٦١-١٨٢، ج٢، ص١٧-٢، ابن نباتة: سرح العيون، ص٢٤٤-٢٤٧، البغدادي: خزنة الأدب، ج٢، ص١٧٠-١٧٣، الأنطاكى: تزيين الأسواق، ص٥٣-٧٠، حسين بايقرا: مجالس العشاق، ص٢٠٠-٢٥٦، الوالى: ديوان قيس، ص٢-١١٠، كما تحدث عنها وناقش ما يتعلق بأبطالها طه حسين في كتابه: حديث الأربعاء، ج٢، ص٤-٨.

(٤) لعل من الأسباب التي جعلت نظامى لا يبدع في قصة ليلي والمجنون، كما أبدع في قصة خسرو وشيرين أنه تسرع في نظم القصة، فأتّمها في أربعة أشهر، مما جعله لا يجد الفرصة الكافية للخلق والإبداع.



ولكننا - رغم هذا - نجد فرقاً واضحاً بين تصوير نظامي للقصة، وبين الأصل العربي لها. لأن الشاعر تأثر في منظومته بمذهبه هو في الدعوة إلى الفضيلة والتغني بالعفة، والخلق القديم، والوفاء، والتفاني في الحب، وحرص كل من العاشقين على أن يعمل ما في وسعه للقاء معشوقه. فالقصة العربية - مثلاً<sup>(١)</sup> - تجعل موقف ليلي سلبياً، فهي تحب "قيس"، ولكنها لا تستطيع أن تعصي أمر والدها، فتكتم حبها بين جوانحها، ولا تحاول أن تتصل بقيس بأية وسيلة من الوسائل، وتتزوج ابن سلام كارهة، ولكنها تعيش معه، وتؤدي ما عليها من واجبات نحوه، وينال منها ما له من حقوق الأزواج.

أما نظامي؛ فصور ليلي في صورة العاشقة التي لا تكتفي بالموقف السلبي - كأن تكتم حبها، وتقعن بذلك - وإنما تحاول أن تتصرف تصرفاً إيجابياً، وترسل الرسائل، إلى قيس، لتتلقى منه الجواب، ثم تحتال للقائه بواسطة شيخ خبير بمسالك الصحراء، أعطته بعض المال. فنظامي يجعل ليلي كقيس تشقى بالحب، وتسعى لرؤية الحبيب بمختلف الوسائل.

ورغم أن الشاعر قد جعل ليلي تتزوج ابن سلام كارهة؛ إلا أنه صورها في صورة البطلة التي لا تستسلم لغير من تحب، حتى ولو كان زوجاً شرعياً، فوجدنا ليلي تأبى أن تمكّن زوجها من نفسها، ولو أراق دمها بسيفه، وتظل متمسكة بذلك إلى آخر لحظة من حياة زوجها، الذي مرض حزناً وكمدًا، وانتهى أمره إلى التلف، وهذا يخالف - تمامًا - ما ورد في الأصل العربي للقصة.

كما فعل نظامي - في هذه القصة - ما فعله في قصة "خسرو وشيرين" من قبل فصور العواطف المتناقضة، والمشاعر المتباينة.

فهو يصور في منظومته "ليلي ومجنون" ثلاث صور من الأبوة:

(١) لا أجد ضرورة لسرد ما ورد في القصة العربية لأنها مشهورة معروفة، لا تحتاج إلى ترديد القول.

الأولى: صورة أبي المجنون، الذي يطيع ابنه في كل ما يريد، ويحنو عليه، ويسعى في سبيل إسعاده، ولكنه لا يوفّق إلى عمل شيء يجلب لابنه ما يبغيه من سعادة، فيحزن على ما حل به، ويموت كمدًا.

والثانية: صورة أبي ليلي، الذي كان على النقيض من أبي المجنون، لا يطيع ابنته، ولا يسعى لجلب السعادة لها، ولا يستجيب لعواطفها، معتبرًا دواعي الشرف أعلى منزلة من دواعي السعادة.

والثالثة: صورة نظامى نفسه، كوالد يُحب ابنه "محمد"، وهي صورة للوالد المثالي، الذي يوجه ابنه وينصحه، ويرسم له طريق السير في الحياة، ويدعوه إلى العمل والرفعة، ويرشده إلى طريق المجد.

كما صور نظامى عشق قيس في صورة مثالية تشبه عشق الصوفية، فجعله يحب للحب لا لشيء آخر، ويعشق للعشق المجرد، وهذا يشبه ما نجده عند الصوفية من عشق العشق. وقد صور نظامى عشق المجنون في صورة عاطفة لا دواء لها إلا الموت، فكل من العاشقين يعتقد أن الموت هو الوسيلة الوحيدة للقاء معشوقه، والاتحاد معه، والشعور بالسعادة الأبدية، فوجد ليلي - حينما تشعر بالموت - تطلب أن يُبلّغ المجنون أنها تنتظره، وترقب طريق قدومه، كما وجدنا المجنون يدعو الله أن يميته، وأن يخلصه من أسر الحياة إلى الفناء الذي فيه الاتحاد مع المعشوقة، والسعادة الدائمة إلى يوم القيامة.

والعشق في هذه الحالة يهب العاشق قوة عجيبة، ولذلك وجدناه يمنح المجنون قوة غريبة - كالتي منحها لفرهاد في قصة "خسرو وشيرين" - فعاش مع حيوانات الصحراء، وألفها وألفته، كما أكل الحجارة والحديد، وصبر على الجوع والعراء.

وأضفى الشاعر على كل من ليلي وقيس صفات البطولة، ليكون كل منهما جديدًا بالدور الذي يمثله في القصة، فجعل ليلي مثالاً للعفة، والإخلاص، والوفاء، والتضحية في سبيل

من تحب، وقد ظلت كذلك حتى آخر لحظة من حياتها، واستطاعت أن تظهر بطولتها - حينما شعرت بالموت يدب إلى أوصالها - فأطلعتُ والدتها على دخيلة نفسها، وصرحت لها بأنها تموت في سبيل معشوقها قيس، وطلبت منها أن تخبره بذلك، ليزداد قلبه اطمئناناً، وإيماناً بأنها أحبته، وأخلصت في حبه، وضحت بكل شيء في سبيله.

كما طلبت ليل أن يكرموا معشوقها، وألا يحتقروه، وأن ينظروا إليه كما كانت تنظر هي إليه، وهذه التصرفات الإيجابية التي أسندها الشاعر إلى ليلي ليست واضحة في المصادر العربية وضوحها في منظومة نظامي.

كما أوضحت المنظومة إخلاص قيس، ووفاءه، وتضحيته المفرطة في سبيل معشوقته، إلى آخر لحظة من حياته ثم بينت كيف مات بطلاً.

ولعل من الأشياء الجديرة بالملاحظة، أن الشاعر جعل نهاية قصة "ليلي والمجنون" تشبه إلى حد كبير نهاية "خسرو وشيرين"؛ فقد مثل قيس - بعد وفاة ليلي - نفس الدور الذي مثلته شيرين بعد وفاة خسرو، مع فارق يسير هو أن شيرين فعلت ذلك داخل القبر، بينما فعله قيس خارجه.

كما نلاحظ أن الشاعر يردد نفس النغمات التي رددتها من قبل، ويحاول أن يُنطق بعض الشخصيات بآرائه هو، فترددت - في أجزاء القصة - الدعوة إلى الفضيلة، والعدل والإقلاع عن الظلم، وحسن المعاملة، فرأيناه يتخذ من أحب الحيوانات للمجنون - لإطعامه إياها- دليلاً على أن الإحسان يأسر الحيوانات، ثم دعا الإنسان إلى فعل ذلك حتى يحبه الجميع، ويدينوا له بالولاء.

وهكذا نجد أن تصوير نظامي للقصة يختلف اختلافاً بيناً عن الأصل العربي لها، فرغم اعتماده على ما ورد في المصادر العربية، وتأثر به في تصويره لمناظر القصة، وفي تسلسل هذه

المناظر، إلا أنه لَوْنُهَا بطريقته الخاصة، فأكسبها بعض الألوان الزاهية الممتعة، ولم يحرمها من تطبيق مذهبه هو في نظم مثل هذه القصص، فانعكست فيها صوراً من هذا المذهب. ومهما يكن من شيء، فإن نظامى هو أول من نظم قصة "ليلى والمجنون" - في هذه الصورة - بالفارسية. فله بذلك فضل السبق.

وقد حاول كثير من شعراء الفارسية والتركية أن يقلدوه، فأعادوا نظم القصة، وتأثروا بما ورد في منظومة نظامى، وحاولوا أن يترسموا خطاه.

وأشهر من قلده من شعراء الفارسية: أمير خسرو الدهلوي المتوفى في عام ٧٢٥هـ، ونظم القصة تحت عنوان "مجنون وليلى"؛ وعبد الرحمن الجامي المتوفى في عام ٨٩٨هـ؛ وهاتفى المتوفى في عام ٩٣٧هـ؛ وضميرى المتوفى في عام ٩٧٣هـ، وروح الأمين المتوفى في عام ١٠٤٧هـ، الذين نظموها تحت عنوان "ليلى ومجنون".

وأشهر من قلده من شعراء التركية ميرعليشير نوائى المتوفى في عام ٩٠٦هـ، ونجاتى المتوفى في عام ٩١٤هـ؛ وخيالى المتوفى في حدود عام ٩٢٩هـ؛ وفضولى المتوفى في عام ٩٦٣هـ.

وهذا يبين مدى تأثير نظامى في غيره من الشعراء، ومدى ما أصابته قصة "ليلى والمجنون" من عناية الشعراء، ومن الشهرة والانتشار.

وأبرز من تأثروا بنظامى أمير خسرو الدهلوي، فقد نظم القصة في نفس البحر الذي اختاره نظامى من قبل، كما تأثر به في تصوير المناظر، وذكر الحوادث وتسلسلها، ولم يختلف عنه إلا في القليل النادر<sup>(١)</sup>.

ونكتفي بهذا القدر عن منظومة "ليلى ومجنون"، لننتقل إلى دراسة منظومة الشاعر الرابعة "هفت بيكر".

(١) M. Walhid Mirza: *The Life and Works of Amir Khusrau*, p.198-200.

# الباب الرابع

## منظومة "هفت پيكر"

### الفصل الأول

#### دراسة حول منظومة هفت پيكر

نظم الشاعر منظومته الرابعة "هفت پيكر" في بحر الخفيف، وهي تشتمل على ٥١٣٠ بيت من الشعر تقريباً.

وَأتم نظمها في عام ٥٩٣هـ، وأثبت هذا التاريخ في آخر المنظومة فقال: "أتمتُ هذه المنظومة - كالمشهورين - بعد أن<sup>(١)</sup> انقضت أربع ساعات من اليوم الرابع عشر من شهر الصيام، بعد ثلاثة أعوام تزيد على التسعين والخمسمائة"<sup>(٢)</sup>.

وهذا التاريخ يكاد يكون التاريخ الوحيد المتفق عليه من بين جميع الباحثين. فلا مجال للشك فيه، كما أن القرائن التاريخية تؤيده؛ لأن الشاعر قدم منظومته لعلاء الدين

(١) «هفت پيكر» معناها: «الصور السبع» ولعل الشاعر يقصد صور بنات ملوك الأقاليم السبعة التي رآها بهرام مرسومة على حيطان قصر الخورنق.

(٢) أز پس پانصد ونودسه بران  
روز بر چارده زمهه صيام  
گفتم ابن نامه را چو نارموران  
چار ساءت زروز رفته تمام  
(نظامی: هفت پيكر، ص ٣٦٦-٣٦٧)

كرب أرسلان الذي كان حاكمًا على مراغة في ذلك الوقت - كما مرَّ - مما يجعلنا نرجح هذا التاريخ.

وجعل نظامى بطل منظومته من بين ملوك الفرس القدماء، فاختار شخصية "بهرام گور" أو "بهرام الخامس" الذي حكم من عام ٤٢٠ إلى عام ٤٣٨ م<sup>(١)</sup>.

وصور نظامى "بهرام" من ناحيتين، ناحية عامة تتعلق بجروبه وفتوحاته، وناحية خاصة تتصل بحبه، وزواجه وحياته العائلية الخاصة، وربط بين الناحيتين ربطًا وثيقًا.

وذكر الشاعر أن هاتفاً أوحى إليه أن ينظم هذه القصة، فانشرح صدره لها، فأخذ في نظمها<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن الشاعر حاول أن يبرر نظمه لقصة ملك غير مسلم فاخترق هذا العذر، حتى لا يتهم بأنه يجي رسوم الزردشتيين، كما اتهم في أثناء نظم قصة "خسرو وشيرين"؛ وهذه طريقة درج عليها الشاعر، قبل الشروع في نظم قصصه.

ولم يحاول نظامى أن يذكر أن حاكمًا بالذات قد طلب منه نظمها، كما حدث في منظومة "ليلي ومجنون"، لأنه نظمها من تلقاء نفسه ثم قدمها لحاكم مراغة "علاء الدين كرب أرسلان"، وكان حاكمًا ضعيفًا لا حول له ولا طول، ولكن الشاعر أضفى عليه صفات البطولة والعظمة، في سبيل الظفر بالجائزة.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٨١. حيث يقول «إنه ملك ثمانى عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يومًا. ثم يذكر رواية أخرى تقرر أنه ملك ثلاثًا وعشرين سنة، وعشرة أشهر وعشرين يومًا؛ ثم يقول: «ولكن الأولى أرجح».

(٢) نظامى: هفت پیکر، ص١٥-٢١.

وحاول الشاعر أن يوجي إلى الملك باتخاذ شاعرًا خاصًا له، فقال مخاطبًا إياه: "إن الملك الذي كان اسمه ملكشاه، كان له وزير يرعى الدين مثل السيد "نظام الملك"، وأنت أرفع منه منزلة، لأن لك شاعرًا كنظامي، وقد ارتفع اسم نظامي بفضلك، وسعدت حياته بفيضك"<sup>(١)</sup>.

وأخذ يشوِّق الحاكم عل منحه بسخاء، فقال: "إن الملوك الآخرين يمنحون - بسفه- في سبيل التظاهر والرياء، وهم يبذرون الحب في الأرض المِلحة، ويضعون الكحل في العين العمياء، وإن بذر الحب في الأرض المِلحة لن يُغَلَّ إلا الندم، فالشجر يجب أن يُزْرَع في الأرض الطيبة، حتى ينتج ثمرًا مثل جنة الفردوس"<sup>(٢)</sup>.

ثم بيّن للحاكم أنه جعل المنظومة باسمه إلى الأبد، حتى يقدرها حق قدرها، فقال: "جعلتُ هذه المنظومة الخالدة، باسمك إلى الأبد، لأنه فأل ميمون، وإنه لسعيد ذلك الشخص الذي يجني ثمار هذه المنظومة، ويزود بها منزله، فإن اسمه سيذكر أبد الدهر"<sup>(٣)</sup>.

ثم بيّن الشاعر احتياجه إلى العطاء، فقال: "أنا محتاج لعطاء تلك اليد، لأنني أقفلتُ فمي عن المياه الأخرى"<sup>(٤)</sup>.

يود دين پروری چو خواجه نظام چون نظامی سخنوری داری یافتہ کار او نظام از تو (نظامی: هفت پیکر، ص ۳۲)

میزنند از خزینہ بخشئی لاف سرمه در چشم کور میبیزند برنیارد مگر بشیمانی کاورد میو چو باغ بهشت (نظامی: هفت پیکر، ص ۳۲)

دور تو بستم بطالع رصدی بر چنین آورد بخانه او باشد از نام او صحیفه گشای (المرجع السابق، ص ۳۲-۳۳)

از دگر آبها دهان بستم (المرجع السابق، ص ۳۴)

(١) وان ملکرا اکه بد ملکشه نام توکز ایشان به افسی داری ای نظامی بلند نام از تو

(٢) خسروان دیگر زکان گزاف دانه دار خاک شور میریزند در گل شوره دانه افشانی در زمینی درخت باید کشف

(٣) نقش این کار نامه ابدی مقبل آنکس که دخل دنه او کابد الدهر تابود برجای

(٤) من که محتاج آب آن دستم

ولا ندري - رغم هذا - ما إذا كان الحاكم قد أثاب الشاعر على عمله أم لا، فلم يُشر  
نظامى - فيما نظمه من أشعار - إلى أنه قد أثيب على منظومته "هفت بيكر".

ومهما يكن من شيء، فإن الشاعر اختار شخصية "بهرام گور" لأن الحب لعب دورًا  
مهمًا في حياته، مما يجعل تصوير مناظر العشق من الأشياء التي تضيء على المنظومة ظرافة  
وجمالًا، وتجعلها محببة إلى نفوس الناس في عصره، فقد كانوا - كما مرّ - يفضلون مثل هذه  
الموضوعات.

وأرجح أن الشاعر نظم قصة "بهرام گور" لأنها تلائم روحه الغنائية من ناحية، فضلًا  
عن أنها تلائم روح عصره، وحاول أن يكتسب بها شهرة وثروة، ويبدو أنه حقق الشهرة،  
ولم يوفق في الوصول إلى الثروة.

ولن نستطيع أن نتبين مدى توفيق الشاعر في عمله، إلا إذا درسنا منظومته ثم قارنًا  
بينها وبين ما نظمه الفردوسي عن "بهرام گور"، فنكتفي بهذه الدراسة حول المنظومة،  
لنأخذ في دراسة المنظومة نفسها.



## الفصل الثاني

### قصة "هفت پيكر" كما صورها نظامي

قدم الشاعر للقصة بمقدمة تقليدية في توحيد الله، ومدح الرسول، ومعراجه، وسبب نظم القصة، وتصويرها مفصلة، ثم مدح الملك، وابنيه، وذكر فضل الكلام، والحكمة، والنصح، ونصح ابنه باتباع الخلق الفاضل<sup>(١)</sup>.

ثم أخذ يسجل قصة "بهرام گور"<sup>(٢)</sup>، فتحدث عن ولادته، وبين أن والده: "يزدگرد" أمر المنجمين بأن يقيسوا طالع المولود فدل كل كوكب - بما في ذلك برجيس<sup>(٣)</sup> - على أنه مولود سعيد، وأنه وُلد بالسعد، فسُمِّيَ بهرام<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

ثم أشار إلى أنه كان وحيد يزدگرد فقال: "لقد وُلد يزدگرد أبناء كثيرون - قبل ذلك بعشرين عامًا - ولكنهم لم يعيشوا"<sup>(٦)</sup>.

(١) نظامي: هفت پيكر، ص ٢-٥٦. وقد سبقت الإشارة إلى هذه الموضوعات وعرض صور منها.

(٢) سمي "بهرام الخامس" بهرام گورد لأنه كان مغرمًا بصيد الحمر الوحشية التي واحدها بالفارسية "گور".

(٣) "برجيس" اسم كوكب من الكواكب العظيمة.

(٤) اسم الكوكب الذي يدل على السعادة.

(٥) دادة هو كوكب شهادت خويش  
ياچنين طالعی كه برردم نام  
همچو برجيس بر سعاده خويش  
چو باقبال زاده شد بهرام  
(نظامي: هفت پيكر، ص ٥٧)

(٦) پيش از ان حالتش بسالي بيست  
چند فرزند بود وهيچ نزيست  
(نفس المرجع والصفحة)

وكان يزدگرد ملكا ظالماً<sup>(١)</sup>، فأشار عليه المنجمون بإرساله إلى بلاد العرب ليتربى بينهم؛  
"فصمم على أن يرسله من بلاد العجم إلى بلاد العرب، وأن يجعلها مرباه، فلعلها تكون  
سبباً في إبعاده، لأن الإنسان قد يشرف بفضل البقعة التي يتربى فيها"<sup>(٢)</sup>.

"وأرسل شخصاً، فدعا النعمان<sup>(٣)</sup>، ثم سلمه الطفل لتربيته"<sup>(٤)</sup>.

ولما أتم بهرام العام الرابع من عمره، لاحظ النعمان "أن الهواء جاف، والبلاد حارة وأن  
الأمير رقيق ناعم، فيجب أن يكون مرباه قصراً عالياً يناطح السحاب حتى يترعرع فيه،  
ويتربى في جو لطيف يعطره نسيم الشمال، لأنه إذا عاش في جو معتدل، فإنه ينتعش من  
النوم والراحة، فلا تتأثر طباعه بحرارة البلاد وجفافها"<sup>(٥)</sup>.

(١) اشتهر يزدگرد الأول بظلمه حتى لقب بـ (يزدگرد الأثيم).

(٢) أز عجم سوی تازیان تازد مگر اقبال از انطرف یابد  
برورشگاه در عرب سازد هرکس از بقعه شرف یابد  
(نظامی: هفت پیکر، ص ٥٧)

(٣) الشاعر هنا يقصد النعمان بن المنذر ملك الحيرة، ويقرر أنه اشترك مع ابنه المنذر في تربية «بهرام».

(٤) كس فرستاد وخواند نعمان را  
لا له لعل داد بستان را  
(المرجع السابق، ص ٥٨)

(٥) كاین هوا خشك وین زمین گرمست  
پرورشگاه او چنان باید  
تادر اوج برکشد پر وبال  
در هوای لطیف جای کند  
گوهر فطرتش بماند پاک  
وین ملكزاده نازك ونرمست  
كز زمین سر بآسمان ساید  
پرورش یابد از نسیم شمال  
خواب وارم جانفراي کند  
از بخار زمین و خشکی خاك  
(نفس المرجع والصفحة)

فأخذ النعمان وابنه المنذر يبحثان عن مهندس ماهر لبناء مثل هذا القصر حتى سمعا "أنه يوجد مهندس ذكي في بلاد الروم، يستطيع أن يصنع - بذكائه - الشمع من الحجارة.. كان اسمه سنمار، وكان ماهرًا سريع العمل متقنه، فتن العالم كله بفنه واستحسنه، وقد بنى قصورًا كثيرة في مصر والشام، كان كل قصر منهم آية في الروعة والجمال"<sup>(١)</sup>.

فأرسل النعمان في طلبه، وكلفه ببناء القصر، فأخذ في بنائه، "واستعان بخمسين عاملاً، واستغرق في بنائه خمس سنوات"<sup>(٢)</sup>.

"وكان هذا القصر يغير لونه كالعروس ثلاث مرات في اليوم والليله، فيجد الإنسان ثلاثة ألوان زاهية جميلة؛ هي الأزرق والأبيض والأصفر"<sup>(٣)</sup>.

وقد سمي هذا القصر بالخورنق، وأثيب "سنمار" على بنائه بسخاء، كما اشتهر النعمان ببنائه، فذاع اسمه في الآفاق، ولكنه لم يلبث أن سأل "سنمار" ما إذا كان يستطيع بناء قصر أحسن من الخورنق، فأجاب بأنه يستطيع أن يبني قصرًا يغير لونه سبع مرات في اليوم والليله، فيبصر الناس سبعة ألوان مختلفة جميلة، فغضب النعمان وقال: "إذا أبقيته

- 
- (١) هست نام آوری زکشور روم  
چابكي چرب دست وشيرين كار  
دستبرش همه جهان ديده  
كرده چندي بنام مصر وشام
- (٢) پنجه كارگر آهن سنج
- (٣) در شبا نزوزی از شتاب ودرنگك  
بافتی از سه رنگك ناوردی
- زبركي كوزنگك سازدموم  
سام دستي ونام او سنمار  
بهمه ديد بسنديده  
هريكی در نهاد خوبش تمام  
(نظامی: هفت پيكر، ص ٥٩)
- بر بنا كرد كار سالی پنج  
(المرجع السابق، ص ٦٠)
- جون عروسان برآمدی بسه رنگك  
أزرق وسپیدی وزردی  
(المرجع السابق، ص ٦٠-٦١)

فسوف يبني - بالقوة والذهب - قصرًا أجمل منه في مكان آخر، فيذهب اسمي وصيتي،  
ويسيء إليّ، ثم أمر رجاله أن يحملوه ويلقوا به من فوق القصر سريعًا<sup>(۱)</sup>.

وقد ندم النعمان على فعلته<sup>(۲)</sup>، فذهب إلى الصحراء ليعتكف؛ ويكفر عن ذنبه، وترك  
أمر تربية بهرام لابنه المنذر، الذي أخلص في تربيته، وتوفر عليها، فأحضر المربين في  
الخورنق، فعلموه العربية والفارسية واليونانية<sup>(۳)</sup>، وظلوا يلقنونه العلوم المختلفة، "حتى  
أصبح بهرام ذا نصيب وافر من الثقافة، وصار يعرف مختلف العلوم معرفة تامة<sup>(۴)</sup>".

ثم برع في فن الفروسية، وأجاد استعمال جميع أنواع الأسلحة، وبلغ من مهارته "أنه كان  
إذا قذف حجرًا بسهمه، جعله يتفتت ويقدح شررًا<sup>(۵)</sup>".

"وصار الصيد والشراب شغله الشاغل، فلم يكن له عمل غيرهما، وعشق صيد الحمار  
الوحشي، فكان يصطاده في مهارة وجرأة.. وكان قد حرم على نفسه صيده، إذا لم يكن عمره  
أربع سنوات"<sup>(۶)</sup>.

(۱) گفت اگر نمش بزوز و بزر به ازین کنی بجای دگر  
نام وصیت مرا تباه کند نامه خویش را سیاه کند  
کارادارن خویش را فرمود تا برند از در افکنندش زود  
(المرجع السابق، ص ۶۲)

(۲) نعی الشاعر علی النعمان مقابلته الإحسان بالإساءة واعتبره مثلاً سيئاً لمن يكافئ المتقن بالتنكر والسوء؛ كما  
صار سنمار مثلاً لمن يجني من الخير شراً. ومن الورد شوگا فقيل «جوزي جزاء سنمار».

(۳) نظامی: هفت پیکر، ص ۶۶

(۴) تاچنان بهره مند شد بهرام  
کاصل هر علم را شناخت تمام  
(نفس المرجع والصفحة)

(۵) تیغ اگر برزدی بتارک سنگک  
آب گشتی ولیک آنش رنگک  
(المرجع السابق، ص ۶۷)

(۶) کارش إلا بسی وشکار نبود  
مردہ گور بود در نخبیر  
خون آن گور کرده بود حرا  
بادگر کاره‌اش کار نبود  
مردہ را کہ بود زگور گزیر  
کہ نبودش چهار سال تمام  
(نظامی: هفت پیکر، ص ۶۸-۶۹)

وأصبح اسم بهرام " بهرام گور"؛ وبلغت براعته في الصيد إلى درجة أنه اصطاد - ذات مرة - حمارًا وأسدًا بسهم واحد" رماه فاخترق جسميهما، ثم خرج منهما، وغرق حده في الأرض، لأن سهمًا كسهمه لا يقف أمامه حاجز أو درع"<sup>(١)</sup>.

ولما علم المنذر بذلك " أمر الرسامين أن يرسموا - بالذهب - صورة حمار فوَّقه أسد، على حائط الخورنق، ويرسموا الأمير وقد ضرب سهمًا اخترق هذين الصيدين، وغرق - إلى حده - في الأرض"<sup>(٢)</sup>.

وفي مرة أخرى؛ كان بهرام يجري وراء حمارة، فقادته إلى غار فيه ثعبان، وكان الثعبان قد ابتلع ابن الحمارة ثم نام، فرماه بهرام بسهم "شقه نصفين من ذيله إلى رأسه، ووجد الحمار الصغير في بطنه"<sup>(٣)</sup>. كما وجد هناك كنزًا عظيمًا، "فأمر خدامه الأقوياء الشجعان بأن يشقوا طريقًا إلى الكنز، ثم يستخرجوا الكنز ويحملوه"<sup>(٤)</sup>.

ولما رجع بهرام أمر المنذر بأن ترسم صورة صراعه مع الثعبان، "فكان الرسام يرسم كل ما يفعله بهرام - من ضروب البطولة - على حيطان الخورنق"<sup>(٥)</sup>.

- |  |  |
|--|--|
| (١) سفته برسفت شیر وگورور نشست سفت واز هر دوسفت بیرون جست              | تاسوفار در زمین شد غرق پیش تیری چنان چه درع و چه درق (المرجع السابق، ص ٧١)               |
| (٢) گفت منذر بکار فرمایان در خورنق نگاشتند بزر شه زده تیروجه زاندوشکار | تا بپرگار صورت آریان صورت گورزیر و شیرزیر در زمین غرق گشته تاسوفار (المرجع السابق، ص ٧١) |
| (٣) از دمش برشکافت تا بدمش   | بچه گور یافت در شکمش (المرجع السابق، ص ٧٥)   |
| (٤) شاه فرمود تا کمر بندان راه در گنجدان غار کنند                      | هم دلیران وهم تنومندان گنج بیرون برندوبار کنند (نظامی: هفت پیکر، ص ٧٦)                   |
| (٥) هرچه کردی بدین صفت بهرام   | برخورنق نگاشتی رسام (المرجع السابق، ص ٧٧)  |

وذات يوم؛ دخل بهرام حجرة في الخورنق، "فوجد فيها صور سبع فتيات جميلات، تنتسب كل منهن إلى إقليم معين"<sup>(۱)</sup>.

وكانت هؤلاء الفتيات بنات ملوك أقاليم العالم السبعة، وهن: "فورك" بنت ملك الهند، و"يغما" بنت ملك الصين، و"ناز پری" بنت ملك خوارزم، و"نسرین نوش" بنت ملك سقلاّب، و"آزریون" بنت ملك المغرب، و"هماي" بنت قيصر الروم، و"نطاوس" بنت كسرى ملك الفرس الذي كان من نسل كيكائوس<sup>(۲)</sup>.

كما رأى أنه قد كُتب بين الصور - بخط جميل - أن بهرام زينة الأميرات وقلبهن<sup>(۳)</sup>، مما يوحي بأنه سيتزوجهن جميعاً.

"ورسم الرسام صورته، وكتب فوقها "بهرام گور"، كما كتب أن الأفلاك السبعة تقرر أنه البطل الذي سيحكم الدنيا جميعها، وسيتزوج سبع أميرات من سبعة أقاليم، ويصبح بينهن كالدرة اليتيمة"<sup>(۴)</sup>.

"وقد استقر حب هؤلاء الفتيات الفاتنات في قلبه، وملك عليه حواسه"<sup>(۵)</sup>.

وهكذا مهد الشاعر لبدء قصص الأميرات السبع، ثم أخذ يبين كيف تحقق حلم بهرام، فقال إن يزدگرد أبو بهرام توفي في تلك الأوقات، وخشي العظماء أن يسندوا العرش

هريكی زان بكشوری منسوب  
(نفس المرجع والصفحة)

(۱) هفت پیکر دلاو نگاشته خوب

(۲) المرجع السابق، ص ۷۷-۷۸.

(۳) المرجع السابق، ص ۷۸.

نام بهرام کور بر سر او  
کاین جهان جوی چون برارد سر  
در کنار آورد چو در یتیم  
(نظامی: هفت پیکر، ص ۷۸-۷۹)

(۴) بر نوشتہ دبیر پیکر او  
کا نجناست حکم هفت اختر  
هفت شهرزاده را زهفت إقليم

در دلش جای کرد موی بموی  
(المرجع السابق، ص ۷۹)

(۵) مهرآن دختران زیباروی

إلى بهرام، فيصير ظالمًا كأبيه، كما خشوا ألا يجيد أصول الحكم، لأنه تربى بين العرب، فأسندوه إلى رجل مُسِن من نفس الأسرة، كان اسمه "خسرو".

وعلم بهرام بذلك، فجمع جيشًا بمساعدة المنذر، وسار به لغزو إيران<sup>(١)</sup>، فلما وصل إلى حدود وطنه أرسل إليه الملك الجديد خطابًا يقول فيه: إنه لم يعتصب المُلْك، وإنما اختاره العظماء، تحقيقًا لإرادة الشعب الذي كره والده لظلمه، ثم خاطبه في نهاية الخطاب بقوله: "الأفضل أن ترجع من حيث أتيت لأن أحدًا لا يريدك ملكًا"<sup>(٢)</sup>.

فأجاب بهرام قائلاً "أبي شخص وأنا شخص آخر، وإذا كان هو ظالمًا، فإنني كريم الأخلاق"<sup>(٣)</sup>.

ثم بيّن أنه الوارث الشرعي للعرش، ووعد بالعدل والعتو عن الأخطاء قائلاً: "لن أنظر إلى خطأ أحد، ولن أطمع في مال، ولن أفكر في قتل إنسان، ولن أتذكر الأخطاء الماضية، وسأرضى وأسرُّ بالوضع الحاضر، وسأفعل معكم ما يجب عمله، وأخذ منكم ما يجوز أخذه"<sup>(٤)</sup>.

فلما سمع رجال الدين ذلك أقرّوه وأيدوه، وخاطبوه بقولهم: "إن الملك خليف بجوهرك، ولئن كان التاج معنا، فإنه جدير بأن يكون فوق رأسك"<sup>(٥)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ٨٠-٨٥.

(٢) چون نخواهد ترا بشاهی کس (المرجع السابق، ص ٨٨)

(٣) پدرم دی گراست ومن دکرم (المرجع السابق، ص ٨٩)

(٤) در خطای کی نظر نکنم  
از کناه گذشته نارم یاد  
باشما آن که باید کرد  
بانه مال وقصد سر نکنم  
بانمودار وقت باشم شاد  
وزشما آن خورم که شاید خورد  
(نظامی: هفت پیکر، ص ٩٠)

(٥) تا جمداری سزای گوهرست  
تاج باماست لیک بر سرست  
(المرجع السابق، ص ٩١)

فاقترح بهرام عليهم "أن يضعوا التاج بين أسدين قويين، وأن يبايع الناس مَنْ يستطيع منهما أن يأخذ التاج من بين الأسدين بالملك"<sup>(۱)</sup>.

فخاف الملك الشيخ، وآثر التنازل، ولكن أشياعه نصحوه بالتريث، وأشاروا عليه بأن يقبل ما اقترحه بهرام، وأن يدعه يتقدم لأخذ التاج، فإن أفلح في أخذه صار ملكاً، وإن قتله الأسدان بقي الملك له، فقبل ذلك، "فهجم بهرام على الأسدين، وقتلها، وألقى برأسيهما إلى الأرض، ومزقهما شر ممزق، ثم وضع التاج على رأسه وجلس على العرش، بعد أن أظفره الحظ، وكان أخذ التاج من بين أسدين سبباً في إذلال المنافقين"<sup>(۲)</sup>.

ثم صمم بهرام - بعد جلوسه على العرش - على العدل بين الناس، فقال: "سوف لا أدير ظهري لنعمة الله، بل أشكرها، ولم لا أشكر وأخذُ التاج من بين أسدين كان بقوة الله، لا بقوة السيف؟! وما دمت قد وصلتُ إلى العرش والتاج، فإني سوف أعمل الأعمال المحببة إلى الله"<sup>(۳)</sup>.

در میان دو شتره شیر نهند  
خلقش آن روز تاجور خواند  
(المرجع السابق، ص ۹۵)

سر هو دو پزیر پای افکند  
سروتاج از میان شیران برد  
بختیاری چنین نمایند بخت  
روبهان را زتخت کرد بزیر  
(نظامی: هفت پیکر، ص ۹۸)

شکر نعمت کنم چو نکم؟!  
از خدا دانم آن نه از شمشیر  
کارهائی کنم خدای پسند  
(المرجع السابق، ص ۹۹)

(۱) تاج شاهان ز سر بزیر نهند  
هرکه تاج ازدوشیر بستاند

(۲) شه بتادیبشان چورای افکند  
پنجه شان پاره کرد وندندان خرد  
تاج بر سر نهاد وشد برتخت  
بردن تاجش از میان دوشیر

(۳) پشت بر نعمت خدا نکم  
تاج بر داشتت ز کام دوشیر  
چون رسیدم بتخت وتاج بلندر



ونشر بهرام العدل في ربوع العالم، فَعَلَّتْ كلمة الحق، وشجع المنصفين، واضطهد  
الظالمين، فظهرت السعادة في عصره، وتولى البؤس إلى غير رجعة".<sup>(١)</sup>

"وارتفع شأن بهرام، وصارت الدنيا جميعها طوع أمره، فكان يعيش سعيداً، يعدل بين  
الرعية، ويُدخل السرور على الشعب".<sup>(٢)</sup>

وبلغ من عدله أنه بذل كل ما وسعه لدرء خطر مجاعة حدثت في سنة من السنوات  
نتيجة لقلّة المحصول؛ "فخلص بهرام الناس من شر المجاعة، ولم يمّت غير شخص واحد،  
حزن عليه حزناً شديداً"<sup>(٣)</sup>.

وبلغت عناية بهرام بشعبه درجة جعلته يحضر المغنين، ويوزعهم على أنحاء المملكة  
ليشيع السرور بين الناس، وتصبح حياتهم سعيدة، "فاستدعى ستة آلاف من رواة القصص،  
ومن المطربين والرقاصين، من مختلف الجهات، وخص كل إقليم بعدد منهم، حتى يُسّر  
الناس في كل مكان يعيشون فيه".<sup>(٤)</sup>

عدل را سر برآسمان آورد  
باستعمار گان ستمکاری  
کامد او فرخی پدید آمد  
(المرجع السابق، ص ١٠١)

زیر فرمان همه جهان آورا  
داد میداد وخرمی میکرد  
(المرجع السابق، ص ١٠٣)

جز یکی تن که او بتنگی مرد  
تنگ دل شد چو آب افرده  
(نظامی: هفت پیکر، ص ١٠٤-١٠٥)

مطرب وپای کوب ولعبت ساز  
داد هر بقع را از ان بهری  
خلق را خوش کنند و خوش باشند  
(المرجع السابق، ص ١٠٦)

(١) رسم إنصاف در جهان آورد  
کرد با داد پروران یاری  
قفل غم را درش کلید آمد

(٢) کاروبار برآسمان آورا  
و جهانرا بخرمی میخورد

(٣) جمله خلق جان ز تنگی برد  
شاه از آن مرد بینو مرده

(٤) شش هزار اوستاد دستان ساز  
گرد کرد از سوادهر شهری  
تابهر جاکه رخت کش باشند

وذات يوم؛ خرج بهرام للصيد، واصطحب معه جاريتة فتنة<sup>(١)</sup> التي كانت فتاة جميلة، تجيد الضرب على العود، والغناء والرقص؛ وكان بهرام يأخذها معه - دائماً - حين يخرج للصيد، ليصطاد على غنائها. فاصطاد - في ذلك اليوم - حمراً كثيرة، وقضى يومه مسروراً. وأخيراً عَنَّ له حمار وحشي، فأشارت فتنة عليه أن يضربه بسهم، بشرط أن يربط هذا السهم بين حافر الحمار ورأسه، ففعل بهرام، ونجح فيما طلبته، ولكن الجارية قالت: "إن اختراق السهم لحافر الحمار من كثرة التمرين، وليس من فرط القوة"<sup>(٢)</sup>.

وغضب بهرام، ولم يقتلها بنفسه، حتى لا يرتكب إثماً، فسلمها لضابط كبير ليقوم بقتلها، ولكن فتنة توسلت إلى الضابط، ورجته أن يتركها على قيد الحياة، وأن يخبر الملك بأنه نفذ ما أراد، فإن تأثر بقيت حية وإن لم يتأثر عاد فقتلها، ففعل الضابط ذلك، وذهب إلى بهرام، وأخبره: أنه قتل فتنة، فتأثر بهرام، وبكى من شدة التأثر، فظلت فتنة حية في منزل الضابط.

وتصادف أن عاجلاً وُلِد في يوم دخول فتنة منزل الضابط، فصارت تحمله وتصعد به إلى أعلى المنزل، حتى مرنت على ذلك، واستطاعت أن تحمل العجل، وتصعد به بعد أن صار ثوراً.

(١) المرجع السابق، وترد قصة بهرام مع جاريتة فتنة من ص ١٠٧-١٢٠.

(٢) رفتن تير شاه برسّم گور هست از إدمان نه از زيادات زور (المرجع السابق، ص ١١٠).

وذاث يوم؛ دعا الضابط بهرام إلى حفل أقامه في منزله، فسأله بهرام: كيف تستطيع أن تصعد درجات السلم وقد أصبحت في سن الستين؟! فأجابه الضابط بأن عنده جارية تستطيع أن تصعد هذه الدرجات حاملة ثورًا، ثم رأى بهرام "فتنة" فسر ببقائها على قيد الحياة "وأحضر الموابذة ليعقدوا له على هذه الفتنة، ثم قضى معها زمنًا طويلًا، ينعم بالسعادة والسرور".<sup>(١)</sup>

وسمع ملك الصين أن بهرام مشغول بالحب واللهو، فظن أنه يستطيع أن يغزو إيران في سهولة ويسر، فسار إليها على رأس جيش كبير "يبلغ ثلاثمائة ألف رجل من الفرسان المهرة، كأنهم ثعابين متوحشة".<sup>(٢)</sup>

وأيقن بهرام أن جيشه ليس مستعدًا للنزال، فخرج على رأس ثلاثمائة من شجاعانه وظن القوم أنه هرب، فأرسلوا إلى ملك الصين يستعطفونه، ويتعهدون بدفع الجزية، فسُرَّ، وانصرف إلى اللهو، فهجم بهرام على معسكره ليلاً<sup>(٣)</sup>، "وحمل على شجعان الصين، بالسيف تارة، وبالرمح تارة أخرى".<sup>(٤)</sup>

وانتهى الأمر بانتصار بهرام، فأخذ يلوم الخونة من الأشراف، الذين اعتذروا عما بدر منهم، فعفا عنهم، وانصرف إلى الإصلاح.

(١) موبدان را بشرط پیش آورد  
بود با او بلهو وعشرت وناز  
تابرين رفت روزگار دراز  
(نظامی: هفت پیکر، ص ١٢٠)

(٢) در رکابش چو اژدهای دمان  
بود سیصد هزار سخت کمان  
(المرجع السابق، ص ١٢٢)

(٣) وردت قصة حرب بهرام ضد ملك الصين مفصلة في هفت پیکر، من ص ١٢٠-١٣٢.

(٤) بردلیران چین گشاد عنان  
حمله برگه بتیغ وگه بسنان  
(نظامی: هفت پیکر، ص ١٢٤)

وأصبح بهرام - بعد النصر - قویاً، "یاخذ الجزية من ملك الهند أحياناً، ویاخذ الخراج من قيصر الروم، أحياناً أخرى".<sup>(۱)</sup>

وأظّل ملكه الأرض والسماء "فأصبحت الأرض تستظل آمنة بظله، وصار الفلك تحت عرشه".<sup>(۲)</sup>

وبذلك تحققت آمال بهرام، ولم يبق أمامه إلا أن يتزوج الأميرات السبع اللاتي رأى صورهن في قصر الخورنق، فأرسل من يخطنهن له، وأمر أحد تلاميذ "سينمار" ببناء سبعة قصور، ليخصص كل قصر منها لأميرة منهن، فيقضي معها يوماً من أيام الأسبوع.

وبنى هذا المهندس القصور السبعة، وجعل لها سبع قباب، كما جعل لون كل قبة منها يشبه لون كوكب من الكواكب السيارة، مما صوره الشاعر في قوله: "بنى سبع قباب على غرار الصور السبع، وجعلها تشبه الكواكب السبعة، فأصبحت أقاليم العالم السبعة<sup>(۳)</sup> جميعها طوع أمره، كما أصبحت سبع أميرات زوجات له".<sup>(۴)</sup>

"وجعل بهرام لكل أميرة منهن قصرًا، تشبه قبته أحد الكواكب في لونها، وتنطبق أحياناً مع لون الأميرة وقصتها".<sup>(۵)</sup>

(۱) گه ز فغفور باج بستاند

گه ز قيصر خراج بستاند

(المرجع السابق، ص ۱۳۱)

(۲) هم زمين در پناه سايه او

هم فلك زيز تخت پايه او

(المرجع السابق، ص ۱۳۲)

(۳) كان الجغرافيون القدماء يقسمون العالم إلى سبعة أقاليم بنفس الترتيب الذي ذكره نظامي.

(۴) برکشیده براین صفت پیکر

هفت گبند بطبع هفت اختر

هفت کشور تمام در عهدش

دختر هفت شاه در مهدش

(نظامي: هفت پیکر، ص ۱۴۵)

(۵) کرده هر دختری برنگ و برای

گنبدي را زهفت گنبد جاي

(المرجع السابق، ص ۱۴۶)

وكان أثاث كل قصر وما فيه من لباس، يشبه لون القبة. ثم تزوج بهرام الأميرات وصار يقضي كل يوم من أيام الأسبوع مع أميرة منهن، في القصر المخصص لها؛ ويلبس - في كل قصر - ثيابًا يناسب لونها لون القبة.

فالقبة السوداء كانت تطابق "كيوان"، وكانت مخصصة للأميرة الهندية التي كان بهرام يقضي معها يوم السبت من كل أسبوع<sup>(١)</sup>.

والقبة الصفراء كانت تطابق "الشمس" وكانت مخصصة للأميرة الصينية التي كان يقضي معها يوم الأحد من كل أسبوع<sup>(٢)</sup>.

والقبة الخضراء كانت تطابق "القمر" وكانت مخصصة للأميرة الخوارزمية التي كان بهرام يقضي معها يوم الإثنين من كل أسبوع<sup>(٣)</sup>.

والقبة الحمراء كانت تطابق "المريخ" وكانت مخصصة للأميرة السقلابية، التي كان يقضي معها يوم الثلاثاء من كل أسبوع<sup>(٤)</sup>.

والقبة الفيروزية كانت تطابق "عطارد" وكانت مخصصة للأميرة المغربية، التي كان يقضي معها يوم الأربعاء من كل أسبوع<sup>(٥)</sup>.

والقبة البنية كانت تطابق "المشتري" وكانت مخصصة للأميرة الرومية، التي كان يقضي معها الخميس من كل أسبوع<sup>(٦)</sup>.

(١) يكاد التقويم الأوروبي يكون مشابهًا لهذا، فيعبر عن "كيوان" بالإنجليزية بكلمة: Saturday.

(٢) يعبر عن يوم الشمس بالإنجليزية بكلمة: Sunday.

(٣) يوم الإثنين يعبر عنه بالإنجليزية بكلمة: Monday التي هي: Moon day، كما يعبر عنه باللاتينية بكلمة: Lunae dies.

(٤) يوم المريخ يعبر عنه بالفرنسية بكلمة: Mardi وباللاتينية بكلمة: Martis dies.

(٥) يوم عطارد يعبر عنه بالفرنسية بكلمة: Mercredi وباللاتينية بكلمة: Mercurii dies.

(٦) يوم المشتري يعبر عنه بالفرنسية بكلمة: Jeudi وباللاتينية بكلمة: Jovis dies.

والقبة البيضاء كانت تطابق " الزهرة"<sup>(١)</sup> وكانت مخصصة للأميرة الإيرانية، التي كان يقضي معها يوم الجمعة من كل أسبوع<sup>(٢)</sup>.

وكانت كل أميرة من هؤلاء الأميرات تقص على بهرام - في اليوم الذي يقضيه معها - قصة لها صلة بلون القصر الذي تعيش فيه؛ وكان في كل قصة من هذه القصص حديث حب<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن نظامى حرص على أن يتم لبهرام بناء القصور ذات القباب السبع، مختلفة الألوان، حتى يتحقق له ما لم يتحقق مثله في أثناء إقامته في بلاد العرب؛ فإن قصر الخورنق الذي بناه "سمنار" كان يغير لونه ثلاث مرات في اليوم واللييلة. وقتل النعمان "سمنار" لما علم أن في استطاعته بناء قصر أجمل من الخورنق يغير لونه سبع مرات في اليوم واللييلة، كما مر.

ويبدو أن نظامى ربط لون القباب بلون الكواكب متأثراً بدراسته لعلم النجوم، ولأن طالع بهرام ارتبط بالنجوم منذ ولادته، مما يجعل الربط بين لون القباب ولون الكواكب من الأشياء التي تجلب السعادة.

ومن الملاحظ - أيضاً - أن الشاعر جعل ابنه ملك الإقليم الأول وهو الهند-هي الأميرة التي يقضي معها اليوم الأول من أيام الأسبوع، أي يوم السبت؛ وهو يقابل "كيوان" الذي يقال أنه أسود اللون، مما يجعله مطابقاً للون القبة، ويتفق مع لون الأميرة التي تسكن تحت هذه القبة.

(١) يوم الزهرة يعبر عنه بالفرنسية بكلمة: Vendredi وباللاتينية بكلمة: Veneris dies.  
(٢) الملاحظ في هذا التقويم أنه يربط الأيام بالكواكب، وهو شيء لا يوجد في التقويم الإسلامي، ولعله مأخوذ مما كان عند قدماء البابليين.

(٣) هذا يشبه - إلى حد كبير - ما نجد في "ألف ليلة وليلة".

وقد فعل الشاعر هذا مع كل أميرة، وكان لون الأميرة يشبه - أحياناً - لون القبة التي تعلو قصرها.

كما اتخذ الشاعر اللون رمزاً للهدف الذي ترمي إليه القصة، وللمحور الذي تدور حوله. فالقصة التي تقال تحت هذه القبة السوداء، تكون خاتمتها الحزن على ذهاب شيء سار، واللون الأسود هو رمز الحزن.

واللون الأحمر اتخذ رمزاً لقصة تنتهي بالفرح والزواج، واللون الأبيض كان رمزاً لقصة تهدف إلى تمجيد الطهر والعفاف. وهكذا في القصص الأخرى.

واختيار اللون محور تدور حوله قصة كل أميرة، يعتبر من خلق نظامي، مما جعل هذه القصص تشبه - إلى حد كبير - ما يسمى "بالقصص الرمزي".

ولعل في هذا ما يفسر لنا تسمية المنظومة بـ "هفت بيكر" أي الصور السبع؛ فإن الصور التي رآها بهرام في الخورنق هي التي أوحى بذلك.

وكانت الألوان تلعب دوراً مهماً في هذه الصور، لأنها كانت لأميرات مختلفات الألوان؛ فضلاً عن أنها لعبت دوراً بارزاً في بناء الخورنق، بل إنها كانت سبباً في العصف بسنمار. فليس عجباً أن يعطي الشاعر للألوان كل هذه الأهمية، ويجعلها محاور تدور حولها القصص.

أما السبب في إيراد هذه القصص على لسان الأميرات، فكانت إمتاع الملك، وإثارة غريزة الحب في نفسه، كما يبدو من قول الشاعر: "كانت كل أميرة تحكي قصة تثير الحب، حتى تلهب عاطفة كل منهما"<sup>(١)</sup>.

(١) گفتی افسانهای مهرانگیز که کند گرم شهوتان را تیز (نظامی: هفت بیکر، ص ١٤٦)

ثم أخذ الشاعر - بعد ذكر القباب ووصفها - يصور أسبوعًا من حياة بهرام، فلنشاهد صورته فيما يلي:

### ١- بهرام تحت القبة السوداء

زار بهرام الأميرة الهندية - في يوم السبت - في القصر الذي تعلوه القبة السوداء، وقضى معها يومًا سعيدًا؛ وفي المساء قصت عليه قصة: هي أنها حينما كانت الأميرة طفلة كانت امرأة تحضر إلى منزلها كثيرًا، وكانت تلبس ثيابًا سوداء فلما سألتها عن السر في ذلك، أجابت بأنها كانت جارية للملك كريم لطيف، يحسن استقبال الناس، ويكرمهم، فتغيب هذا الملك مدة، "ثم رجعت يومًا إلى عرشه فجأة، غير أنه كان يلبس ثيابًا سوداء تغطيه من رأسه إلى إخمص قدمه".<sup>(١)</sup>

وذا ليلة؛ تجاسرت الجارية، وسألت الملك عن سر ارتدائه الثياب السوداء، فأجاب بأن أحد رجاله كان يلبس زيًا أسود اللون دائمًا؛ فسأله الملك عن السبب في ذلك، فتردد الرجل قليلًا، ثم حكى أنه: توجد مدينة في بلاد الصين، لا يلبس سكانها إلا الثياب السوداء، وأن هذه المدينة كانت سببًا فيما أصابه من سوء حظ، ولم يزد على ذلك شيئًا، ثم ذهب.

فتوجه الملك إلى تلك المدينة ثم تعرف على شاب، وأعطاه مالا، وطلب منه أن يحل له هذا السر الغامض، فحمله الشاب إلى خارج المدينة، حيث كانت توجد منطقة خربة، فيها سلة معلقة في حبل، ثم طلب منه أن يجلس في السلة، فلم يكده يجلس فيها حتى ارتفعت، وحملته إلى أعلى برج؛ فخاف الملك كثيرًا، ومضى على ذلك بعض الوقت، ثم جاء طائر كبير،

(١) ناگهان روزی از عنایت بخت  
 از قبا وکلاه وپرهانش  
 آمد آن تاجدار بر سر تخت  
 پای تاسر سیاه بود تنش  
 (المرجع السابق، ص ١٦٠)



وجلس على البرج، ونام طول الليل، وطار في الصباح، فأمسك الملك برجل الطائر، فحمله وطار به، بعض الوقت، ثم حط في حديقة جميلة، وتركه فيها، ثم طار.

وكانت الحديقة مملوءة بالأشجار والفواكه، فمكث الملك فيها حتى جَنَّ الليل، وحينذاك أخذت الحديقة تمتلئ بالفتيات الجميلات، المزينات بالذهب في أيديهن وسواعدهن، وبالجواهر والآلئ في رقابهن وآذانهن، وكن يمسكن بالشموع الزاهية التي يبدد نورها الظلام والفراس." (١)

ثم جاءت بعد ذلك امرأة فاتنة الجمال، كانت سلطانتهم، فلما رأَت الملك دعتَه إلى عرشها، وأمرت الفتيات بإحضار الطعام والشراب، فلما فرغ الملك من الأكل معهن، أمرت السلطانة بإحضار المغنيات، فبدأ الغناء والرقص، ولم يلبث الملك أن اشتغل بالتقبيل والشراب، مما صورَه الشاعر في قوله على لسان الملك:

"فمارسْتُ العشق عن طريق الشراب والقبل، واستولى الشوق على قلبي وجميع جوارحي." (٢)

وأظهرت السلطانة حبها للملك، ثم قالت له: "اكتف الليلة بالقبل، ولا تطمع في أكثر من ذلك، حتى لا تعكر صفو السماء." (٣)

ولكنها خشيت أن يغضب فأجازت له أن يختار فتاة ليقضي معها ليلته، فاخترت واحدة، حملت معه إلى قصر جميل، ففرضي معها ليلته سعيداً.

- |  |   |
|--|---|
| (١) دست وساعد پر از علاقه زر<br>شمعهای بدست شاهانه | گردن وگوش پرزلؤلوتر<br>خالی از دود وگاز وپروانه<br>(نظامی: هفت پیکر، ص ١٤٩) |
| (٢) عشق میباختم ببوس وبی                           | بدلی وهزارجان باوی<br>(نظامی: هفت پیکر، ص ١٦٤)                              |
| (٣) گفت امشب ببوسه قانع باش                        | بیش از این رنگ آسمان متراش<br>(المرجع السابق، ص ١٦٥)                        |

ولما استيقظ في الصباح وجد نفسه وحيداً، ففضى يومه في الحديقة، وظل يأكل مما فيها من فاكهة لذيذة، حتى أقبل الليل، فتكرر ما حدث في الليلة السابقة، وقنع الملك بأن يفعل ما فعله فيها، وقضى ليلته مسروراً؛ وظل على هذا المنوال تسعاً وعشرين ليلة، ثم أراد في الليلة الثلاثين أن يتمتع بالسلطانة نفسها، فقالت له: "أغمض عينيك قليلاً، حتى أخلع ملابسي"<sup>(١)</sup>.

ففعل الملك ذلك، ولكنه لم يكد يفتح عينيه ثانية، حتى وجد نفسه وحيداً فوق ذلك البرج، يجلس في تلك السلة عينها، وبعد قليل "جاء ذلك الصديق، وسحب الحبل، فهبطت السلة إلى الأرض"<sup>(٢)</sup>.

ثم قال له: "لو قصصت عليك هذا مائة عام، ما صدقتني مثلما رأيت بعيني رأسك"<sup>(٣)</sup> ونصحه بالسكوت قائلاً: "ذهبت ورأيت الأسرار.. فمن جدير بأن تقص عليه هذه القصة؟!..."<sup>(٤)</sup>.

فتأثر الملك، ولبس الثياب السوداء حداداً على ما ولى من نعيم؛ مما صوره الشاعر في قوله على لسان الملك: "فاحترقت بنار الشوق، ولبست الثياب السوداء تظلماً ورجعت إلى مملكتي ضيق القلب مجللاً بالسواد"<sup>(٥)</sup>.

- |  |   |
|--|---|
| (١) گفت يك لحظه دیده را در بند<br>(المرجع السابق، ص ١٧٩) | تاگشایم در گنجینه قند   |
| (٢) آمد آن یار وزان رواق بلند<br>(المرجع السابق، ص ١٨٠)  | سبدم را رسن گشاد زیند   |
| (٣) گفت اگر گفتمی بتو صد سال<br>(نظامی: هفت پیکر، ص ١٨٠) | باورت نامدی حقیقت حال   |
| (٤) رفتمی ویدی آنجه بود نهفت<br>(نفس المرجع والصفحة)     | این چنین قصه باکه شاید گفت؟!  |
| (٥) من درین جوش گرم جوشیدم<br>سوی شهر خود آمدم دلتنگ     | وز تظلم سیاه پوشیدم<br>برخود افکنده از سیاهی رنگک<br>(نفس المرجع والصفحة) |

ثم أخذت الأميرة تبين لبهرام - في نهاية القصة - مزايا اللون الأسود، فاستحسن قصتها، وقضى معها ليلته مسروراً<sup>(١)</sup>.

## ٢- بهرام تحت القبة الصفراء

وفي يوم الأحد؛ زار بهرام الأميرة الصينية، في القصر ذي القبة الصفراء، فقضى معها يوماً سعيداً، ثم قصت عليه قصة هي: أن أحد ملوك العراق كان متخصصاً في كل علم وفن، "وكان قد عرف - من قراءة طالعه - أن الشر يأتى إليه من قبل النساء"<sup>(٢)</sup>.

فامتنع عن الزواج، واستعاض عنه بشراء الجواري الجميلات، وكانت في منزله عجوز ماكرة، فكانت تسعى للإفساد دائماً، حتى يضطر الملك إلى بيع الجواري<sup>(٣)</sup>.

وذات يوم؛ أحضر بائع الجواري عدداً من الجواري الفاتنات، فأسرت إحداهن الملك بجمالها، فأراد أن يشتريها، ولكن البائع حذره منها، وأخبره بأن فيها عيباً، هو أنها بلا رحم، مما نفر الناس منها، غير أن الملك اشتراها، ثم تبين أنها "تجيد الخدمة، وتُحسِن إدارة المنزل"<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ١٨١.

(٢) خوانده بود از حساب طالع خویش كز زنالش خصومت آیدیش (نظامی: هفت پیکر، ص ١٨٣)

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٤) خانه داری واعتماد سرا يك يك آورد مشقّفانه بجای (نفس المرجع والصفحة)

ثم اختلى الملك بالجارية - ذات ليلة - وسألها من سر ما بها "فقالت: توجد في نسلنا الفقير خصلة مُجَرَّبَة، هي أن كل امرأة تزوجت منا ماتت بعد الوضع مباشرة، وهكذا ماتت كل من وضعت منا، فكيف يجوز تسليم النفس للموت؟!..."<sup>(۱)</sup>

ثم قالت: "إن روجي عزيزة عليّ أكثر من هؤلاء، مما جعلني أبعدها عن الخطر."<sup>(۲)</sup>  
فأحب الملك هذه الجارية، وتعلق بها، وطرد العجوز من المنزل؛ وأخذ يقدم لمعشوقته الذهب لتزين به "لأنه رأى أنها تبدو جميلة حينما تتحلى بالذهب، فمنحها أسباب الزينة من الذهب الأصفر"<sup>(۳)</sup>.

وأصبح الملك يحب اللون الأصفر، لأنه اللون الذي يزين معشوقته.  
ثم أخذت الأميرة تعدد مزايا اللون الأصفر، فأعجب بهرام بقصتها، وقضى معها ليلة جميلة.

### ۳- بهرام تحت القبة الخضراء

وفي يوم الإثنين؛ زار بهرام الأميرة الخوارزمية في القصر ذي القبة الخضراء، فقصت عليه قصة هي: أن ملكاً عادلاً - اسمه (بِشْر التقي) - كان يعيش في أرض الروم "فأغار عليه العشق، ففتن عقله، ولعب بلبه. فقد رأى - ذات يوم امرأة جميلة، تكسوها ملاءة سوداء

- (۱) گفت در نسل ناستوده ما کز زنان هرکه دل بمرد سپرد مرد چون هر زنی که از مازاد هست يك خصلت آزموده ما چون بزادن رسيد زاد وبمرد دل چگونه بمرکک شاید داد؟! (المرجع السابق، ص ۱۹۰)
- (۲) بر من اين جان ازان عزيز ترست که سپارم بدانچه وز خطر ست (المرجع السابق، ص ۱۹۱)
- (۳) كردش از زيبه‌های زرین زرد (نظامی: هفت پیکر، ص ۱۹۷)

(فتزيدها جمالاً وفتنة)، وتجعلها تبدو كالبدر بين السحب السوداء. وكانت هذه المرأة تسير في الطريق دون التفات إليه؛ فرفعت الرياح برقعها فجأة، فأظهرت الرياح الفتنة، وخرج القمر من بين السحب السوداء، فلما رأى "بشر" ذلك ارتعشت قدماه، وحمد في مكانه".<sup>(١)</sup>

ولكنه أراد أن ينتصر على نفسه، ويتغلب على عشقه، فسافر - سريعاً إلى بيت المقدس حتى ينساها، ثم رجع بعد الزيارة، فصاحبه في الطريق رجل كان اسمه "مليخا"؛ كان حسن الظاهر، ولكنه كان يحمل بين جنبه نفساً شريرة، كما كان يظهر علمه فيحاول شرح وتعليل كل ما يراه في أثناء السفر.

وبينما كان المسافران يسيران في الصحراء، نفذ ما كان معهما من ماء، وكادا يموتان عطشاً، لولا أن وجدا إبريقاً مملوءاً بالماء مخفياً تحت شجرة، فرجع "بشر" أن الإبريق قد تركه صياد، ثم شرب الرجلان منه؛ ولكن "مليخا" أراد أن يستحم من هذا الماء، ثم يكسر الإبريق؛ فلم يوافق "بشر" على ذلك، غير أنه لم يذعن لرأي "بشر"، وقفز في الإبريق، فغرق، وظهر أن الإبريق عميق جداً.

ثم أخرج "بشر" جثة "مليخا"، فسقطت من ملبسه حافظة نقود، كان بها ألف دينار، فصمم "بشر" على إعطائها لورثته، فلما وصل إلى دياره، أخذ يسأل عن أسرته، حتى عرف منزله بعد مشقة وجهه، فقابل زوجته، وأخبرها بموته، فقالت إنها فرحت بسماع هذا النبأ، لأن "مليخا" كان سيء الطباع، غليظ القلب. ثم أظهرت رغبتها في الزواج من "بشر"،

قننه با عقل دست بازی کرد چون در ابرسیاه ماه تمام باد ناگه ربود برقع ماه ماه از ابرسیه برون آمد تیریک زخمه دوخت برجایش (المرجع السابق، ص ١٩٨-١٩٩)

(١) بر رهش عشق تر کتازی کرد پیکری دید در لفافه خام فارغ از بشر میگنشت براه قننه را باد رهنمون آمد بشر کان دید سست شد پایش

وکشفت عن وجهها فظهر أنها المرأة التي كان بشر قد رآها، فأسره عشقها، وفتن بها حباً، فسافر ليتغلب على عشقه.

"فلما رأى بشر أنه قرب من حور الجنة، لبس اللون الأخضر كالحور"<sup>(۱)</sup>.

وختمت الأميرة القصة بمدح اللون الأخضر، فسر الملك، وقضى معها ليلته سعيداً.

#### ۴- بهرام تحت القبة الحمراء

وفي يوم الثلاثاء؛ زار بهرام الأميرة السقلابية في القصر ذي القبة الحمراء، فقضى معها يوماً جميلاً، ثم قصت عليه قصة هي: أن إحدى الأميرات كانت جميلة، وكانت مُلِمة بكل العلوم حتى السحر، فراح خير جمالها في العالم فخطبها أشخاص كثيرون من الممالك المختلفة، ولكنها لم تقبل أحداً منهم.

ثم بنت - بإذن من والدها - قصرًا لها في الجبل، "وجعلت - بمهارتها - حوله عدة طلسمات، صنعت جسم كل منها من الحديد والحجارة، ووضعت في يد كل منها حربة، فكانت تشطر كل من يمر من طريقها المخيف نصفين"<sup>(۲)</sup>.

(۱) چون ندید از بهشتیان دورش  
جامه سبز دوخت چون حورش  
(نظامی: هفت پیکر، ص ۲۱۴)

(۲) کرد در راه حصار بلند  
پیکر هر کطلم از آهن و سنگ  
هر که رفتی بدان گذرگه بیم  
گشتی از زخم تیغها بدونیم  
(نظامی: هفت پیکر، ص ۲۱۸ - ۲۱۹)

ثم رسمت صورتها، "وكتبت فوقها بخط جميل جدًا: كل من يريدني من أهل الدنيا، يجب أن يكون كالفراشة التي تريد النور، فيضع قدمه داخل هذه القلعة - التي هي مكاني - فلا يتكلم من بعيد".<sup>(١)</sup>

وعلقت هذه الصورة على باب المدينة، ولكن الذين حاولوا أن يتزوجوها لم يستطيعوا إبطال الطلسمات، فكانوا يقتلون "وكان (رجالها) يعلقون كل رأس تقطعها الطلسمات على باب المدينة".<sup>(٢)</sup>

ولم يمض وقت طويل حتى اكتظ باب المدينة بالرءوس، وأخيرًا استطاع أمير شاب أن يذهب إلى عالم ماهر، ويتعلم منه العلوم المختلفة؛ فتمكن بذلك من إبطال الطلسمات، لابسًا اللباس الأحمر حقًا على الأشخاص الذين قتلتهم الأميرة.

ولما نجح الشاب في الوصول إلى الهدف، قبلته الأميرة زوجًا. ولما كان اللون الأحمر هولون الفرح، ولون اللباس الذي تغلب به "فقد اتخذ اللباس الأحمر فألاً له منذ يوم انتصاره"<sup>(٣)</sup>.

ثم أخذت الأميرة تعدد مزايا اللون الأحمر، فسَرَ بهرام، وأمضى معها ليلته مسرورًا.

(١) بر سر صورت پرنده سرشت  
کز جهان هر کرا هو ای منست  
گوچو پروانه نظاره نور  
(المراجع السابق، ص ٢١٩-٢٢٠)

(٢) هر سری کز سران بریدندی  
(نظامی: هفت پیکر، ص ٢٢١)

(٣) کاولین روز بر سپیدی حال  
(المراجع السابق، ص ٢٣٤)

## ٥- بهرام تحت القبة الفيروزية

وفي يوم الأربعاء؛ زار بهرام الأميرة المغربية في القصر ذي القبة الفيروزية ف قضى معها يوماً ممتعاً، ثم قصت عليه قصة هي: أن تاجرًا مصريًا شابًا - اسمه "ماهان" كان يترصد مع بعض أصدقائه في حديقة، فجاء إليه زميل، وأخبره بأن قافلة محملة بتجارته قد وصلت إلى باب المدينة، فتوجه "ماهان" مع زميله إلى ذلك المكان، ثم جاوزاه، وكانت الشمس قد غربت، فأغلق باب المدينة دونهما، فلم يجدا بدءًا من الإنتظار حتى الصباح. ثم أراد "ماهان" أن يدخل المدينة، فأخذ يسأل زميله عن وسيلة يتمكن بها من دخولها، فدلّه على طريق سار فيه، ولكن الطريق أفضى به إلى منطقة خربة مخيفة، فتلفت حوله فلم يجد أحدًا، وكان الزميل نفسه قد اختفى، فألغى نفسه في مكان موحش مملوء بالأغوال والحيوانات المفترسة، والشعابين الفتاكة، والكهوف المرعبة<sup>(١)</sup>.

وتحير ماهان، ولكنه استطاع أن ينجو، ويترك المكان، ويسير هائمًا على وجهه للبحث عن مكان آمن؛ وبينما هو سائر في طريقه، أقبل عليه فارس شيخ يركب حصانًا، وسأله عن حقيقة حاله، وهدده بالقتل، فقص عليه ماهان قصته، فرقّ الفارس له، وهداه إلى حديقة فيها فواكه كثيرة، وماء نمير، وسمح له بالانتظار فيها طوال الليل، على أن يجلس فوق شجرة، فصعد ماهان إلى أعلى شجرة.

(١) نظامى: هفت پيكر، ص ٢٣٨.



ولما جن الليل امتلأت الحديقة بفتيات جميلات، ثم "أقمن حفلاً رائعاً بالقرب من شجرته، فامتلاً المكان بالشموع، وامتلأت الوجوه بشراً ونشاطاً ثم جاءت امرأة جميلة - كانت سلطانتهم - فجلست في صدر الحفل، وأجلست الأخريات حولها"<sup>(١)</sup>.

ودعت السلطانة "ماهان" للجلوس بجوارها، فجلس؛ وبعد قليل "أخذ يعانقها ويقبل شفيتها الحمراء"<sup>(٢)</sup>.

"غير أنه لما أمعن النظر فيها وجدها جنية، خلقت جميع أعضائها من غضب الله كحبة مرعبة، لم ير الإنسان مثلها في التوحش"<sup>(٣)</sup>.

وأخذت هذه الجنية تعانقه، وتهزأ به حتى الصباح، فوجد نفسه في ذلك المكان الموحش الذي كان فيه قبل ذلك، ولكنه نجا بفضل "الخضر"؛ "فلما سمع "ماهان" سلام الخضر نجا، كالظمان الذي رأى ماء الحياة"<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) بزمرگه خسروانه بنهادند  
شمع بر گشت روی بساط  
آن پریخ بود مهتر شان  
رفت وبر بزمرگه خاص نشست  
(المرجع السابق، ص ۲۵۷)
- (٢) لب بر آن چشمه رحیق نهاد  
مهریاقوت بر عقیق نهاد  
(المرجع السابق، ص ۲۶۱)
- (٣) چون در آن نور چشم و چشمه قند  
دید عفریتی از دهن تاپای  
گامیشی گراز دانندی  
کورد نیکو نظر بچشم پسند  
آفریده ز خشمهای خدای  
کازدهاکس ندید چندان  
(نظامی: هفت پیکر، ص ۲۶۱)
- (٤) چونکه ماهان سلام خضر شنید  
تشنه بود آب زندگانی دید  
(المرجع السابق، ص ۲۶۶)

ثم رجع "ماهان" إلى المدينة، وصار يلبس اللون الأزرق "لأنه رأى أصدقاءه صامتين، وكان كل منهم يلبس ثوبًا أزرق حدادًا عليه".<sup>(١)</sup>

وختمت الأميرة القصة بمدح اللون الأزرق، فاستحسنها بهرام، وقضى معها ليلة ممتعة.

## ٦- بهرام تحت القبة البنية<sup>(٢)</sup>

وفي يوم الخميس؛ زار بهرام الأميرة الرومية في القصر ذي القبة البنية، فقضى معها يومًا رائعًا، ثم قصت عليه قصة هي: أنه كان يوجد شابان اسم أحدهما "خير" واسم الآخر "شر"، وكان عمل كل منهما مطابقًا لاسمه".<sup>(٣)</sup>

ثم تصادف أن سافر هذان الشابان معًا فسارا، حتى وصلا إلى صحراء، وكادا يهلكان من شدة العطش، وكان مع "شر" ماء، فأخفاه عن "خير" الذي علم بذلك، فطلب منه جرعة ماء، على أن يعطيه جوهرتين ثمينتين؛ ولكن "شر" رفض، لأنه خشى أن يأخذ "خير" الجوهرتين منه - مرة ثانية - حينما يرجعان إلى المدينة، وقال له: "بع لي عينيك الغاليتين بالماء، وإلا فاصرف النظر عن الإبريق".<sup>(٤)</sup>

وقبل "خير" ذلك لشدة عطشه، غير أن "شر" اقتلع عينيه، وسرقه، ثم تركه دون أن يسقيه، فوجد أحد رعاة الغنم الأكراد؛ وكان هذا الراعي غنيًا، كما كان يعرف نوعًا من الشجر يعالج ورقه مرض العمى، فعالجه به حتى رجع إليه بصره، ثم زوجه ابنته قائلًا: "إني

(١) ديداران خويش را خاموش هريك از سو گواری أزرق پوش  
(نفس المرجع والصفحة)

(٢) هذه الكلمة ترجمة لكلمة «صندلي» التي استعملها الشاعر، ولعلها نسبة إلى نبات الصندل.

(٣) نام این خیر ونام آن شر بود فعل هريك بنام دخوربود  
(نظامی: هفت پیکر، ص ٢٦٩)

(٤) گفت شر آن دوگو هر بصر ست کاین ازان آن از این عزیز ترست  
چشمه‌ارا بمن فروش بآب ورنه زین میخورد روی بتاب  
(المرجع السابق، ص ٢٧٢)

اختارك زوجًا لابنتي الجميلة بمحض حريتي، وإني أهبك كل ما عندي من الإبل والغنم، حتى تصبح غنيًّا".<sup>(١)</sup>

ثم استطاع "خير" أن يعالج ابنة الملك بورق هذا الشجر من مرض عضال حار فيه الأطباء، فاختاره الملك زوجًا لها، "وهكذا أوصله الحظ الحسن، إلى العرش والملك".<sup>(٢)</sup>

وذات يوم - أحضر رجال "خير" "شرًّا" أمامه لظلمه شخصًا آخر، فعفا "خير" عنه، ولكي الراعي - والد زوجته الأولى - لم يطق صبرًا، فضرب رأس "شر".

"ثم صار "خير" يتخذ اللون البني لونًا لثيابه منذ ذلك الوقت، حبًّا في الشجرة التي كانت رائحتها تشبه رائحة (الصندل)".<sup>(٣)</sup>

وختمت الأميرة القصة ببيان فوائد نبات الصندل، فسُرَّ بهرام، وقضى معها ليلته سعيدًا.

## ٧- بهرام تحت القبة البيضاء

وفي يوم الجمعة؛ زار بهرام الأميرة الإيرانية في القصر ذي القبة البيضاء، وقضى معها يومًا ممتعًا، ثم قصت عليه قصة هي: أن شابًا غنيًّا كانت له حديقة، وكان إذا مرَّ بجوارها يسمع صوتًا موسيقيًّا يأتي منها، ولكن باب الحديقة كان مُقفلاً، لم يحاول أحد فتحه،

- |  |  |
|--|--|
| (١) برچنين دختری باآزادی<br>وانچه دارم زگوسفند و شتر | اختيارت كنم بدامادی<br>دهمت تاز مايه گردی پر<br>(المرجع السابق، ص ٣٨٣)       |
| (٢) تا چنان شد كه نيكخواهی بخت                       | برساندش بپادشاهی وتخت<br>(المرجع السابق، ص ٢٨٨)                              |
| (٣) برهواي درخت صندل بوي<br>جز بصندل خري نكوشيدي     | جامه راكرده بود صندل شوي<br>جامه جز صندلي نپوشيدي<br>(نظای: هفت پيكر، ص ٢٩١) |

ففتحہ الشاب، ودخل الحديقة"، فوجدها مملوءة بفتيات ذوات أصوات جميلة، وكن فانتات، يستولين على المشاعر، فكانت الأشجار تتمايل طربًا، كأن فاكهتها عاشقة" (۱).

وظنت الفتيات أنه لص، فأخذن يضربنه، ولكن الرجل قال: "إن الحديقة حديقتي، فأنا أضربُ في بيتي" (۲).

فلما عرفن ذلك صالحنه، "وجلسن أمامه في دلال، وأخذن يقصصن عليه قصصًا جميلة" (۳).

ثم اقترحن عليه أن يجمع كل فتيات المدينة الجميلات، ليختار واحدة منهن، ثم جمعن فتيات المدينة "وجلس السيد في غرفة، وأغلق بابها، وكان في وسط الغرفة ثقب يخترقه شعاع نور؛ ثم أخذت الجميلات يسرن أمامه عاريات وهو ينظر إليهن من الثقب فرآهن كالزهرات الفاتنات، فكانت سيقانهن فضية، وأثداؤهن رمانية، وكن كلهن رائعات الجمال" (۴).  
ثم اختار الشاب فتاة منهن، فأحضرتُ أمامه، "فضمها إلى صدره، وأمعن فيها تقبيلًا" (۵).

- |  |  |
|--|--|
| (۱) باغ پرشور از ان خوش اوازی<br>رقص برهردرختی افتاده  | جان نوازان درو بخان بازی<br>میوه دل برده بلکه جان داده<br>(المرجع السابق، ص ۲۹۵)   |
| (۲) مردگفتاباغ منست  | برمن این دود از چراغ منست<br>(نظامی: هفت پیکر، ص ۲۹۷)  |
| (۳) بنشستند پیش خواجه بناز   | باز گفتند قصه های دراز<br>(نفس المرجع والصفحة)   |
| (۴) خواجه بر غره رفت و دست درش<br>بود در ناف غره سورخی<br>چشم خواجه ز چشمه سوراخ<br>کرده برهر طرف گل افشانی<br>روشنائی چراغ دیده همه | باز گشتند رهبران ز برش<br>روشنی تافته درو شاخی<br>چشمه تنگ دید آب فراخ<br>سیم ساقی و نثار پستانی<br>خوشر از میوه رشیده همه<br>(المرجع السابق، ص ۲۹۸-۲۹۹) |
| (۵) زلف دلبر گرفت چون چنگش<br>بوسه و گاز بر شکر میزد   | در بر آورد چون دل تنگش<br>از یکی تاده وزده تاصد<br>(المرجع السابق، ص ۳۰۴)  |

"وأراد أن يدخل بها، فانقض عليها كالأسد المفترس الذي يحاول إلتهام الفريسة، ولكنه وجد صعاباً تعترض طريقه".<sup>(١)</sup>

واختلى الشاب بالفتاة مرات عديدة، فكان - في كل مرة - يستمتع بها، ولكنه كلما حاول أن يدخل بها، اعترض شيء سبيله، ففي المرة الثانية؛ "أراد أن يدخل بها فعاقته اضطرابات قام بها العامة، وعكرت صفوه، فصار حزيناً كالفراشة التي بعدت عن النور، أو كالظمان الذي فقد ماء الحياة".<sup>(٢)</sup>

وفي المرة الثالثة، أراد الدخول بها، فاعترض طريقه معركة قامت بين ذئب و ثعلب، وكان الذئب يطارد الثعلب، فالتجأت إلى حديقته".<sup>(٣)</sup>

وأخيراً استيقظ ضميره "وصاح به: ما هذا العمل؟!.. وما هذه الخصال الشريرة التي تكمن في نفسك؟!.....".<sup>(٤)</sup>

واتخذ مما حدث دليلاً على عصمة الفتاة وعفافها، فصمم على الزواج منها، فلما وصل إلى المدينة، خطبها على سبيل الوفاء".<sup>(٥)</sup>

مهر ازاب حیات بر دارد  
زیر چنگک خودش کشید بزور  
خشت برخشت رخن ها بشکافت  
(نظامی: هفت پیکر، ص ۴۰۳)

تا در گنج خانه باز کند  
تا غلط شد چنین تمنای  
تشنه گشت ازاب حیوان دور  
(المرجع السابق، ص ۳۱۰)

در خصال تو این چه اهرمنست؟!  
(نفس المرجع والصفحة)

کرد مقصود را طلبکاری  
(المرجع السابق، ص ۳۱۴)

(١) خاست تانوش چشمه را خاردار  
چون درامد سیاه شیر بگور  
جایگه سست بود سخی یافت

(٢) دست برگنج دراز کند  
ناگه آورد فتنه غوغایی  
مانند پروانه را درانده نور

(٣) المرجع السابق، ص ۳۱۲.

(٤) بانگک بروی زدند کاین چه فنست

(٥) چون بشهر آمد از وفاداری

ثم عقد قرانه عليها، ودخل بها، ولبس الثياب البيضاء في وقت الزفاف، كدليل على العفاف والطهارة؛ "وقد صار لبس الثياب البيضاء سنة في أوقات العبادة".<sup>(۱)</sup>

وختمت الأميرة القصة بمدح اللون الأبيض فسُر بهرام، وقضى ليلته مسرورًا.

\*\*\*\*

وختم نظامی هذه القصص بقوله: "وقضى بهرام مثل هذه الليالي كثيرًا تحت القباب السبع، وفتحت له السموات أبوابها، فصار حسن الحظ سعيدًا".<sup>(۲)</sup>

\*\*\*\*

ثم تابع الشاعر حديثه عن تاريخ بهرام، فأشار إلى مجيء ملك الصين إلى إيران لغزوها مرة ثانية، ولم يكن لدى بهرام جيش أو مال، فأشار عليه وزيره "راست روشن" بأخذ المال من الشعب اغتصابًا، وقبل بهرام ما أشار به الوزير "لأنه كان مشغولًا باللهو والشراب، مما جعل الوزير يتمادى في الظلم".<sup>(۳)</sup>

وشاع في المملكة الفساد، وأخذت معاول الهدم تعمل فيها، دون أن يجرؤ أحد على إطلاع بهرام على حقيقة الحال، حتى قابله - ذات يوم - راعٍ شيخ فأخذ ينصحه، ويُبصّره بما في دولته من ظلم وفساد، بسبب سوء تصرفات الوزير، وقال له: "إن المشهور في كل مكان

(۱) در پرستش بوقت كوشیدن سنت آمد سپید پوشیدن (نظامی: هفت پیکر، ص ۳۱۵)

(۲) وبن چنین شب بسی بناز و نشاط بروی این آسمان گنبد ساز کرده درهای هفت گنبد باز (المرجع السابق، ص ۳۱۵)

(۳) شه چو مشغول شد بنوش و بنار او ببیداد کرد دست دراز (المرجع السابق، ص ۴۲۱)

أن القتل من الملك، والشافعة من الوزير، فقد شوّه الوزير بظلمه اسم الملك، ونسب الحسن من الأعمال إلى نفسه".<sup>(١)</sup>

فتأثر بهرام، وأفرج عمن سجنهم الوزير، ثم استدعاه، وجلس يستمع إلى شكاوى الناس<sup>(٢)</sup>، ثم أمر بقتله على مرأى منهم<sup>(٣)</sup>.

ولم يلبث ملك الصين أن أرسل إلى بهرام معذراً، وظهر أن الوزير كان يتصل به، ويعرض عليه مساعدته<sup>(٤)</sup>.

وصار بهرام يعدل منذ ذلك الوقت "بل إنه لما رأى صورة العدل اعتبر، فضله على العالم جميعه، وفتن بجماله، وضجى في سبيله مجبه للعرائس السبع"<sup>(٥)</sup>. ولم يحتفظ بهرام من ملذاته إلا بالصيد.

وذات يوم، كان يطارد حماماً "فدخل الحمام غاراً في شجاعة وسرعة، وتبعه الملك كالأسد الهصور".<sup>(٦)</sup>

(١) گفته در شرحهای ما تم وسور نام شه را بجزور بدکر کرده کشتن آن شه شفاعت آن دستور نیکنای بنام خود کرده (نظامی: هفت پیکر، ص ٣٢٩)

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣٢-٣٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٤٥-٣٤٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٤٨.

(٥) پیکر عدل چون بدیده شاه شاه کرد از جمال منظر او هفت پیکر فدای پیکر او (نفس المرجع والصفحة)

(٦) گور درغار شد روان دلیر شاه دنبال او گرفتہ چوشیر (المرجع السابق، ص ٣٥٠)

وانتظره خدمه على باب الغار، ولكنه لم يخرج، "ثم خرج من الغار غبار كالدخان، من شدة صيحات أتباعه المتأثرين، وسمعوا صوتًا يقول لهم: ارجعوا، فإن لدى الملك عملاً يؤديه".<sup>(١)</sup>

ودخل بعض رجاله الغار، فوجدوه غير عميق، "ولكنهم لم يجدوا الملك بداخله"<sup>(٢)</sup>، فالتفوا حوله كالشعبان<sup>(٣)</sup>.

ثم جاءت أم بهرام محترقة القلب، وأمرت بحفر الأرض بجوار الغار، - للبحث عنه - ففعلوا ما أمرت به، ولكنهم لم يجدوا شيئًا، فحزنت حزناً شديداً<sup>(٤)</sup>.

وانتهت المنظومة بدم الدنيا وغدرها<sup>(٥)</sup>. ثم مدح الشاعر حاكم مراغه، وذكر تاريخ إتمام المنظومة<sup>(٦)</sup>، وختم بالدعاء للحاكم بأن يرتفع شأنه، وتكون خاتمه سعيدة<sup>(٧)</sup>.

هذه صورة مصغرة، لقصة "بهرام گور" كما عرضها نظامى في منظومته "هفت پيكر"؛ وقد تحدث الفردوسي عن "بهرام گور" في جزء من منظومته "شاهنامه" فيحسن أن نقارن بين تصور كل من الشعارين، حتى تتضح ألوان صورة نظامى، ويمكن أن نحكم على ما فيها من فن حكماً دقيقاً.

(١) ز آه آن طفلگان درد آلود  
بانگى آمد كه شاه درغاست  
گردى از غار بردميد چودود  
باز گرديد شاه را كارست  
(نظامى: هفت پيكر، ص ٣٥١)

(٢) هذا ما ذكره نظامى؛ أما الفردوسي فقد ذكر في الشاهنامه، ج ٤، ص ٣٣٢ أن الوزير أخبر بهرام بخلو الخزان من المال، فحزن، وتنازل عن العرش لابنه يزدگرد، ثم مرض، وذهبوا - مرة - لإيقاظه في الصباح، فوجدوه ميتاً على سريريه.

(٣) چون نديدند شاه را درغار  
بردر غاز صف زدند چومار  
(نظامى: هفت پيكر، ص ٣٥٢)

(٤) نفس المرجع والصفحة.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٥٤ - ٣٦١.

(٦) المرجع السابق، ص ٣٦٧.

(٧) نفس المرجع والصفحة.



## الفصل الثالث

### مقارنة بين تصوير كل من الفردوسي ونظامي لقصة بهرام كور

سجل الفردوسي في منظومته "شاهنامه" أعمال بهرام، وصوّر عصره تصويرًا دقيقًا، وأسرف في تصوير رحلاته للصيد، ومهارته في الحرب<sup>(١)</sup>.

أما نظامي؛ فقد صوّر في منظومته "هفت بيكر" جانبيين من حياة بهرام: الجانب التاريخي، والجانب العاطفي، وربط بينهما بمهارة، وأعطاهما الصبغة القصصية.

فتحدث في الجانب التاريخي عن ولادة بهرام، ونشأته، وجلسه على العرش، وحروبه، وولعه بصيد الحمر الوحشية، ونهايته.

وجعل الجانب العاطفي يشتمل على حب بهرام للأميرات السبع، وحياته الزوجية معهن. ونستطيع بعد دراسة منظومة نظامي أن نقرر أن تصويره للجانب التاريخي من حياة بهرام يشبه - إلى حد كبير - تصوير الفردوسي لشخصية بهرام، وأن ما ذكره نظامي يعتبر - في الواقع - تكرارًا لما قاله الفردوسي من قبل.

(١) فردوسي: شاهنامه، ج٤، ص١٩٦-٣٣٣.

وقد اعترف نظامی نفسه بأنه كرر ما قاله غيره، وحاول أن يُلبس نظمه ثوبًا جديدًا، فقال: "سأحاول - بقدر ما أستطيع - أن أكون كنسيم الربيع، فلا أكرر الأسلوب القديم، بل أحاول التجديد، ولو أنه ليس من عادتي أن أكرر ما قيل قبلي، غير أن الطريق إلى الكنز واحد، فإن يكن قد أُلقيَ سهمان إلا أنَّ الهدف واحد، فلا مفر - إذًا - من تكرار القديم، فأنا والفردوسي ضاربان لنقود الكلام، جَدَدنا النقود القديمة، فصنع هو من النحاس فضة نقية، وحوَّلْتُ أنا الفضة إلى ذهب خالص، فلا تعجب من تحول الفضة إلى ذهب، كما لم تعجب من تحول النحاس إلى فضة"<sup>(١)</sup>.

وصرح نظامی في غير هذا الموضع بأنه أبقى ما وجده صحيحًا - من تاريخ بهرام - كما هو، فلم يغيِّر فيه شيئًا، وأنه حاول أن يُتمَّ الحديث عن الجوانب التي لم يستكمل الفردوسي الحديث عنها، وأن يضيف إلى بناء القصة بعض النقوش البديعة، ليجعلها أجمل وأروع، فقال: "تحدثتُ عن كل ما وجدت الحديث عنه غير كامل، وأكملت ثقب الجواهر التي لم يُثَقَّب إلا نصفها، وأبقيتُ كل ما وجدته صحيحًا مستقيمًا في صورته الأولى، وحاولتُ أن أضيف إلى هذه القصة ما يزينها من المحسنات الطريفة"<sup>(٢)</sup>.

(١) نكنم دعوى كهن دوزی  
شرط من نیست گفته وا گفتن  
تیرها گردو شد نشانه یکیست  
دانم انگیخت ازبلاس حریر  
تازه کردند نقدهای کهند  
وین کند نقره را بزر خلاص  
نقره گرزر شوه شگفت مدار  
(نظامی: هفت پیکر، ص ۸۳-۸۴)

گوهر نیم سفته را ستم  
ماند مش هم برآن قرار نخست  
باشد آرايشی ز نقش غریب  
(المرجع السابق، ص ۱۶-۱۷)

(١) تاتوانم چوبادنوروزی  
گرجه در شیوه گهر سفتن  
لیک جوهره بگنج خانه یکیست  
چون نباشد زیاز گفت گزیر  
دو مطرز بکیمیای سخن  
وین کند نقره را بزر خلاص  
مس که دیدی که نقره شد بعیار

(٢) آنج ازونیم گفته بدگفتم  
وانج دیدم که راست بود ودرست  
جهد کردم که در چنین ترکیب

والواقع أن تصوير نظامي للجانب التاريخي يختلف عن تصوير الفردوسي من الناحية الأسلوبية، فقد وضع التفنُّن في أسلوب نظامي<sup>(١)</sup>، وظهرت فيه الصبغة التي لاحظناها في الفن في عصره، بصفة عامة.

كما يختلف في نظره كل من الشعارين لشخصية بهرام، فقد تأثر كل منهما بروحه هو، وبروح العصر الذي عاش فيه، في تصوير شخصية بهرام.

فالفردوسي كانت روحه حماسية، فصور بهرام على أنه صورة للبطولة الإيرانية القديمة، ومثل للحاكم القوي الذي ينعم بالملذات، ويبحث عنها، ويصرف فيها جزءاً كبيراً من وقته؛ كما جعله بطلاً يستطيع القيام بخوارق الأعمال، ورغم أنه صور عدله، وعفوه عن المجرمين، إلا أنه صور بطشه وقتله في سبيل المحافظة على كبريائه؛ فبين أنه قتل الجارية التي اصطحبها معه للصيد، لأنها أشارت عليه بأن يرمي غزالين بحيث يجعل الذكر منهما أنثى، والأنثى ذكراً، ففعل "وحاك رأس الغزال وأذنه وقدمه في مكان واحد، وقال: إنني حينما اصطاد أستطيع أن أفعل مثلما رأيت ألف مرة، فرق قلبها لذلك الغزال الطليق، وقالت له: أنت شرير وإلا ما رميت بهذه الطريقة، فأمسكها بهرام، ورمها على الأرض، ثم أجرى المهجين على الفتاة الجميلة حتى ماتت"<sup>(٢)</sup>.

وجعل الفردوسي جل حديثه يدور حول فروسية بهرام، ومهارته في الصيد، فأسرف في تصوير مناظر صيده.

(١) سيأتي الحديث عن هذا الباب في الباب السابع، عند الحديث عن فن نظامي.

(٢) سرو گوش ويايش بيكجا بدوخت  
چنين گفتم شه جون شكار افكتم  
كنيزك بدو گفتم اهريمنى  
بزد دست بهرام اوورا ززين  
هيون از برمهاه جهره براند  
بران آهو آزادمرا دل بسوخت  
ازاينسان كه ديدى هزار افكتم  
وگيرنى بدينسان كجا افكنى  
نگونار برزد بروى زمين  
بزد دست وچنكش نجون برفشاندى  
(فردوسي: شاهنامه، ٤، ص ٢٠٣)

ولكن نظامى حاول أن يصور بهرام في صورة الملك العادل، فلم يطنب في الحديث عن الصيد، ولم يسرف في تصوير مناظره، بل حاول أن يضرب الأمثلة على عدل بهرام، فبيّن كيف قتل وزيره لظلمه، ثم جلس ليستمع شكوى الناس، وبلغ به حب العدل درجة جعلته يهجر نساء الأميرات ليتفرغ للعدل بين الرعية.

ونظامى متأثر - في هذا - بتمجيده هو للعدل، ودعوته إلى الإصلاح، ومحاولة اتخاذ الشعر ميداناً لدعوته التي تقوم على أساس تهذيب النفس، وتقويم الخلق، وإقرار العدالة في المجتمع الذى يعيش فيه، وتعتبر العدل غاية في نفسه، إذا أدركها الإنسان لم يحفل بما عداها.

ولذلك نجد بهرام - في منظومة نظامى - يميل إلى العفو عند المقدرة، فبيدأ عهده بالعفو والصفح، وتطبيق العدالة في جميع الأرجاء، فلم يقتل بيده الجارية التي اصطحبها معه للصيد - والتي تناولت عليه بعد أن قام بما أشارت به - بل سلمها لضابط ليقتلها، وبكى حينما أخبره الضابط كذباً بأنه قتلها، وسر لما علم ببقائها على قيد الحياة، ثم تزوجها، كما مر.

وهكذا نجد فرقاً واضحاً بين تصوير كل من نظامى والفردوسي لشخصية بهرام هذا، وعصره وما تم فيه من أعمال، وما وقع من أحداث. هذا فيما يتعلق بالجانب التاريخي.

أما الجانب العاطفي من حياة بهرام، فإن تناوله بالصورة التي عُرضت - في "هفت بيكر" لنظامى - يعتبر جديداً، لم يسبق الشاعر إليه. وهو من خلق نظامى، فليس موجوداً بهذه الصورة فيما نظمه الفردوسي.

ويبدو أن الذى دفع نظامى إلى عرض هذه الصورة، هو روحه الغنائية، وروح الناس في عصره، الذين كانوا يفضلون مناظر العشق، ومواقف الحب، فحاول الشاعر أن يطرق هذه

الناحية، حتى يجعل الحديث عن بهرام في صورة قصة جميلة، يلعب العشق فيها دوراً مهماً رئيسياً.

وقد أثبت نظامي - في هذا الجزء - سبع قصص، يتخذ العشق المكان الأول فيها، مثلها في ذلك مثل "خسرو وشيرين" و"ليلي ومجنون".

وهو يتخذ هذا المكان سواء في حياة بهرام نفسه، أو في حياة أبطال هذه القصص.

ولكنها تختلف عن "خسرو وشيرين" و"ليلي ومجنون" في أن خاتمة أبطالها سعيدة غالباً فليست نعماتها حزينة، لأنها تذكر لتسلية بهرام وإمتاعه، ولذلك وجدنا بطل كل قصة تُتاح له فرصة للتمتع، حتى في القصة الأولى، التي انتهت بلبس الثياب السوداء، حداداً على ما تولى من نعيم، وجدنا بطلها يقضى شهراً - تقريباً - في متعة متجددة.

كما نلاحظ أن عاقبة الأبطال النجاة دائماً؛ فلم يهلك واحد منهم، رغم ما قاساه بعضهم من مصاعب، كما رأينا في قصة التاجر المصري الذي لاقى من الأهوال ما لاقى، ثم نجا على يد الخضر، ورجع إلى دياره سالمًا.

واتخذ نظامي من هذه القصص مجالاً لإظهار آرائه في الحب، وأنه لا يتنافى مع الفضيلة، ومع الأخلاق الكريمة، والتمسك بالطهر والعفاف، والدعوة إلى التطهر، والترفع عن النقائص، ومحاربة الرذيلة.

فوجدناه يحافظ على عفاف المعشوقة، ويرعى الفضيلة، ويقىم العقبات في طريق الرذيلة. وصور هذا بصورة واضحة مجسمة في القصة الأخيرة، فكانت الحواجز تقام في وجه البطل كلما فكر في الاعتداء على عفاف معشوقته، حتى استيقظ ضميره، فمجد العفاف، وتزوج معشوقته زواجاً شرعياً، واتخذ اللون الأبيض رمز الطهر والعفاف شعاراً له.

كما اتخذ القصص وسيلة للدعوة إلى اتباع العدل، وفعل الخير، وبيّن أن الحق ينتصر في النهاية، وأن قوى الشر قد تتغلب في بادئ الأمر، ولكنها لا تلبث أن تندحر وتتبدّد. وأوضح مثلاً لذلك قصة "خير وشر"، التي اتخذها الشاعر وسيلة لإثبات أن دولة العدل والخير، هي التي تدوم، بينما يزهق الباطل والظلم، وتدول دولة الشر. وهكذا نجد أن نظامى تأثر بروحه هو، وبروح عصره، وطبق مذهبه عند تصويره لبهرام من الناحيتين التاريخية، والعاطفية.

فالشاعر - رغم تقليده للفردوسي في عرض الوقائع التاريخية التي لا يمكن تحويرها - قد أضفى على المنظومة ما أكسبها جدة وطرافة، وجعلها لا تقتصر على الحوادث التاريخية، وتصوير مناظر الصيد، بل تتعداها إلى تصوير العواطف الإنسانية السامية، التي تهتم الناس في كل زمان ومكان، وتوجههم إلى الخير، وتدعوهم إلى فعله، وتحاول إسعاد المجتمع. وجعل الشاعر فنه في خدمة الإنسانية، فحاول أن يستخدمه في الوصول إلى أنبل الأهداف، وأسمى الغايات.

كما أن منظومة "نظامى" تختلف عما نظمه "الفردوسي" في أنها أضفت على حياة بهرام وعصره الصورة القصصية، وجعلته يبدو كبطلٍ لقصة تقوم على أسس من الشجاعة والمهارة، والعدل والحب، ولو أن الحبكة الفنية لا تبلغ فيها درجة الروعة التي نجدها في قصة "خسرو وشيرين".

ولكن نظامى - رغم هذا - قد أخرج قصة بهرام في صورة تختلف في جوانبها، وأضوائها عما ذكره الفردوسي، فابتكر جوانب جديدة، ومنحها أضواء خاصة زاهية.

فهي تعتبر جديدة طريفة في الصورة التي عرضها نظامي؛ مما جعل كثيراً من شعراء الفارسية والتركية يحاولون تقليده، ونظم القصة متأثرين بما ورد في منظومته.

وأشهر من قلدوه من شعراء الفارسية: أمير خسرو الدهلوي المتوفى في عام ٧٢٥هـ، فنظمها تحت عنوان "هشت بهشت"؛ وعبد الرحمن الجامعي المتوفى في عام ٨٩٨هـ، الذي نظمها تحت عنوان "هفت بيكر"؛ وهاتفي<sup>(١)</sup> المتوفى في عام ٩٢٧هـ، ونظمها تحت عنوان "هفت منظر"؛ وفيضي المتوفى في عام ١٠٠٤هـ، الذي نظمها تحت عنوان "هفت كشور".

وأشهر من قلدوه من شعراء التركية "لامعي" ٩٣٨هـ، وقد نظمها تحت عنوان "هفت بيكر".

والدارس لمنظومات هؤلاء الشعراء يستطيع أن يلاحظ - في سهولة ووضوح - مبلغ اعتمادها على منظومة نظامي، واقتباسها طريقتها، وما فيها من معلومات واتجاهات خاصة.

ونضرب مثلاً لذلك "بأمر خسرو الدهلوي"، الذي نظم القصة في نفس البحر الذي استعمله نظامي، وتأثر بما ورد في "هفت بيكر" لنظامي - عن حياة بهرام، ومهارته في الصيد، وقصص الأميرات السبع - تأثراً كاملاً، ولم يدخل في القصة إلا تعديلاً يسيراً، يتعلق بترتيبها، فبدأها بقصة الجارية التي لم تعترف بمهارة بهرام في الصيد، وذكر أن اسمها "دل آرام"<sup>(٢)</sup> وبين أن "بهرام" تزوجها في النهاية، بعد أن أصبحت عازفة ماهرة، تستطيع أن تجذب بعزفها الحيوانات إليها<sup>(٣)</sup>.

وهذا تعديل طفيف يتعلق بالشكل ولا يؤثر في موضوع القصة في شيء، فهو شيء عرضي لا يمس الجوهر، ولا يتعرض للهدف الذي ترمي إليه القصة.

(١) كان "هاتفي" ابن أخت عبد الرحمن الجامي.

(٢) "دل آرام" معناها "راحة القلب"، وقد ذكر نظامي هذه الجارية باسم "فتنة".

(٣) M. Wabid Mirza: *The Life and Works of Amir Khusrau*, p. 201-203.

ولعلنا نستطيع بعد هذه الدراسة أن نصدر حكمننا عليها، فنقرر أن تصوير نظامى لقصة بهرام يعتبر جديدًا طريفًا، وأن تأثيره في نفوس الشعراء كان أعمق أثرًا، وأبقى ذكرًا.

\*\*\*\*

ونكتفي بهذا القدر من الدراسة لمنظومة "هفت بيكر"، لتحدث عن منظومة نظامى الخامسة، والأخيرة "إسكندر نامه".



# الباب الخامس

## منظومة "إسكندر نامه"

### الفصل الأول

#### دراسة حول منظومة إسكندر نامه

##### ١- أقسام المنظومة:

نظم الشاعر قصة الإسكندر في بحر المتقارب المثنى، وجعلها في مجلدين، تحدّث فيهما عن ثلاثة جوانب من شخصية الإسكندر.

المجلد الأول: ويسمى "شرفنامه"؛ وهو الذي تحدّث فيه عن الإسكندر كبطل فاتح. ويشتمل على ٦٨٠٠ بيت من الشعر.

والمجلد الثاني: ويسمى "إقبالنامه"، كما يسمى "خردنامه"<sup>(١)</sup>. وتحدّث فيه عن الإسكندر كحكيم، ونبي؛ ويشتمل على ٣٦٨٠ بيت من الشعر.

---

(١) هذه هي التسمية التي ذكرها نظامى نفسه، وهي التسمية الراجحة، أما في الهند، فإنهم يسمون القسم الأول "إسكندرنامه برى" لأنه يتحدّث عن رحلات الإسكندر على الياص، ويسمون القسم الثاني "إسكندرنامه بحري" لأنه يتناول رحلاته على الماء.

ورغم أن ما يتعلق بشخصية الإسكندر كحكيم، وما يتعلق بها كنبی، يضمهما مجلد واحد، إلا أنه يبدو أن الشاعر كان قد وضع نصب عينيه أن يتحدث عن كل جانب حديثاً مستقلاً، لأنه عرض - في مقدمة شرفنامه. الآراء المختلفة التي قيلت في حقيقة الإسكندر، ولخصهما في ثلاثة آراء فقال: "يعتبره جماعة ملكاً فاتحاً للعالم، وسائحاً في الآفاق، ويجعله قوم حكيمًا، ويقتبسون الحكمة من أعماله، ويعترف جماعة بنبوته، لتقواه وعنايته بالدين"<sup>(١)</sup>.

ثم بين نظامی بعد ذلك أنه يعتبر الإسكندر مُتصفاً بهذه الصفات جميعها - أي أنه ملك شجاع، وحكيم، ونبی<sup>(٢)</sup> - وأنه سيتحدث عن كل صفة منها حديثاً خاصاً مستقلاً، فقال: "سأثبت من كل حبة - من هذه الحبات الثلاث شجرة قوية، فأطرق - أولاً - باب مُلكه، فأحدث عن فتوحه وانتصاراته، ثم أحدث بإبداع عن حكيمته، فأسجل الحُكم القديمة، ثم أطرق بعد ذلك باب نبوته، لأن الله - أيضاً - قد قررها"<sup>(٣)</sup>.

(١) گروهیش خوانند صاحب سریر  
گروهی ز دیوان دستور او  
گروهی زیاکي ودين پروری  
ولایت ستان بلکه آفاق گیر  
بحکمت نبشتند منشور او  
پذیرا شدنش بیبغمیری  
(نظامی: شرفنامه، ص ٥٤)

(٢) تغير رأي الإيرانيين في الإسكندر المقدوني على مر القرون. يقول عزام في حواشيه على ترجمة الشاهنامه للبنداري، ج ٢، حاشية ص ٣: "كان يسمى الإسكندر اللعين الذي دمر المملكة وأحرق كتب زردشت فصار ذا القرنين الموحد العابد الفارسي ابن الملك داراب وأخا دارا". ويبدو أن نظامی قد خلط بين قصة الإسكندر، وقصة موسى والخضر، وقصة ذي القرنين المذكورتين في القرآن، وصور شخصية الإسكندر متأثراً بهذه النظرة، كما سيأتي.

(٣) من از هرسه دانه كه دانا فشانند  
نخستين در پاد شائى زنم  
زحكمت بر آرايم آنگه سخن  
ببيغمیری كويم آنگه درس  
درختی برومند خواهم نشاند  
دم ازگار كشور گشائى زنم  
كنم ترازه پار نجهای كهنى  
كه خوانند خدانير بيغميرش  
(نظامی: شرفنامه، ص ٥٥)

ثم أكد أنه تحدث عن كل جانب حديثاً مستقلاً، فقال: "صنعتُ ثلاثة أبواب، وتحملتُ في إعداد كل منها عناءً خاصاً، وهي تحف نادرة، سأجعل العالم - بواسطتها - مملوءاً بالجواهر."<sup>(١)</sup>

وهذا يرجِّح أن نظامي قَسَم قصة الإسكندر إلى ثلاثة أجزاء، ونظم كلَّ جزء منها على حدة.

فعرض في الجزء الأول صورة الإسكندر كملك قوي، وبطل فاتح، وسجِّل مفاخره، وسمى هذا الجزء "شرفنامه".<sup>(٢)</sup>

وتحدث في الجزء الثاني من الإسكندر كحكيم، وسماه "خردنامه"<sup>(٣)</sup>؛ لأنه بدأه بالحديث عن العقل، فقال: "أينما يُظهر العقل كنزاً من الحكمة فإنه يجعل اسم الله مفتاحاً له".<sup>(٤)</sup> وصور في الجزء الثالث الإسكندر في صورة نبي له رسالة، وسماه "إقبالنامه"<sup>(٥)</sup>؛ لأنه اعتبر أن سعادة الإسكندر الحقيقية بدأت يوم اختياره نبياً، فقال "لقد سجّلوا تاريخ الإسكندر منذ ذلك الوقت الذي صار فيه نبياً"<sup>(٦)</sup>.

(١) سه در ساختم هرردی کان گنج بدان هرسه در یابدان هرسه در جدا گانه بر هرردی برده رنج کنم دامن عالم از گنج اپر (نفس المرجع والصفحة)

(٢) "شرفنامه" معناها "كتاب الشرف".

(٣) "خردنامه" معناها "كتاب العقل".

(٤) خرد هر كجا گنجی آرد پدید ز نام خدا سازد آثرا كلید (نظای: خردنامه وإقبالنامه، ص ٢)

(٥) "إقبالنامه" معناها "كتاب السعادة أو الحظ".

(٦) از آن روز كوشد بیغمبری نبشتند تاریخ اسکندری (نظای: شرفنامه، ص ٧١)

غير أنه يبدو أن كبر سن الشاعر وضعفه، جعلاه يختصر الجزئين الأخيرين اختصاراً شديداً، ويجعلهما في مجلد واحد سماه "خردنامه وإقبالنامه"<sup>(١)</sup>.

كما يبدو أن الشاعر كان يعد الجزء الأول وحده مساوياً لنصف القصة، لأنه قال بعد فراغه من نظم شرفنامه: "حينما فرغْتُ من نصف هذا البناء، عددتُ نفسي مسيطراً على نصف العالم، وسأُنظم النصف الآخر إذا كان في العمر بقية"<sup>(٢)</sup>.

غير أن الجزئين الأخيرين - في صورتها التي بين أيدينا - يساويان ثلث القصة لا نصفها، لأن عدد أبياتهما لا يزيد كثيراً عن نصف عدد أبيات الجزء الأول، فضلاً عما فيهما من اضطراب في بعض الأجزاء.

(١) يبدو أن ما نظمه نظامى عن حكمة الإسكندر ونبوته، لم يصادف هوى في نفوس الإيرانيين، لأنه أشاد بتوحيد الإسكندر لله بينما كان الإيرانيون يقدسون النار، ومجّد تحطيم الإسكندر لبيوت النار، وقضاه على "الأوستا" كتابهم المقدس. فكان هذا من الأسباب التي لم تحب نظامى إلى قلوبهم، فلم يتعلقوا به تعلقهم بالفردوسي، الذي أشاد بالفرس وسجل مفاخرهم وأمجادهم، ولعل هذا كان سبباً فيما نجده في الجزئين المتعلقين بحكمة الإسكندر ونبوته من اضطراب - أحياناً - يشعر بأن أجزاء منهما قد حذفت، أو سقطت في أثناء النسخ، فأصبح يضمهما مجلد واحد - في صورتها الحالية - مما سنتبينه من الدراسة.

(٢) جو شد نيمة زابن بنا مهره بست      مرانيمه عالم آمد بدست  
دگر نيمة را گر بود روزگار      چنان گويم از طبع آموزگار  
(نظامى: شرفنامه، ص ٥٢٤)

## ٢- تواريخ إتمام أجزاء القصة، وما أصابته من نجاح:

صرح نظامي بأنه أتم نظم "شرفنامه" في عام ٥٩٧هـ، فقال: "نظمت هذه المنظومة في الدنيا، لتبقى فيها إلى يوم القيامة؛ وأتممتها في وقت الزوال من اليوم الرابع من شهر المحرم، لسبعة وتسعين وخمسمائة عام خلت بعد الهجرة<sup>(١)</sup>".

أما "خردنامه وإقبالنامه" فقد رجحت أنه كان ينظم فيهما في عام ٥٩٩هـ، لأن الشاعر صرح بهذا التاريخ، وأشار إلى أنه كان في سن الستين، كما رجحت أن نظمهما تم في عام ٦٠٣هـ، حينما كان الشاعر في منتصف الرابعة والستين من عمره.

\*\*\*

وقدم الشاعر "شرفنامه" لنصرة الدين أبي بكر أتابك آذربيجان. كما مرّ - لأنه اعتبره بطلاً مظفراً كالإسكندر، ولا ندري أية جائزة حصل عليها الشاعر مكافأة له على عمله، لأنه لم يذكر أكثر من قوله: "الحمد لله الرحيم، رب العالمين، لأن إنصاف الوالي أكثر من قصة الإسكندر<sup>(٢)</sup>".

غير أننا لا نعرف - على وجه التحقيق - نوع هذا الإنصاف، ومقداره. أما "خردنامه وإقبالنامه"، قد قدمهما لعز الدين مسعود أتابك الموصل، كما سبق. وحاول أن يظفر منه بجائزة عظيمة فخاطبه بقوله: "اشرب كأساً من إناء نظامي - على طريقة الملوك القدماء -

(١) بگفتم من این نامه را درجهان  
بتاریخ پانصدنود هفت سال  
که تا دور آخر بود درجهان  
چهارم محرم بوقت زوال  
Rieu: *Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum*, from Add. 26, 45, Fol. 1143, and Add. 25, 799, Fol. 176.

(٢) سپاس آن خداوند گیتی بناه  
که بیشست از اینقصه انصاف شاه  
(نظامی: شرفنامه، ص ٦٥)

فستأخذ بها حق الشاهنامه من السلطان محمود<sup>(١)</sup>، لأنها تشبه كأس الفردوسي، فأنت وأنا وارثان لمنجمين قديمين، مَلَكَ منجم السخاء، ولي منجم الكلام، وقد أصبح من حقي أن أظفر بالجائزة التي حُرِمَ منها الفردوسي<sup>(٢)</sup>.

ويَبِّن للوالي أنه لم يذكر أحدًا غيره، حتى لا يقرب شاعرًا سواه، فقال: "أرسلتُ إليك تذكارةً قيمًا لعمل عظيم، وحاشا أن أذكر اسم شخص غيرك، فاذكرني بهذا التذكار"<sup>(٣)</sup>.

وقرر أنه أرسل عمله مع ابنه ليرجع إليه محملاً بالعطاء، فقال: "لقد أرسلتُ إليك روحي، وأرسلتُ مع الروح فلذة كبدي، فُرِّدَهَا إِلَيَّ محمَّلةً بعطاء أكثر مما أتصور"<sup>(٤)</sup>.

ولا ندري - كذلك - أي عطاء وصل إلى الشاعر، ولو أن هناك أبياتًا - في آخر المنظومة - تشير إلى مكافأته على عمله<sup>(٥)</sup>؛ ولكنها تُذكر في الحاشية، على أنها أبيات ملحقة.

ولعل وفاة الشاعر بعد تقديم المنظومة بمدة وجيزة، هي التي لم تمكنه من إثبات نوع العطاء، إن كان هناك عطاء.

(١) يقصد الشاعر السلطان "محمود الغزنوي" الذي قدم الفردوسي له منظومته "شاهنامه"، ولم يظفر بالجائزة التي كان يتوقعها، ويعتبر نظامى نفسه وارثًا للفردوسي، وجديرًا بأن يأخذ جائزته من الوالي، لأنه أهل لأن تنسب إليه المنظومتان معًا: منظومة الفردوسي، ومنظومته.

(٢) زكاس نظامى يكى طاس مى  
ستانى بدان طاس طوسى نواز  
دو وارث شمار از دوكان كهن  
بوامى كه ناداده باشد نخست  
خورى هم بايين كاوس كى  
حق شاهنامه ز محمود باز  
ترادر سخا وميرا در سخن  
حق وارث از وارث آيد درست  
(نظامى: خردنامه و اقبالنامه، ص ٣٥)

(٣) اگرچه من آز بهر كارى بزرگك  
مبادا زتو جزتوكس يادگار  
فرستادمت بآدگارى بزرگك  
وزين يادگار اين سخن ياددار  
(نظامى: خردنامه و اقبالنامه، ص ٣٦)

(٤) چو من نزل خاص توجان داده ام  
چنان باز گردانش از نزد خویش  
جگرنيز باجان فرستاده ام  
كز اميد من باشد آن رفق بيش  
(المرجع السابق، ص ٢٨٦)

(٥) المرجع السابق، ص ٢٩٤. وقد ذكرت الأبيات نوع المكافأة، ولكن دستگردى يقول إن الأبيات ملحقة، وليست من نظم الشاعر.

### ٣- سبب نظم قصة الإسكندر:

لم يذكر نظامي سببًا لاختياره قصة الإسكندر المقدوني، بعد نظمه قصة "بهرام گور"، ولم يشير إلى أن أحدًا من الحكام طلب منه نظمها، وكل ما قرره هو أن هاتفاً نصحه بنظمها<sup>(١)</sup>، وهي طريقة اتبعها قبل ذلك حتى يبرر شروعه في نظم جديد.

وليس في قصة الإسكندر مناظر حب؛ حتى نقول إنها شجعت على اختيارها، كما اختار سابقتها لهذا السبب.

ونحن نرجع أن الدافع الذي حفز نظامي إلى نظم قصة الإسكندر هو أنه كان شيخًا هرمًا يريد أن يختم حياته بصورة ليس فيها لغو ولا تأثيم، فابتعد عن قصص العشق، واختار قصة بطل مؤمن موحد، وني - في رأيه - يدعو الناس إلى العدل والإصلاح.

ولعل وجود قصة الإسكندر في عصره في صورة نثرية - كما سيأتي - هو الذي شجعه على نظمها، لأن ذلك جعل مهمته أسهل، وسبيله أيسر.

\*\*\*\*

وسنعرض في الفصول التالية شخصية الإسكندر - كما صورها نظامي - من جوانبها الثلاثة؛ فنصور بطولته، وحكمته، ونبوته، ثم نقارن هذه الصور، بتصوير الفردوسي لشخصية الإسكندر - فيما نظمته عنه في منظومته "شاهنامه" - حتى يمكننا أن نقدر عمل نظامي تقديرًا صحيحًا.

(١) نظامي: شرفنامه، ص ٢٦-٢٩.





## الفصل الثاني

### بطولة الإسكندر كما صوّرها نظامي في شرفنامه

بدأ نظامي "شرفنامه" بمقدمة تقليدية<sup>(١)</sup>؛ تحدث فيها عن توحيد الله، ومناجاته، ومدح الرسول، وذكر معراجه، كما تحدث عن سابقة نظم شرفنامه، وذكر أنه كان في حالة مراقبة فسمع هاتفاً ينصحه بنظم القصة، ثم تحدث عن الشيخوخة، وعن تقدم منظومته على كل ما سبقها من منظومات، وذكر السبب في قوله: "إن المنظومات الأخرى - التي تجدها قبل ذلك - ليست صحيحة في نظر الشعب، فلا ينبغي أن تحرف هذه القصة، وأن تكتب في صور مختلفة، فمنظومتي لها شرف على غيرها من المنظومات بفضل الدقة في النظم، وقد سميتها كتاب الشرف، لاشتمالها على قصة الإسكندر، وهي تشرف الملوك"<sup>(٢)</sup>.

ثم أشار إلى صنيع الفردوسي فقال: "إن الشاعر السابق الفردوسي عالم طوس زَيْنَ وجه النظم كالعروس، ولكنه ترك أشياء لم يذكرها في منظومته التي نظم فيها الجواهر؛ ولو نظم كل ما روي منذ القدم لأصبحت القصة مطولة.

(١) نظامي: شرفنامه، ص ٢٢-٦٧.

(٢) دگر نامه هارا كه جوئی نخست  
نباشد چنين نامه تزوير خيز  
بنسروي نوك چنين خامه ها  
از آن خسروي می كه درجام اوست  
بجمهور ملت نباشد درست  
نبشته بچندين قلمهای تيز  
شرف دارد ابن بر دگر نامه ها  
شرفنامه خسروان نام اوست  
(نظامي: شرفنامه، ص ٤٩-٥٠)

فحذف منها كل ما لم يوافق هواه (ویرتمشی مع فکرتہ)، ونظم الأشياء التي لم يكن هناك بد من ذكرها، فترك بذلك بقية للأصدقاء، لأنه لا ينبغي أن يأكل الحلوى وحده".<sup>(۱)</sup>

وختم المقدمة بقوله: "حينما شرع نظامی في نظم القصة، ترك كل ما ذكره الفردوسي، ونظم ما وجده في الكنز من جواهر غير منظومة، فجدد بنظمها الأحاديث القديمة، وجعلها مشهورة، ذائعة الصيت"<sup>(۲)</sup>.

وذكر أن الخضر علمه كيفية نظم القصة<sup>(۳)</sup>، ثم أخذ في سردها، فأجملها في أبيات قليلة؛ قائلاً: "كان الإسكندر ملكاً سائحاً، يعد للسفر عدته، فطاف أركان العالم الأربعة، ورآها، لأن الملك لا يبني إلا على أربعة أركان"<sup>(۴)</sup>.

وأشار إلى جلوسه على العرش فقال: "فلما طوى عمره صحائف العشرين عاماً دق طبول الملك، وحينما بلغ عمره السابعة والعشرين صار نبياً، يطوف العالم ليبلغ رسالته"<sup>(۵)</sup>.

(۱) سخنگوی پیشینه دانای طوس در آن نامه کان گوهر سفته راند نگفت آنجه رغبت پذیرش نبود دگر از پی دوستان زله کرد (نظامی: شرفنامه، ص ۵۰-۵۷)

(۲) نظامی که در رشته گوهر کشید بناسفته دری که در گنج یافت شرفنامه را فرخ آوازه کرد (نظامی: شرفنامه، ص ۵۰-۵۷)

(۳) المرجع السابق، ص ۵۰.

(۴) سکندر که شاه جهان گرد بود جهان را همه چارحد گشت ودید (المرجع السابق، ص ۷۰)

(۵) چو عمرش ورق راند بریست سال دویم ره که بریست افزود هفت (نظامی: شرفنامه، ص ۷۱)

"وقد بنى - في كل رحلة قام بها - مدينة في كل ناحية من أنحاء العالم، من الهند إلى أقصى الروم".<sup>(١)</sup>

"فكان كالمهندس الماهر الذي يقيس العالم من ساحل إلى ساحل، فذرع الدنيا بهذه الهندسة، وأراحها من الهم"<sup>(٢)</sup>.

ثم أخذ الشاعر يفصل ما أجمله، فسجل تاريخ الإسكندر، وبدأ يذكر والده "فيلقوس"<sup>(٣)</sup> فقال "كان من بين ملوك الروم ملك مشهور اسمه فيلقوس بسط نفوذه على الروم والروس، وكان موطنه بلاد اليونان، ومقر حكمه إقليم مقدونية"<sup>(٤)</sup>.

وتحدث عن أصل الإسكندر، فقال: "إن في هذه القصة أقوالاً كثيرة، وقد اطلعت على هذه الأقوال جميعها"<sup>(٥)</sup>.

ثم سرد بعض الأقوال، فذكر ماروي من أن فيلقوس تبني الإسكندر، فقال "رأى فيلقوس امرأة ميتة في الصحراء - في أثناء الصيد - وكان على جثتها طفل يرضع إصبعة من قلة اللبن، وكأنه يعرض إصبعة حسرة على موت أمه؛ فأمر أتباعه بالإسراع بدفن الأم، وحمل

(١) بهرگرددش کرد پرگار دهر ز هندوستان تا باقصارى روم  
بناکرد جندين گرانمايقه شهر برانگيخت شهرى بهر مرزوبوم  
(نفس المرجع والصفحة)

(٢) بدینگونه مساح منزل شناس جهان راکه از غم براحت کشيد  
ز ساحل بساحل گرفتي قياس پدين هندسه در مساحت کشيد  
(المرجع السابق، ص ٧٣)

(٣) ذکر نظامی اسم والد الإسکندر علی أنه "فيلقوس" وهو قريب من التسمية المعروفة "فيليبوس" أو "فيليفوس".

(٤) که از جمله تا جیداران روم شهى نامور نام أو فيلقوس بيونان زمين بود ماواى أو  
جوان دولتى بود ازان مرز وبوم يذيرای فرمان او روم وروس بمقدونيه خاص ترجای او  
(نظامی: شرفنامه، ص ٨٠)

(٥) در ابن داستان دوازيها بسيست  
مراگوش برگفته هر کسيست  
(نظامی: شرفنامه، ص ٨١)

الطفل من الطريق، ثم أخذه، ورباه، ودلّله، وجعله ولياً لعهد، فكانت هذه صدفة غريبة، تدعو إلى الدهشة، والتعجب".<sup>(۱)</sup>

وأورد ما روى من أنه إيراني، فقال: "وهناك رأي آخر يذكره المجوس، فيربطون نسبه بدارا"<sup>(۲)</sup>.

وذكر أنه أهمل كثيراً من الآراء الأخرى، فقال: "وهناك أقوال أخرى ليست صحيحة، لا يجد الشاعر نفسه حريصاً على إيرادها"<sup>(۳)</sup>.

وختم بذكر رأيه هو الذي يميل إلى أن الإسكندر هو الابن الحقيقي لفيلقوس، فبيّن أن والدته "كانت زوجة شرعية للملك فيلقوس، وكانت عروساً جميلة عفيفة"<sup>(۴)</sup>.

وتحدث عن حملها بالإسكندر، وصور وضعه على أحسن فال، وأجمل طالع "فسر الملك بابنه حسن الحظ، وجلس على عرشه، ومنح الناس كثيراً"<sup>(۵)</sup>.

- |  |  |
|--|--|
| <p>(۱) زنی دید مرده بدان رهگذر زبی<br/>شیری انگشت خود میزید<br/>بفرمود تاجاکران تاختند<br/>ز خاک ره آن طفل را بر گرفت<br/>بیرد و پیرورد و بنواختش<br/>(المرجع السابق، ص ۸۱ - ۸۲)</p> | <p>(۲) دگر گونه دهقان آزر پرست<br/>(المرجع السابق، ص ۸۲)</p>         |
| <p>بیالین او طفلی آورده سر<br/>بمادر برانگشت خود میگزید<br/>بکار زن مرده پرداختند<br/>فرماند از آن روز بازی شگفت<br/>پس از خود ولیعهد خود ساختش<br/>(المرجع السابق، ص ۸۱ - ۸۲)</p>   | <p>(۳) دگر گفتها چون عیاری نداشت<br/>(نفس المرجع السابق والصفحة)</p> |
| <p>بنی بود پاکیزه ونوع عروس<br/>(نظامی: شرفنامه، ص ۸۲)</p>   | <p>(۴) که در بزم خاص ملک فیلقوس<br/>(المرجع السابق، ص ۸۳)</p>        |
| <p>در گنج بگشاد و برشد بتخت<br/>(المرجع السابق، ص ۸۳)</p>  | <p>(۵) شه از مهر فرزند پیروز بخت<br/>(المرجع السابق، ص ۸۳)</p>       |

ثم أشار إلى تربية الإسكندر على يد "نقوماجس" والد أرسطو، "وكان أرسطو زميلاً له في الدراسة، وكان يتفاني في خدمته"<sup>(١)</sup>.

وتحدث عن جلوسه على العرش، ووصف عدله، فقال: "امتلت الدولة بعدله، فجدد بذلك عهد أبيه، وأجرى ما أعجبه من القوانين التي استعملها والده"<sup>(٢)</sup>.

ولم يفكر في إيذاء أحد، ولم يبعد نفسه عن جادة العدل، فرفع الضرائب عن التجارة، ولم يفرض خراجاً على المدنيين، فعافى الزراع، ومنح الفقراء، فكان يعمر الدولة ويسعدها، ويقضي على ما فيها من فساد، ويحل محله الإصلاح"<sup>(٣)</sup>.

ثم ذكر أن فتوحه كلها تأثرت بهذه العاطفة؛ عاطفة حب العدل، وإنصاف المظلومين. وبدأ الشاعر الحديث عن بطولة الإسكندر، فابتدأ بالفتح المصري، وبيّن أن سببه كان تظلم المصريين من الزوج، الذين سدوا مسالك الصحراء<sup>(٤)</sup>. "فأمر أن يسير جيشه، محاذياً

(١) أرسطو که همدرس شهزاده بود  
بخدمتگر دی دل بدو داده بود  
(المرجع السابق، ص ۸۶)

(٢) ولایت ز عدلش پر آوازه گشت  
همان رسمها کاه پدر دیده بود  
بدوتاج وتخت پدرتازه کشت  
نمود آنچه رایش پسندیده بود  
(المرجع السابق، ص ۹۱)

(٣) باآزردن کس نیاورد رای  
ببازارگانان رها کرده باچ  
ز دیوان دهقان قلم برگرفت  
عمارت همیکرد وزر میفشاند  
برون از خط عدل تهاد پای  
نحست از مقیمان شهری خراج  
ببیمایگان هم درم در گرفت  
همه خارمیکند وگل مینشاند  
(نظامی: شرفنامه، ص ۹۲-۹۳)

(٤) رسیدند جندان سیاهان زنگک  
که شد در بیابان گذر گاه تنگک  
(المرجع السابق، ص ۹۵)

لنهر النيل حتى يصل إلى الصحراء<sup>(۱)</sup>. ثم بدأت الحرب بينه، وبين الزنج، "فحمل كل من الطرفين على الطرف الآخر من الصباح إلى المساء دون أن يُجرح واحد منهم"<sup>(۲)</sup>.

ثم اشتدت الحرب<sup>(۳)</sup> في الأيام التالية، وانتصر الإسكندر في النهاية، "وغنم غنائم كثيرة لم تستطع الإبل حملها، فأقام معابر كثيرة، لمرور الفيلة وهي تحمل الغنائم الثمينة"<sup>(۴)</sup>.

"وبنى - بعد النصر - أول مدينة على ساحل البحر، وجعلها رائعة كالربيع الأخضر، مشرقة كالجنة، وأقام - في أنحائها - الأسواق العامرة، والمزارع الناضرة، ولما أكمل بناءها سماها الإسكندرية"<sup>(۵)</sup>.

"ثم أرسل الهدايا إلى ملك الفرس دارا، فوصلت إلى مدينة بخاري، وأرسل معها رسولا عاقلاً، يُحسن أداء المهمة التي كُلف بها، وكانت الهدايا منتقاة من أثمن الغنائم التي غنمها، فكانت رائعة لم تر العين مثلها"<sup>(۶)</sup>.

- (۱) بفرمودشه كز لب رود نیل كندلشكرش سوى صحرا رحيل (المرجع السابق، ص ۹۶)
- (۲) بسی حمله بریكدیگر ساختند یكى زخم كاری نینداختند (المرجع السابق، ص ۱۲۴)
- (۳) أظن نظامی فی شرفنامه، ص ۹۸-۱۳۶ فی تصویر مناظر الحرب، وسیر المعارك بین الإسكندر والزنج.
- (۴) ز صحراء غنیمت بر آورده كوه ز بس گنج آ كنده پردشت پیل زگوهر كشییدن هیونان ستوه بصد جای پل بسته بررود نیل (المرجع السابق، ص ۱۳۶)
- (۵) نخستین عمارت بدریا كنار بابادی وروشنی چون بهشت باسكندر آن شهر چون شد تمام بنا كرد شهری چو خرم بهار مش جای بازار وهم جای كشت هم اسكندریه ش نهادند نام (نظامی: شرفنامه، ص ۱۳۶-۱۳۷)
- (۶) چو نوبت بسر بخش دارا رسید گزین كرد مردی بفر هنگك وراى گزید از غنیمت طرایف بسی شتریار زر تا بخارا رسید كه ایین آنخدمت ارد بجای كز آنسان نبیند طرایف كسی (المرجع السابق، ص ۱۳۸)

"فلما أبصر دارا هذه الهدايا العظيمة، أكل الحسد قلبه... فأجاب إجابة تافهة، لم تُعجب الإسكندر، فاغتاظ من فعله، وصمم على تأديبه"<sup>(١)</sup>.

وقطع الإسكندر الجزية التي كان يرسلها إلى دارا، كما كان والده يرسلها من قبل؛ فاستاء دارا، وأرسل في طلبها، ولكن الإسكندر رفض، ورد ردًا جافًا فيه تحذير له من بطشه، واستشهاد بحروبه مع الزنج، وتنكيله بهم، قائلاً: "لعل الملك لا يعرف عدد الرعوس التي قُطعت في الحروب، وإلى أين بلغت حملتي، وكم صرعتُ من الأبطال!..."<sup>(٢)</sup>.

"فلما سمع دارا جواب الإسكندر زجر غضبًا، وتميز غيظًا، وقال: كيف يتناول هذا الملك التافه على دارا؟!..."<sup>(٣)</sup>.

وبدأت الحرب بين الطرفين، "وكانت حربًا شديدة لا هودة فيها، فكانت أصوات الصرعى تتداخل مضطربة حتى ليخيل إليك أن الأرض قد زلزلت زلزالها، وأن إسرافيل نفخ في الصور إيذانًا بقيام الساعة"<sup>(٤)</sup>.

"وكان الجيشان يهجمان كالجراد والنمل، وكان الحرب بين عالمين"<sup>(٥)</sup>.

- |   |   |
|---|---|
| (١) شكوهيد دارا زلزلى چنان فرستاده آن پاسخ سرسرى سکندر شد آزده ازار او (المرجع السابق، ص ١٣٩) | (١) حسد را بروتین ترشد عنان نپوشید بررای اسکندری نهانی همیداشت آزار او (المرجع السابق، ص ١٣٩) |
| (٢) مگرشه نداند که در روز جنگک  | (٢) چه سرها بریدم دراقصای زنگک (نظامی: شرفنامه، ص ١٥٨)  |
| (٣) جو دارا جواب سکندر شنید که هم سکه راجه یارا بود   | (٣) بکی دورباش از جگر برگشید که هم سکه نام دارا بود (نفس المرجع والصفحة)                      |
| (٤) روا رو برامد زراه نبرد زمین گفقی از یگدیگر بردرید   | (٤) هزاهز درامد بمردان مرد سرافیل سورقیامت دمید (المرجع السابق، ص ١٩٩)                        |
| (٥) دولشکر چو مور وملخ تاختند   | (٥) نبردی جهان در جهان ساختند (المرجع السابق، ص ٢٠٣)  |

ثم "تقدم ضابطان من ضباط دارا - المقربين إليه في الظاهر، والخائنين في الحقيقة - إلى الإسكندر، وأظها له أنهما ضاقا ذرعًا بظلم دارا وغدره، فحقدا عليه. ثم بيّنا أنهما يريدان إراقة دمه، وقد رتبنا خطة محكمة لقتله. وطلبا الأمان على رويهما من الإسكندر"<sup>(۱)</sup>.

وقبّل الإسكندر فكرتهما، حقنًا للدماء فقالا: "إننا نريد قتله غدًا لنخلص الدولة من ظلمه"<sup>(۲)</sup>.

فلما جاء الغد نفذ ما دبّراه، مما صوّره الشاعر في قوله: "مدّ الضابطان الغادران أيديهما إلى جسم الملك الضخم - كأنهما فيلان ثملان - وضرباه بسهم في جنبه، فتلونت الأرض بدمه، وأصبحت كالروض المملوء بالورود الحمراء، ثم خرّ دارا صريعًا بسبب ذلك الجرح، فتزلزلت الأرض، وكان يوم القيامة قد حلّ بها"<sup>(۳)</sup>.

"وحينما علم الإسكندر أن هذين الضابطين الأحمقين تجاسرا على إراقة دم الملوك ندم على عهده؛ الذي أعطاه لهما لأنه شوه به اسمه، ورفع العصمة عن روجه"<sup>(۴)</sup>.

- 
- (۱) بدارا دو سرهنگک بودند خاص  
ز بيداد دارا بجان آمده  
بران دل که خونریز دارا کنند  
چو زینگونه بازاری آراستند
- (۲) بخوایم فردا براوتاخن  
ز بيداد او ملک پرداختن  
(نظامی: شرفنامه، ص ۲۰۶)
- (۳) دو سرهنگک غدار چون پیل  
مست زندش یکی تیغ بهلوگذار  
دراfnاد دارا بدان زخم تیز
- (۴) سکندر چو دانست کان ابلهان  
پشیمان شد از کرده پیمان خویش  
(نفس المرجع والصفحة)
- باخلاص نزدیک ودوراز خلاص  
دل آزدگی در میان آمده  
براوکین خویش آشکارا کنند  
بجان از سکندرآمان خواستن  
(المرجع السابق، ص ۲۰۵)



وأمر بقتل الضابطين، ثم توجه إلى حيث يلفظ دارا أنفاسه الأخيرة، "ووضع رأسه على فخذه (فكان كمن) وضع الليل المظلم فوق النهار المشرق، فأغمض ذلك الجسد النائم عينيه، وقال له: قم من هذا التراب والدم، ودعني فلم تبق لي نجاة، ولم يبق لمصباحي ضياء"<sup>(١)</sup>. ثم أخذ دارا يفخر بما كان له من عظمة، وبأنه كان ملك العالم، وطلب منه ألا يحركه، حتى لا تُزَلَّزَل الأرض، قائلاً: "أنا ملك على الأرض، فلا تهزني، حتى لا تهتز الأرض"<sup>(٢)</sup>. فتأثر الإسكندر، وقال: "أيها الملك. أنا الإسكندر خادمك"<sup>(٣)</sup>. وأظهر له أنه لم يكن راغباً في قتله، وأنه أسف لما حدث، قائلاً: "في رأيي أن رأس شعرة منك أغلى من آلاف التيجان"<sup>(٤)</sup>.

وقال إنه لا فائدة من الندم بعد أن حُمَّ القضاة، ثم رجاه أن يطلب كل ما يريد، ووعده بتنفيذ جميع رغباته، قائلاً: "قل كل ما عندك من رغبات، حتى أمر بتنفيذها، وإني أعدك بذلك"<sup>(٥)</sup>. فأجاب دارا: "لي رغبة في ثلاثة أشياء، أرجو أن تتحقق فضلك يا ملك العالم. أولها: أن تقتص لي ممن قتلني بغير ذنب. وثانيها: ألا تقضي - حينما تصير ملكاً (على إيران) - على أحد ممن كانوا على عرش الكيانيين.. فانزع من قلبك بذور الحقد، ولا تنظف الأرض من نسلنا وثالثها: ألا تنتهك حرمة منزلي، فارفع قدر ابنتي "رُوشَنك" بأن تزوجها، فقد رببتها

- |   |   |
|---|---|
| (١) سرخسته را برران نهاد<br>فروسته چشم آن تن خواناك<br>رها كن كه در من رهائی نماند<br>(نظامی: شرفنامه، ص ٢١٥) | شب تیره روز رخشان نهاد<br>بدو گفتم برخیزاز بین خون و خاک<br>چراغ مرا روشنائی نماند<br>(نظامی: شرفنامه، ص ٢١٥) |
| (٢) زمین را منم تاج تارك نشین   | مازان مرا تانلرزد زمین<br>(المرجع السابق، ص ٢١٦)  |
| (٣) سکندر بنا لید کای تاجدار  | سکندر منم چاکر شهریار<br>(نفس المرجع والصفحة)   |
| (٤) بنزدیک من یکسر موی شاه  | گرامیتر از صد هزاران کلاه<br>(المرجع السابق، ص ٢١٧)   |
| (٥) بگو هرچه داری که فرمان کنم  | بچاره گری باتو پیمان کنم<br>(المرجع السابق، ص ٢١٨)  |

تربیه سامیه لطیفه، فلا تُبعد قلبك المشرق عنها، لأن العرش يرتفع بالملكات الفاضلات،  
ولأن الشمس يحسن أن يلازمها النور<sup>(۱)</sup>.

"فقبل الإسكندر منه كل ما قاله. وقام القابل، ومات القائل"<sup>(۲)</sup>.

ثم جلس الإسكندر على عرش دارا "وفتح خزائنه لكل إنسان، ومنح الناس عطاءً  
جزيلاً، ورتب لكل إنسان ما يليق به من عمل، فأسعد البائسين"<sup>(۳)</sup>.

"فلما رأى الإيرانيون ذلك العطاء، دانوا له بالولاء؛ فأطاعوه، وارتفعوا بفضلته حتى  
جاوزوا عنان السماء، واستحسنوا أعماله، ودعوا له بالتوفيق والنصر"<sup>(۴)</sup>.

"ثم أمر الإسكندر الإيرانيين بأن يتركوا عبادة النار"<sup>(۵)</sup>.

- (۱) سه چیز آرزودارم اندر نهان  
بکی آنکه برکشتن بیگناه  
دویم آنکه برتاج و تخت کیان  
دل خو پیردازی از تخم کین  
سوم آنکه برزیردستان من  
همان روشنکک راکه دخت منست  
بهم خوانی خود کنی سر بلند  
دل روشن از روشنک سرمتاب
- (۲) سکندر پذیرفت از وهرچه گفت  
(نظامی: شرفنامه، ص ۲۱۹)
- (۳) در گنج بگشاد برهر کسی  
همان کار هرکسی پدیدار کرد  
(المرجع السابق، ص ۲۲۷)
- (۴) جو ایرانیان آن دهش یافتند  
نهادند سر برزمین یزمان  
گرفتند برشهریار آفرین  
(نظامی: شرفنامه، ص ۲۲۷)
- (۵) سکندر بفرمود کایرانیان  
گشایند از آتش پرستی میان  
(المرجع السابق، ص ۲۳۹)
- براید باقبال شاه جهان  
تو باشی رین داوری داد خواء  
چو حاکم تو باشی نیاری زیان  
نپردازی از تخمه ما زمین  
حرم نشکنی در شبستان من  
بدان نازکی دست نجات من  
که خوان گردد از نازکان ارجمند  
که باروشنی به بود آفتاب  
(نظامی: شرفنامه، ص ۲۱۹)
- پذیرنده برخاست گوینده خفت  
(نفس المرجع والصفحة)
- خزینه بسی داد و گوهر بسی  
بدان خفتگان بخت بیدار کرد  
(المرجع السابق، ص ۲۲۷)
- سر از چنبر سرکشئی یافتند  
کله گوشه بردند برآسمان  
که یار تو بادا سپهر برین  
(نظامی: شرفنامه، ص ۲۲۷)
- گشایند از آتش پرستی میان  
(المرجع السابق، ص ۲۳۹)

وهكذا قضى على هذه العبادة، وحطّم بيوتها، وأحرق "الأوستا" - كتاب الإيرانيين المقدس - ثم "أمر الناس بعبادة الله وحده، وبأن يتَّبِعوا الدين الحنيف، ويتعدوا عن عبادة الشمس والقمر"<sup>(١)</sup>.

وبَرَّ الإسكندر بوعده، فتزوج "روشنك"، وتوجه إلى اصطخر، وجلس على عرش كيومرث وكيقباد، فترَيّن به ملك إيران، وقوي به الأبطال، وهنأه العظماء، لأنهم ارتفعوا بمثل هذا الملك العظيم"<sup>(٢)</sup>.

ثم عزم الإسكندر على الطواف حول العالم لإصلاحه، وإنقاذه من الظلم، فأرسل زوجته الشابة "روشنك" إلى بلاد الروم، يرافقها أرسطو.

"وأمر بجمع الكتب الفارسية، في أسرع وقت ثم اقتبس من كل حكمة صنوفاً، وجعلوا كلاً منها في مجلد، وأرسلها - مع المترجمين - إلى بلاد اليونان، لتترجم من لغة إلى لغة أخرى"<sup>(٣)</sup>.

ثم توجه الإسكندر صوب المغرب "وعزم على زيارة الكعبة"<sup>(٤)</sup> ليحظى ببركتها، وكان مسروراً بهذا الفأل الحسن، فتوجه بجيشه نحو بلاد العرب بعد أن استتب له ملك العجم،

(١) بفرمود تامردم روز گار بدين حنيفي پناء آورند جزايزد پرشقي ندارند كار همه پشت برمهرومء آورند (المرجع السابق، ص ٢٤٠)

(٢) باصطخر شد تاج برسر نهاد شد آراسته ملك ايران بدو بزرگان بدوتهنيت ساختند بجاي كيومرث وكيقباد قوي گشت پشت دليران بدو بدان سر بزرگي سر افراختند (المرجع السابق، ص ٢٥٨)

(٣) كتب خانه پارسي هرچه بود سخنهای سرپسته از هردري بيونان فرستاد با ترجمان إشارات چنان شد كه آرند زود زهر حكمتي ساختند دفتري نبشت از زياني بديگر زبان (نظامي: شرفنامه، ص ٢٦٨)

(٤) يبدو أن زيارة الإسكندر للكعبة من إضافات المسلمين على قصته، ليدعموا فكرتهم عنه، وليثبتوا أنه كان موحدًا، يتبع الدين الحنيف، ولم يكن من المشركين، مما جعله يدعو الناس إلى التوحيد، وترك عبادة النار.

واتخذ طريق الصحراء، وكانت الإبل تحمل ما عنده من ذهب وغنائم، فأحسن رؤساء العرب استقباله، وأطاعوه، فلم يكادوا يبصرون جيشه المظفر، حتى نفذوا جميعاً أمره<sup>(۱)</sup>.  
ثم توجه لزيارة الكعبة "وطاف حولها الطواف المفروض، وقبّل بابها، وذكر الله - ناصره - كثيراً، وسجد أمام بابها، ومنح الفقراء بسخاء"<sup>(۲)</sup>.

"وبعد التعبد والزيارة، اتخذ طريق بلاد اليمن، وفتحها"<sup>(۳)</sup>.

"ثم توجه صوب العراق، وعزم على التوجه إلى بلاده غير أن رسالة وصلت إليه من أذربيجان، تدعوه إلى إصلاح شأن بلاد الأرمن، وعدم إغفالها، كما أصلح العالم، وأخذ صوت الظلم"<sup>(۴)</sup>.

فسار الإسكندر إلى هذه الديار، ورتب شئونها، كما أصلح بلاد الأبخاز، فخضع الملوك - جميعاً - له، وأصبحوا يؤدون له الخراج"<sup>(۵)</sup>.

شوه شاد از آن نقش فیروز فال  
بمملك عرب رانسد بنگاه را  
بعزم بیابان ره اندر گرفت  
سر آورد بر خط فرمان او  
عرب نیز گشتند فرمانبرش  
(المرجع السابق، ص ۲۷۱)

بر آورد وشد خانه را حلقه گیر  
پناهنده خویش کرد یاد  
خزینه بسی داد درویش را  
(المرجع السابق، ص ۲۷۲)

أدیم یمن زبریای آورید  
(المرجع نظامی: شرفنامه: ص ۲۷۳)

سوی خانه خویش کرد اتفاق  
ز فرمانده آذر آباد گان  
ستم را زعالم تهی نام کرد  
نکرد آن برویوم را بازجست  
(نفس المرجع والصفحة)

(۱) همان کعبه را نیز بیند جمال  
چو مملک عجم رام شد شاه  
را نجروارها گنج زر برگرفت  
سران عرب را زر افشان او  
چو دیدند فیروزی لشکرش

(۲) طوافی کز اونیست کس را گزیر  
نخستین در کعبه را بوسه داد  
بر آن آستان زدر خویش را

(۳) چو شرط پرستش بجای آورید

(۴) دگر ره در آمد بملک عراق  
بریدی در آمد چو آزادگان  
که شاه جهان چون جهان رام کرد  
چرا کار آرمن فروهشت سست

(۵) المرجع السابق، ص ۲۷۳ - ۲۷۵.

ثم علم أن "بردعة" تحكمها ملكة عاقلة اسمها "نوشابه"<sup>(١)</sup>، وأن مملكتها في رقي مطرد، "وأن في بلاطها ألفاً من الفتيات الأبيكار الجميلات كالأقمار، يقمن بمخدمتها. هذا بالإضافة إلى ثلاثين ألف فارسة ماهرة.. وليس على بابها أحد من الرجال، رغم أن بعضهم أفراد في عائلتها"<sup>(٢)</sup>.

فصمم الإسكندر على السير بجيشه إليها، ولكنه عدل عن هذه الفكرة، وآثر أن يذهب إليها في صورة رسول من قبل الإسكندر. "فأعد نفسه كما يفعل الرسل، وتوجه إليها في هيئة رسول"<sup>(٣)</sup>.

وعلمت نوشابه بوصوله "فزينت البلاط والطريق المؤدي إليه، وصفت الفتيات الجميلات مزيّنات بمختلف أنواع الزينة"<sup>(٤)</sup>.

ثم أمرت بإدخال الرسول عليها، فدخل بشجاعة، واتجه كالأسد المغرور نحو العرش، ولم يخلع سيفه، ولم ينحن كعادة الرسل"<sup>(٥)</sup>.

(١) ذكر الفردوسي في منظومته "شاهنامه"، ج ٤، ص ٣٣. اسم ملكة بردعة على أنه "قيدافة" ويبدو أن هذا الاسم أصح من "نوشابه" الذي ذكره نظامي؛ لأنه يذكر في اليونانية على أنه: Candace، وهو قريب من "قيدافة".

(٢) هزارش زن بكر در پيشگاه  
رون از كنيزان چابك سوار  
نگشتي ز مردان كسي بردرش  
بخدمت كمر بسته هريك چو ماه  
غلامان شمشير زن سى هزار  
وگر چند نزديك بودى برش  
(نظامي: شرفنامه، ص ٢٧٧)

(٣) برسرم رسولان براراست كار  
سوى نازنين شد فرستاده وار  
(نظامي: شرفنامه، ص ٢٨١)

(٤) براراست نوشابه درگاه را  
پريچهر گانرا بصد كونه زيب  
بزر در گرفت آهنين راه را  
صف اندر صف آراسته دلفريب  
(المرجع السابق، ص ٢٨٢)

(٥) فرستاده أزر درآمد دلير  
كمر بند شمشير نكشاد باز  
سوى تخت شد چون خرامنده شير  
برسرم رسولان نبردش نماز  
(نفس المرجع والصفحة)

وأخذت "نوشابه" تشك في أمر الرسول؛ وكانت صورة الإسكندر عندها<sup>(١)</sup>، فأمهلته يوماً، ثم أحضرت الصورة، وأخذت تقارنها بوجه الرسول حتى تأكدت من أنه هو الإسكندر نفسه، ثم أطلعتة على ذلك، فأنكر، فأرته صورته، فلما رآها "خاف واصفر لونه، وتضرع إلى الله، لئى يرعاه"<sup>(٢)</sup>.

"ولما عرفت نوشابه أن الأسد القوى قد خاف تلطفت، وقالت: أيها الملك المظفر!.. كم أحدث الدهر مثل هذه الحيل!.. فلا تفكر في شيء، واعلم أن صداقتى أكثر من أي شيء آخر؛ وأن هذا المنزل منزلك، وأنى لك جارية مطيعة، وخادمة منقادة، سواء في ديارك أم في ديارى"<sup>(٣)</sup>.

ثم خلعت عليه خلعاً كثيرة، وأقامت له حفلاً عظيماً، انصرف بعده مسروراً؛ بعد أن خلع عليها، وعلى من حولها هدايا قيمة، وعطاء عظيمًا.

ثم سار إلى جبال البرز، وكان رجاله يحملون ثروته معهم، ويسرون ببطء لكثرة ما كان معهم من الجواهر والذهب، حتى شعروا بالمشقة والتعب، فشاور الإسكندر أصحابه في أمر هذه الجواهر، فأشاروا عليه بدفنها تحت الأرض، وإقامة طلسم عليها، ففعل ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكر نظامى أن "نوشابه" حينما سمعت عن الإسكندر وشجاعته، وغلبته في الحروب، وميله إلى الإصلاح. أرسلت أحد رساميها ليرسم لها صورته، لأنها كانت تحب الاحتفاظ بصور العظماء.

(٢) بترسيد وشد رنگك رویش چوكاه  
بدارای خود برد خودرا پناه  
(المرجع السابق، ص ٢٨٧)

(٣) چو دانست نوشابه كان تندشير  
بدوگفت كای خسرو كامگار  
میندیش ومهر مرابیش دان  
ترا من کنیزی پرشتنده ام  
هراسان شد از تندى آمد بزیر  
بسی بازی آرد چنین روزگار  
همان خانه را خانه خویش دان  
هم آنجا هم اینجایكى بنده ام  
(نظامى: شرفنامه، ص ٢٨٢)

(٤) المرجع السابق، ص ٣١١-٣١٣.

وواصل سيره حتى فتح قلعة "در بند"، وسار منها إلى قلعة "سرير" حيث "أجلسوه على عرش كيخسرو، ونثروا الأموال تحت قدميه، وقدموا له خمر الظفر في الكأس التي كان الملوك القدماء يشربون فيها الخمر"<sup>(١)</sup>.

"فقام الإسكندر من مكانه - احترامًا - حينما أبصر الكأس، ثم شربها ولم يطلب غيرها"<sup>(٢)</sup>.

ثم ذهب الإسكندر إلى الهند عن طريق خراسان، وكان ملكها "كيد" قد قرأ رسالته، فأرسل الهدايا إليه، على أن يتعهد له بعدم الإغارة على بلاده.

وكانت الهدايا أربعمائة ذكرها الشاعر على لسان "كيد" فقال: "الأولى: أرسل ابنتي إلى الملك، وهي فتاة جميلة كالشمس المشرقة، وكالقمر المنير، والثانية كأس من الشراب نادر الوجود، لا ينقص الشراب بالشرب منها، والثالثة فيلسوف يحل المعضلات، والرابعة طبيب عاقل ماهر، يجعل المرضى أقوىاء"<sup>(٣)</sup>.

وقبل الإسكندر الهدايا، وتعاهد معه، ثم "سار من الهند إلى التبت" وتوجه منها إلى أقصى الصين"<sup>(٤)</sup>.

فشانند پسر نشارنوش  
بفیروزی آرنند نردیک وی  
(المرجع السابق، ص ٣٢٩)

بخورد آن بکی جام و دیگر نخواست  
(نظامی: شرفنامه، ص ٣٣١)

چه دختر که تابنده خورشید و ماه  
کنز و کم نگردد ز خوردن شراب  
که باشد برآز فلک رهنمای  
که نالندکانرا کند تندرست  
(المرجع السابق، ص ٣٥٦)

ز تبت در آمد بأقصای چین  
(المرجع السابق، ص ٣٦٦)

(١) نشانند بر تخت کیخسروش  
در آن جام فیروزه ریزندی

(٢) چوشه جام را دید بر بای خاست

(٣) یکی دختر خود فرسند پشاه  
دویم نوش جامی ز یاقوت ناب  
سوم فیلسوفی نهانی گشای  
چهارم پز شکی خردمند و چست

(٤) ز هندوستان شد بتبت زمین

ولكن ملك الصين رفض - أولاً - أن يدفع الجزية، فأغار الإسكندر عليه، "ففزع قائد الصين، وأخذ يتوجس خيفة من غارة الإسكندر من الليل حتى الصباح"<sup>(١)</sup>.

ثم انتهى الأمر بالصلح، وعزم الإسكندر على الرجوع إلى بلاد اليونان، ولكن رسلاً من "أرمينية" جاءوا إليه، من قبل ملكها "دوال"، وأخبروه بأن الروس قد هجموا على "بردعة"، وحطموا ملك نوشابه، فسار الإسكندر إليها، ومر - وهو في طريقه إليها - على هضبة القپچاق حيث أسر بجمال نسائها، وكن سافرات، فطلب من زعماء القپچاق أن يأمروا النساء بتغطية وجوههن حتى لا يغري جنوده بمتابعتهن، ولكن الزعماء أجابوا بأن هذه عادتهم، وقالوا: "لما كان عدم النظر إلى الوجه الغريب أفضل شرعاً، فإن الوزر يقع على العين لا على الوجه السافر"<sup>(٢)</sup>.

ولكن الإسكندر استطاع - بواسطة طلسم - أن يحملهم على قبول ما أراد، ثم واصل سيره إلى بلاد الروس، حيث قامت الحرب بين الطرفين، ودارت بينهما سبع معارك مختلفة<sup>(٣)</sup>، انتهت بانتصار الإسكندر، فهُزم الروس وقُتل منهم عدد كبير، وقد أجمل الشاعر نتيجة هذه الحروب في قوله: "فأمعن جيش الإسكندر في الروس قتلاً وأسرًا وشنقاً"<sup>(٤)</sup>.

وخلص الإسكندر "نوشابه" من الأسر، وغنم غنائم كثيرة لا تحصى، ولا تعد.

(١) سپهدار جين از شبيخون شاه نبود أيمن از شام تا صبحگاه (المرجع السابق، ص ٣٨٧)

(٢) چو در روى بيگانه نادیده به جنایت نه بررورى بریدیه به (نظامى: شرفنامه، ص ٤٢٦)

(٣) وصف نظامى هذه الحروب وصفاً دقيقاً مفصلاً في شرفنامه، ص ٤٣٦-٤٧٣.

(٤) زروسى بسى خون و خوى ريختند گرفتند وكشتند وأويختند (المرجع السابق، ص ٤٧٦)



ثم علم أنه أصبح قريبًا من منطقة الظلام، حيث يوجد ماء الحياة "فسر الإسكندر بتلك العين، وأظهر الفرح والغبطة"<sup>(١)</sup>.

وسار في الظلام يبحث - مع الخضر<sup>(٢)</sup> - عن ماء الحياة، فعثر الخضر على العين "فلما وجدها نزل، وخلع ملابسه في أسرع وقت، واستحم في هذا الماء، وشرب منه بقدر ما استطاع، فأصبح جديرًا بالحياة الأبدية"<sup>(٣)</sup>.

أما الإسكندر؛ فقد ضل الطريق "وظل يبحث عنها أربعين يومًا، فلم يعثر لها على أثر، وظل في الظلام"<sup>(٤)</sup>.

وسمع هاتفاً ينصحه بالعودة، لأنه لن يستطيع العثور على العين "فيئس ورجع - في النهاية - بعد أن سار في ذلك الطريق وقتًا طويلًا"<sup>(٥)</sup>.

(١) سكندر ببدان چشمه زندگی بسی کردشادی وفرخندگی (المرجع السابق، ص ٤٩٨)

(٢) خلط نظامی قصة الإسكندر بقصة "موسى والعبد الصالح" الذي قيل إنه "الخضر"، كما خلطها بقصة "ذي القرنين" ولعل السبب في ذلك أن قصة "ذي القرنين" وردت في القرآن بعد قصة "موسى والخضر" مباشرة في سورة الكهف: آيات ٦٥ - ٩٨.

(٣) چویا چشمه خضر آشنائی گرفت  
فرود آمد وجامه برکند چست  
وزو خورد چندانکه برکارشد  
بدو چشم او روشنائی گرفت  
سرو وتن ببدان چشمه پاک شست  
حیات آبدرا شزاوار شد  
(نظامی: شرفنامه، ص ٥١٠)

(٤) چهل روز درجستن چشمه راند  
(المرجع السابق، ص ٥١٢)

(٥) ازان ره که او عمر برداز گشت  
(نفس المرجع والصفحة)

"فلما وصل الإسكندر إلى بلاد اليونان، كان قد حصل على مفتاح كنز السعادة، لأنه استفاد من رحلته علمًا كثيرًا، ففتح - بذلك - باب الحكمة الإلهية، ثم وصل إليه التكليف بالنبوة، فامتثل الأمر"<sup>(١)</sup>.

وهكذا ختم نظامي حديثه عن بطولة الإسكندر، بعد أن صور رحلاته، وحروبه، وفتوحه، ومهد للحديث عن حكمته، ونبوته. وهما الجانبان المكملان لشخصية الإسكندر عند نظامي؛ وقد صورهما في "خردنامه وإقبالنامه" وهما يكونان المجلد الثاني من منظومة "إسكندرنامه".

فندع الجانب الأول، لنعرض حكمة الإسكندر؛ كما صورها نظامي في "خردنامه".

(١) چوشه باز نخت يونان رسيد  
زدانش بسی مایها ساز کرد  
چو فرمان رسيدش بیغمبری  
بدو داد گنج سعادت کليد  
در حکمت ایزدی باز کرد  
نپیچید گردن ز فرمانبری  
(المرجع السابق، ص ٥٢٢)

## الفصل الثالث

### حكمة الإسكندر كما صورها نظامي في خردنامه

بدأ نظامي حديثه عن حكمة الإسكندر، فذكر بعد المقدمة التقليدية أن الإسكندر - بعد وصوله إلى بلاد اليونان - أمر الفلاسفة بترجمة كتب العلم المختلفة التي عند الأمم إلى اللغة اليونانية، واختار من الكتب الفارسية كتاب "خدای نامه"<sup>(١)</sup>.

كما أمر بتأليف الكتب في مختلف الموضوعات؛ "فألفوا - أولاً - كتاب "گینی شناس" في الجغرافية، ثم كتاب "رمز روحانیان" في علم الأرواح والطلسمات، وهو الذي خلد اسم اليونانيين ورفع صيتهم، ثم كتاب "سفر إسکندری"، وهو الذي استطاع اليونانيون فيه حل المعضلات"<sup>(٢)</sup>.

وقد احترم الإسكندر العلماء؛ فأعلى شأنهم، وأمر بتعظيمهم قائلاً: "إن العالم معظم لدينا، فلا يبحث أحد عن وسيلة يرتفع بها على غيره إلا عن طريق العلم"<sup>(٣)</sup>.

(١) نظامي: خردنامه وإقبالنامه، ص ٣٧.

(٢) نخستین طرازی که بست از قیاس دگر دفتر رمز روحانیان همان سفر اسکندری کاهل روم

(٣) إشارات چنان شد ز تخت بلند  
نجوید کسی بر کسی برتری

کتابیست کان هست گیتی شناس  
کز زنده مانند یونانیان  
بدونرم کردند آهن چوموم  
(المرجع السابق، ص ٣٧ - ٣٨)

که داناست نزدیک ما آرجمند  
مگر کز طریق هنر پروری  
(المرجع السابق، ص ٣٨)

فولی الجميع وجوههم شطر العلم، وجعلوها تشرف بفضله، وتعلموه من الحكماء، وذاع صيت بلاد اليونان عن طريق العلم، بفضل ثقافة ذلك الملك المحب للمعرفة<sup>(۱)</sup>.

ثم سرد نظامی - بعد ذلك - الأقوال التي وردت في تسمية الإسكندر بذی القرنين فقال: "كان يسمى ذا القرنين لأنه طاف العالم من المشرق إلى المغرب.. أو لطول زلفتيه وتجدهما خلف أذنيه كالقرنين، في قول آخر؛ أو لأنه رأى في المنام ارتباط قرني الفلك بواسطة الشمس، وذلك في قول ثالث؛ أو لأن عمره كان قرنين من الزمان، كما قال بعض المؤرخين في قول رابع"<sup>(۲)</sup>.

ثم ذكر ما أورده أبو معشر البلخي في كتاب الألو، فقال: "ويقول أبو معشر في كتاب الألو رأياً آخر، هو أنه لما مضى على موت الإسكندر وقت طويل، لم يصدق أحد أنه مات، فرسم اليونانيون - من فرط حبههم له - صورته على ورقة، وأتقن الرسام رسمها فبدت رائعة، ثم رسو صوره ملكين عن يمينه وشماله في صورة قرنين، كما تصوره المنجمون الذين قالوا: إن الله خلق له ملكين عن يمينه وشماله.. فانتشرت قصة الإسكندر في جميع الأرجاء، بمجرد انتقال هذه الصورة من بلاد اليونان إلى غيرها من الجهات، وحازت إعجاب الناس جميعاً، فأشادوا بفن الرسامين اليونانيين، فلما أبصر العرب تلك الصورة، رسموا للإسكندر

(۱) همه رخ بدانش برافر وختند ز فرهنگك آن شاه دانش پسند ز فرزانگان دانش دانوش آموختند شد آواز يونان بدانش بلند (نظامی: خردنامه و اقبالنامه، ص ۳۷)

(۲) که صاحب دو فرنش بدان بودنام بقول ديگر که همان قول ديگر که در وقت خواب ديگر داستانی زد آموزگار که بر مشرق ومغرب آورد کام دوکيسو بس بشت پيچيده داشت دو قرن فلك بستداز آفتاب که عمرش دو قرن آمد ازورگار (المراجع السابق، ص ۴۴)

صورة أخرى تقليدياً لها، وظنُّوا أن الإسكندر طويل، وأن المرسوم ليس ملكاً بل قرناً، وكان هذا هو الذي أوقعهم في الخطأ، فأطلقوا عليه لقب ذي القرنين<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر قولاً آخر، أثبتته في قوله: "وقال لي عالم قولاً غير هذا هو أن أُذني الإسكندر كانتا أكبر من الحجم الطبيعي"<sup>(٢)</sup>.

وبين أن الإسكندر كان يُطيل شعره ليغطيها، مما جعل شعره يُشبه القرنين.

ثم أورد قصة تتعلق بأذني الإسكندر، وهي أن سرهما وُضِعَ في ينبوع يجري في الصحراء، فنبت منه ناي، وأن قاطع أحجار أخذ هذا الناي، وصار يُصدِر منه نغمات مختلفة، كانت تكشف له سر الملك، فعلم الإسكندر بذلك، فأمر بإحضاره إليه، فاضطرب الرجل، وأقسم بالله أنه لم يقل السر لأحد، فعفا الإسكندر عنه<sup>(٣)</sup>.

ثم يورد الشاعر قصصاً أخرى متنوعة تجعل ترتيب هذا القسم مضطرباً، وأجزاء مفككة، مما لم نلاحظه في المنظومات السابقة، وهذا يرجح أن بعض أجزائه قد ضاع.

(١) دگر گونه گوید جهان فیلسوف  
که چون پرسکندر سر آمد زمان  
زمهرش که یونانیان داشتند  
چو برجای خود کلک صور تگرش  
دو نقش دگر بست پیکر نگار  
دو قرن از سر هیکل انگیخته  
لقب کرد شان مرد هیئت شناس  
که در بیکری کایزد آراستش  
چو آن هرسه پیکر بدان دلبری  
زیونان بدیگر سواد افتاد  
ثنارفت از ایشان بهر مرزویوم  
عرب چون بدان دیده بگماشتند  
گمان بودشان کانجه قرنش درست  
از ابن روی در شبهت افتادقه اند

(٢) جز این گفتم با من خداوند هوش

(٣) نظامی: خردنامه وقبالنامه، ص ٤٨.

أبومعشراندر کتاب ألوف  
نبود آن خلل خلف را درکمان  
بکاغد برش نقش بنگاشتند  
بر آراست آرایشی در خورش  
یکی بریمین یکی بریار  
براو لاجورد وزر امیخته  
دو فرخ فرشته زروی قیاس  
فرشته بود برجپ وراستش  
که برد از دو بیکر بهر پیکری  
حدیث سکندر بدو کردیاد  
بر آرایش دستکاران روم  
سکندر دگر صورت انگاشتند  
نه فرخ فرشته که اسکندر راست  
که صاحب دو قرنش لقب داه اند  
(نظامی: خردنامه وقبالنامه، ص ٤٤-٤٥)

که بیرون از اندازه بودش دو گوش  
(المرجع السابق، ص ٤٥)

والقصة الأولى: هي أن الإسكندر كان حزينًا لمرض فتاة كان يعشقها، وكان يظن أنها سوف تموت، فأبصر راعيًا شيخًا، فدعاه للجلوس معه، وكان الراعي عالمًا، ومحدثًا لبقًا، فلما فهم سر حزن الإسكندر، قص عليه قصة هي: أن أحد أمراء "مرو" كانت له عروس جميلة تشبه فتاة الإسكندر، وكان يهيم بها حبًا، فمرضت مرضًا شديدًا حتى يئس من شفائها، ولكنها شفيت في النهاية، فعاش الأمير معها سعيدًا.

فتفاعل الإسكندر؛ "وبينما هو كذلك جاءه نبأ شفاء معشوقته، فعلم أن الفتاة الجميلة، قد نجت بفضل حبها له، (لتهيئ له أسباب السعادة والهناء)"<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر قصة "أرشميدس" وهي أنه كان أجمل شباب عصره، وموضع عطف الإسكندر، وحب أرسطو، الذى كان يتخذه ابنًا، ويعلمه ليخلق منه إنسانًا فاضلاً، لأنه كان يعتقد أن تلميذًا عاقلًا فاضلاً خير من ألف تلميذ أحمق، ولكن "أرشميدس" انقطع عن الدرس فجأة، وعرف الأستاذ أن اذغاله بحب فتاة جميلة هو السر في ذلك، لأنها استولت على مشاعره، فجعلته أسير هواها، فطلب أرسطو أن تُحضر الفتاة أمامه، ثم أعطاها شرابًا، فذهب جماها، ودعا "أرشميدس"، وطلب منه أن ينظر إليها، "فلما أبصر الشاب الفتاة، قال لأستاذه: من هذه المرأة القبيحة؟!"<sup>(٢)</sup>.

ثم قطع علاقته بها، رغم أن أرسطو أعاد إليها جماها بعد ذلك؛ مما عجل بوفاة الفتاة بعد مدة قصيرة.

(١) درين بود خسرو كه از بزم خاص  
 برون آمد آواز بر خلاص  
 كه آن مهر بان ماه خسرو پرست  
 باقبال شه عطسه دادورست  
 (المرجع السابق، ص ٥٥)

(٢) جوانمرد جون در صنم بنگريست  
 باستاد گفت اين زرزشت كيست؟!  
 (نظامى: خردنامه و اقبالنامه، ص ٥٨)

وتتلوها قصة "مارية القبطية" وهي ابنة أمير شامي استولى الأعداء على أرضها بعد وفاة والدها، فلجأت إلى الإسكندر، واستنجدت به، وصارت تلميذة لأرسطو؛ ففتح لها أبواب علمه، فتعلمت منه علومًا كثيرة - منها صناعة الذهب - وساعدها الإسكندر على استرداد ملكها<sup>(١)</sup>.

ثم أخذت الأميرة تصنع الذهب إلى أن أثرت، فكانت كل دابة عندها - حتى الحمير - لها سروج من ذهب. "واستعملت ذهبًا كثيرًا للزينة، فجعلت كلابها بسلاسل ذهبية"<sup>(٢)</sup>.

وجاء إليها عدد من الكيميائيين ليتعلموا منها سر هذه الصناعة، فصنعت أمامهم الذهب من شعرها، ثم أخذت تشرح لهم الأعشاب المختلفة التي تفيد في هذه الصناعة.

ثم ذكر الشاعر قصة معترضة هي: أن رجلاً من خراسان، استطاع أن يخدع أهل بغداد، والخليفة نفسه، بتغيير كلمة "كبريت" إلى "تبريك" طريقة كيميائية<sup>(٣)</sup>.

وانتهت قصة "مارية" بغضب الإسكندر عليها، بعد أن دسّ الحساد بينها وبينه، ولكنها استطاعت أن تكسب وده، وترضيه بالهدايا.

وتتلوها قصة فقير أصبح غنيًا جدًا، فاستدعاه الملك، وطلب منه أن يقص عليه قصته، فقال الرجل إنه كان فقيرًا فقيرًا شديدًا، وكانت زوجته عفيفة راضية، ثم حدث أنها كانت تضع في وقت لم يكن يملك فيه شيئًا، فخرج يطلب الرزق، وسار حتى وصل إلى الصحراء، فوصل إلى منزل دارس، وأراد أن يحتج به، فلاحظ أن المنزل يسكنه أخوان زنجيان، وأن أحدهما قام لاستخراج كنز يوجد فيه، فلما فرغ من استخراجِه وثب عليه

(١) المرجع السابق، ص ٦٣.

(٢) بدر گاه أو هرکه سرداشتی  
ز بس زرکه بر زیور انباشتند  
اکر خربدی زین زرداشتی  
سگان را برنجیر زر داشتند  
(المرجع السابق، ص ٦٤)

(٣) نظامی: خردنامه وایقاننامه، ص ٦٧ - ٧١.

أخوه، فقتله، وشرع في دفنه، فانتهمز الفقير الفرصة وحمل الكنز، وأسرع به إلى زوجته، التي كانت قد وضعت ابنًا، فسر الرجل بابنه السعيد الذي أقبلت بمولده الثروة والجاه. فطلب الإسكندر من "واليس" أن يرى طالع المولود، فوجده سعيدًا، وأن سعاده مستمدة من دولة الإسكندر<sup>(١)</sup>.

ثم تأتي قصة مؤامرة سبعين حكيماً ضد "هرمس" وإنكارهم الاعتراف بعلمه ومكانته، فغضب، ونفذ صبره، فاستعمل كلمة سحرية، حوّلت هؤلاء الحكماء إلى تماثيل. وقد امتدح الإسكندر فعله، فأقره وهنّأه.

وتتلوها قصة إساءة أرسطو إلى أفلاطون - في أثناء اجتماع عُقدَ بالبلاط، فغضب أفلاطون، واعتزل الناس، وعاش في قبة عالية، كان يسمع فيها أنغام الأفلاك، ثم صنع آلة موسيقية، وذهب بهما إلى الصحراء، فكانت نغماتها تجذب الحيوانات، وتجعلها أليفة. وسمع أرسطو بذلك، فصنع آلة موسيقية تشبهها، ولكن نغماتها لم تفعل فعلها، مما جعله يذهب إلى أستاذه "أفلاطون" ويطلب منه العفو، ويثني عليه كثيراً<sup>(٢)</sup>.

"فلما عرف الإسكندر أن أفلاطون صار أعظم أستاذ في بلاد اليونان رفع درجته في السيادة، وأعلى منزلته عنده"<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ٧٢ - ٨٢.

(٢) نظامى: خردنامه وإقبالنامه، ص ٨٢ - ٩٢.

(٣) سكندر چو دانست كز هر علوم برفزود پایش در آن سرورى  
فلاطون شد استاد دانش بروم  
بنزد خودش داد بالاترى  
(المرجع السابق، ص ٩٢)



ثم قص أفلاطون على الإسكندر قصة راج وجد حصاناً نحاسياً في غار، ووجد في جوفه جثة رجل ميت لم تعطب، وكان في إصبع الرجل خاتم فأخذه الراعي، ولبسه، فلاحظ أن الرعاة لا يرونه إذا وقف في وسطهم فاستعان بهذا الخاتم حتى أصبح ملكاً<sup>(١)</sup>.

وتتلوها قصة "الإسكندر مع سقراط"، وهي: أن سقراط كان زاهداً يعيش في الصحراء، فدعاه الإسكندر إلى بلاطه، فرفض، فزاره الإسكندر، وقدم له هدايا فلم يقبلها، ونصحه بنصائح مفيدة "فأمر كاتبه بتسجيلها، فكتبها بماء الذهب"<sup>(٢)</sup>.

وهكذا اجتمع الحكماء حول الإسكندر، وأخذت تظهر شخصيته كحكيم، فقد زاره حكيم هندي، وسأله عن: نهاية العالم، وحقيقة الروح، والأحلام، وعلم النجوم.

فأجاب الإسكندر عن نهاية العالم بقوله: "إن الله خلق عالمين: دار الدنيا، ودار الآخرة؛ فالآخرة كنز، والدنيا مفتاحه؛ وأنت تزرع في الدنيا، وتعمل الأعمال الطيبة، وتحصد في الآخرة ثمار الزرع"<sup>(٣)</sup>.

وأجاب عن الروح بأنها خالدة لا تموت، قائلاً: "ماذا يقولون في قصة رجل مات؟.. هل يقولون أسلم الروح أم يقولون ماتت الروح؟.. يقولون أسلم الروح، وليس هذا تمويهاً، فهناك فرق بين إسلام الروح، وبين موتها. فدع الروح لأنها شعاع طاهر من نور الله، وليست من الماء والطين"<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ٩٢-٩٧.

(٢) بفرمود تاملرد كاتب سرشت

بأب زر آن نكنه هارانيشت  
(المرجع السابق، ص ١٠٨)

(٣) كه ايزد دوگييتي بدان آفريد  
در اينجا كني كشت و كارنوي

كه آنجا بود گنج واينجا كني  
در آنجا بر كشته را بدروي  
(نظامي: خردنامه واقبالنامه، ص ١١٣)

(٤) حكايت ز شخصي كه اوچان سپرد  
بگويند جان داد واين نيست زرق  
زجان در گذر كذرگان فروغيست پاك

جه گويند؟ جان داد ياچان بمرد  
ز داده بود تافرومرده فرق  
ز نور إلهي نه از آب و خاك  
(المرجع السابق، ص ١١٤-١١٥)

وأجاب عن الأحلام بانها ليست خيالية، وإنما هي صدى لحياة الإنسان، وتجاربه، فقال: "إن الأحلام مصدرها نفس الإنسان، فالأشياء المألوفة لديه - لا الغريبة عنه - هي التي تأتي في الحلم، فإذا رأيت ميتاً أو حياً في الحلم، فإن منشأ هذا تفكيرك أنت، فهو نور ينتشر من شمعتك، وهو ممثل لفكرك الصافي، ومظهر لأملك وإدراكك"<sup>(١)</sup>.

وقد أعجب الهندي بإجابات الإسكندر، وقبل آراءه. "ثم اختار الإسكندر سبعة"<sup>(٢)</sup> حكماء من الفلاسفة، اشتهروا بالعلم والمعرفة، وهم: وزيره "أرسطو"، و"بليناس" الشاب، و"سقراط" الشيخ، و"أفلاطون" و"وليس" و"فرفوريوس" الذين جاوزت شهرتهم عنان

(١) خيال همه خوابها خانگيست در ان آشنائی نه بیگانگيست  
اکرمده گرزنده بینى نجواب ز شمع تو میخیزد آن نوروناب  
نماینده انديشه پاک تست نموده ثمنای إدراك تست  
(المرجع السابق، ص ١١٥)

(٢) ورد في كتاب تاريخ الفلاسفة اليونانيين - الذي ترجمه عبد الله بن حسين المصري عن الفرنسية - ذكر بعض هؤلاء الفلاسفة، فتحدث عن طاليس Thalès من ص ٣-٨. وقال إنه ولد في عام ٦٤٠ ق.م. ومات في عام ٥٤٨ ق.م. وذكر سقراط Socrate وقال إنه ولد في القرن الخامس قبل الميلاد، ص ٧٨-٨٦. وتحدث عن أفلاطون Platon، ص ٨٦-٩٢. فقال إنه ولد في عام ٤٢٩ ق.م. وتوفي في عام ٣٤٧ ق.م. وذكر أرسطو Aristote فقال إنه ولد في عام ٣٨٤ ق.م. وتوفي في عام ٣٢٢ ق.م. وبين أنه كان أستاذاً للإسكندر. وذكر الشهرستاني في كتابه: الملل والنحل، ج ١، ص ٢٤٠. أن "هرمس" يعد من الأنبياء، ويقال إنه هو نفسه إدريس عليه السلام. كما قال في ص ٤٥، إن فرفوريوس كان على رأي أرسطاطاليس، ووافقه في جميع ما ذهب إليه. وقد ذكر الحكماء السبعة - في ص ٢٥٣ - فقال: "الحكماء السبعة الذين هم أساطين الحكمة في الملطية، وساميا، وأثينا - وهي بلادهم - وأما أسماؤهم: فثاليس الملطي، وإنكساغورس، وإنكيسيمانس، وإنبذاقلس، وفيثاغورس، وسقراط، وأفلاطون. ويبدو أن ما ذكره الشهرستاني هو الصحيح، لأن من ذكرهم نظامى لم يعيشوا جميعاً في عصر واحد كما مر، فالشاعر لم يتحر الدقة فيما أورده.

السماء، و"هرمس" وهو سابعهم، وكان عاقلاً، اشتهر في الآفاق برزاقته، فجمعهم الملك كالدائرة حوله، وكان هو مركز الدائرة<sup>(١)</sup>.

وسألهم عن: أصل العالم، والمادة الأولى، فأجاب الحكماء مبتدئين بأرسطو، فواليس، فبليناس، فسقراط، ففرفوروس، فهرمس، فأفلاطون<sup>(٢)</sup>.

وعلق الإسكندر على إجاباتهم، قائلاً: "ما دمنا لا نستطيع أن نقرأ كتاب الخلق، فكيف نستطيع التكهن بما فيه؟! .. وأنتم - وقد اطلعت على أسرار السماء - انظروا كيف قلمت أقوالاً مختلفة! ولهذا لا يحسن التنبؤ بشيء، لأن خلق العالم لا بد له من خالق<sup>(٣)</sup>".

\*\*\*

والواقع أن ترتيب الحكماء السبعة - بهذه الطريقة - وجمعهم حول الإسكندر شيء من خلق نظامي، ليتلاءم ذلك مع فكرته عن الإسكندر كحكيم، فلم يثبت تاريخياً أنهم عاشوا في عصر واحد.

"فواليس" توفي قبل "سقراط" الذي توفي قبل الإسكندر بمائة عام تقريباً، كما مات أفلاطون قبل الإسكندر أما "فرفوروس" و"بليناس"، فقد عاشا بعد عصر الإسكندر.

ويبدو أن "هرمس" شخص خيالي، لم يكن له وجود فعلي.

(١) أز ان فيلسوفان گزين کردهفت  
 أرسطو که بد مملکت را وزیر  
 أفلاطون وواليس و فرفوروس  
 همان هفتمین هرمس نیک رای  
 جنین هفت پرکار بر گردشاه  
 (نظامی: خردنامه و اقبالنامه، ص ۱۲۰-۱۲۱)

(٢) المرجع السابق، ص ۱۲۰-۱۳۱، وقد سبقنا الإشارة إلى إجاباتهم في أثناء الحديث عن ثقافة نظامي.

(٣) چو مالوح خلقت ندانیم خواند  
 شم کاسمان را ورق خوانده اید  
 از ابن بی گفتن نباشد پسند  
 تجسس در او جون توانیم راند؟  
 سخن بین که چون مختلف رانده اید  
 که نقش جهان نیست بی نقش بند  
 (المراجع السابق، ص ۱۳۱)

والذى ثبت تاريخياً هو أن "أرسطو" كان معاصراً للإسكندر، سواء أكان أستاذه، أم زميلاً له في الدراسة.

وقد غلبت الصبغة القصصية على نظامى، فلم يحاول أن يتحرى الحقائق، فحشد هؤلاء الفلاسفة الحكماء في عصر الإسكندر هذا الحشد العجيب.

\*\*\*

وختم نظامى بهذا المنظر تصويره لحكمة الإسكندر، وبيّن أنه أصبح - بعد بلوغه هذه المنزلة - أهلاً للنبوّة، لأنه أدرك وجود الله، ووجدانيته، مما هبّاه لتحمل الرسالة، والخروج لهداية الناس، وإصلاح العالم.

\*\*\*

وأهم ما نلاحظه على منظومة "خردنامه" أن ما ورد فيها مضطرب، وأن أجزاءها مفككة، وقد يكون سبب ذلك ضياع بعض أجزاءها، أو تخطب الشاعر، وعدم تحريه الدقة في ذكر ما يتعلق بالحكماء، وغلبة الناحية القصصية عليه، ومزج الحقائق بالأساطير.

ومهما يكن من شيء؛ فقد عرضنا ما بين أيدينا - من خردنامه - وهو لا يشير إلى حكمة الإسكندر إلا في نهاية هذا الجزء، ليمهد للحديث عن نبوته التي أثبتتها "إقبالنامه"؛ وهي القسم الثالث والأخير من "إسكندرنامه".

فندع "خردنامه" لنعرض نبوة الإسكندر كما صورها نظامى في "إقبالنامه".

## الفصل الرابع

### نبوة الإسكندر كما صورها نظامي في إقبالنامه

بدأ نظامي حديثه عن نبوة الإسكندر بتصوير كيفية نزول الوحي عليه، وتكليفه بالرسالة، فبين أن هاتفاً من قبل الله تعالى أبلغه تحية الله، وأنه نبي مُرسل، وطلب منه أن يخرج لهداية الناس، قائلاً: "ادعُ الناس - بملكك من تدين ونفوذ - إلى عبادة الله، والبعد عن الضلال، وابن هذه الدنيا القديمة على أسس جديدة صالحة، وطهر الآفاق من الغفلة والآثام"<sup>(١)</sup>.

وخاف الإسكندر، لأنه لم يكن يعرف لغات الشعوب التي أرسل إليها، وقال: "أي حجة أهدي بها الخلق إذا ادّعت النبوة؟!.. "وأي معجزة من القول يمكن أن أظهرها، حتى يصدقني الناس؟!.."<sup>(٢)</sup>.

فأجاب الهاتف بأن معرفة لغات العالم، وتهيئة الجيش اللازم ستمنحان له كدليل على نبوته، فسّر الإسكندر، وأخذ يستعد للسفر، ليبدأ رحلاته حول العالم لإرشاد الناس.

---

(١) كني خلق را دعوت از راه بد  
بنانوكني اين كه ن طاق را  
بدارنده دولت ودين خود  
ز غفلت فرو شوئي آفاق را  
(نظامي: خردنامه وإقبالنامه، ص ١٣٦)

(٢) وگر دعوى آرم پيغمبري  
چه معجز بود در سخن ياورم  
چه حجت كند خلق را رهبري؟  
كه دارند بينندگان باورم؟  
(المرجع السابق، ص ١٣٨)

فأعد الجهاز الروحي أولاً؛ "فجهَّز ثلاثة كتب غير الكتاب المقدس الذي نزل عليه من قبل الله، وكتبها نسَّخ ماهر بجبر أسود على قماش من حرير، وقد ألف أرسطو الكتاب الأول، وتحدث فيه عن الفضيلة، وألف أفلاطون الكتاب الثاني وضَمَّنَه كل المعارف التي يعرفها، وألف سقراط الكتاب الثالث، وجعله يشتمل على النصائح المفيدة، والفضائل المحببة إلى القلوب، وجمع الملك هذه الكتب الثلاثة بعد الفراغ من تأليفها، ومهرها بخاتمه، وضمها، وجعلها في مجلد واحد"<sup>(١)</sup>.

وأمر بإعطاء خراج الروم والروس لابنه "إسكندروس"، وسلمه لأمه<sup>(٢)</sup>، ثم بدأ طوافه حول العالم كنيي مُرسَل؛ فسار بجيش عظيم مكون من مائة ألف رجل، يعادل كل واحد منهم جيشاً في شجاعته، كما أخذ معه أربعة آلاف جمل محملة بالأمتعة، "وتوجه - أولاً - نحو المغرب، فوصل إلى مصر، ومكث فيها يومين"<sup>(٣)</sup>.

وأمر أن يُبنى عمود في الإسكندرية، وتوضع عليه مرآة، لتشير إلى العدو حينما يقترب فيمكن الاستعداد لدرء خطره<sup>(٤)</sup>.

ثم سار الإسكندر إلى بيت المقدس، حيث كان الناس يشكون من حاكم ظالم، فحاصره، وحاربه إلى أن استسلم، فلم يكذبصره يقع عليه حتى قتله، وعلقه على باب

(١) بجز سفر أعظم كه در بخردی سه فرهنگ نامه ز فرخ دبیر ارسطو نخستین ورق در نوشت فلاتون دگر نامه را نقش بست سوم درج را کرد سقراط بند جو گشت ابن سه فهرست پرداخته شه آن نامه ها و همه مهر کرد  
نشانی بد از مایه ایزدی بمشك سیه نقش زدبیر حریر خبر دادش از گوهر خوب وزشت زهر دانشی کامد آورا بیست زهر جوهری کان بود دلپند سخنهای با یکیگر ساخته بیچید وبنهاد دریک نورد (نظامی: خردنامه وإقبالنامه، ص ١٤١)

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٣) نخستین قدم سوی مغرب نهاد بمصر آمد آنجا دو روز ایستاد (المرجع السابق، ص ١٦٨)

(٤) نفس المرجع والصفحة.

بيت المقدس، ثم أرسل منادياً ليعلن للناس مدى ظلم ذلك الحاكم، ويطلب من كل من لحقه حيف أن يذكره، ونزع هذه الديار المقدسة من يده، ونشر العدل في أرجائها<sup>(١)</sup>.

ثم اتجه الإسكندر نحو الغرب، وسار إلى بلاد الأندلس "فلما وصل إليها أخذ يدعو الناس إلى الدين والفضيلة، فلم يخرج أحد عن طاعته، فقبلوا دينه وتعاليمه، وأسرعوا للسير معه في الطريق المستقيم"<sup>(٢)</sup>.

ثم ركب في السفينة، واتجه إلى حيث تغرب الشمس، وسار ثلاثة أشهر، فأبصر في أثنائها جزراً كثيرة، ثم وصل إلى واد رماله صفراء، فسار فيه شهراً حتى بلغ نهايته: "فلما أدرك الإسكندر نهاية ذلك الوادي وصل إلى البحر الأعظم (المحيط)، فتعجب من ذلك البحر العميق الذي يسميه اليونان الأرقيانوس؛ وأظهر المحيط أمواجه الهائلة، فلم يكن فيه مكان للذهاب أبعد من ذلك"<sup>(٣)</sup>.

"وكان غروب الشمس واضحاً في ذلك المحيط، فلم تكن حجب المياه تخفي أشعتها وبريقها، والفلك يفعل ذلك في كل يوم وليلة، فيلقي الأشعة على البحر من عين الشمس

- 
- (١) چوبیداد گرید خون ریختش  
منادی برانگیخت تا در زمان  
که هرکو بدین خانه بیداد کرد  
چو زو یستد آن خانه پاک را  
ز دروازه مقدس آویختش  
ز بیداد او برگشاید زبان  
بدینگونه بخت بدش یادکرد  
بعنبر برآمیخت آن خاک را  
(نظامی: خردنامه و اقبالنامه، ص ۱۷۰)
- (٢) چو آمد که دعوی وداوری  
کس از دانش و دین او سرنشافت  
بدانش نمائی و دین پروری  
رهی دید روشن بدان ره شتافت  
(نفس المرجع والصفحة)
- (٣) جو پایان آن وادی آمد پدید  
در آن ررف دریا شگفتی بماند  
محیط جهان موج هیبت نمود  
سکندر بدریای أعظم رسید  
کویونانیس اوقیانوس خواند  
ازان پیشتر جای رفتن نبود  
(المرجع السابق، ص ۱۷۱)

البعيدة، فتصبح دليلاً - لنا - على عين الشمس، وعين ماء البحر، وهي العين الحمئة<sup>(۱)</sup> التي تغرب فيها الشمس، حينما تتجه إلى البحر، وتغوص فيه<sup>(۲)</sup>.

ثم استحم الإسكندر في المحيط، فوجد ماءه ثقيلًا يشبه الزئبق، فلم يفكر في القيام برحلة عليه.

وروى الناس له أنه يوجد - بالقرب من المحيط - مخلوق عجيب، يقتل الإنسان بنظرة واحدة إليه، كما يوجد شاطئ مملوء باللالئ "وأن الإنسان حينما يبصر هذه اللالئ يضحك من فرط السرور، فيموت من ذلك الضحك سريعًا، فالنظر إليها وإسلام الروح متلازمان<sup>(۳)</sup>".

فأمر الإسكندر رجاله بأن يحملوا معهم بعض رمال الوادي الصفراء، ثم ترك المكان، وسار حتى وصل إلى واحة، فأمر أتباعه ببناء قلعة، وبأن يستعملوا في بنائها الرمال الصفراء التي حملوها معهم، وكانت هذه القلعة تقتل كل من ينظر إليها، أو يقترب منها<sup>(۴)</sup>.

(۱) يبدو أن نظامی تأثر - في هذا - بما ورد في القرآن: "سورة الكهف، آية ۸۶. حيث يقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَرَبٍ حَمِئَةٍ﴾. ومال نظامی إلى تفسير "حمئة" على أنها بمعنى "ساخنة". وهذا يتفق مع قراءة ابن عاصم، وعامر، وحمزة، والكسائي، فقد قرأوا "عين حامية" أي حارة وهو يخالف قراءة الباقيين في "عين حمئة" أي كثيرة الحمأة، وهي الطينة السوداء. (انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ۱۱، ص ۴۹).

(۲) فرورفتن آفتاب از جهان  
حجابی مغانی بد ان آب را  
فلك هر شبانروزی از چشم دور  
بمادرفرورفتن آفتاب  
همان چشمه گرم کوراست جای  
در آن زرف دریا نبودی نهان  
نیوشیدی از دیدها تاب را  
بدریا درافکندی از چشمه نور  
إشارت بچشمه است ودریای آب  
بدریا حوالت کند رهنمای  
(نظامی: خردنامه و اقبالنامه، ص ۱۷۱-۱۷۲)

(۳) چو بیند درو دیده آدمی  
وزان خرمی جان دهد در زمان  
بخندد زبیس شادی وخرمی  
همان دیدن و دادن جان همان  
(المرجع السابق، ص ۱۷۴)

(۴) نظامی: خردنامه و اقبالنامه، ص ۱۷۵-۱۷۶.



ثم واصل الإسكندر سيره مخترقاً الصحراء، وظل يسير ستة أشهر "لأنه كان يقطع ذلك الطريق على ظهور الفيلة، وقد أفضى به إلى نهر النيل"<sup>(١)</sup>.

وأخذ يبحث عن منابع النيل، فوصل إلى جبل أخضر اللون، تنبعث منه رائحة مسكية، فأرسل رجلاً من رجاله ليتبين سبب هذه الرائحة، فلم يعد الرجل، فأرسل غيره، وهكذا ظل الإسكندر يرسل رجلاً تلو الآخر - دون أن يرجع واحد منهم - حتى هلك عدد كبير من جيشه، وأخيراً أرسل رجلاً، وأرسل معه ابنه، ليُلقي الابن - من أعلى الجبل - إلى أبيه وصفاً له، حتى يُدرك كنهه، وقد نجحت هذه الفكرة، فعرف الإسكندر من وصف الجبل أن له جانبيين أحدهما يبعث على السرور والآخر مرعب<sup>(٢)</sup>.

وترك الإسكندر هذا المكان، وسار في الصحراء مدة حتى وصل إلى جنة عدن، فوجدها جنة ذهبية الأشجار، يسكنها قوم شداد<sup>(٣)</sup>.

وترك الإسكندر ذلك المكان دون أن يحمل شيئاً من كنوزه، وسار مخترقاً الصحراء، فلما قطع نصف الطريق رأى جماعة متوحشة، في صورة الأدميين<sup>(٤)</sup>.

فسألهم الإسكندر عن أحوالهم؛ فقالوا: "إن طعامنا في هذه الصحراء المترامية - التي هي مسكننا - هو ما نصطاده منها، فنحن نصطاد من الصحراء، ونعيش كالوحوش؛ فنأكل

(١) از ان ره كه درباى بيل آمدش گذرگه سوى رودنيل آمدش المرجع السابق، ص ١٧٧

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٩-١٨١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٢-١٨٣.

(٤) چويك نيمه راه بيابان بريد گروهي دد آدمي سار ديد (نظامى: خردنامه واقبالنامه، ص ١٨٥)

من الصيد ما نجده سائغاً، ونبلس من جلود الحيوانات وأوبارها، ولا تُستعمل هنا نار، ولا يوجد ماء، لأن نارنا مستمدة من الشمس، وماءنا يؤخذ من السحاب"<sup>(۱)</sup>.

ثم بينوا له أن صحراءهم خالية من الكنوز، وأنها صحراء نائية، ولذلك لم يتصلوا بأحد. فخلع الإسكندر عليهم، فأحبوه، وأكرموا وفادته، ودلوه على الطريق، ورسومه خط السير، "فوجد طريقه إلى الربع المسكون، بفضل مقاييسهم الصحيحة"<sup>(۲)</sup>.

وسار الإسكندر حتى وصل إلى ساحل البحر، "فصنع سفناً كثيرة - مرة أخرى - وأنزلها من الساحل إلى البحر، ثم ركب البحر أكثر من شهر، حتى أوصل جيشه إلى اليابس"<sup>(۳)</sup>.

وانتهت - بذلك - رحلة الإسكندر إلى المغرب، فاستراح شهراً، ثم ارتحل صوب الجنوب، فوصل إلى قرية، ووجد أهلها يستعينون بجمجمة رجل مقتول في التنبؤ بما سيحدث من خير وشر، "فكانوا يضربون تلك الجمجمة بقضيب ويخاطبونها، فيسألونها: ماذا سيحدث في الليل والنهار من خير وشر؟ فينبعث من داخلها صوت يشبه الكلام، ويخبرهم بما سيكون غداً من حار وبارد، ويبين لهم أحداث العالم في دورته في هذه المدة"<sup>(۴)</sup>.

- (۱) درین زرف صحراء که ماوای ماست  
درین دشت نخجیر بانی کنیم  
خوریم آنچه زان صید یابیم نرم  
نه آتش بکار آید اینجا نه آب
- (۲) وزیشان بهنجارهای درست  
سوی ربع مسکون نشان بازجست  
(المرجع السابق، ص ۱۸۸)
- (۳) دگر باره کشتی بسی ساختند  
چو دریا بریدند یکماء بیش  
(نفس المرجع والصفحة)
- (۴) قضیبی زندی بر ان استخوان  
که امشب چه نیک و بد آید پدید  
صدائی برون آمدی از نهفت  
که فردا چنین باشد از گرم و سرد  
شدندی بران کله فریاد خوان  
همان روز فردا چه خواهد رسید؟  
صدائی که مانند باشد بگفت  
چنین نقشه دارد جهان در نورد  
(نظامی: خردنامه و اقبالنامه، ص ۱۹۱)

فدعاهم الإسكندر إلى اتباع دينه، وترك هذه العادات السيئة. ثم سار حتى وصل إلى واد مملوء بالحيات والماس، فأمر الجيش بذبح ألف نعجة، وإلقائها مسلوخةً في قاع الوادي. "فلما ألصق بها الماس تحركت النسور من جميع الجهات لحملها"<sup>(١)</sup>.

وجمع الجيش الماس بعد أن أكلت النسور اللحم؛ ثم سار الإسكندر، فعبر كثيرًا من الصحارى حتى وصل إلى مكان معمور؛ فرأى فيه شابًا وسيماً يفلح الأرض، فسأله عن دينه، "فأجاب الشاب: يا مَنْ خُصصت بالنبوة من قبل الله لتهدي الخلق إلى طريق الخير.. لقد تعلق قلبي بالله مثلك، فأنا أتبع نفس الدين الذي تدعو إليه"<sup>(٢)</sup>.

وفسر ذلك بقوله: "لقد رأيتك قبل هذا في المنام، فأصبح قلبي حيًا بدينك، كما تحيا سمكة بالماء"<sup>(٣)</sup>.

فأثنى الإسكندر عليه، ثم واصل سيره، فطوى كثيرًا من المنازل حتى وصل إلى مدينة عليها حاكم ظالم، فحاربه الإسكندر، وهزمه "وأرسي فيها قواعد العدل، وسماها إسكندر آباد"<sup>(٤)</sup>.

ثم عبر الإسكندر منها إلى الهند مرة أخرى، وكان الفصل ربيعًا، فكانت الرياض يانعة، والأزهار متفتحة، عطرة الرائحة، فتوقف قليلاً، ثم اتجه إلى المشرق، ليبدأ رحلة جديدة نحو

(١) چوالماس دوسيده شد بر كباب  
(المرجع السابق، ص ١٩٤)

(٢) جو انمرد گفت ای زگیتی خدای  
در آنکس دل خویش بستم که تو  
همان قبله را میپرستم که تو  
(المرجع السابق، ص ١٩٦)

(٣) ترا دیدم ام پیشترزین نجواب  
(نظامی: خردنامه و اقبالنامه، ص ١٩٦)

(٤) دروسدی از عدل بنیاد کرد  
همان نامش اسکندر آباد کرد  
(المرجع السابق، ص ١٩٨)

الشرق، فسار "حتى وصل إلى المدينة المباركة التي يسميها الأتراك "لنجر بهشت"<sup>(١)</sup> لبهاؤها؛ فوجد فيها ربيعًا جميلًا، ومعبدًا اسمه قندهار"<sup>(٢)</sup>.

وكان في المعبد صنم له عينان من حجرين كريمين، فأمر الإسكندر بتحطيم الصنم والمعبد، وأخذ ما يُوجد من جواهر لأنها تفيد الناس، ثم مثل أحد كهنة المعبد بين يدي الإسكندر، وقص عليه قصة المعبد، وهي أنه كان - في الأصل - قصرًا أثرياً قيمًا، يوشك أن يتداعى، فحط عليه طائران، وكانت في منقاريهما جوهرتان! ثم طارا تاركين الجوهرتين، فأسس الناس مكان القصر معبدًا، وصنعوا صنمًا، وجعلوا عينيه من هاتين الجوهرتين. وأيقن الكاهن أن الإسكندر نبي مصلح، "فدله على كنز أخفي تحت الأرض، تعجب مستخرجوه من كثرة ما فيه من جواهر؛ فاستولى الملك على ذلك الكنز العظيم، وأنعم بجزء منه، وحفظ الباقي"<sup>(٣)</sup>.

واستمر الإسكندر في رحلته، فكان يقطع الصحاري، ويسير في المناطق المعمورة؛ "فكلما رأى آدميًا في بقعة تحدث معه، وسمع كلامه، ودعاه إلى اتباع دينه، حتى هدى الناس إلى الدين الحق"<sup>(٤)</sup>.

(١) "لنجر بهشت" معناها "مرسى الجنة" أي المكان الذي تستقر فيه.

(٢) درامد بآن شهر مینوسرشت بهاری درو دید چون نوبهار  
که ترکانش خوانند لنجر بهشت  
پرستشکھی نام او قندهار  
(المرجع السابق، ص ٢٠٠)

(٣) یکی گنج پوشده ددش نشان  
شه آن گنج آکنده را برگشاد  
کزو خیره شد چشم گوهر کشان  
نگه داشت برخی و برخی بداد  
(نظامی: خردنامه وإقبالنامه، ص ٢٠٢)

(٤) بهر بقعة کادمی زاد دید  
زیردان پرستی خیر دادشان  
بایشان سخن گفت وزیشان شنید  
زدین توتیای نظر دادشان  
(المرجع السابق، ص ٢٠٢-٢٠٣)

ثم وصل إلى الصين، فأحسن ملكها استقباله، وعقد معه ميثاقاً، فتوطدت الصداقة بينهما "وقبل الخاقان<sup>(١)</sup> منه دينه، وتعلم أصوله وتعاليمه"<sup>(٢)</sup>.

وقام الإسكندر والحاقان برحلة بحرية حتى وصلا إلى الماء الأزرق<sup>(٣)</sup>، فنزلا إلى الشاطئ، وكان بالقرب من الشاطئ معبد، فلاحظ الإسكندر "أن عرائس الماء الجميلات يخرجن من المعبد طوال الليل كالأقمار، ثم يلجان إلى هذا الساحل للاستراحة، فيغنين بصوت عذب، ويرقصن، وأن كل من سمع غناءهن، قد سكر من عذوبة صوتهن"<sup>(٤)</sup>.

وقام الإسكندر برحلة على بحر الصين، وصحب معه "بليناس" حتى وصل إلى جزيرة- تعتبر آخر حدود العالم من الشرق: "فلما عرف الإسكندر هذه الحقيقة، وأنه لا يمكن السير أبعد من هذه الجزيرة، أمر بصنع طلسم يشير - رافعاً يده - إلى أنه ليس للخلق طريق بعد هذه الجزيرة، وأن أيَّ إنسان لن يستطيع أن يعرف ما في الطرف الآخر من البحر"<sup>(٥)</sup>.

ورجع الإسكندر بعد ذلك، ولكنه ضل الطريق، وأصبح بجوار مكان يشتد حوله تيار الماء، مما يجعل السفن في خطر، فشيده «بليناس» طلسمًا - هو عبارة عن رجل يحمل طبلًا -

(١) كان ملك الصين يلقب بلقب "خاقان" أي "ملك".

(٢) پذیرفت خاقان أزو دین او در آموخت آیات وایین او (المرجع السابق، ص ٢٠٣)

(٣) يبدو أن الشاعر يقصد بالماء الأزرق "بحر الصين".

(٤) عروسان آبی چو خورشید وماه  
براین ساحل آرام سازی کنند  
کسی کو بگوش آورد سازشان  
همه شب بر برآیند از آن فرضه گاه  
غناها سرايند ويازی کنند  
شود بيهش از لطف آواز شان  
(نظامی: خردنامه وایقاننامه، ص ٢٠٣)

(٥) سکندر چو زین حالت آگاه گشت  
طلسمی بفرمود پرداختن  
کزین پیشتر خلق را راه نیست  
کزان میلگه بیش نتوان گذشت  
إشارات کنان دستش افراختن  
ار نسوی دریا کس آگاه نیست  
(المرجع السابق، ص ٢٠٨)

فساعد على عبور السفن، وفسر ذلك بأن السمكة التي أحدثت هذا التيار الشديد هربت حينما سمعت صوت الطبل<sup>(١)</sup>.

ورجع الإسكندر إلى الخاقان الذى كان في انتظاره؛ فاستراح أسبوعًا، ثم واصل هو والخاقان الرحلة، فسارا في الصحراء عشرة أيام، حتى وصلا إلى مدينة جميلة، كان أهلها يسمعون صوتًا مربعًا يأتي من البحر، "وكان يأتي عندما تشرق الشمس، في صورة طرق شديدة"<sup>(٢)</sup>.

وكان الناس يخافون من هذا الصوت، ويخفون أبناءهم، «فكان عندهم عشرون كهفًا تحت الأرض، ليعيش أبناءهم فيها»<sup>(٣)</sup>.

وقد فسر «بليناس» هذا الصوت بتأثير الشمس على أمواج البحر، وبين أنها حينما تشرق تحدث هذا الصوت<sup>(٤)</sup>، وأشار على الإسكندر بأن يأمر الجيش بدق الطبول، فطرب الناس وأصبح دق الطبول عادة من عاداتهم؛ «وقبلوا من الإسكندر دينه، وشكروه على هدايتهم من الضلال، وإرشادهم إلى معرفة الله»<sup>(٥)</sup>.

ثم واصل الإسكندر رحلته حتى بلغ الصين، فاستراح شهرًا، ثم بدأ رحلته إلى الشمال.

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٩-٢١٤.

(٢) چو خورشيد سر برزند زين نطاق  
(نظامى: خردنامه واقبالنامه، ص ٢١٦)

(٣) بزير زمين دخمه دارند بيست  
(نفس المرجع والصفحة)

(٤) المرجع السابق، ص ٢١٧.

(٥) ز شه دبن پذيرفت وبادين سپاس  
(المرجع السابق، ص ٢١٨)

وقد بدأ هذه الرحلة الأخيرة في نهاية فصل الصيف، «وحمل كثيراً من الجواهر هدية من الخاقان؛ وسار بجيشه المظفر محترقاً الصحراء، تاركاً الشرق إلى الشمال»<sup>(١)</sup>.

وواصل سيره في الصحراء، حتى وصل إلى أرض مملوءة بالفضة فلم يحمل منها إلا القليل - لكثرة ما كان معه من الذهب - وظل يسير حتى وصل إلى «جماعة متدينة، يعيش أفرادها على سفوح الجبال، ووجدتهم قد اهتموا إلى الدين الحق دون وساطة أنبياء، فعرفوا الله عن طريق العقل، بإلهام من الله. فلما أبصروا طلعة الإسكندر قبلوه نبياً، وتزوّدوا بتعاليمه، وطلبوا منه العلم والعدل، فبيّن الإسكندر لهم أصول دينه، وأعطاهم فضلاً عن ذلك أموالاً كثيرة»<sup>(٢)</sup>.

وشكوا له من شر قبيلة يأجوج<sup>(٣)</sup>، قائلين: «توجد جماعة في تلك الصحراء تدعى يأجوج، أفرادها آدميون مثلنا، ولكن طبيعتهم شريرة»<sup>(٤)</sup>.

ووصفهم له؛ بأن الشعر يغطي أجسامهم - من الرأس إلى إخمص القدم - وأن أنيابهم كأنياب الحيوانات المفترسة، وأنهم يأكلون النباتات، وتنبئاً يسقط عليهم كل عام من السحب

(١) بسى گنج درپيش خاقان كشيد وزانجاسپه در بيابان كشيد (المرجع السابق، ص ٢٢٢)

(٢) گروهی بر آن کوه دین پروران باإلهام یزدان زروی قیاس چو دیدند سیمای اسکندری بتعلیم او خاطر آراستند سکندر برایشان در دین گشاه مسلمان وفارغ ز پیغمبران در احوال خودگشته یزدان شناس پندبراشدندش بی پیغمبری وزو دانش و داد در خواستند بجزدین و دانش بی جیزداد (نظامی: خردنامه و اقبالنامه، ص ٢٢٤)

(٣) يبدو أن نظامی قد تأثر فيما ذكره عن «قصة الإسكندر مع يأجوج» بما ورد في القرآن: سورة الكهف، آيات ٩٤-٩٨. عن قصة ذي القرنين مع يأجوج ومأجوج، وبناء السد لدفع خطر هؤلاء القوم.

(٤) گروهی دران دشت يأجوج نام چوما آدمی زاده و دیوفام (نظامی: خردنامه و اقبالنامه، ص ٢٤)

السوداء، وشكوا من أنهم يهجمون عليهم، فيأكلون طعامهم. فاستمع الإسكندر إلى شكواهم، ودبّر وسيلة لدفع الشر عنهم، «فبنى سدًا منيعًا من الفولاذ، لا يتحطم إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

ثم واصل سيره حتى وصل إلى منطقة جميلة، مملوءة بأشجار الفاكهة، والأغنام، ولم يجد عليها حاكمًا، لأن أهلها كانوا يعرفون حقوقهم وواجباتهم؛ فيؤدي كل منهم ما عليه، ويأخذ ماله، فيعيشون بذلك في سعادة وهناء، مبتعدين عن المساوئ الخلقية، ولاحظ أن العدل قد انتشر بينهم<sup>(٢)</sup>، فلما رأى الإسكندر ذلك اكتفى بالطواف حول العالم، وكأنه وصل إلى الهدف الذى كان ينيشه<sup>(٣)</sup>، فقال: «لا أريد الطواف في العالم مرة أخرى بعد أن رحلت إلى كل مكان»<sup>(٤)</sup>.

«وحينما رآهم على الحق - الذي يشبه دينه - سلم عليهم، وأعطاهم أموالاً لا تُحصى، ورجع من تلك الديار مسرورًا، فاخترق الصحراء بجيشه الزاخر»<sup>(٥)</sup>.

وهكذا ختم الإسكندر رحلاته، فشق طريقه عائداً إلى بلاده «بعد أن أنقذ الناس من الظلم والفقر في كل مكان رحل إليه»<sup>(٦)</sup>.

(١) بدانگونه سدى ز پولاد بست كه تا رستخيزش نباشد شكست  
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه، ص ٢٢٦)

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٨-٢٣١.

(٣) فكرة أن يعيش الناس يظلمهم عدل الله دون حاجة إلى حاكم يسوسهم تشبه فكرة الجنة، ويبدو أن نظامى قد تأثر بما ورد في القرآن في وصف الجنة، وما بشر الله به المؤمنين من نعيم مقيم فيها حيث يعيشون مستظلين بعدل الله.

(٤) نحواهم دگر در جهان تاختن بهر صيدگه داي انداختن  
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه، ص ٢٣١)

(٥) چو در حق خود ديدشان حق شناس درود ودرم دادشان بي قياس  
آزان مملكت شادمان باز گشت روان كردلشكر چو دريا بدشت  
(المرجع السابق، ص ٢٣٢)

(٦) بهر جاكه او تاختى بارگى رهاندى بسى كس ز بيچارگى  
(نظامى : خردنامه وإقبالنامه، ص ٢٣٢)



وهنا بدأت النهاية؛ فسمع الإسكندر هاتفاً ينصحه بالرجوع، «فرجع من الشمال إلى كرمان، ورحل منها إلى كرمانشهان، وسار منها إلى بابل، وتوجه منها شطر بلاد اليونان، فلما وصل - من بابل - إلى شهرزور، بُعدت عنه السلامة، فأصابه المرض، وعجز عن الحركة دفعة واحدة»<sup>(١)</sup>.

وظن الإسكندر أنه شرب ماء مسموماً، فحاول أرسطو والحكماء معالجته، فلم يُوقِّعوا، وأيقن الإسكندر أنه مشرف على الموت، فدعا إليه أصدقاءه، فاجتمع حوله الحكماء<sup>(٢)</sup>، فأخذ يتحدث معهم عن الموت، والرحيل من الدنيا وكيف أنه فتح العالم من أقصاه إلى أقصاه، وطهره من الظلم، ودعا إلى الدين الحق، ثم ها هو يترك الدنيا دون أن يأخذ معه شيئاً، وضرب لهم مثلاً، بقوله: «وقف طائر على جبل ثم طار، فماذا زاد على الجبل وماذا نقص منه؟!.. أنا ذلك الطائر، والعالم جبلي، فأني حزن للدنيا على ذهابي؟!..»<sup>(٣)</sup>.

ثم أمر بكتابة رسالة إلى أمه، ودعاها إلى عدم الجزع لموته؛ لأن الموت هو المصير المحتوم، طال العمر أم قصر، ونصحها بالصبر والاحتمال<sup>(٤)</sup>.

وتوفي الإسكندر في الليلة التالية، «فابتسم ومات - كالشمع - في أثناء تبسُّمه، فأسلم الروح لله الذي منحه الروح»<sup>(٥)</sup>.

(١) بكرمان رسيد از كنار جهان  
وزانجياببابل برون بردراه  
جو آمد ز بابل سوی شهر زور  
بسستی درامدتك باری  
ز کرمان درامد بكرمانشهان  
ز بابل سوی روم زد بارگاه  
سلامت شد از پیکرشاه دور  
ز طاقت فروماند بیکبارگی  
(المرجع السابق، ص ٢٣٦)

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٢-٢٤٧. وقد ذكر الشاعر حديث الإسكندر مع الحكماء بشيء من التفصيل.

(٣) یکی مرغ برکوه بنشست وخاست  
من آن مرغم ومملکت کوه من  
چه افزود برکوه یازوجه کاست؟!  
چو رفتم جهان را چه اندوه من  
(المرجع السابق، ص ٢٤٧)

(٤) نظامی: خردنامه و اقبالنامه، ص ٢٥١-٢٥٧. وقد ذكرت محتويات هذه الرسالة بشيء من التفصيل.

(٥) بخندید ودر خنده چون شمع مرد  
بدانکس که جان داد جانرا سبرد  
(المرجع السابق، ص ٢٥٨)

ونفَذَ الحكماء وصيته، فوضعه في تابوت، بالصورة التي أوصى بها؛ «وكان قد أمر بأن يجعلوا يده خارج التابوت، ويضعوا فيها ترابًا، ثم ينادي المنادي في كل مكان: أن الإسكندر هو الذي كان وحده - دون غيره من ملوك العالم - ملجأ على أقاليم العالم السبعة، وليس في يده من كنوز الدنيا التي جمعها غير التراب، وأنتم - أيضًا - حينما تخرجون من الدنيا، سوف لا تأخذون معكم غير التراب»<sup>(۱)</sup>.

«ثم حملوه من شهرزور إلى مصر، لأن تلك الديار كانت بعيدة عن متناول أعدائه، ودفنوه في مدينة الإسكندرية، فوسدوه التراب، بعد أن كان على العرش»<sup>(۲)</sup>.

وسمعت أمه بوفاته، فتأثرت، وماتت سريعًا<sup>(۳)</sup>، وقدم العظماء فروض الولاء لابنه «إسكندروس» وأرادوا توليته، ولكنه رفض بحجة أنه لم يكن يملك صفات أبيه، وقضى حياته كراهب في أحد الأديرة<sup>(۴)</sup>.

وأعقب ذلك موت الحكماء السبعة، فتوفى أرسطو أولاً، ثم لحق به هرمس، فأفلاطون، فواليس، فيلیناس، ففرفوروس، فسقراط. وكان كل منهم يتحدث - قبل موته - عن قضاء الله، وخلود الروح، وانعدام فائدة الحكمة إذا حُمَّ القضاء.

(۱) ز تابوت فرموده بد شهریار در آن دست خاکی تهی ریخته که فرمانده هفت کشور زمین زهر گنج دنیا که در پاریس شمانیز چون از جهان بگذرید  
که یکدست اُورا کنند آشکار منادی ز هرسو بر انگیخته همین یکتن آمد زشاهان همین بجز خاک چنزی ندارد بدست ازین خاکدان تیره خاکی برید (المرجع السابق، ص ۲۵۹)

(۲) سوی مصر بردندش از شهر زور باسکندریش وطن ساختند  
که بود آن دیار از بداندیش دور ز تختش بتخته درانداختند (المرجع السابق، ص ۲۵۹-۲۶۰)

(۳) نظامی: خردنامه وایقاننامه، ص ۲۶۳-۲۶۴.

(۴) المرجع السابق، ص ۲۶۸-۲۶۹.

وتوفي سقراط مسموماً، وسأله تلاميذه - قبل موته - عن المكان الذي يجب أن يدفن فيه، فأجاب بأنه لا يعنيه أين يُدفن جثمانه!..<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

وُخِّمَت المنظومة بالتحدث عن خاتمة حياة نظامي<sup>(٢)</sup>، ومدح عز الدين مسعود حاكم الموصل<sup>(٣)</sup>، والدعاء له<sup>(٤)</sup>.

وبذلك تنتهي قصة الإسكندر بعد أن صوّره نظامي من ثلاثة جوانب: جانب البطولة، وجانب الحكمة، وجانب النبوة.

\*\*\*

ويبدو أن نظامي تأثر - فيما ذكره عن نبوة الإسكندر - بالرأي الذي يميل إلى أن «ذا القرنين» المذكور في القرآن<sup>(٥)</sup> لم يكن شخصاً غير الإسكندر المقدوني، وقد أثبتته مفسرون، من أشهرهم البيضاوي<sup>(٦)</sup>.

وذكر ياقوت رأياً آخر يميل إلى وجود شخصين باسم الإسكندر، فقال في أثناء حديثه عن مدينة «الإسكندرية»: وذكر آخرون أن الذي بناها هو الإسكندر الأول ذو القرنين الرومي، واسمه «اسك بن سلوكوس»، وليس هذا هو الإسكندر بن فيلقوس؛ وأن الإسكندر

(١) المرجع السابق، ص ٢٦٨ - ٢٧٨. وقد سبقتنا مناقشة مسألة وجود الحكماء السبعة. وأثبت نظامي ما يتعلق بوفاتهم، وأقوالهم قبل الوفاة، بعد موت الإسكندر وهذا خطأ من الناحية التاريخية، ولكن الشاعر أراد أن يتلاءم مع فكرته هو، التي غلبت عليها الناحية القصصية.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٨ - ٢٨٠.

(٣) المرجع السابق، ٢٨٠ - ٢٨٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٨٦ - ٢٩٣.

(٥) سورة الكهف، آيات ٨٣ - ٩٨.

(٦) تفسير البيضاوي، ج ١، ٥٧٢.

الأول هو الذي جال الأرض، وبلغ الظلمات، وهو صاحب موسى وخضر عليهما السلام.. وزعموا أن بينه وبين الإسكندر الأخير صاحب «دارا» المستولي على أرض فارس، وصاحب أرسطاطاليس الحكيم - الذي زعموا أنه عاش اثنتين وثلاثين سنة - دهرًا طويلًا وأن الأول كان مؤمنًا، كما قصَّ الله عنه في كتابه، وعمر عمرًا طويلًا، وملك الأرض، أما الأخير؛ فكان يرى رأي الفلاسفة، ويذهب إلى قَدَم العالم - كما يرى أستاذه أرسطاطاليس - وقتل دارا ولم يتعد ملكه الروم وفارس»<sup>(١)</sup>.

ومن المفسرين الذين مالوا إلى هذا الرأي «الشهاب»<sup>(٢)</sup>، و«الرازي»<sup>(٣)</sup> وهذا الرأي لا يتنافى مع الحقائق التاريخية، وأغلب الظن أنه هو الرأي الصحيح.

ولكن نظامى مال إلى الرأي الأول، فمزج ما ورد في القرآن عن «ذي القرنين» وعن «موسى والخضر» بقصة الإسكندر المقدوني ليعطي موضوع الإسكندر صبغة قصصية، ويضيء جوانبه المختلفة.

\*\*\*

وقد نظم الفردوسي قصة الإسكندر - قبل نظامى - فيحسن أن نختتم حديثنا عن منظومة «إسكندرنامه» لنظامى بمقارنة بين تصوير كل من هذين الشاعرين لشخصية الإسكندر، حتى يمكننا أن نحكم على عمل نظامى حكمًا صحيحًا.

(١) ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٥.

(٢) الشهاب: حاشيته على البيضاوي، ج ٢٦، ص ١٢١.

(٣) تفسير الرازي، ج ٥، ص ٥٢٣ - ٥٢٤.

## الفصل الخامس

### مقارنة بين تصوير كل من الفردوسي ونظامي لشخصية الإسكندر

كان تصوير الفردوسي لشخصية الإسكندر يختلف اختلافاً كبيراً عن تصوير نظامي لها. فقد تصور الفردوسي<sup>(١)</sup> شخصية الإسكندر بطريقة تتفق مع حبه لبني جنسه، وتمجيده لماضي وطنه، وتاريخه القديم، وتعظيمه لملوك إيران القدماء، واعتزازه بهم، فأثر هذا في تصويره لهذه الشخصية، ورسم العلامات المميزة لها.

فمال إلى الرأي القائل بأن الإسكندر إيراني، ليمحو عن وطنه عار الهزيمة على يديه، ويعتبر فتحه لإيران حقاً طبيعياً له، واسترداداً لملكه الذي اغتصبه أخوه «دارا»، ويتخذ من فتوحاته وانتصاراته فخراً لبني وطنه، فاقتصر على تصويره في صورة بطل فاتح، وقائد مظفر، استطاع أن يوسع حدود دولته، بفتح الأقاليم المختلفة، وضمها إلى حوزته.

ولذلك؛ أثبت الفردوسي أن الإسكندر هو الابن الأكبر للملك الإيراني «دارا بن بهمن» وأن أمه كانت يونانية، فقد تزوج «دارا» ابنة الملك اليوناني «فيلقوس»، ثم وجدها كريمة الراححة، «فنفّر قلب الملك الإيراني من العروس» فردّها ثانية إلى أبيها فيلقوس، تحمل همّين: همّ نفسها، وهمّ الطفل الذي بين أحشائها، وأخفى هذا الأمر فلم يقله لأحد؛ وبعد

(١) فردوسي: شاهنامه، ج ٣، ص ٤١٦ - ٤٤٠؛ ج ٤، ص ١ - ٨٤.

مُضِيّ تسعة أشهر وضعت هذه الفتاة الفاتنة مولودًا جميلًا كالبدر المنير، فسَمَّته الإسكندر<sup>(١)</sup> لحسن تركيبه، وروعة صورته، وطيب رائحته، لأنها كانت تتفائل بهذا الاسم الذي وجدت بفضل الشفاء من المرض<sup>(٢)</sup>.

وهكذا حرص الفردوسي على إثبات نسب الإسكندر، ليبرر فتحه لإيران؛ وطبيعي أن يحذف من تاريخ الإسكندر، وأعماله بعد ذلك، ما يتعارض مع مجد إيران القديم، كتخطيطه لمعابد النار، وإحراقه «للأوستا»<sup>(٣)</sup>، وقضائه على الزردشتية. ويقتصر على تصوير حروبه وحملاته المختلفة التي استولى بها على بعض أجزاء العالم، وكان النصر حليفه دائماً، فجمع مالاً وفيراً<sup>(٤)</sup>.

ولم تكن حملاته إلا لإرضاء حبه للغزو والإغارة، فلم يذكر الفردوسي أسباباً تبرُّرها - كما فعل نظامي - بل بيّن أن الإسكندر كان لا ينتهي من غزو حتى يفكر في غزو جديد، فيستعد له، ويسير لتنفيذه، فهو - مثلاً - حينما أشار إلى توجه الإسكندر لحرب «كيد» ملك الهند لم يذكر سبباً إلا رغبته في الفتح، فقال: «لما تفقد الإسكندر أحوال إيران، عرف أن العرش والملك قد صارا تحت تصرفه، فتوجه بجيشه لقتال «كيد» ملك الهند، وشق طريقه في السهول والصحارى»<sup>(٥)</sup>.

(١) الإسكندر في هذه الرواية اسم لنوع من الحشائش العطرة، قيل إن أم الإسكندر عولجت به، فشفيت من مرضها الذي كان سبباً في نفرة الملك الإيراني منها، وقد سمت ابنها باسم هذا النبات تيمناً وتبرُّكاً.

(٢) دل پادشا سرد گشت از عروس  
غمی دختر و کبودک در نهان  
چونه ماه بگذشت ازان خوبچهر  
ز بالا و رنگک وز بویا برش  
که فرخ همی داشت آن نام را  
(فردوسی: شاهنامه، ج ٣، ص ٤١٨)

(٣) "الأوستا" كتاب الإيرانيين القدماء المقدس الذي قيل إنه نزل على نبيهم "زردشت". وجمع أصول الدين الزردشتي.

(٤) فردوسي: شاهنامه، ج ٣، ص ٤٢١-٤٤٠، ج ٢٤، ص ٨٢-١. وقد ذكر الحروب بالتفصيل.

(٥) سكندر چوكر داندر ایران نگاه  
سوی كید هندی سپه برکشید  
بدانست كوراشد آن تخت وگاه  
همه راه و بیراه لشكر كشید  
(فردوسی: شاهنامه، ج ٤، ص ١١)

فالفردوسي قد صور الإسكندر في صورة محب للحرب، واستعمار الشعوب، وديسطة النفوذ، فلم تكن حروبه تهدف إلى غير هذا.

أما نظامي فسور الإسكندر في صورة الحاكم العادل، المصلح للعالم، ولم يكن يعنيه أن يكون إيرانيًا أو يونانيًا، بقدر ما كان يعنيه أن يكون عادلاً مصلحًا. ولذلك، لم يحاول أن يثبت أن الإسكندر إيراني - كما فعل الفردوسي - بل رجح أنه يوناني صريح النسب، وابن شرعي لـ «فيلقوس».

واجتهد نظامي في إثبات أنه كان بطلاً عادلاً، وأنه كان يغزو لا حباً في الغزو، بل دفعاً للظلم، فقد فتح مصر - مثلاً - لدفع شر الزنج، وإقرار العدل في البلاد، وكان في كل حروبه يرفع ظلماً، ويقر عدلاً، ويعين ضعيفاً مظلوماً، على قوي ظالم.

ولم يكتف نظامي بتصوير الإسكندر في صورة بطل عدل وإصلاح، بل جعله عالمًا حكيمًا، يناقش حكماء الهند، ويجمع الحكماء حوله، ويخلق جواً من الحكمة والعلم، ثم يناقشهم فيما يتعلق بالخلق الأول، ويصل إلى إثبات وجود الله، لأن كل خلق لابد له من خالق. فأصبح بذلك مؤمناً بوحداية الله مما أهله للنبوّة والرسالة، فبدأ دوراً جديداً، خرج فيه على الناس بدعوته الجديدة وطاف العالم شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، داعياً وهادياً.

وتصوير نظامي - هذا - لشخصية الإسكندر يختلف كثيراً عن تصوير الفردوسي، فكل منهما قد تأثر بمزاجه الخاص، فحاول أن يصور الإسكندر في الصورة التي تتفق مع آرائه، وتناسب روح عصره، فحاول الفردوسي أن يمجّد القوة في الحروب، والانتصار على الأعداء، دون مساس بشعور الإيرانيين، بينما حاول نظامي أن يجعل الإسكندر يحقق أحلامه هو في العدل والإصلاح، ويرضي شعور الناس في عصره، وميلهم إلى رفع الظلم، والتخلص من الاضطهاد فخلق منه بطل قصة، وخلط الحقائق بالأساطير، فبدت القصة في صورة مزيج عجيب، لا هو بالتاريخ، ولا هو بالأساطير.

ومن الجائز أن يكون نظامى قد تأثر بما نظمه الفردوسي عن فتوحات الإسكندر كما تأثر بما تصوره المسلمون عن شخصية «ذي القرنين» الواردة في القرآن.

ولكني أرجح أن الشاعر تأثر - أكثر ما تأثر - بالقصة النثرية التي كُتبت عن الإسكندر في القرن السادس الهجري، وهو القرن الذي نظم الشاعر القصة في أواخره، لأنها صورت الإسكندر في صورة تشبه ما فعله نظامى، خصوصاً فيما يتعلق برحلاته ونبوته، وبجثه عن ماء الحياة، ومقابلته للخضر، ومن اجتمع حوله من حكماء.

وليس بين أيدينا من هذه القصة النثرية غير نسخة خطية وحيدة، توجد في مكتبة «سعيد نفيسي» الخاصة بطهران<sup>(١)</sup>.

ورجح «بهار»<sup>(٢)</sup> أنها كتبت في القرن السادس الهجري، كما يبدو من اسم الناسخ، وخطه النسخ المائل إلى الثلث.

(١) توجد هذه النسخة في مكتبة سعيد نفيسي الخاصة بطهران، تحت رقم ١٣٠٦. وقد تفضل بإعارتها لي - في أثناء إقامتي بطهران - وبقيت عندي عاماً كاملاً، فقامت بالاطلاع عليها، وترتيبها، ومقارنتها بمنظومة «إسكندرنامه» لنظامى، ولاحظت الشبه الواضح بينهما، وفي رأيي أن نظامى لم يفعل أكثر من نظم ما تضمنته هذه القصة النثرية، لأن منظومته لا تختلف عنها إلا فيما يتعلق بنسب الإسكندر، فالقصة النثرية رددت ما قاله الفردوسي من أنه إيراني، بينما مال نظامى إلى أنه يوناني. والنسخة الخطية الموجودة تقع في ٥٠٨ صفحة رغم أن أولها وآخرها ضائعان، ويبلغ طولها ٣٥ سم، وعرضها ٢٣ سم. وقيل إن هذه القصة هي نفس القصة المترجمة عن اليونانية. ولكني استبعد ذلك، لأن ذكر الفردوسي، وذكر شواهد قرآنية - في مواضع كثيرة - يرجح أنها قصة إسلامية. أو يرجح على الأقل أنها - إن كانت مترجمة - قد اختلطت بما رده المسلمون عن «ذي القرنين» فلم تظل القصة اليونانية على حالها.

(٢) بهار: سبك شناسى، ج ٢، ص ١٢٩.



وقد ذكرت هذه القصة الفردوسي ومنظومته «شاهنامه» في مواضع كثيرة<sup>(١)</sup> مما يدل على أنها صُنفت بعده، ولم تذكر نظامي، وهذا يرجح أنها كُتبت قبله<sup>(٢)</sup>، ويبدو أنه تأثر بما أوردته إلى حد كبير.

ولم تكن القصة النثرية، هي أول محاولة بُذلت لتسجيل ما روي عن الإسكندر، لأن «كالستنس» اليوناني قام بتدوين أخبار الإسكندر قبل ذلك بقرون عديدة، وضاع ما كتبه، وبقيت ترجماته، السريانية، والحبشية، والعربية<sup>(٣)</sup>، والفارسية، والتركية الجغائية<sup>(٤)</sup>.

ومهما يكن من شيء، فإن نظامي هو أول من نظم القصة في هذه الصورة المفصلة.

وتصويره لشخصية الإسكندر يختلف اختلافاً جوهرياً عن تصوير الفردوسي؛ تجل في شخصيات المنظومة، وترتيب مناظرها، مما يجعلنا نصدق ما قاله من أنه لم يكتف بتريد ما قاله الفردوسي، بل ذكر أشياء جديدة.

وقد طبق نظامي مذهبه - في نظم القصص - في منظومته «إسكندرنامه» فاتخذ من القصة ميداناً لآرائه، وأنطق الإسكندر بما يؤمن هو به، ويدعو إليه، وجعله يصل إلى الهدف، وهو أن يعيش الناس في صفاء، يرفرف عليهم العدل، فيؤدي كل منهم ما عليه، ويأخذ ماله، دون حاجة إلى من يسوسهم، ويوجههم، فلما وصل الإسكندر إلى مثل هذا المكان، لم يواصل السير - لأنه اعتبر نفسه قد أدرك الغاية.

(١) القصة النثرية الخطية، ص ٩٠، وفي مواضع أخرى كثيرة.

(٢) يبدو أن قصة الإسكندر النثرية التي كتبت في عهد الشاه أحمد قاجار وطبعت في طهران قد تأثرت بما في القصة النثرية الخطية، وبما في الشاهنامه للفردوسي. وإسكندرنامه لنظامي، وهي تردد ما ذكرته الشاهنامه، والقصة النثرية الخطية من أن الإسكندر إيراني.

(٣) يبدو أن ما يوجد بالعربية والفارسية من أخبار حول الإسكندر ليس صورة دقيقة لما كتبه "كالستنس". لأن هذه الأخبار امتزجت بما رواه المسلمون عن شخصية "ذي القرنين".

(٤) تريبت: دانشمندان آذربيجان، ٣٨٤.

وكما أدرك الإسكندر غايته، بلغ نظامى نفسه الغاية من النظم، ومن الحياة أيضًا. والواقع أن شخصية الإسكندر في المنظومة هي أصدق تصوير لشخصية نظامى، كداعٍ من دعاة الفضيلة، يتمنى أن يُبنى المجتمع على أسس وطيدة من العزة، والعدالة، والعلم، والأخلاق.

وقد أصبح نظامى بتصويره هذا - لقصة الإسكندر - إمامًا قلده كثير من شعراء الفارسية والتركية.

وأشهر من قلده من شعراء الفارسية: أمير خسرو الدهاوي المتوفى في عام ٧٢٥هـ، فنظمها تحت عنوان «أئينه سكندري»، وعبد الرحمن الجامي المتوفى في عام ٨٩٨هـ. ونظمها تحت عنوان «خردنامه سكندري».

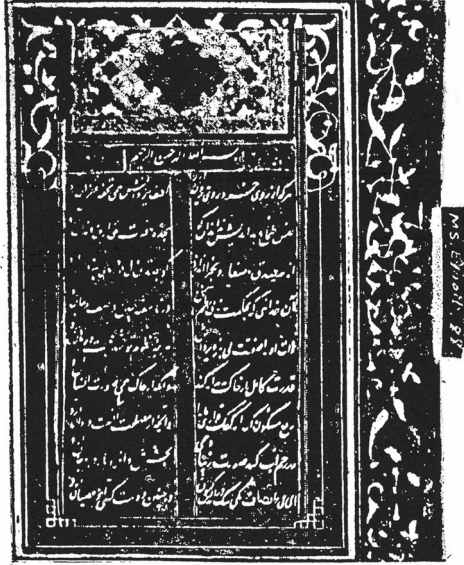
وأشهر من قلده من شعراء التركية: ميرعلشير نوائى المتوفى في عام ٩٠٦هـ والأحمدى الكرمياني المتوفى في عام ٩١٥هـ، ونظما القصة تحت عنوان «إسكندرنامه».

وقد اعتمد هؤلاء - جميعًا - على منظومة «إسكندر نامه» لنظامى، واقتبسوا مما فيها من أقوال، ومعلومات.

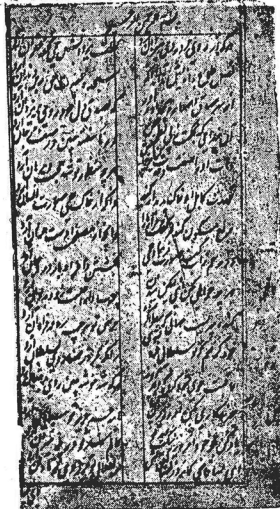
وأراد أمير خسرو الدهلوي أن يتصرف بعض الشيء، فبدت منظومته مفككة الأجزاء، تحتاج إلى حبك وإتقان، وفقدت عنصر الحيوية والجمال<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

والآن - وقد درسنا منظومات الشاعر الخمس، المسماة «خمسه نظامي» - لم يبق إلا أن نلقي نظرة أخيرة على ما بقي من ديوانه، وهو الشعر الذي نظمه بعيداً عن المنظومات، حتى يتسنى لنا أن نصدر حكماً على شعر الشاعر كله، ونبيّن مزايا فنه.



الصفحة الأولى من إحدى نسختي ديوان نظامي الخطيبين الموجودتين في مكتبة  
بودابن بأكسفورد نقلًا عن مقدمة كنجينه كنجوي ص ٢٤



الصفحة الأولى من نسخة ديوان نظامي الخطية الموجودة في برلين  
نقلًا عن مقدمة كنجينه كنجوي ص ٢٤

# الباب السادس

## ديوان نظامى

### الفصل الأول

#### دراسة حول ديوان نظامى

##### ١- هل كان لنظامى ديوان شعر؟

كانت الشهرة الغالبة على نظامى أنه صاحب خمس منظومات، فحاول كثير من الشعراء الذين قلده أن يصبحوا أصحاب خمس منظومات مثله.

أما نظامى كصاحب ديوان شعر فشيء غير مشهور، حتى إن كتب التذاكر المهمة لم تُشر إلى هذا الديوان في قليل أو كثير.

وذكر "عوفي" أن الشعر المروي عن نظامى غير مننوياته قليل<sup>(١)</sup>، رغم أنه كان معاصراً للشاعر، مما يرجح تبدد الديوان وضياعه منذ زمن بعيد<sup>(٢)</sup>.

ولعل السبب في إهماله ذكر الديوان عدم وجوده كاملاً. غير أن ضياع بعض أجزائه لا يعني أن الشاعر لم يكن له ديوان أصلاً.

(١) عوفي: لباب الألباب، ج، ٢، ص ٣٩٧.

(٢) لم ينشر القزوينى في آثار البلاد، ص ٣٥١-٣٠٢. إلى ديوان نظامى رغم أنه كان يعيش في القرن السابع، الذي توفي نظامى في أوائله.

والحقيقة التي لاشك فيها أن نظامى كان له ديوان شعر - فضلاً عن منظوماته - وأن هذا الديوان كان كاملاً في عام ٥٨٤ م في أثناء نظم "ليلي ومجنون"، فقد ذكر الشاعر أنه كان يوماً مسروراً نشيطاً، لأن ديوانه كان كاملاً أمامه، وفي تلك الأثناء وصله خطاب من حاكم شروان، وطلب منه نظم قصة "ليلي والمجنون"، فقال: "كنتُ يوماً أحس بالسعادة والسرور والنشاط، وكان وجهي متهلاً، لأن ديواني كان موضوعاً أمامي"<sup>(١)</sup>. وهذا يدل على أن الديوان كان مجموعاً في أوائل عام ٥٨٤هـ، قبل البدء في النظم منظومته الثالثة. وإن ما ذكره الشاعر لا يدع مجالاً للشك في أنه كان صاحب ديوان شعر.

\*\*\*

## ٢- عدد أبيات الديوان، والنسخ الخطية الموجودة منه، وما تم نشره فعلاً:

لم يصرح الشاعر بعدد أبيات ديوانه، غير أن "دولت شاه" ذكر أن ديوان نظامى كان يشتمل على عشرين ألف بيت من الشعر<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن ما ذكره "دولت شاه" لا يخلو من المبالغة، لأن النسخ الخطية الموجودة من الديوان لا تشتمل على أكثر من ألفي بيت.

(١) روزى بمباركى وشادى  
ديوان نظامى نهاده  
أبروى هلاليم گشاده  
(نظامى: ليلي ومجنون ص، ٢٤)

(٢) دولت شاه: تذكرة الشعراء، ص ١٢٩.

ومن الجائز أن يكون بعض أجزاء هذا الديوان قد ضاعت، ولكن نستبعد أن يكون الديوان بهذه الضخامة، بعد ما روي من أن الأشعار التي خلفها الشاعر - غير المنظومات - ليست كثيرة.

والواقع أننا لا نعرف عدد أبيات هذا الديوان على وجه التحقيق.

أما النسخ الخطية الموجودة - الآن - من الديوان فهي خمس نسخ، ذكرت دائرة المعارف الإسلامية ثلاثاً منها<sup>(١)</sup>: اثنتين في مكتبة "بودلين" بأكسفورد تحت رقمي ٦١٨ و ٦١٩. وواحدة في مكتبة برلين<sup>(٢)</sup>.

وذكر برتلس أن نسخة رابعة توجد في الهند، وقال إن النسخ جميعها لا تشتمل على أكثر من ألفي بيت من الشعر<sup>(٣)</sup>.

وهي توجد النسخة الخامسة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة منتخبات<sup>(٤)</sup>، وهي عبارة عن قصائد من الديوان تشغل خمسين ورقة، طولها ١٧ سم، وعرضها ١١ سم، وفي كل صفحة منها ١٥ بيتاً أي أنها تشتمل على ١٥٠٠ بيت من الشعر وهذا يرجح أن جزءاً من الديوان ضاع، فلم يصل إلى أيدينا.

\*\*\*

ولم تُنشر هذه النسخ الخطية حتى الآن، وإن كانت بعض قصائد هذا الديوان قد ذكرت متفرقة، في بعض كتب التذكار.

(١) *The Encyclopaedia of Islam*, vol. III, Art. Nizami, p. 938.

(٢) اعتمد كاتب المادة في ذكر هذه النسخة على: Berlin Pertsch Cat. No. 691.

(٣) برتلس: نظاي شاعر آذربيجان العظيم، ص ١٢٣.

(٤) مخطوطة رقم ١٦٨م بدار الكتب المصرية.

ونشر "رييكا" - في عام ١٩٣٥ م - عدة غزليات لنظامى، يبدو أنها جزء من ديوانه المبعثر، وهي عبارة عن خمس وعشرين قطعة، قالها في الغزل وموضوعات الحب<sup>(١)</sup>.

تم نشر "دستگردي" - في عام ١٩٣٩ م - ما عثر عليه من هذا الديوان تحت عنوان "گنجينه گنجوى"<sup>(٢)</sup>، وقسم ما نشره إلى ثلاثة أقسام: قسم قطع بأنه من نظم نظامى<sup>(٣)</sup>، وقسم شك في نسبته إليه<sup>(٤)</sup>، وقسم قطع بأنه لم يكن من نظمه<sup>(٥)</sup>.

### ٣- تواريخ نظم قصائد الديوان وجمعها:

أغلب الظن أن الشاعر نظم أغلب القصائد - التي ضمها ديوان شعره - في وقت شبابه، وقبل البدء في نظم منظوماته الخمس، ولعلها كانت محاولاته الشعرية الأولى.

ومما يؤسف له أننا لا نستطيع أن نحدد تواريخ هذه القصائد كلها أو بعضها، لأن الشاعر لم يصرح بما يدل على شيء من ذلك من قريب أو بعيد، ولا توجد قرائن يمكن بواسطتها أن نؤرخ هذه القصائد.

ونرجح أن الشاعر قام بجمع قصائده بعد فراغه من نظم "خسرو وشيرين"، أي بعد عام ٥٨٢ هـ، لأنه لم يشر إلى الديوان قبل هذا التاريخ؛ كما نرجح أنه فرغ من جمعه، وترتيبه في عام ٥٨٤ هـ قبيل البدء في نظم "ليل ومجنون"، لأنه صرح بذلك في مقدمة هذه المنظومة.

ويبدو أن الشاعر كان يضيف بعض القصائد إلى ديوانه من الوقت إلى آخر، في فترات مختلفة من حياته، كما كان يفعل في منظوماته، لأننا نجد بعض القصائد في وصف

(١) رييكا: Rypka: چند غزل تازه از نظامى گنجوى، ص ١٥-٢٤.

(٢) "گنجينه گنجوى" بمعنى "خزانة الكنجوى" أي "ديوان نظامى".

(٣) گنجينه گنجوى: ص ١٧٤-٢٢٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٢٧-٢٣٥.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٣٦-٢٥٩.



الشيخوخة، وتصوير ما أصابه من ضعف نتيجة لكبر سنه. فمن ذلك قوله في إحدى قصائده: "أي نصيب لي من أغصان البقاء في هذا الروض الذي تقوست فيه قامتي من آثار الشيخوخة؟!.. فلن يكون لأحد من نخلي ظل أو ثمر، لأن رياح الحوادث العاصفة أسقطت سعفي وثمري، فالفلك يُعدُّ القبر لقامتي المنحنية، وإن بياض شعري ليشرعني براثة الكارفور"<sup>(١)</sup>.

تم تحدث عما يصحب الشيخوخة من يأس، فقال: "سقطت فواكه الأمل من حديقة الدنيا من كثرة الأحجار وقطرات الندى التي تتساقط من كل ناحية على أفرع نخلي، وإن الفرع ليصبح، معتدلاً بعد أن تسقط ثماره، ولكن نخلة قدي قد انحنت بعد إعطاء الثمار"<sup>(٢)</sup>. وصور ضعف بصره، فقال: "إن عيني لا تفرق بين البياض والسواد، ولا تميز بين أشعة الشمس ونور القمر"<sup>(٣)</sup>.

واستمر في وصف الشيخوخة، فقال: "حلّ الأجل ضيقاً عليّ، فماذا أقدم له؟!.. إنه لن يقبل غير الحياة!.." <sup>(٤)</sup>.

وأمعن في تصوير اضمحلال جسمه، فقال: "إنني كالظل، إذا لم أعتمد على حائط، فأني احتمال عندي في أن أظفر بالنهوض؟!"<sup>(٥)</sup>.

(١) الكافور رائحة طيبة تنتثر على جثة الميت عند تكفينه.

(٢) در این چمن که ز پیری خمیده شد کرم نه سایه ایست ز نخلم نه میوه کس را سپهر با قد خمیده گشته میکند لخدم (گنجینه گنجوی، ص ١٩٥)

(٣) بیوستان جهان ریخت میو امید نهال چون ثمر افشاندراست گرددلیک (المرجع السابق، ص ١٩٧)

(٤) بياض رانکنند فرق دیده ام ز سواد (المرجع السابق، ص ١٩٨)

(٥) چو سایه گر نکنم اعتماد بردیوار چو احتمال که بر خاسین بود ظفرم؟ (گنجینه گنجوی، ص ١٩٩)

ثم قال: "إن لي قلبًا مشرقًا بنور المعرفة، وأنا أشبه هالة القمر، بقامتي المنحنية"<sup>(١)</sup>. وهذا يرجح أن الشاعر كان شيخًا كبيرًا محطم الجسم، ينتظر الموت، حينما نظم هذه القصيدة. وهناك - أيضًا - القصيدة التي نظمها في رثاء الخاقاني، وقال فيها: "كنتُ أقول - دائمًا - إن الخاقاني سيكون ناعيًا لي، فوا أسفاً أنى صرت الآن ناعيًا للخاقاني"<sup>(٢)</sup>. وقد رجحنا أن الخاقاني توفي في عام ٥٩٥ هـ، مما يثبت أن الشاعر أضاف هذه القصيدة إلى ديوانه بعد جمعه بأكثر من عشر سنوات. كما أن هناك القصيدة التي رثى الشاعر فيها ابنه الذي توفي في عام ٦٠٨ هـ<sup>(٣)</sup>، مما يرجح أنها أضيفت إلى الديوان بعد جمعه وترتيبه. ونكتفي بهذه الدراسة حول الديوان؛ لنعرض صورًا منه، ونتبين محتوياته، والموضوعات التي تناولها.

وسأقتصر على ما نشره دستگردى، لأن نسخة دار الكتب المصرية مملوءة بالأخطاء، كما أنها تخلط الأشعار الفارسية بأشعار تركية، لم تثبت نسبتها إلى الشاعر.

(١) مراكه هست دل از نور معرفت روشن بقدر حلقه نموارد هاله قمرم (المراجع السابق، ص ٢٠٠)

(٢) همی گفتم كه خاقانی دریغا گوی من باشد دریغا من شدم دریغا گوی خاقانی (دستگردى: مقدمه گنجینه گنجوى، ص ٢٠٠)

وقد شك دستگردى في نسبة هذه القصيدة إلى نظامى، بحجة أنه لم يكن مسنا عند ما توفي خاقاني، ولكن هذا غير صحيح لأن الخاقاني توفي في عام ٥٩٥ هـ، في وقت كان نظامى فيه في السادسة والخمسين من عمره، وكان يتوقع الموت، فتحدث عنه كثيرًا، فمن الجائز أن تكون القصيدة من نظمه. ومهما يكن من شيء، فليس بين أيدينا من القصيدة إلا هذا البيت.

(٣) سنعرض ما احتوته هذه القصيدة في الفصل التالي، في أثناء عرض محتويات الجزء المنشور من الديوان.

# الفصل الثاني

## محتويات ديوان نظامي

سأعرض - في هذا الفصل - محتويات القسم الأول من الأقسام الثلاثة التي نشرها دستغردى "في گنجينه گنجوى"، لا لشيء إلا لأنه يمثل آراء نظامي تمثيلاً صحيحاً، ويصور نزعاته المختلفة أحسن تصوير، مما يرجح أنه من نظمه - كما قال دستغردى - وسأترك القسمين الثاني والثالث اللذين لم تثبت نسبة ما فيهما من أشعار إلى نظامي.

وإذا ألقينا نظرة على هذا القسم الأول نجده يتناول الموضوعات الآتية:

### ١- الفخر:

ليس عجباً أن نرى شاعراً كنظامي، يقول شعراً في الفخر - رغم زهده وتقواه - لأنه كان يساير روح عصره<sup>(١)</sup>، وما دفعت إليه الظروف.

وقد أكثر الشاعر من الفخر في منظوماته الخمس، وخصص له جزءاً من ديوانه، أسرف فيه في إظهار فضله، وعلو منزلته، وسموه على غيره، فقال مثلاً: "خُلِقَ الكلام مني كما تُخْلَق الفتوة من المروءة، وظهر الفضل مني كما تظهر النضارة من الشباب، فنغمات غزلي في

---

(١) سبقت الإشارة إلى انتشار ظاهرة الفخر بين الشعراء في عصر نظامي، وأنه تأثر بروح العصر، كغيره من الشعراء.

الأسماع كنغمات العود، وطعم كلامي في الأذواق كطعم الشراب العذب؛ وأنا أصل لحركات الأفلاك، فهي مستمدة مني، وأنا ماءً لطبقات السماء، فهي الأواني (التي تتلقى فيضي)!"<sup>(١)</sup>. وبالغ في الفخر حتى اعتبر أنه من أرفع من أن يفخر عن طريق الشعر، لأنه مملوء بالكذب، وقدره أسمى من أن يبيّن، فقال: "ما فن الشعر نفسه حتى أفخر عن طريقه، فأكون كالمثل الذي ينطلق لسانه بالأساطير الكاذبة!؟"<sup>(٢)</sup>.

وهذا هو مركب النقص الذي يبتلى به الشعراء إذا لم يجدوا مَنْ يقدرهم حق قدرهم، ويُثيبهم على شعرهم، وقد صرح نظامي بأنه لم يُقدّر في الدنيا، ولكنه واثق من ثواب الآخرة، فقال: "أنا لا أساوي درهماً في هذه الدنيا، ولكني أساوي كثيراً في الآخرة"<sup>(٣)</sup>.

ويبّن أن عدم تقديره لم يكن لرداءة شعره، بل لفساد عصره، لأن شعره خير شعر قيل، وأخذ يتحدث عن مزايا فنه، ويفخر بشعره، فقال: "إنني لا أتظاهر بألحاني، رغم أنني أصوغها جميلة كالعروس، ولا أدق طبولي بجنون، وإن كانت أصواتها نغماً عذبا"<sup>(٤)</sup>. ثم تمادى في الفخر، فقال: "إن أتفه ما يصدر عنّي يُعدّ أصلاً للعلوم الطبيعية والعقلية، وأردأ عصابات ذهني لذيد سائغ شرابه، وإن كل ما أقوله يعدّ جديداً، سواء أكان حديثاً عن

- (١) سخن از من آفرید چو فتوت از مروت  
غزلم بسمعها در چو سماع ارغنونی  
حرکات اخترانرا منم اصل وأو طفیلی  
هنراز من آشکارا چو طروات از جوابی  
نکتم بذوقها در چو شراب ارغوانی  
طبقات آسمانرا منم آب وأو آوانی  
(گنجینه گنجوی، ص ١٧٥)
- (٢) فن شعر خود چه باشد که بدان کنم تفاخر  
جو ممثلی است مطلق بدروغ داستانی؟  
(المرجع السابق، ص ١٨١)
- (٣) بعیار این جهان درمی نیم ولیکن  
دری چهار دانکم بعیار آنچهانی  
(المرجع السابق، ص ١٨٢)
- (٤) نکتم بخطبه لحنی چو کنم بود عروسی  
نزنم بخیره طبلی چوزنم بود آغانی  
(المرجع السابق، ص ١٧٦)

القديم أم عن الجديد. ولذلك، فأني أسيطر على آلاف القلوب بأفكاري وأشعاري، وأجذب آلاف النفوس بذكائي، ودقائق نظمي<sup>(١)</sup>.

ثم قال: "إن قلوب الخلق تبتهج بإذن من شفتي (بعد أن تتحرك لتقول شعري) كما تتفتح الرياحين من النسيم العليل<sup>(٢)</sup>".

وقد سمعنا مثل هذه النغمات من الشاعر قبل ذلك، مما يجعلنا نرجح أن هذا الشعر من نظمه، وهي نغمات تتردد في كل ما قاله في باب الفخر<sup>(٣)</sup>.

## ٢- الزهد والتجرد من الدنيا، والعمل للآخرة:

أكثر نظامي - في هذا الجزء من ديوانه - من الحديث عن الزهد، والتجرد من الدنيا، وضرورة العمل للآخرة، بنغمات تناقض نغمات الفخر، فوجدناه لا يزهو بما عنده من مفاخر بل يبدو متواضعاً، ويعتبر نفسه مذنباً، ويدعو إلى ترك التعلق بالدنيا، وإيثار ما يبقى على ما يفنى، ويحاول أن يعد نفسه للرحيل من الدار الفانية، بأن يتزود بما ينفعه في طريقه إلى الآخرة، وأن يعمل صالحاً حتى يجني ثمار عمله؛ فيقول "دق الجرس، وتحركت القافلة للرحيل، فهاجر من هذه الدنيا الحقيرة إلى دار الباقية الكريمة، وحينما تلحق بالقافلة

دغل عصاره من چه نباتي وچه كافي  
همه رسمهاي تازه كهنت و باستاني  
بخرم هزار جان را بغلوطه نهائي  
(گنجينه گنجوى، ١٧٦)

چو شكوفه رياحين بهوي مهر كافي  
(المرجع السابق، ص ١٧٧)

(١) سقط خلاصه من چه طبيعي وچه عقلي  
بقياس شيوه من كه نتيجه نو آمد  
برم هزار دل را ببديهه ومعا

(٢) بياجازت لب من دول خلق بازخندد

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٤، ١٨٤.

ستجد عملك يتقدم لك في السير، ويرشدك في الطريق، فاطرب لصوت الجرس، وكن في عداد هذه القافلة<sup>(۱)</sup>.

وكان الشاعر يرى ضرورة الإقلال من شهوات الدنيا، حتى يتفرغ الإنسان للعمل المنتج الطيب، فدعا إلى ذلك في قوله: "إذا أقللت من الشهوة، زاد إقبالك على الطاعة، لأن البخور كلما قل رماده، كان أجمل رائحة"<sup>(۲)</sup>.

ثم وضع ذلك في قوله: "إن الدنيا لا تحسن معاملة الخلق، كما أن أحداث الزمان متغيرة دائماً، فيمكنك أن تنجو من شرورها إذا اعتصمت بالقرآن، فحاول التمسك به، لأن الساعة توشك أن تقوم"<sup>(۳)</sup>.

ودعا إلى ضرورة اتباع تعاليم الشرع، فقال: "حاول أن تتفانى في السير في طريق الشرع، فأسرع أكثر من ذلك لأن جسمك سوف يتحلل، ويصير تراباً"<sup>(۴)</sup>.

ونصح بالاعتماد على الله وحده دون غيره من أصحاب الجاه والنفوذ، فقال: "إلى متى تتوسل بهذا السلطان وذاك؟!.. إن السلطان أكثر منك عبودية.. كن عبداً لله الذي وهب السلطان الجاه والنفوذ"<sup>(۵)</sup>.

کو کن زین خیل سوی دار الملک  
جان مونسی کن باحرس در حلقه  
ابن کاروان (گنجینه گنجوی، ص ۱۸۵)  
هر چه خا کسترش کمستر بیشتر  
باشد دخان (المرجع السابق، ص ۱۸۷)  
هم فلك را نا مناسب شد قرآن مهد  
قران جوی کامد مهدی آخر زمان  
(نفس المرجع والصفحة)  
بیش زان کن که کرد  
سرمه دانست استخوان  
(گنجینه، گنجوی، ص ۱۹۰)  
وزتو سلطان بنده تر  
بنده او شوکه او شد صاحب سلطان نشان  
(المرجع السابق، ص ۱۹۱)

(۱) هم جرس جنبید وهو در جنبش آمد  
کاروان چون درای ناله تو کاروانسالار تست  
(۲) کرز شهوت کم کنی درین فزائی کز بخور  
(۳) هم زمین را با خلائق نا موافق شد مزاج  
زین قران ایمن شوی کردست در قران زنی  
(۴) خاک راه شرع را کر سرمه همت کنی  
(۵) چند ازین سلطان و سلطان

ثم نصح الشاعر نفسه - وهو في سن الثلاثين - بالتنبه، والاعتكاف للعبادة فقال:  
"مضت ثلاثون عامًا، فاستيقظ يا نظامي، واعتكف.. أنا نصحتك، وأنت تعرف النتيجة..  
فاحترس. ثم احترس!".<sup>(١)</sup>

ورغم أن هذه النغمات تناقض نغمات الفخر، إلا أننا نرجح أنها صدرت عن نظامي،  
لأن ما يشبهها تردد في منظوماته المختلفة، وقد بيّننا أن الظروف التي أحاطت بالشاعر هي  
السبب في إيجاد هذه النغمات المتناقضة.

وقد راجت الدعوة إلى الزهد، والتجرد من الدنيا، والعمل للأخرة، والاعتراف بالتقصير،  
في كل ما قاله من قصائد في هذا الباب من الديوان.

### ٣- الغزل:

أكثر نظامي من النظم في موضوع العشق والغزل في هذا القسم المنشور من ديوانه<sup>(٢)</sup>،  
غير أن عشقه كان يشبه الصوفية الذي يقصدون به حب الله، والفناء فيه.

ومن أمثلة غزل الشاعر قوله مخاطبًا معشوقه: "إني أظهر لك حالتي السيئة، حتى تنصح  
عينيك السوداوين (بعدم إصابتي بسهام نظراتهما)... لا تلمني، فتكون أكثر هيأماً بهما إذا  
نظرت إلى وجهك القمري في المرأة"<sup>(٣)</sup>.

(١) سي گنشت از عمر بر حیزای نظامی گوشه گیر من نصیحة کردم باقی تودانی هان وهان (المرجع السابق، ص ١٩٥)

(٢) گنجینه گنجوی: ص ٢١٠ - ٢٢٦.

(٣) باتو پدید میکنم حال تباه خویش را سرزنشم ممکن که تو شیفته ترزمن شوی  
تاتو نصیحتی کنی چشم ساء خویش را گرنگری در آینه روی چوماه خویش را (المرجع السابق، ص ٢١٠)

ثم دعاه إلى ترك الفراق والصد، لأنه صبر ولم يسمعه تأوّهه، فقال: "أقلع عن الفراق، لأن حبي لك واضح، ولأني لم أسمعك تأوّهي"<sup>(١)</sup>.

وطلب منه أن ينقذه بالوصل، لأنه أصبح أسير حبه، فقال: "لقد جعلت طابع حسنك مسكناً ليوسف قلبي، فألق دلو العناية ليوسف بئرك"<sup>(٢)</sup>.

وخاطب معشوقه في قصيدة ثانية، فقال: "يا مَنْ صرّت قبلة العالم كله، وأرحت آلاف الأرواح!.. إن الملك الآن لك على العالم، كما أصبح مُلك العالم لآرسلان"<sup>(٣)</sup>.. يا من جعلت مصر شفتيك من نصيب يوسف لا تحرم نظامى من الالتجاء إلى بابك!.." <sup>(٤)</sup>

وقال في قصيدة ثالثة: "إن الجرح قد وصل إلى القلب. فلماذا امتلأت العين دماً؟!.. إنك في قلبي.. فلماذا بقيت صورتك أمامي؟!"<sup>(٥)</sup>.

ثم قال: "لقد أنصفت مجروحي القلب جميعاً، فلماذا اتخذ عدلك لوناً آخر، حينما وصل إلى نظامى؟!.." <sup>(٦)</sup>.

- 
- (١) ترك فراق را بمن راه من توهان وهان چون بتوره نداده ام شحنة آه خویش را (نفس المرجع والصفحة)
- (٢) چاه ونخ چوکرد مسکن یوسف دلم دلو عنایتی فرست یوسف چاهخویش را (نفس المرجع والصفحة)
- (٣) يبدو أن الشاعر يقصد السلطان أرسلان بن طغرل السلجوقي حكم في المدة من ٥٥٥ - ٥٧١ هـ
- (٤) ي قبله شده همه جهان را شاهی بجهان تراست امروز ای مصر لب تو خاص یوسف راحت زتو صد هزار جهان را چوشاهی عالم أرسلان مستان ز نظامی آستان را (گنجینه گنجوی، ص ٢١٠ - ٢١١)
- (٥) زخم چو بردل رسید دیده پراز خون چراست؟ چون تودرون دلی نقش تویرون چراست؟ (المرجع السابق، ص ٢١١)
- (٦) بر همه خسته دلان دادگری کسرد چون بنظامی رسید قصه ذکر کونچراست؟ (نفس المرجع والصفحة)



وطلب من معشوقه - في قصيدة رابعة - أن يحسن معاملته فقال: "قل كلامًا أجمل من هذا، حتى يصير السكر رخيصًا، وخذ بيدي أفضل من هذا حتى يُحْتَمَلَ الظلم.. إنك - أيها الجميل - إذا زرت نظامي ليلة، فإن منزلي الحقيير سيصير قصرًا كقصر سليمان"<sup>(١)</sup>.  
 ووصف حاله في قصيدة خامسة، فقال: "كيف يصبر نظامي على عشقك، لقد انتهى أمره إلى الاضطراب بسببك"<sup>(٢)</sup>.

ثم خاطب معشوقه في قصيدة سادسة، فقال: "يا قمرًا بهذا البهاء.. عند مَنْ ستحل ضيفًا؟! ويا آية الجمال.. من نصيب مَنْ ستكون؟! إنك تذهب.. وستذهب روحي حزنًا على فراقك.. يا من أوجعت نظامي.. دواء مَنْ ستكون؟!..."<sup>(٣)</sup>.

وصوّر سيطرة العشق على قلبه؛ فقال - في قصيدة سابعة - مخاطبًا نفس المعشوق: "أدبّر كل ليلة وسيلة لتخليص قلبي من قيد حبك، فإذا تبسّم الصبح، بدأتُ عشقك من جديد.. لقد جعلتُك تتحد في قلبي، لأنك اتحدت مع روحي، فلا بد لي من روح أخرى حتى أتخذ حبيبًا آخر.. إنني أعبر عن حبي بواسطة الدموع السخينة.. فلعلي أبعد بدموعي الحواجز التي تعترض طريق حبي لك"<sup>(٤)</sup>.

- |  |   |
|--|---|
| <p>(١) بهترازين گو سخن تاشکر ارزان شود<br/>گرتو پیربخ شبی عزم نظامی کنی<br/>(گنجینه گنجوی، ص ٢١٤)</p> <p>کز تو قرار کاهش در بیقراری آمد<br/>(نفس المرجع والصفحة)</p> <p>وای آیت نیکوئی درشان که خواهی شد؟!<br/>ای درد نظامی رادمان که خواهی شد؟!<br/>(المرجع السابق، ص ٢١٥)</p> <p>چو روز برآرد سر مهر توزسر گیرم<br/>جانی دیگرم باید تایار دیگر گیرم<br/>تاگرد نظامی را ازراه تو برگیرم<br/>(گنجینه گنجوی، ص ٢١٧)</p> | <p>(٢) در عشق تو نظامی صابر چگونه باشد</p> <p>(٣) ای ماه بدین خوبی مهمان که خواهی شد؟<br/>تومیروی وجانم خواهد شدن از هجرت</p> <p>(٤) تدبیر کنم هرشب تادل زتو برگیوم<br/>دل بانو در آمیزم کامیخته باجان<br/>آی که جگر دارد ریزم زره دیده</p> |
|--|---|

وختم تصوير حبه بقوله قصيدة ثامنة: "كيف يقبل قلبي معشوقاً آخر غيرك؟!.. إن معشوقاً آخر لن يشبهك، وأنت لا تشبه أحداً (لأنك فريد في حسنك).."<sup>(١)</sup>.

ويبدو من عرض هذه الصور أن عشق نظامى لم يكن عشقاً مادياً، بل كان عشقاً معنوياً، فهو عشق نظري، وليس عملياً؛ فلم يكن يقصد من وراء عشقه إلا تسكيناً لروحه الهائمة، وراحة لقلبه المضطرب، وكان يرجو من معشوقته أن ييسر له طرق هذا التسكين، ويمهد له سبيل هذه الراحة.

وقد سمعنا مثل هذه النعمات التي تصور حرارة العشق تصدر من منظومات الشاعر، مما يرجح أن هذه القصائد التي قيلت في باب الغزل من نظمه.

\*\*\*

#### ٤- الرثاء:

توجد قصيدة - في الجزء المنشور من الديوان - يرثي الشاعر فيها ابنه محمداً<sup>(٢)</sup> الذي توفي في ريعان شبابه؛ ويبدو أن الحزن كان قد استبد بالشاعر فأثّر في نغماته، فصدرت معبرة عن حزنه وجزعه، مما يتجلى في قوله: "يا من صرت قريباً لحوار الجنة، إن وجهك الجميل قد توسّد التراب.. لقد أمضيت العمر سعيداً صالحاً، فدخلت الجنة قبل أن تلوث بالآثام.. إن عمرك لم يتجاوز مرحلة الشباب حتى الآن. فمن كتب عليك هذا القضاء يا ترى؟!.. فأني

(١) دل من كجا پذيرد عوض تودىگرى دگرى بتونماند تويدىگرى نمانى (المرجع السابق، ص ٢٢٤)

(٢) شك دستگردى في گنجينه گنجوى، حاشية ص ٢٢٥ في أن يكون الشاب المذكور في هذه القصيدة ابن نظامى، قائلاً إن نظامى لم يكن له إلا ابن واحد، توفي بعد والده، وكان في سن الثلاثين حينما توفي والده، وهو الذي حمل منظوم "إقبالنامه" إلى عز الدين مسعود أتابك الموصل. وقد ناقشت هذه المسألة، ورجعت أن ابن الشاعر توفي قبله كما ذكر عوفي - في لباب الألباب ج ٢، ص ٣٩٧ - وهو معاصر لنظامى أن ابن الشاعر توفي قبله، ثم إن النعمة الحزينة التي تصدر عن الأبيات ترجح أن الشاعر كان يرثي ابنه الوحيد العزيز الذي كان يعتبره أغلى ما في الوجود.

عجب يا أغلى ما في الوجود أن يمتزج تراب الأرض بالدماء من عيبيّ (الباكيتين دماً).. إن روض جمالك قد غطاه التراب، فكيف يمكن أن يكون للزرع رونق بعد ذلك؟! (١).

ونرجح أن هذه القصيدة من نظم الشاعر، لأن ابنه تو في قبله كما أثبتنا، فضلاً عن روايتها في بعض المصادر المعاصرة لنظامي (٢).

ولم ترد قصائد في الرثاء غير هذه، ولعل الشاعر اكتفي في رثاء زوجته بما أثبتته في منظوماته.

\*\*\*

ولم يتحدث الشاعر في هذا الجزء الذي بين أيدينا في غير هذه الموضوعات. وتوجد في نهايته بعض الرباعيات، ولكنها تردد نغمات العشق، والرغبة في الاتصال بالمعشوق، والشكوى من الهجر والقطيعة، فمن ذلك قوله: "لو كنت أجز للقلب أن يشكو من صدك لعرفت كم من الوقت كان يستغرق حديثي!.. ولولا أن لا يجوز إفشاء السر والتحدث في حقك، لجعلت من أفعالك قصصاً تُروى (٣)".

أنجنان عارض وأنگه برخشت  
دورخی نشده رفقی ببهشت  
این قضا برسوت آحر که نوشت  
خاک از دیده من خون آغشت  
آب کی بازتون داشت زکشت  
(گنجینه گنجوی، ص ۲۲۵)

(١) ای شد همسر خوبان بهشت  
بزنج عمر سر بردی خوش  
خط نیاورده بتو عمر هنوز  
چه عجب گر شود ای جان جهان  
سبزه زار خطت اندر خاکست

(٢) عوفی: لباب الألباب، ج ٢، ص ٣٩٧.

دانی که شکایت بجه غایت کنی  
زانها که تو کرده حکایت کنی  
(گنجینه گنجوی، ص ۲۲۵)

(٣) گر دل دهی کز تو شکایت کنی  
گر پرده نباشد اندر حق تو

ونصح بحسن المعاملة، واتباع المعروف، فقال: "ما دام الأمل في الحياة - من الظهر إلى المساء- ليس موجوداً، فيجب أن تبذر بذور الخير دائماً، وما دام الله لم يمنح الخلود لأحد، فينبغي أن تحافظ على شعور الأصدقاء"<sup>(١)</sup>.

ويعلل هذا بقوله: "إن الحياة بدون أصدقاء بلاء عظيم، فالشخص الذي ليس له صديق بأئس مسكين.. إن هذه الأنفاس القليلة التي لا تحظى بها إلا بعد مشقة وعنتٍ تقتضيها سعيداً إذا كان لك رفيق مؤنس"<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

ولا نجد في الديوان الموضوعات الأخرى التي يضمنها الشعراء دواوين أشعارهم غالباً؛ كالمدهح، والهجاء، والوصف. ولعل السبب في ذلك أن أكثره قد ضاع.

ومهما يكن من شيء؛ فإن هذا الجزء المنشور من الديوان يمثل محتوياته تمثيلاً صادقاً إلى حد ما، فإن هذه الموضوعات من الموضوعات التي ينتظر من شاعر كنظامى - عاش في ظروف كالتى عرضناها - أن ينظم فيها، وقد ظهرت في منظوماته الخمس مجسمة واضحة.

\*\*\*

ونكتفي بهذا الحديث عن الديوان لندرس فن نظامى الشعري، في الباب السابع والأخير من هذا البحث.

- (١) چون نيست امید عمر آزشام بچاست  
چون عالم را بكس نخواهند گذاشت  
بارى همه تخم نيكوئى بايد كاشت  
بارى دل دوستان نكه بايد داشت  
(المرجع السابق، ص ٢٢٦)
- (٢) بى بار بدن عظيم مشكل كارى  
اين يكدوسه دم را كه بجان نتوان يافت  
بى چاره كسى كه أوندارديارى  
گر دل دارى مدار بى دلدارى  
(نفس المرجع والصفحة)

# الباب السابع في نظامى الشعري

## الفصل الأول

### مزايا فن نظامى الشعري

امتاز الفن في عصر نظامى بميله إلى التأنق والتكلف - كما ذكرنا - فكان الفنان لا يكتفي بصب ما يصنعه في قالب ملائم، بل يحاول أن يرسم عليه من النقوش والزخارف ما يجعل منظره بديعًا.

ويبدو من دراسة منظومات نظامى وجزء من ديوان شعره أنه صيغ شعره بهذه الصبغة التي غلبت على الفن في ذلك الوقت.

وكان من أهم الأسباب التي جعلت الأدب الفارسي يتجه هذا الاتجاه امتزاجه بالعناصر العربية التي دخلته، وأخذت تتغلغل وترسخ منذ غلبة السلاجقة، وما انتهجوه من سياسة للتقرب للخلافة العباسية في بغداد، والميل إلى العالم الإسلامي السني، لأنهم كانوا يتبعون المذهب السني، ويتعصبون له، ويعتبرون أنفسهم حماة؛ وكانوا يمثلون القوة العسكرية المادية، بينما كان الخلفاء العباسيون يمثلون القوة الروحية المعنوية، فأدى هذا إلى انتشار نفوذ الأدب العربي - بما فيه من فن، والحضارة الإسلامية بما لها من مميزات - في إيران، فأخذت تؤثر في كل مظاهر الحضارة الإيرانية بما فيها الأدب تأثيرًا واضحًا ملموسًا.

وبدأ ظهور هذا التأثير الخامس الهجري، وبلغ أقصى درجاته في القرنين السادس والسابع، حتى أصبح إظهار العناصر العربية من علامات الفضل والإجادة. وكان فن الشعر العربي في ذلك الوقت صناعة شاقة، فوضح فيها التفنن، وكثرت فيها التصنع. وقد برزت هذه الظاهرة في الشعر الفارسي بصورة واضحة في القرن السادس الهجري، فمال الشعراء إلى التفنن، وانتقل الشعر من مرحلة الصنعة إلى مرحلة التصنع، وصار صناعة متقنة، تستلزم جهداً ودقة، فأصبح فهم الشعر مهمة شاقة تحتاج إلى وقت وتفكير. وتأثر نظامى بذوقه الخاص - إلى جانب تأثره بالذوق العام - فكان يفضل الشعر الذي لا يفهمه إلا الخاصة الذين أوتوا حظاً من الثقافة يؤهلهم لفهم أسرارهِ، وإدراك مراميهِ، ويرى أن الشعر إذا نظم في هذه الصورة ارتفعت منزلته، وكثُرَت اللذة التي يشعر الدارس بها بعد دراسته وفهمه.

وهكذا أصبح للتفنن في صناعة الشعر لوناً آخر عند نظامى؛ حاول أن يستعمله في أكثر ما نظمه من شعر، ويقيد نفسه به، بحيث أصبح من السهل على الدارس للشعر الفارسي في ذلك العصر أن يميز في نظامى الخاص، ويحدد معالمه، ويتبين مميزاته.

وقد تحدث نظامى في منظومته الأولى "مخزن الأسرار" عن الفن الشعري الذي يفضلهُ، ويجب أن يصوغ شعره متبعاً أصوله، مما يدل على رغبته في إلزام نفسه به في منظوماته المختلفة. وقدم للحديث عن هذا الفن بإبداء رأيه في الكلام، فقال: "إن الحركة الأولى التي اتخذها قلم لخلق، خَلَقَتْ أول لفظة من الكلام"<sup>(١)</sup>، فحينما رفعوا حجاب الخلوّة شرعوا في الكلام منذ الجلسة الأولى، فلو لم يكن الكلام معبراً عن إحساسات القلب، لما مُنِحَتْ

(١) يقصد الشاعر بالكلمة الأولى قول الله «كن» لأن هذه الكلمة هي سر الوجود كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ سَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ سورة يس، آية ٨٢. وهي التي خلق بعدها آدم ليعمر هو وذريته الأرض.

الروح الحرة لجسم من الطين، فلما صدرت الكلمة عن قلم الخلق عُمِرَت الأرض بفضل الكلام، فلولا الكلام ما كان للعالم صوت، ولقد تحدثوا كثيراً، ولكن الكلام لم يَقِلَّ شيئاً<sup>(١)</sup>.

ثم تحدث عن الشعراء، فقال: "إن الكلام المنظوم في العشق روحنا، فنحن نحيا به، وهذه الدنيا مجالنا، فكل فكرة خطرت للناس، قد سجلوها بفضل الكلام، فليس في الدنيا أجمل من الكلام، وليس في الفنون أدق منه"<sup>(٢)</sup>.

وعَدَّد مزايا الكلام، فقال: "احفظ الكلام لأنه أفضل ما في الوجود، فالملوك قد اعتبروه ملكاً متوجَّهاً، كما نعتهم غيرهم بنعوت أخرى، والناس يعلنون الكلام بالصوت، أو يسجلونه بالقلم، ولكنه يتقدم الصفوف أكثر من العَلَم، ويفتح الأقاليم أسرع من السيف"<sup>(٣)</sup>.

وصور تعلق الشعراء بالكلام، وعشقهم له في قوله: "رغم أن الكلام لا يظهر جمالاً أمام عبادة المادة، إلا أننا نحن الشعراء نعشق الكلام، ونحيا به"<sup>(٤)</sup>.

- |   |   |
|---|---|
| <p>(١) جنیش اول که قلم بر گرفت<br/>پرده حلوت چورآنداختند<br/>تاسخن آوازه دل درنمداد<br/>چون قلم آمد شدن آغار کرد<br/>بی سخن آوازه عالم نبود<br/>(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۳۶)</p> | <p>(٢) در لغت عشق سخن جان ماست<br/>خط هر اندیشه که بیوسته اند<br/>نیست درین کهنه نوخیز تر</p>                         |
| <p>هم سخنست این سخن اینجا بدار<br/>واندگر ان آندگرش خوانده اند<br/>گه بنگار قلمش درکشند<br/>وز قلم اقلیم گشاینده تر<br/>(المرجع السابق، ص ۴۰)</p>                               | <p>(٣) اول اندیشه پسین شمار<br/>تا جوران تا جورش خوانده اند<br/>گه بنوای علمش برکشند<br/>واو ز علم فتح نماینده تر</p> |
| <p>پیش پرستنده مشتی خیال<br/>مرده اوئیم وبدو زنده ایم<br/>(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۴۰)</p>   | <p>(٤) گرچه سخن خود ننماید جمال<br/>ما که نظر بر سخن افکنده ایم</p>   |

وعلل ذلك بقوله: "أهلب عديمو الإحساس عواطفهم بالكلام، ووجد الملتهبون عشقًا فيه الهدوء والراحة، فهو أكثر عمراً من الدنيا نفسها، وهو أنضر من الدنيا، وأقدم منها خَلْقًا"<sup>(۱)</sup>.

ثم بيّن بعد هذه المقدمة منه الشعري، وأنه يجب أن يكون متقن الصنع، فقال: "ليس الشعر جميلاً في الصورة الموجودة حالياً، وليس سائغاً باللغة العادية، وإن الكلام ليكثر حينما يرفع الظن أعلامه، فتكثر نماذجه؛ فإذا لم يَسْمُ الكلام بالروح، فلن تذوق حلاوته"<sup>(۲)</sup>.  
وتحدث عن فضل البيان، فقال: "سخر الشعراء ملك الطبيعة بالكلام، ونشروا به الشريعة"<sup>(۳)</sup>.

ومدح الشعراء الذين ينظمون شعراً فيه تفنن يشبه منه، فقال: "إن الشعراء الذين يزنون الكلام بدقة، يملكون كنز العالمين بفضل هذا الكلام مفتاح كنز الحقيقة الخاص مستقر تحت لسان الشاعر، لأن الذي خلق ميزان الكلام قد أسعد به أصحاب الحظوظ الحسنة"<sup>(۴)</sup>.

- |  |   |
|--|---|
| (۱) سرد بیان آتش ازو تافتند<br>اوست درین ده زده اُباده تر                              | گرم روان آب درو یافتند<br>تازه تر از چرخ وکهن زاد تر<br>(نفس المرجع والصفحة)                                    |
| (۲) رنگک ندارد ز نشانی که هست<br>باسخن آنجا که بر آرد علم<br>گرنه سخن رشته جان تافتی   | راست نیاید بزبانی که هست<br>حرف زیادست وزبان نیزهم<br>جان سر این رشته کجا یافتی؟!<br>(نفس المرجع والصفحة)       |
| (۳) ملک طبیعت بسخن خورده اند   | مهر شریعت بسخن کرده اند<br>(المرجع السابق، ص ۴۱)  |
| (۴) قافیه سبحان که سخن برکشند<br>خاص کلیدی که در گنج راست<br>آنکه ترازوی سخن سخنته کرد | گنج دو عالم بسخن در کشند<br>زیر زبان مرد سخن سنج راست<br>بختوراترا بسخن بخته کرد<br>(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۴۱) |



ووصف الشاعر بأنه حجاب الغيب، فقال: "إن فن النظم حجاب الأسرار، وهو ظل من حجاب النبوة؛ فقد نُظِّمَتْ صفوف العظمة، فوقف الشعراء خلف الأنبياء"<sup>(١)</sup>.

ثم صرح بأن فنه الشعري يقوم على أسس الدقة في النظم، وصعوبة الفهم؛ فقال مخاطبًا الفلك: "أيها الفلك!.. كيف خلصوا هذه العقد المحكمة من قبضتك، إن النظم قد تشعب، فاحلل هذه العقد من حبل الكلام"<sup>(٢)</sup>.

واتخذ الشاعر التعقيد دليلاً على علو منزله شعره، وارتفاع ثمنه، وبيّن أن الصائغ الذي يطمع في الذهب يجب أن يشتري شعره بالذهب وعاب غيره من الشعراء الضعفاء الذين يحاولون بيع شعرهم بالذهب، فيبيعون الجواهر الكريم بالنقود، ويصيرون أذلاء، مهما كثر ما لهم، وسما قدرهم، فقال: "إن الشعراء الضعفاء الذين يتهاكون على المادة قد أفسدوا بهاء الشعر، لأن الشاعر في هذه الحالة يبيع الجواهر الثمين بنقود قليلة، وإن الشعراء المجيدين أسمى من هذا مهما يكن قدرهم في الدنيا ضائعاً"<sup>(٣)</sup>.

ثم نصح قائلاً: "ما دام كلامك شهدًا فلا تبعه رخيصًا، ولا تلوّثه بالذباب وإذا لم يعطوك فلا تأخذك، ولو كان وفاء... وإذا لم يتذوقوا شعرك، فلا تقل ولو كان دعاء!"<sup>(٤)</sup>.

- |  |  |
|--|--|
| (١) پرده رازدست که سخن پروردست<br>بیش وپسی بست صف کبریا                              | سایه از پرد پیغمبرست<br>پس شعرا آمد وپیش انبیا<br>(المرجع السابق، ص ٤٢)                                      |
| (٢) ای فلك از دست تو چون رسته اند<br>کارشد از دست بانگشت پای                         | اپن گره هئی که کمر بسته اند؟!<br>این گره از کار سخن واگشای<br>(المرجع السابق، ص ٤٣)                          |
| (٣) سیم کشانی که برز مرده اند<br>هر که بزر چون روزداد<br>لا جرم این قوم که دانا ترند | سکه ابن سیم بزر برده اند<br>سنگک ستد در شب افروزداد<br>زیر ترند ارچه ببالاترند<br>(نظای: مخزن الأسرار، ص ٤٤) |
| (٤) چون سخت شهد ارزان مکن<br>تاندهند مستان گروفاست                                   | شهد سخن را مگس افسان مکن<br>تاننیشند مگوگردعاست<br>(نفس المرجع والصفحة)                                      |

وقرر أنه يميل إلى الإغراب والتعقيد في فن صناعة الشعر، فقال: "الأفضل أن تنظم شعراً لا يعجب إلا بعد تمعن في الفهم، حتى تصوغ كلاماً رائعاً سامياً، فإن إله الشعر يوحي إليك بصور جديدة ممتازة إذا لم تعجبك الصور الأولى العادية، فإذا حصلت على تحفة من النظم فلا تتشبث بها، بل ابحث عن أفضل منها مما هو موجود في صدرك (المشرق بنور المعرفة)، فإن كل من رفع علم السبق في هذا الطريق، قد سبق الشمس والقمر، وسما عليهما"<sup>(۱)</sup>.

وصرح بأنه فعل هذا، فكان فنه الشعري ممتازاً، واعتقد أنه أصاب الهدف، فاستحق أن يُسمّى غريباً في باب، لأن الشعر أصبح بفضل صناعته متقنة لا يفهم دقائقها إلا أصحاب الأذواق الرفيعة، فسموا بالشعر عن أن يكون فهمه متيسراً لكل إنسان، وجعل فنه قاصراً على الخاصة من الشعراء، كالصومعة التي لا يدخلها إلا الخاصة من الزهاد، مما نتبينه في قوله: "أنا الذي أصبْتُ في هذا النوع من الفن، فأنا جديرٌ بالتقدير لأني غريب في بابي.. إن صومعة الشعر بُنيّت بفضلي، فتحرر فنه من درجته العادية"<sup>(۲)</sup>.

ويمكننا بعد أن عرضنا رأي الشاعر نفسه في فنه الشعري أن نرسم الخطوط البارزة التي تحدد معالم هذا الفن، وتوضح مزاياه، ويمكن أن نحصرها فيما يلي:

أولاً: وضوح التفنن في صناعة الشعر، بحيث يحس القارئ والدارس للشعر بأن الشاعر كالصانع الذي يشقى في صناعته، ويبذل في سبيل تجويدها جهداً كبيراً، وعناءً

- 
- (۱) به که سخن دیر پسند آوری  
هرچه در این پرده نشانت دهند  
سینه گر گهر آری بدست  
هرکه علم بر سراین راه برد
- (۲) منکه درین شیوه مصیب آمدم  
شعر بمن صومعه بنیاد شد
- تا سخن از دست بلند آوری  
گرنپسندی به از آنست دهند  
بهر از آنجوی که در سینه هست  
گوی ز خورشید وتک ازماه برد  
(المرجع السابق، ص ۴۵)
- دیدنی آرزم که غریب آمدم  
شاعری از مصطبه آزاد شد  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ۴۵)

ظاهراً، فلا يكتفي بالتعبير عما يريد من المعاني في قالب من النظم بل يزين هذا القالب بالنقوش البديعة، والألوان الزاهية.

ولذلك امتلأ شعر نظامي بالمحسنات اللفظية، والفنون البديعية من ترصيع، وتجنيس، ومراعاة للنظير، واستعمال قافيتين في البيت الواحد وما شابه ذلك<sup>(١)</sup>.

وكانت هذه القيود الكثيرة - التي قيد الشاعر - نفسه بها سبباً في جعل صناعة الشعر مهمة شاقة، لعل أصدق تصوير لها قول الشاعر: "مزجتُ دم كبدي بالكلام، فأججتُ نار الشعر بدم الكبد"<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: الوصول إلى المعنى عن طريق الكنايات، والاستعارات، والتشبيهات المختلفة؛ وقد صبح الشاعر شعره بهذه الألوان، فكان المعنى المقصود يختفي خلفها، حقيقة إنها ساعدت على توضيح المعنى، وتجميله، ولكنها كانت كثيراً ما تقضي عليه، وتطمس معالمه، فلا يبدو هدف الشاعر واضحاً محدداً.

ثالثاً: الإغراب والتعقيد، ومحاولة تضمين الشعر ما عند الشاعر من ألوان الثقافات المختلفة، والاعتماد عليها في تشبيهاته المتنوعة؛ وذه نتيجة طبيعية للإغراق في الصناعة، مما جعل بعض الأبيات يحتمل أكثر من معنى، ويمكن أن يفسر تفسيرات مختلفة.

وقد أوجدت هذه الظاهرة فكرة أن شعر نظامي صعب الفهم، وهي فكرة شاعت بين الإيرانيين أنفسهم، فقالوا إن شعره مملوء بالأخطاء الأسلوبية، وعللوا ذلك بأن الشاعر كان

(١) لا أجد داعياً إلى إيراد شواهد لتوضيح هذه الميزة، لأنها ظاهرة يمكن ملاحظتها بوضوح في الشواهد الكثيرة التي وردت في ثنايا هذا البحث.

(٢) خون جگر باسخن آميختم آتش ز آب جگر انگیختم  
(نظامي: مخزن الأسرار، ص ٤٨)

من أهل آذربيجان الذين لم تكن لهجتهم الفارسية فصيحة فصاحة لهجة أهل خراسان، وحجتهم على ذلك هي أن أهل آذربيجان كانوا يستعملون اللهجة الپهلوية غير الفصيحة، بينما كان أهل خراسان يستعملون اللهجة الدرية الفصيحة<sup>(١)</sup>.

ومما لا يقبل جدلاً أن أهل اللغة أقدر من غيرهم، على الحكم على لهجة الشاعر، وأسلوبه؛ ولكن الحكم في هذه القضية قد يتأثر بعوامل نفسية، أو وطنية، أو سياسية، تتعلق بالدور الذي لعبته خراسان وما جاورها، في إحياء القومية الإيرانية، وتغذية الشعور بالعزة بهذه القومية، وبالكرامة الوطنية بعد الفتح الإسلامي لإيران.

والشيء الذي يمكن أن نقرره هو أن هذه المميزات التي لاحظناها في فن نظامى يشترك في أهمها - وهو وضوح التفنن في صناعة الشعر - جميع الشعراء الذين عاشوا في القرنين السادس والسابع الهجريين، سواء أكانوا من أهل آذربيجان أم خراسان أم غيرهما من أجزاء إيران، فيمكن ملاحظتها بسهولة في شعر شعراء إيران في تلك المدة، فلم تكن من علامات شعراء آذربيجان دون غيرهم.

(١) يقول الإيرانيون إن اللهجة الدرية الفصيحة لم تنتشر في آذربيجان وما جاورها إلا منذ القرن السادس الهجري، ولم يكن أحد من الشعراء يتقنها حتى ذلك القرن إلا فلكي الشرواني، بينما كان شعراء آذربيجان المشهورون في القرن السادس من أمثال: مجير الدين البيلقاني، وقطران، والحقاني، ونظامى لا يتقنون هذه اللهجة الفصيحة، مما جعل أسلوبهم معقداً وصياغتهم غير صحيحة.

ولا ندري لماذا اتقن فلكي الشرواني وحده هذه اللهجة رغم أنه توفي في النصف الأول من القرن السادس الهجري، بينما توفي الشعراء المذكورون في أواخر هذا القرن، وأوائل القرن السابع الهجري؟!.. ومهما يكن من شيء؛ فهذا هو الرأي السائد عند الإيرانيين، وقد بنوا عليه دراساتهم، فقرروا أن أعظم شعراء إيران حتى القرن السادس كانوا من أهل خراسان كالفرودسي الطوسي المتوفى في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، والخيام النيشابوري المتوفى في النصف الأول من القرن السادس. كما يبدو من مقالة عبد الحسين نوائي، في مجلة يادگار، شماره ٦ ششم وهفتم، بهمن واسفند سنة ١٣٢٥ (هجري شمسية)، ص ٧١.

والواقع أن هذه القضية تشبه إلى حد كبير ما نجده في الدراسات العربية من تقسيم العرب إلى عاربة ومستعربة، وإثبات أن بعض القبائل العربية كان أفصح من البعض الآخر، وهي تتأثر بدوافع كثيرة ليس هنا مجال شرحها.

وأغلب الظن أن الإغراب والتعقيد - لا لهجة آذربيجان الپهلوية - هما السبب في صعوبة فهم شعر نظامي. وقد وجدت هذه الفكرة عن شعره عند بعض الشعراء الذين عاشوا بعده، وحاولوا تقليده كعبد الرحمن الجامي، فقال في آخر شرحه لديوان نظامي، "بقيت خمسمائة - أو ألف - بيت لا يمكن تفسيرها، ويجب أن نمسك بذيل نظامي يوم القيامة، ونطلب منه هو نفسه أن يشرح لنا تلك الأبيات"<sup>(١)</sup>.

ولعل السبب في الإغراب اعتماد الشاعر في صياغة استعاراته وتشبيهاته على ما يعرفه من العلوم المختلفة - كما ذكرنا - مما جعل الترجمة الحرفية لشعره لا تؤدي المعنى واضحاً مفهوماً. ونضرب مثلاً لذلك بقوله في مدح الرسول:

أحمد مرسل كه خرد خاك أوست هرددو جهان بسته فتراك أوست<sup>(٢)</sup>  
فالترجمة الحرفية لهذا البيت هي: "أحمد المرسل الذي العقل<sup>(٣)</sup> ترأبه، والعالمان في قبضة حزامه". والمعنى الذي قصده الشاعر لا يبدو واضحاً من هذه الترجمة، لأنه يستعين في رسم هذه الصورة بما يعرفه من الفلسفة التي تقر وجود عالمين: عالم علوي أعلاه العقل المجرد أو اللطيف، وعالم سفلي أسفله التراب. وعلى هذا الأساس الفلسفي يقول: إن العقل المجرد الذي هو أعلى ما في العالم العلوي إذا قيس بعلو قدر الرسول، يُعدُّ في منزلة التراب الذي هو أسفل ما في العالم السفلي.

(١) نظامي: مخزن الأسرار، ص ١٨٦. حيث ذكر دستگردى هذه العبارة التي قالها جامي، ثم قال: «إننا لم نر هذه الشروح، كما لم يبق لنا من شرح ميرعليشير نوائى لديوان نظامي غير الاسم، في بعض كتب اللغة التي ألّف ونشرت في الهند».

(٢) نظامي: مخزن الأسرار، ص ٢١.

(٣) تعبير "العقل ترأبه" أي: "خردخاك أوست" خطأ لم يجر عليه الاستعمال في اللغة الفارسية - كما قال لي بعض الأدباء الإيرانيين المعاصرين في أثناء إقامتي في طهران - ولكن المعنى الذي يهدف إليه الشاعر يعتمد على الفلسفة، لا يفهم من مجرد معاني الألفاظ، والترجمة الحرفية لها.

وهذا يظهر مكانة الرسول بصورة جليّة، ويدل على أنه أسمى من العالمين ويستتبع أنهما تحت نفوذه، وفي قبضة يده، أي أنه مرسل إليهما معاً، وهو ما وضحته الشطرة الثانية من هذا البيت<sup>(١)</sup>.

وهناك أمثلة كثيرة تشبه هذا البيت، فالدارس لا ينبغي أن يقتصر على الترجمة الحرفية، بل يجب أن يعيش في جو نظامى، ويتمثل ثقافته، ويستعين بها على فهم شعره فهماً صحيحاً دقيقاً. وهذه هي أوضح المزايا التي امتاز بها فن نظامى الشعري. وقد آمن هو بسم هذا النوع من الفن؛ فلم يكفر به، ولم يتنكر له، ولم يحاول أن يغيره، بل سار عليه في كل ما نظمه من شعر، مما جعل له شخصية واضحة موحدة.

ورغم أننا عرضنا صوراً كثيرة من أشعار نظامى نُعدُّ شواهد صادقة على فنه الشعري، إلا أنه لا بأس من عرض بعض صور أخرى تجسم هذا الفن تجسيماً قوياً ملحوظاً.

(١) حاول دستغردى أن يفسر هذا البيت فقال في الحاشية، إن المعنى الذي يقصده الشاعر هو: «أن العقل مثل التراب حقير، وتحت يده، لأن العقل تحت يد الشرع». وأغلب الظن أن الشاعر لا يقصد هذا المعنى، وإنما يعني ما ذكرته.

## الفصل الثاني

### صور شعرية تجسم فن نظامي

#### ١- منظر الغروب:

صوّر نظامي منظر غروب الشمس، فشبه الشمس بفارس ألقى درعه المستدير الذي أمسكه ليحمي به وجهه، وبيّن أنها ألقّت درعها في ذلك الوقت، فكان هذا دليلاً على انهزامها وفرارها، وأن اختفاءها من الميدان أدى إلى هزيمة الأرض بعد أن سقط درعها- وهو الشمس - في الماء، فأصبح نفس الدنيا أضيق من نفس المتحضر، فأصفر لونها لفراق الشمس!.. مما نتبيّن في قوله: "لما حان وقت الغروب ألقّت الشمس درعها، فألقّت الأرض- بذلك - درعها في الماء، فصار العالم أكثر ضيقاً من نفسها المُحتَضِر، وأوضح منها اصفراراً"<sup>(١)</sup>.

ثم شرح كيف تم القضاء على الشمس، فبيّن أنها لما انهزمت تحولت أشعتها إلى نحرها- وهي التي كانت سهامها التي تقاتل بها - فقتلتها، فهي كالبقرة التي علقوا في رقبتها عقداً من الصدف الحاد، فقتلها هذا العقد حينما وقعت على الأرض!.. فقال: "تحولت سهام

(١) جون سيرانداختن آفتاب گشت زمين راسرافكن برآب  
گشت جهان از نفسش تنگك تر  
وز سير او سيرك رنگك تر  
(نظامي: مخزن الأسرار، ص ٤٦-٤٧)

الشمس إلى نحرها لقتلها بعد أن ألقت درعها، كالبقرة التي علقوا في عنقها أصدافاً للزينة، فصارت خناجر تقتلها حينما سقطت البقرة على الأرض<sup>(١)</sup>.

ثم صور الليل الذي وُجد بعد الغروب في صورة طفل مُدَلَّل، شدَّت المربية حلقة النهار - وهي الشمس - إلى رجله، فتعثرت، فسقط على الأرض، وفقد الحلقة، فحزن عليها، ومرض من فرط الحزن والتفكير، فاحتاج إلى دواء مُسهل، فصُنِع له من التراب، فألتهم الليل الأرض، فوجد في التراب شفاءه، وأطفأ به حرارة مرضه، فصار ليلاً صحيحاً معافى، لأن الأرض استقرت في معدة الليل، كما يستقر الدواء في معدة المريض، مما يتضح من قوله: "لما تعلق طفل الليل بذراع المربية، شدت حلقة النهار إلى رجله، فسقط، ومرض من شدة الحزن والتفكير، فصنعت له دواء مُسهلاً من التراب، فأحياه التراب، وصار له كنفس المسيح، فأطفأ الماء نار هواه، ثم تفاعل الدواء مع المريض، فعم الظلام جميع الأرجاء"<sup>(٢)</sup>.

ويبين تأثير الدواء في الليل المريض، فقال: ". (لما شرب الليل المريض الدواء) صب طاساً من الدم القاني<sup>(٣)</sup>، فصار أسود اللون كالغراب، وشمله السواد من أعلى رأسه إلى إخص قدمه، فصبغ الفضاء بهذا اللون، فحكم القضاء بأنه من الكافرين"<sup>(٤)</sup>.

١) باسیر افکنندن أو لشکرش  
گاوکه خرمنهره بدو درکشند  
(المرجع السابق، ص ٤٧)

٢) طفل شب آهیخت چو در دایه دست  
آزی سودای شب اندیشه ناک  
خاک شده باد مسیحا او  
شربت ورنجور بهم ساخته  
(نظامی: مخزن الأسرار، ص ٤٧)

٣) یصور الشاعر بهذا منظر الشفق الأحمر.

٤) گشته ز سرتا قدم أنقاس کون  
گفت قضا کان من الکافرین  
(نفس المرجع والصفحة)

٤) ریخته رنجور یکی طاس خون  
رنگک درونی شده بیرون نشین



وهكذا نرى في صورة الغروب كثيراً من التشبيهات الغريبة المتنوعة المعقدة، وهي تجسم فن نظامي الشعري، فإن الشاعر لم يصرح بالمعنى الذي يقصده مباشرة، بل سلك الطريق العجيب، فجعل المعنى مختلفاً وراء التشبيهات والاستعارات والصناعات البديعية، التي تجعل الدارس لا يستطيع أن يدرك هدف الشاعر إذا ترجم الأبيات ترجمة حرفية، أو قرأها دون معرفة للموضوع الذي قيلت فيه.

\*\*\*

## ٢- صورة جنة الحقيقة:

صور نظامي "جنة الحقيقة" التي وصل إليها بعد خلوته الأولى، فوصف ما فيها من أزهار جميلة مختلفة الأشكال والألوان، وشبهها بتشبيهات متنوعة، فشبّه السوسن حديث السن بلسان عيسى الذي كلم الناس في المهدي، وشبهه بياضه بيد موسى التي خرجت بياضاً من غير سوء، فقال: "إن السوسن حديث السن الذي يشبه لسان عيسى، قد منح للصبح بياضاً يشبه بياض كف موسى."<sup>(١)</sup>

وصور تشابك أغصان الأشجار الجميلة بحيث تكوّن نوافذ زرقاء اللون، لأنه لا يرى منها إلا السماء بلونها الأزرق البديع، فقال: "تشابكت أغصان الأشجار ذات الألوان الحمراء والصفراء في الحديقة، فكونت نوافذ زرقاء زاهية"<sup>(٢)</sup>.

(١) سوسن يكرور عيسى زيان داه بصبح أز كف موسى نشان (نظامي: مخزن الأسرار، ص ٥٦)

(٢) وزرق باغ أز علم سرخ وزرد بنجره ها ساخته أز لاجورد (نفس المرجع والصفحة)

وبين كيف اخترق نور الصبح الأغصان فظهرت أشعته على أرض الحديقة، وظهرت إلى جوارها ظلال الأغصان، بينما تناثرت الأوراق كالدرهم، فقال: "نثرت الأغصان نور الفلك، كما نثرت الأوراق كالدرهم تحت أقدام الظلال"<sup>(١)</sup>.

وصور منظر الشمس على حافة النهر، فاستعار لها الشفتين، واستعار للظل اللسان، وعدّ صوت الماء تسبيحًا، فقال: "تحدث الظل على شفة الشمس وانتعش الحصى بفضل تسبيح الماء الجاري"<sup>(٢)</sup>.

وشبه صفاء الماء بصفاء عيون الحور، فقال: "وصار ماء النهر أكثر صفاء وبريقًا من عيون الحور، ليسلب النور من عين الشمس"<sup>(٣)</sup>.

وصور الأعشاب النابتة بجوار الجدول في صورة من فرغ من الوضوء، فوقف لشكر الله. فقال: "توضأت الأعشاب الخضراء من ماء الجدول، فوقفت لتؤدي شكر الوضوء كما ينبغي"<sup>(٤)</sup>.

ثم بين كيف نشطت الطيور، وانتعشت من رائحة الورود، فغردت أعذب الألحان، فقال: "وتنسم الطير من الورد رائحة سليمان، فغنى بنغمات داود"<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) شاخ زبور فلك انگیخته  
 در قدم سایه درم ریخته  
 (نظامی: مخزن الأسرار، ص ٥٧)
- (٢) سایه سخن گوبلب آفتاب  
 زنده شده ریگک ز تسبیح آب  
 (نفس المرجع والصفحة)
- (٣) چشمه در فشنده تر از چشم حور  
 تا برد از چشمه خورشید نور  
 (المرجع السابق، ص ٥٨)
- (٤) سیزه برآن چشمه وضو ساخته  
 شکرو وضو کرده و برداخته  
 (نفس المرجع والصفحة)
- (٥) مرغ زگل بوی سلیمان شنید  
 ناله داودی از ان برکشید  
 (نفس المرجع والصفحة)

وصور منظر الياسمين الأبيض في أثناء الليل المظلم في قوله: "أذهب ورق الياسمين الأبيض - الذي يشبه الصبح - ظلمة الليل تمامًا، فلما تبسم الصبح صار - كيوسف - ذا حبل ذهبي، فحفر بئرًا في ذفن الياسمين"<sup>(١)</sup>.

ثم صور منظر الشروق في هذه الحديقة، فقال: "وجد نور الصبح ميدانًا فسيحًا، وحرك نسيم الصبا ظلال الأغصان، فعصّ الظل شفة الشمس وصفقت النساء شعر الصفصاف، فرقص الظل والنور معًا على حافة النهر"<sup>(٢)</sup>.

وأكمل الصورة بقوله: "فصار الشوك عودًا كما كان الهدف، وصارت نيران الورد مجمرًا لذلك العود، وأصبحت رقبة الورد منبرًا للبلبل، كما صارت ذوائب البنفسج حزامًا للورد، فأصبحت أعذب الحائنا من داود، وصار الورد أبهى جمالاً من شعر نظامي"<sup>(٣)</sup>.

وهكذا صور الشاعر بعض مناظر "جنة الحقيقة" في أثناء الليل، وفي وقت السحر، وفي وقت الشروق، فاعتمد على هذه التشبيهات العجيبة، والاستعارات الغريبة، فساعها في صور متلاحقة، متعددة الجوانب، مختلفة الأضواء.

\*\*\*

- |   |  |
|---|--|
| <p>برده ز شب ناخنه شب تمام<br/>جاء كنان در زنيخ ياسمن<br/>(نظامي: مخزن الأسرار، ص ٥٩)</p> <p>سايه روى را بصبا داده شاخ<br/>شانه زده بباد سر يدرا<br/>رقص كنان برطرف جويبار<br/>(نفس المرجع والصفحة)</p> <p>آتش گل مجمر آن عود بود<br/>زلف بنفشه كمر گل شده<br/>گل ز نظامي شكر انداز تر<br/>(نفس المرجع والصفحة)</p> | <p>(١) ناخن سيمين سمن صبح فام<br/>رنكث دروني شده بيرون نشين</p> <p>(٢) نور سحريافته ميدان فراخ<br/>سايه گزيده لب خورشيد را<br/>سايه ونور از علم شاخسار</p> <p>(٣) عود شد آن خار كه مقصود بود<br/>گردن گل منبر بلبل شده<br/>مرغ زداود خوش آواز تر</p> |
|---|--|

## ٣- وصف حفل ليلي:

وصف نظامى حفلاً ليلياً في خلوته الثانية تحت رعاية القلب، وهو حفل تصوره خيال الشاعر حينما أمعن في الخلوة، فسكنت روحه الهائمة، وحُيِّل إليه أنه وصل إلى الحقيقة، فشعر بالسعادة والسرور، وأخذ يصف المجلس الذي تجلت فيه الحقائق، فصوره في صورة حفل ليلي، ترفرف عليه ملائكة الرحمن، وشبهه بالربيع، فقال: "إنه حفل مزين كالربيع الجميل، فيه طرب أعذب من نعيم الدهر، تنتشر فيه رائحة البخور، فتشرح قصة يوسف وقميصه"<sup>(١)</sup>.

ثم بين مدى سيطرة العشق على القلوب، فقال: "وقدا احترقت شمعة الكبد (من فرط الشوق) كما احترقت كبد الشمع، واشتعلت نار القلب (لغلبة العشق) كما اشتعل قلب النار"<sup>(٢)</sup>.

وصور تأثير خمر الحب الإلهي، فقال: "وتلاقت العيون والشفاه عقب شرب خمر العشق المنشط للقبل، كما يمتزج السكر باللوز، فسعدت العيون والشفاه، وتعاشق الصبا والجمال، فاتفقا على موعد للقاء، وعلت الابتسامة العذبة الشفاه"<sup>(٣)</sup>.

ثم صور ماساد الحفل من دلال العشاق، فقال: "فأخذ الدلال يغلب على العشاق، وبدأ الرقص، فأشاع في الحفل السرور، وصار الشمع كالساقى يحمل أقداح الشراب فوق أيديه، فغمرت الخمر المجلس، وسكر الفراش، كما سكر النوم كالفراش، وسجد الشمع شاكراً!..

- |   |  |
|---|--|
| (١) مجلس افروخته جون نوبهار<br>آه بجزور از نفس روزنش<br>عشقی آسودهتر از روزگار<br>شرح ده یوسف و بیرهانش<br>(نظامی: مخزن الأسرار، ص ٦٢)  | (٢) شمع جگر چون جگر شمع سوخت<br>آتش دل چون دل آتش فروخت<br>(المرجع السابق، ص ٦٣) |
| (٣) أز بي نقلان می بوسه خیز<br>شکر و بادام بهم نکته ساز<br>وعده بیدوازه گوش آمده<br>چشم و دهان شکر و بادام ریز<br>زهرة و مریخ بهم عشق باز<br>خنده بیدریوزه نوش آمده<br>(نفس المرجع والصفحة) |  |

وعزفت عازفة فاتنة لحناً جميلاً، فسلب النوم من الرؤوس، ومنح النور للشموع، فوجد كل شخص ما تمناه طوال حياته؛ من معشوق موافق في حفل رائع، يبعث الصفاء من وقت إلى آخر، فائتلفت القلوب والأرواح والأجسام، حتى ليخيّل إليك أنهم بعد أن تخلصوا من قيود الجسم، قد تجردوا نهائياً من أعباء الدنيا الفانية، فحينما رفرط طائر الطرب بجناحيه، جاوز السرور الثريا، وهرب طائر الليل، وشويّ طائر السحر بنيران العشق، فأثلج شواؤه قلوب الفاتنات، لأن الليل طال، وتقيدت حركات الفلك، فعظّ الصبح في نوم عميق، فأصبح مجال الوصل واسعاً أمام العشاق<sup>(١)</sup>.

ووصف عيون المعشوقات وشفاههن، فقال: "إن العيون خضراء ضيقة، والشفاة حمراء، فهي تشبه الفستق واللوز، وقد أوجدت السحر الحلال في أثناء الليل، وزار الخال الأسود - كالهنود - الفتنة والجمال، فصيرت كل غمزة من غمزات العيون، وكل خال منها، العالم كله بابل والهند، فلما توالى النظرات الساحرة، ذهب القلب لزيارة العين، ليشاركها المتعة"<sup>(٢)</sup>.

آستی از رقص جواهر فشان  
طشت می الوده و بروانه مست  
شمع بشکرانه سر انداخته  
زخمه شکست با دای درست  
نورستاننده چراغ از چراغ  
همفسی در نفسی یافته  
دل بدل وتن بتن وجان بجان  
رخت عدم در عدم انداختند  
هفت پر مرغ ثریا شکست  
بر جگر خوش نمکان آب زن  
پای فلك بسته تر از دست ماه  
(نظای: مخزن الأسرار، ص ٦٤)

سبز خط از پسته عناب رنگ  
بابلی غمزه وهندوی خال  
گشته جهان بابل وهندوستان  
دل بزیارتگری دیده رفت  
(نظای: مخزن الأسرار، ص ٦٥)

(١) ناز گریبان کش و دامن کشان  
شمع جو ساقی قدح می بدست  
خواب چو بروانه پر انداخته  
بردی زهره در آن پرده چست  
خواب رباینده دماغ از دماغ  
آنجه همه عمر کسی یافته  
نزل فرستنده زمان تا زمان  
گفتی ازان حجره که برداختند  
مرغ طرب نامه پیر باز دست  
آتش مرغ سحر از بابزن  
مرغ کران خواب تر از صبحگاه

(٢) ندقه شکر و بیدام تنگ  
در عب خط ساخته سحر حلال  
هر نفس از غمزه و خالی جنان  
چون نظری جند پسندیده رفت

ثم صور تأثير سهام نظرات العيون العاشقة، فقال: "وتهيأت سهام العشق لإصابة العشاق، فأصابت الهدف قبل أن تُرمى؛ غير أن القلوب انتعشت بإصابتها، فتحدثت السنة الفاتنات بألفاظ تشبه ماء الحياة"<sup>(١)</sup>.

وعرض صوراً من هذا التأثير في قوله: "فأصبحت كل نظرة تحيي عالمًا، وصارت كل عين مسكنًا للأرواح... وأصبحت القبلة سببًا في السكر كالخمر، وصارت الشفاة تمنح الحياة كنفس المسيح... الغمزة معبرة لأن الفم كان قد تعب، وصارت العين متحدثة لأن اللسان كان قد انعقد"<sup>(٢)</sup>.

وختم هذه الصورة بقوله: "فبقي العقل ذاهلاً في أثناء الحفل، ونفذ صبره في النهاية، غير أنه لم يجد ابتسامة يسخر بها مما يحدث أمامه، ولم تكن عنده قدرة على التأوه والشكوى، فصار الصبر في ذلك الحفل خافت الألمان، لأن الفتنة غلبت؛ فارتفعت نغماتها، وأصبحت تشبه نغمات داود؛ وتحكي قصة محمود وحديث إياز"<sup>(٣)</sup>، فأصبح شعر نظامي ينثر الجمال، وصار وردًا للعشاق المتغزلين"<sup>(٤)</sup>.

(١) شست کرشمه جو کماندار شد  
باد مسیح از نفس دل مید  
تیر نینداخته بر کار شد  
آب حیات از دهن گل چکید  
(نفس المرجع والصفحة)

(٢) هر نظری جان جهانی شده  
بوسه چومی مایه افکنده  
هرمزه بتخانه جانی شده  
لب جوی مسیحا نفس زندگی  
چشم سخن گوکه زبان بسته بود  
(المرجع السابق، ص ٦٦)

(٣) قصد الشاعر بمحمود، السلطان محمود الغزنوي، وقصة عشقه لإياز معروفة ذكرها الشعراء، وتناقلتها كتب الأدب.

(٤) عقل در آن دایره سرمست ماند  
در دهن از خنده که راهی نبود  
عاقبت از صبر تهیدست ماند  
طاقت را طاقت آهی نبود  
صبر در آن پرده نواتنگ داشت  
نه سرزیر در آهنگ داشت  
شعر نظامی شکر افشان شده  
ورد غزالان غر لخوان شده  
(المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧)

وهكذا عرض الشاعر مناظر الحفل في هذه الصور الغارقة في التشبيهات والاستعارات الغريبة، مستعملاً فنوناً مختلفة من البديع، وهي أهم ما امتاز به منه الشعري، وما لاحظناه في شعره بصورة عامة.

\*\*\*

ونكتفي بهذه الصور الثلاث لتجسيم فن نظامي الشعري؛ وقد اقتبسناها من منظومة "مخزن الأسرار" لنرجح أنه ألزم نفسه باتباع هذا الفن الشعري منذ بداية نظمه، فظهرت معالنه بصورة واضحة في منظومته الأولى.

\*\*\*

ولست أميل إلى هذا اللون من الشعر الذي يمعن في الإغراب و التعقيد، ويفرق في التفنن والتصنع.

ولذلك؛ فإني لا أمتدح فن نظامي الشعري. غير أن من الإنصاف أن أقرر أن هذه قضية يحكم فيها الذوق الأدبي في القرن السادس الهجري - الذي كان الشاعر يعيش فيه - لا الذوق الأدبي في عصرنا هذا؛ لأن الذوق يتغير بتغير العصور، وبيننا وبين الشاعر قرون متطاولة لا بد أن الذوق الأدبي قد تغير في أثنائها تغيراً كبيراً؛ فمن الإجحاف أن نحكم مقاييس الذوق الأدبي في العصر الحديث في شعر نُظِمَ في القرن السادس، وإنما يجب أن نفهمه بذوق ذلك القرن، وأن نستهدي في حكمنا برأي الناس في عصره، ومدى استساغتهم لشعره، وإعجابهم به.

ويبدو أن الناس أعجبوا بشعره، فقدروه، وحاولوا تقليده، وإن كانت ظروف العصر القاسية، لم تهيء له المزيد من تقدير الحكام، والحزيل من عطايهم.

أما الشاعر نفسه، فكان يعتقد أنه أصاب في الميل إلى هذا الفن الشعري، مما جعله يزهو فخوراً بشعره، وفنه.





## خاتمة

أما بعد.. فإني أرجو أن تكون هذه الدراسة كافية لإعطاء صورة واضحة عن نظامى الكنجوى، وعصره وبيئته، وشعره.

وإن كان لا بد من إصدار حكم على الشاعر، فإني أستطيع أن أقرر - بعد هذا القدر اليسير من الدراسة - أن نظامى كان ذا شخصية واضحة المعالم، لها مقوماتها الخاصة بها.

فقد مال إلى العزلة رغم أن نفسه لم تعزف عن الاتصال بالناس.

وكان ذا دين وخلق، فتمسك بدينه وخلقه بعد الاتصال بالحكام، بل حاول أن يجعل من نفسه داعية من دعاة الفضيلة، فظهرت شخصيته واضحة في كل ما نظم من شعر، وأقحم آراءه الخاصة في أشعاره، وهياً الجو المناسب لإظهارها؛ مما جعل منظوماته نغمات واحدة مشتركة، مهما اختلفت موضوعاتها.

فنعمة حب العدل والوفاء، وتجنب الظلم والجفاء قد ظهرت واضحة في كل منظوماته، وحاول أن يصدرها على لسان أبطال قصصه، وعن طريق أفعالهم، فكل منهم يجب العدل فيقره، ويسعى إلى دفع الظلم، وإبعاد شبحه.

ونعمة التغني بالخلق القويم، وطهارة الذيل، ورعاية الفضيلة، ومحاربة الرذيلة لم ينقطع ترديدها في منظوماته، وتصويرها في أقوال شخصيات القصص، وتجسيمها في أفعالهم.

وكان الشعر يجب التعمق، وعدم أخذ الأشياء بظواهرها فحاول سبر الأغوار، واستخراج المكنون، وظهر ذلك بصورة جلية في تحليله للشخصيات، وعرض الموضوعات من جوانب مختلفة.

وكان يعالج المسائل معالجة المنصف دون تعصب، أو خضوع لهوى معين، فوضح هذا في شعره؛ فلم يحاول - مثلاً - أن يثبت أن الإسكندر إیراني أو يغفل ذكر تحطيمه لبيوت النار، أو تمزيقه لكتاب الإيرانيين المقدس، بل أورد كل شيء، ولم يستنكف عن إثبات أن الإسكندر كان أفضل من "دارا" الإيراني، لأنه كان عادلاً، بينما كان "دارا" ظالماً فقتل بأيدي رجلين من رجاله.

وقد أثرت في الشعر عاطفته الإسلامية - كرجل مسلم سني متدين - فطغت على ما عداها من عواطف، وغلبت على عاطفته الوطنية الخاصة، فجعلته ينظر إلى الأشياء من وجهة النظر الإسلامية العامة الواسعة، وصبغت شعره بصبغة دينية واضحة، فصار أداة لخدمة الإنسانية والفضيلة.

وكانت شخصية نظامى كشاعر واضحة تمام الوضوح، فلم يكن شاعرًا مقلدًا.

فقد نظم قصصًا لأول مرة، مثل "ليلي ومجنون"، كما كانت قصصه الأخرى - "خسرو وشيرين" و"هفت بيكر" و"إسكندرنامه" - طريفة في الصور التي صورها هو، لأنه أدخل فيها عناصر جديدة لم يسبقه شاعر إليها، وبدت منظومته "مخزن الأسرار" دقيقة الترتيب، جديدة الأسلوب.

وكان من السابقين إلى نظم القصص بهذه الطريقة في الشعر الفارسي في القرن السادس الهجري، كما كان أول من نظم خمس منظومات ترددت فيها نغمات متحدة.

وكان ذا شخصية واضحة في فن صناعة الشعر، فقد مال إلى لون من الفن، ففضله والتزمه، وقيّد نفسه بمذهب شعري، فسار عليه، ولم يفارقه، وأمن بصحته وسلامته، فحرص عليه، وحاول أن يثبت اتباعه له في كل منظومة من منظوماته، مهما تكلف من عناء، ووجد في ذلك لذة، فأخذ نفسه بكثير من القيود في نظم الشعر، معتقداً أنها ترفع قدر شعره، وتزيد روعة وجمالاً.

وهكذا كان لنظامي طابع مميز، وشخصية موحدة واضحة. مما جعله صاحب مدرسة شعرية خرّجت كثيراً من الشعراء حاولوا أن يقلدوه، وأن يصبحوا أصحاب خمس منظومات مثله، فكان بذلك إماماً من أئمة الشعر الفارسي، وصار من شعراء الفارسية القليلين الذين قُلدوا كثيراً، وهذه منزلة اعترف بها الشعراء أنفسهم، وقررها كثير من شعراء الفارسية والتركية.

ولذلك؛ لا أعد نفسي مبالغاً إذا قررتُ ان نظامي هو إمام "فن المثنوي" وهو فن من أهم فنون الشعر الفارسي؛ ولعل هذا الحكم قريب من الصدق والصحة بعد هذا القدر من الدراسة التي شملت الشاعر وشعره.

وليس معنى هذا أن نظامي كان أنبغ شعراء الفارسية، وإنما معناه أنه من شعراء الصف الأول، فهو جدير بالدرس، وبأن يوضع في مكانه اللائق بين شعراء هذه اللغة.

ولا أزعم كذلك - أن هذا البحث يُعدُّ نهائياً في موضوع نظامي، لأن هذا الموضوع أوسع وأعمق من أن يستنفده بحث كهذا.

وإنما قصدت أن أضيف حلقة جديدة إلى سلسلة الأبحاث المتصلة بالشاعر، وأن أجعله نواة وأساساً لأبحاث أكثر عمقاً وتفصيلاً، تتناول كل منظومة من منظومات الشاعر

بدراسة مستقلة مفصلة مقارنة مع ترجمتها إلى اللغة العربية، كما تتناول ديوانه الذى ضاعت منه أجزاء كثيرة، فتجمع ما تشتت منه في الكتب والمكتبات المختلفة. ثم تتناوله - مجموعًا منقحًا - بالنشر والدرس والترجمة.

وإن أبحاثًا كهذه لتحتاج إلى سنوات لا يعلم عددها إلا الله، ولكنها ليست عزيزة المنال، إذا صح العزم، وأفسح الله في العمر، وحالفها التوفيق؛ والله أسأل أن يوفق للصواب.. إنه على ما يشاء قدير.

# ثبت بأسماء المراجع<sup>(١)</sup>

## ١- المراجع التي كتبت باللغات الشرقية

### أ- المراجع الفارسية:

١. ابن البيبي: (يحيى بن محمد المعروف بابن البيبي) مختصر سلجوقنامه، نشر هوتسما Houtsma، طبع ليدن، ١٩٠٢م.
٢. ابن الشبانكارى: (محمد بن علي بن شيخ محمد بن أبي بكر الشبانكارى) أ- مجمع الأنساب (المختصر) نسخة خطية بمكتبة سعيد نفيسي الخاصة بطهران، تحت رقم ٣٧٦٨.
٣. ب- مجمع الأنساب (النسخة الموسعة) مخطوطة بمكتبة سلطان القرائي الخاصة بطهران، كُتِبَتْ في عام ٧٥٠هـ.
٤. ابن النظام الحسيني: (الوزير محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن النظام الحسيني) العراضة في الحكاية السلجوقية، نشر كارل زوسهايم K. Susheim، طبع ليدن، ١٩٠٢م.

---

(١) سأذكر هنا المراجع التي ورد ذكرها في ثنايا البحث، وهي التي اعتمدت عليها في كتابته.

٥. ابن يوسف شيرازي: فهرست كتابخانه مدرسه على سبهسالار جلد دوم، طبع طهران، ١٣١٦-١٣١٨هـ<sup>(١)</sup>. ش
٦. ابن يوسف شيرازي: فهرست كتابخانه مجلس شوارى مى، جلد سوم، طبع طهران، ١٣١٨-١٣٢١هـ.ش
٧. أبو عمر الجوزجاني: (أبو عمر منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني) طبقات ناصرى، نشر وتصحيح وليم ناسوليس Nassau Lees ومولوي خادم حسين، ومولوي عبد الحى، طبع كلكته ١٨٦٣م.
٨. أبو المعالي محمد الحسيني العلوي: بيان الأديان در شرح أديان ومذاهب جاهلي وإسلامي (مؤلف في سنة ٤٥٨هـ). تصحيح عباس إقبال. طبع طهران، ١٣١٢هـ.ش.
٩. إسكندر بيك تركماني منشي: تاريخ عالم آراي عباسي، طبع طهران، ١٣١٤هـ.
١٠. إسكندرنامه النثرية المنشورة الخطية: نسخة وحيدة، كتبت في القرن السادس الهجري، توجد بمكتبة سعيد نفيسي الخاصة بطهران تحت رقم ١٣٠٦.
١١. إسكندرنامه النثرية المنشورة، تنسب إلى العصر القاجاري ونشرت في القرن الماضي بطهران.

(١) ه.ش. رمز للتقويم الهجري الشمسي المستعمل في إيران، وتبدأ السنة الهجرية الشمسية في يوم ٢١ مارس من كل سنة، وعدد أيامها ٣٦٥ يوم إذا كانت بسيطة و ٣٦٦ يوم إذا كانت كبيسة، ولذلك فإن سنة ١٣٧٣هـ قمرية تقابل ١٣٣٢هـ شمسية.

١٢. إصفهاني: (محمد صادق بن محمد آزاداني إصفهاني) شاهد صادق (مؤلف في الهند في سنة ١٠٥٦هـ) نسخة خطية بمكتبة مجلس النواب (مجلس شورى ملي) بطهران، تم نسخها في عام ١٣١٤هـ.
١٣. أفضل الدين الكرمانى: (أبو حامد أحمد بن حامد الكرمانى) أ- عقد العلى للموقف الأعلى (مؤلف في سنة ٦٨٤هـ) نشر على محمد نائيني، طبع طهران، ١٣١١هـ.ش.
١٤. ب- تاريخ أفضل يا بدايع الزمان في وقائع كرمان، جمع ونشر مهدى بياني - دكتور- طبع طهران، ١٣٢٦هـ.ش.
١٥. أمير خواند البلخي: (محمد بن خاوند شاه بن محمود) روضة الصفا، الجزء الرابع، طبع طهران، ١٢٧٠هـ.
١٦. أمير شير علي خان لودي: مرآة الخيال، طبع بمباي، ١٣٢٤هـ.
١٧. أمير مجي حسيني قزويني: لب التواريخ، نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران، كتبت في عام ٩٧٨هـ.
١٨. أمين رازي: هفت إقليم، نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران، تم نسخها في عام ١١٠٨هـ.
١٩. البناكتي: (فخر الدين أبو سليمان البناكتي) روضة أولي الألباب في تاريخ الأكاير والأنساب، القسم الرابع، نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران.
٢٠. بهار: (محمد تقي بهار ملك الشعراء) سبك شناسي، ج٢، طبع طهران، ١٣٢١هـ.ش.

٢١. البيضاوي: (قاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر) نظام التواريخ، نشر وتصحيح بهمن كريبي، طبع طهران، ١٣١٣هـ.ش.
٢٢. تبريزي: (ميرزا راضي تبريزي) زينة التواريخ، نسخة خطية بمكتبة ملك بطهران.
٢٣. تربيت: (محمد علي تربيت) دانشمندان آذربيجان، طبع طهران، ١٣١٤هـ.ش.
٢٤. جامي: (عبد الرحمن الجامي) بهارستان، طبع طهران ١٣١١هـ.ش.
٢٥. نفس المؤلف: نفحات الأنس، طبع لکنهو، ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م.
٢٦. جان ريپکا: جند غزل تازہ از نظامى گنجوى، طبع طهران، ١٣١٤هـ. شمسي - ١٩٣٥م.
٢٧. الجويني: (علاء الدين عطا ملك الجويني) جهان گشای، ج ٢، نشر وتصحيح محمد بن عبد الوهاب القزويني، طبع ليدن، ١٣٣٤هـ - ١٩١٦م.
٢٨. حاجي خليفة: (مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، وبكاتب جلبي) تقويم التواريخ، نسخة خطية بمكتبة ملك طهران، تم نسخها في عام ١٠٥٨هـ، وخاتمتها بخط المؤلف نفسه.
٢٩. حافظ أبرو: (خواجه نور الدين لطف الله) زبدة التواريخ، نسخة خطية بمكتبة ملك طهران.
٣٠. نفس المؤلف: مجمع التواريخ، جلد سوم، نسخة خطية بالمكتبة الأهلية (كتابخانه ملي) بطهران، تحت رقم ١٥٧٨.



٣١. حسين بايقرا: (أمير كمال الدين حسين بن شهاب الدين) مجالس العشاق، طبع  
لكنهو، ١٣١٤هـ - ١٨٩٧م.
٣٢. حكمت: (علي أصغر) رومثو وجوليت با مقايسه با ليلى ومجنون نظامى، طبع  
طهران، ١٣١٧هـ. شمسي.
٣٣. حمد الله مستوفي قزويني: (حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر المستوفي  
القزويني) تاريخ كزيده، جلد أول (مؤلف في سنة ٧٣٠هـ) نشر وتحقيق براون،  
طبع ليدن، ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م.
٣٤. نفس المؤلف: نزهت القلوب (مؤلف في سنة ٧٤٥هـ) طبع بمباى ١٣١١هـ.
٣٥. خواندامير: (غياث الدين بن همام الدين) خلاصة الأخبار في بيان أحوال  
الأخبار، مقاله هشتم، نسخة خطية بمكتبة سلطان القرائي الخاصة بطهران،  
تم نسخها في عام ١٠٣٣هـ.
٣٦. نفس المؤلف: حبيب السير في أخبار أفراد البشر، نشر محمد حسين كاشاني،  
طبع بمباى، ١٣٧٣هـ - ١٨٥٨م.
٣٧. نفس المؤلف: دستور الوزراء، تصحيح سعيد نفيسي، طبع طهران، ١٣١٧هـ. ش.
٣٨. دنيلي: (عبد الرزاق بيك نجفقلي خان بن شهباز خان دنيلي خويي تبريزي)  
تذكرة تجربة الأحرار وتسلية الأبرار، نسخة خطية بمكتبة سلطان القرائي  
الخاصة بطهران.
٣٩. دولتشاه: (أمير دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازي السمرقندي) تذكرة  
الشعراء، تصحيح ونشر براون، طبع ليدن، ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م.

٤٠. الرازي: (شمس الدين محمد بن قيس الرازي) المعجم في معايير أشعار العجم، تصحيح محمد عبد الوهاب القزويني، طبع طهران، ١٣١٤هـ. ش.
٤١. الراوندي: (محمد بن علي بن سليمان الراوندي) راحة الصدور وآية السرور، نشر وتصحيح محمد إقبال، طبع ليدن ١٩٢١م.
٤٢. رشيد الدين فضل: جامع التواريخ، نسخة خطية بالمكتبة الأهلية (كتابخانه ملي) بطهران تحت رقم ٨٩٦.
٤٣. رضا قليخان هدايت: مجمع الفصحاء، طبع طهران، ١٢٩٢هـ.
٤٤. نفس المؤلف رياض العارفين، طبع طهران، ١٣٠٥هـ. ش.
٤٥. زركوب شيرازي: (أبو عبد الله أحمد بن أبي الخير) شيرازنامه (مؤلف في القرن الثامن الهجري) بتصحيح واهتمام بهمن كريمي، طبع طهران، ١٣٥٠هـ- ١٣١٠هـ. ش.
٤٦. زين العابدين شرواني: بستان السياحة، طبع طهران، ١٣١٥هـ.
٤٧. سنائي: (أبو المجد مجدود بن آدم السنائي الغزنوي) حديقة الحقائق، طبع بمباي، ١٨٥٩م.
٤٨. شبلي نعماني: شعر العجم، مجلد أول، طبع طهران، ١٣١٦هـ. ش. جلد چهارم، طبع طهران، ١٣١٤هـ. ش. ترجمة سيد محمد تقي داعي كيلاني.
٤٩. عبد النبي قزويني: (ملا عبد النبي فخر القزويني) ميخانه، تصحيح محمد شفيع، طبع لاهور، ١٩٢٦م.

٥٠. عوفي: (محمد عوفي) لباب الألباب، ج٢، نشر وتحقيق براون، طبع ليدن، ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م.
٥١. نفس المؤلف: جوامع القصص والحكايات، نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران، تم نسخها في عام ١٠٥٧م.
٥٢. غلام سرور لاهوري: خزينة الأصفياء، جلد أول، طبع لكهنو، ١٣٣٢هـ.
٥٣. فردوسي: (أبو القاسم بن أحمد بن فرخ الفردوسي الطوسي) شاهنامه، ج٣، طبع طهران، ١٣١١هـ. شمسي؛ ج٤؛ ج٥، طبع طهران، ١٣١٣هـ. ش.
٥٤. فرهاد ميرزا معتمد الدولة: هدايت السبيل وكفايت الدليل، طبع شيراز، ١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م.
٥٥. فريد الدين عطار نيشاپوري: (أبو حامد محمد بن أبي بكر إبراهيم العطار النيشاپوري) تذكرة الأولياء، طبع طهران، ١٣٢١هـ. ش.
٥٦. فصيح خوافي: مجمل فصيحي، نسخة مصورة بمكتبة المجمع الفرنسي بطهران، كتبت في عام ٨٤٥هـ.
٥٧. قاسم غني: (دكتور) تاريخ تصوف در إسلام، طبع طهران، ١٣٦٢هـ - ١٣٢٢هـ. ش.
٥٨. كريستي ولسن: تاريخ صنايع إيران، ترجمة عبد الله فريار، طبع طهران، ١٣١٧هـ ش - ٢٩٣٨م.
٥٩. الكريم الأقسراي: (محمود بن محمد المشتهر بالكريم الأقسراي) مسامرة الأخبار، ومسايرة الأخبار (مؤلف في سنة ٧٢٣هـ) مع مقدمة وتصحيح وحواشي عثمان توران طبع أنقرة، ١٩٤٤م.

٦٠. مجله مهر، سال سوم، شهر يورماه ١٣١٤، شماره ٤؛ سال پنجم، مرداد ماه ١٣١٦هـ.ش.
٦١. مجله يادگار، سال سوم، شماره ششم وهفتم، بهمن واسفندماه ١٣٢٥هـ.ش.
٦٢. مجمل القصص والتواريخ: (مجهول المؤلف، يبدو أنه أُلّف في النصف الأول من القرن السادس الهجري) تصحيح ملك الشعراء محمد تقي بهار، طبع طهران ١٣١٨هـ.ش.
٦٣. محمد بن إبراهيم: تاريخ سلجوقيان كرمان، نشر هوتسما Houtsma طبع ليدن ١٨٨٦.
٦٤. محمد صوفي: تذكرة بتخانه (وهي تسمى جواهر المنظومات، وقد أُلّفَت في عام ١٠١٠هـ) نسخة خطية بمكتبة مجلس النواب (كتابخانه مجلس شوراي) ملي بطهران) تم نسخها في عام ١٢٤٠هـ.
٦٥. معصومعلي شاه نعمة الله. طرائق الحقائق، طبع طهران، ١٣١٩هـ.
٦٦. مولوي آغا علي أحمد علي: هفت آسمان، طبع كلكته، ١٨٧٣م.
٦٧. ميرتقي كاشي: خلاصة الأفكار وزبدة الأخبار، نسخة خطية بمكتبة سعيد نفيسي الخاصة بطهران، تحت رقم ٩٨٦.
٦٨. ميرحسيني سنبل: تذكرة حسيني، طبع لكهنو، ١٢٩٢هـ.
٦٩. مير عليشير نوائي: مجالس النفائس (مؤلف بالتركية الجغطائية) ترجمة حكيم شاه محمد قزويني، نشر وتصحيح علي أصغر حكمت، طبع طهران، ١٣٢٣هـ.ش.
٧٠. ناصر الدين شاه قاجار: سفرنامه بفرنگستان، طبع بمباي، ١٨٧٦م.

٧١. نظامی عروضی سمرقندی. (أحمد بن عمر بن علي النظامی العروضي السمرقندي) چهار مقاله (بيدو أنه مؤلف في سنة ٥٥٠هـ) بسعي واهتمام محمد عبد الوهاب قزويني، طبع ليدن، ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م.
٧٢. نظامی گنجوی: (نظام الدين أبو محمد إلياس بن يوسف بن زكي بن مؤيد الكنجوی) مخزن الأسرار، نشر وتصحيح حسن وحيد دستگري، طبع طهران، ١٣١٣هـ.ش.
٧٣. نفس المؤلف: خسرو وشيرين، نشر وتصحيح وحيد دستگري، طبع طهران، ١٣١٣هـ.ش.
٧٤. نفس المؤلف: ليلى ومجنون، نشر وتصحيح وحيد دستگري، طبع طهران، ١٣١٣هـ.ش.
٧٥. نفس المؤلف: هفت بيكر، نشر وتصحيح وحيد دستگري، طبع طهران، ١٣١٥هـ.ش.
٧٦. نفس المؤلف: هفت بيكر، نشر وتصحيح ريتو وريپكا، طبع إستانبول ١٩٣٣م.
٧٧. نفس المؤلف: شرفنامه، نشر وتصحيح وحيد دستگري، طبع طهران، ١٣١٦هـ.ش.
٧٨. نفس المؤلف: خردنامه وإقبالنامه، نشر وتصحيح وحيد دستگري، طبع كهران، ١٣١٧هـ.ش.
٧٩. نفس المؤلف: خمسة نظامی، طبع كلكته، ١٢٦٥هـ.
٨٠. نفس المؤلف: خمسة نظامی، طبع طهران، ١٣١٦هـ.

٨١. نفس المؤلف: خمسة نظامى: نسخة خطية بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٢٠ أدب فارسي.
٨٢. نفس المؤلف: ديوان نظامى، نسخة خطية بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٦٨، ضمن مجموعة منتخبات.
٨٣. الهجویری الغزنوي: كشف المحجوب، نشر جوكوفسكي، طبع لنینجراد، ١٩٢٦م-١٣٤٤هـ.
٨٤. واله داغستاني: (عليقلي خان) رياض الشعراء نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران، (مؤلف في عام ١١٦٩هـ)، كتبت في ١٣٠١هـ.
٨٥. وحيد دستكري: مقدمته لديوان نظامى الذي سماه گنجينه گنجوي، طبع طهران، ١٣١٨هـ ش.
٨٦. نفس المؤلف: هزار آندرز حكيم نظامى، طبع طهران، ١٣٢٠هـ ش.

\*\*\*

### ب- المراجع العربية:

٨٧. ابن الأثير: (علي بن أحمد بن أبي الكرم) الكامل في التاريخ، ج ١٠، ١١، ١٢، طبع تورنبرج، ١٨٥١م.
٨٨. ابن بطوطة: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ثم الطنجي) رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" طبع القاهرة ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م.

٨٩. ابن جرير الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري) تاريخ الأمم والملوك، ج٢، طبع مصر.
٩٠. ابن حزم: (أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٣، طبع مصر ١٣٢٠هـ؛ ج٤، ٥، طبع مصر ١٣٢١هـ.
٩١. ابن خرداذبه: (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن خرداذبه) المسالك والممالك، طبع ليدن، ١٣٠٦هـ- ١٨٨٩م.
٩٢. ابن العبري: (غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري) تاريخ مختصر الدول، طبع بيروت، ١٨٩٠م.
٩٣. ابن العماد: (أبو الفلاح بن العماد الحنبلي) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٤، ٥، طبع مصر، ١٣٥٠هـ.
٩٤. ابن الفقيه الهمداني: (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني) مختصر كتاب البلدان، طبع ليدن، ١٣٠٢هـ- ١٨٨٥م.
٩٥. ابن قتيبة: (أبو محمد عبد الله بن مسلم) الشعر والشعراء، طبع ليدن، ١٨١٠م.
٩٦. ابن نباته: (جمال الدين محمد بن محمد بن نباته المصري) سرح العيون في شرح رسال ابن زيدون، طبع مصر، ١٣٢١هـ.
٩٧. ابن الوردي: (زين الدين عمر بن الوردي) تاريخ ابن الوردي، ج٢، طبع مصر.
٩٨. أبو الفدا: (الملك المؤيد إسماعيل أبو الفدا صاحب حماة) تاريخ أبي الفدا المسمى "المختصر في أخبار البشر" طبع إستانبول، ١٢٨٦م.

٩٩. أبو الفرج الإصبهاني: (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد) الأغاني، ج٢، طبع مصر، ١٣٢٣هـ.
١٠٠. أبو معشر الفلكي البلخي: كتاب الألوفا والأدوار، نسخة خطية بمكتبة مجلس النواب (مجلس شورى ملي) بطهران، تم نسخها في عام ١١٣٥هـ.
١٠١. أحمد أمين وزكي نجيب: قصة الأدب في العالم، ج١، طبع مصر، ١٩٤٣م.
١٠٢. أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، طبع مصر، ١٩٤٠م.
١٠٣. الإصطخري: (أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي) مسالك الممالك، طبع ليدن، ١٨٧٠م.
١٠٤. أقابرزكك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٧، طبع طهران، ١٣٢٩هـ.
١٠٥. الأنطائي: (داود الأنطائي المعروف بالأكمه) تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، طبع مصر، ١٣١٩هـ.
١٠٦. البغدادي: (عبد القادر بن عمر) خزانة الأدب ولب ألباب لسان العرب، ج٢، طبع مصر، ١٢٩٩هـ.
١٠٧. البنداري: (الفتح بن علي بن محمد البنداري الإصفهاني). ترجمة الشاهنامه للفردوسي، نشر عبد الوهاب عزام ج٢، طبع مصر، ١٣٥٠هـ-١٩٣٢م.
١٠٨. نفس المؤلف: مختصر التواريخ آل سلجوق، نشر هوتسما Houtsma طبع ليدن، ١٨٨٩م.
١٠٩. البيضاوي: تفسير البيضاوي، ج١، طبع ليزيخ، ١٨٤٦م.



١١٠. الثعالبي: (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، طبع باريس، ١٩٠٠م.
١١١. الجنابي: (أبو محمد بن الأمير حسن الحسيني الملقب بالجنابي) تاريخ الجنابي المسمى "تحفة الأديب وهدية الأريب" نسخة خطية بمكتبة ملك الخاصة بطهران.
١١٢. جنيد الشيرازي: (معين الدين أبو القاسم) شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار (مؤلف في عام ٧٩١هـ) نشر وتصحيح محمد عبد الوهاب القزويني وعباس إقبال، طبع طهران، ١٣٢٨هـ.ش.
١١٣. حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، نشر وتعليق محمد شرف الدين يالتاايا ورفعت بيكه الكليسي، المجلد الأول، طبع إستانبول، ١٣٦٠هـ- ١٩٤١؛ والمجلد الثاني، طبع إستانبول، ١٣٦٢هـ- ١٩٤٣.
١١٤. الحافظ الذهبي: (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي) تاريخ الإسلام الذهبي، طبع حيدرآباد الدكن، ١٣٣٧هـ.
١١٥. الحسيني: (صدر الدين أبو الحسن علي السيد الإمام الشهيد أبو الفوارس ناصر بن علي الحسيني) أخبار الدولة السلجوقية، نشر وتصحيح محمد إقبال، طبع لاهور، ١٩٣٣هـ.
١١٦. السمعاني: (أبو سعيد عبد الكريم بن أبي بكر محمد السمعاني المروزي) كتاب الأنساب، نشر مارجليوث Margoliouth، طبع ليدن، ١٩١٢م.

١١٧. الشهاب: (أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصري) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة بـ "عناية القاضي وكفاية الراضي" ج٦، طبع مصر ١٢٨٣هـ.
١١٨. الشهرستاني: (محمد بن عبد الكريم) الملل والنحل، طبع ليبزنج، ١٩٣٢م.
١١٩. طه حسين: (دكتور) حديث الأربعاء، ج٢، طبع مصر، ١٩٢٦م.
١٢٠. عبد الله بن حسين المصري: تاريخ الفلاسفة اليونانيين (مترجم عن الفرنسية) طبع مصر، ١٩٠٤م.
١٢١. الغزالي: (حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي) تهافت الفلاسفة، طبع بمباى، ١٠٣٤هـ.
١٢٢. الفخر الرازي: (الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري)، ج٥، ط مصر، ١٣٠٨هـ.
١٢٣. القرآن الكريم.
١٢٤. القرطبي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي) الجامع لأحكام القرآن، ج١١، طبع القاهرة، ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م.
١٢٥. القزويني: (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) آثار البلاد وأخبار العباد، نشر فردناند وستنفلد F. Wustenfeld، طبع جوتنجن، ١٩٤٨م.
١٢٦. القفطي: (الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبع مصر، ١٣٢٦هـ.

١٢٧. قيس بن الملوح مجنون بني عامر: الديوان، جمع أبي بكر الوالبي، طبع بمباي، ١٣١٠هـ.
١٢٨. محمد باقر الإصفهاني: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ج ١ طبع طهران، ١٣٠٦هـ.
١٢٩. المسعودي: (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الحسيني الشافعي) التنبيه والإشراف، طبع ليدن، ١٨٩٣م.
١٣٠. المقدسي: (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع ليدن، ١٩٠٦م.
١٣١. ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي البغدادي) معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر من كل مكان، ج ٣، ٤، طبع مصر ١٣٢٣هـ - ١٩٠٦م.
١٣٢. اليعقوبي: (أحمد بن يعقوب بن أبي واضح) كتاب البلدان؛ وهو مطبوع مع المجلد السابع من كتاب الأعلام النفيسة، تصنيف أبي علي أحمد بن عمر بن رسته، طبع ليدن ١٨٩٢م.

### ج- بالتركية:

١٣٣. شمس الدين سامي: قاموس الأعلام، طبع استانبول، ١٣١٦.
١٣٤. M.A. Köymen: "Büyük Selçuklu İmparatorluğu Tarihi Oğuz İstilasi", *Dil ve Tarih-Coğrafya Fakültesi Dergisi*, cilt V.

## المراجع التي كُتِبَتْ باللغات الأوروبية

## أ- المراجع الإنجليزية:

E.G. Brown: a) *A Literary History of Persia*, vol. II, ١٣٥  
Cambridge, 1928.

b) *A Catalogue of Persian Manuscripts in the Library of* ١٣٦  
*the University of Cambridge*, 1896.

*Bulletin of the School of Oriental Studies*, London ١٣٧  
Institution, London, 1924.

*Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, ١٣٨  
vol. XII, part 2, 1948.

G.H. Darab: *Makhzanol Asrar of Nizami of Ganjeh* ١٣٩  
(translated for the first time from the Persian with an  
introduction to the life and times of Nizami), London,  
1945.

M.S. Dimand: *A Handbook of Mohammadan Decorative* ١٤٠  
*Arts*, New York, 1947.

*The Encyclopaedia of Islam*, vol. 2, articles: Gandja, ١٤١  
Maragha; vol. III, art. Nizami.

H. Ethé: *Catalogue of Persian Manuscripts in the India Office Library*, Oxford, 1903. ١٤٢

Hadi Hassan: *Falaki-i-Shirwani: His Times, Life and Works*, part 2, London, 1929. ١٤٣

Jackson and Yohannan: *A Catalogue of Persian Manuscripts (Cochran Collection)*, New York, 1914. ١٤٤

Lane-Poole: a) *The Muhammedan Dynasties*, London, 1894, Paris, 1925. ١٤٥

b) *Catalogue of Arabic Coins at Cairo*, London, 1897. ١٤٦

G. Le Strange: *The Lands of the Eastern Caliphate*, Cambridge, 1930. ١٤٧

Mawlawi Abdel Muqtadir: *Catalogue of the Arabic and Persian Manuscripts in the Oriental Public Library at Bankipore*, Calcutta, 1908. ١٤٨

Mohammad Wahid Mirza: *The Life and Works of Amir Khusrau*, Calcutta, 1035. ١٤٩

Sir Percy Sykes: *A History of Persia*, vol. II, London, 1930. ١٥٠

Radawi and Saheb: *Catalogue of the Persian Manuscripts in the Buhar Library*. ١٥١

C. Rieu: a) *Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum*, vol. II. ١٥٢

b) *Supplement to the Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum*, London, 1895. ١٥٣

Sprenger: *Arabic, Persian, and Hindustani Manuscripts in the Library of King of Oudh*, Calcutta, 1854. ١٥٤

### ب- المراجع الروسية:

Bakikhanow: *Golistan Eram*, Bakou, 1926. ١٥٥

E. E. Bertels: a) *Beliki Azerbaidjankii Poet Nizami*, Bakou, 1940. ١٥٦

B) *Uchierk istorii Percidckoi Literaturii*, Leningrad, 1926. ١٥٧

I.P Cheblkin: *Pamiatniki Azerbiadjanskovo Zodchestva epochi Nizami*, Bakou, 1943. ١٥٨

*Izvestia Azerbaidjanskovo Archcologiskovo Komi tetlia*, Burisk, Pervoe, Bakou, 1925. ١٥٩

V.L. Jordlevsky: *Gocudarstvo Celgukidov Manoi Azie*, .١٦٠  
Moskow, 1941.

Iobilienu Komitet Nizami, Pri Asccr. Soioz Sovie tskikh .١٦١  
Pisatelie Azerbiadjana, Svornik Votorie Bakou, 1940.

S. Lipskin: *Laila wa Majdnoum Mir Alishir Nawai*, .١٦٢  
Tashkand, 1943.

### ج- بالألمانية:

W. Bacher: *Nizamis Leben und Werke und der Zweite* .١٦٣  
*Teil des Nizamischen Alexanderbuches mit persischen*  
*Texten als Anhang*, Gottingen, 1871.

H. Duda: *Ferhad und Shirin*, Praha, 1933. .١٦٤

### د- المراجع الفرنسية:

Blochet: *Catalogue des manuscrits persans de la* .١٦٥  
*Bibliothèque nationale*, tome troisième, Paris, 1928.

Victor Rosen: *Les manuscrits persans de l'Institut des* .١٦٦  
*langues orientales*, Saint-Petersbourg, 1885.

E. de Zambaur: *Manuel de généalogie et de chronologie* .١٦٧  
*pour l'histoire de l'Islam*, tome premier, Hanovre, 1927.

هـ- بالإيطالية:

Italo Pizzi: *Storia Della Poesia Persiana*, vol. II, Torino, .١٦٨  
1894.



## ملحقات

١. أسماء الولاية الذين عاصروهم نظامي، وسني حكمهم بالتقويمين الهجري والميلادي

### أ. دولة السلاجقة:

١. سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن چغرى بن ميكائيل بن سلجوق، من السلاجقة العظام: ٥١١-٥٥٢هـ، ١١١٧-١١٥٧م.
٢. مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان، من سلاجقة العراق: ٥٢٧-٥٤٧هـ؛ ١١٣٣-١١٥٢م.
٣. ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه، من سلاجقة العراق: ٥٤٧-٥٤٨هـ؛ ١١٥٢-١١٥٣م.
٤. محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه، من سلاجقة العراق: ٥٤٨-٥٥٤هـ؛ ١١٥٣-١١٥٩م.
٥. سليمان بن محمد بن ملكشاه، من سلاجقة العراق: ٥٥٥هـ، ١١٦٠م.
٦. أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه، من سلاجقة العراق: ٥٥٥-٥٧١هـ؛ ١١٦٠-١١٧٥م.

٧. طغرل بن أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه، آخر سلاجقة العراق: ٥٧١-٥٩٠هـ؛ ١١٧٥-١١٩٤م.
٨. قلىج أرسلان، من سلاجقة آسيا الصغرى: ٥٠٠-٥٣٩هـ، ١١٠٦-١١٤٤م.
٩. عز الدين قلىج أرسلان، من سلاجقة آسيا الصغرى: ٥٥٧-٥٧٨هـ، ١١٦٣-١١٨٢م.
١٠. غياث الدين كيخسرو، من سلاجقة آسيا الصغرى: ٥٧٨هـ، ١١٨٢م.
١١. ركن الدين سليمان، من سلاجقة آسيا الصغرى: ٥٧٨-٦٠٢هـ، ١١٨٢-١٢٠٥م.
١٢. فخر الدين بهرامشاه، من أمراء لسلاجقة آسيا الصغرى: ٥٧٠-٦٢٢هـ، ١١٧٤-١٢٢٥م.

### ب- حكام آذربيجان:

١. إيلدگز، من أتابكة آذربيجان: ٥٣١-٥٦٨هـ؛ ١١٣٦-١١٧٢.
٢. محمد جهان پهلوان بن إيلدگز، من أتابكة آذربيجان: ٥٦٨-٥٨٢هـ؛ ١١٧٢-١١٨٦م.
٣. قزل أرسلان بن إيلدگز، من أتابكة آذربيجان: ٥٨٢-٥٨٧هـ؛ ١١٨٦-١١٩١م.
٤. أبو بكر بن محمد جهان پهلوان بن إيلدگز، من أتابكة آذربيجان: ٥٨٧-٦٠٧هـ، ١١٩١-١٢١٠م.
٥. أوزبك بن محمد جهان پهلوان بن إيلدگز، من أتابكة آذربيجان، ٦٠٨-٦٢٢هـ؛ ١٢١٠-١٢٢٥م.

٦. آقسنقر الثاني، من حكام مراغة: ٥٢٧-٥٦٤هـ، ١١٣٣-١١٦٨م.
٧. علاء الدين أخو آقسنقر، من حكام مراغة: ٥٦٤-٦٠٤هـ، ١١٦٨-١٢٠٧م.
٨. منوچهر الثاني، من حكام شروان: ٥٣٠-٥٤٤هـ، ١١٣٦-١١٤٩م.
٩. أخستان بن منوچهر، من حكام شروان: ٥٤٤- بعد عام ٥٩٥هـ، ١١٤٩- بعد عام ١١٩٩م.

\*\*\*

### ج- العباسيون في بغداد:

١. المقتفي لأمر الله (محمد): ٥٣٠-٥٥٥هـ، ١١٣٦-١١٦٠م.
٢. المستنجد بالله (يوسف): ٥٥٥-٥٦٦هـ، ١١٦٠-١١٧٠م.
٣. المستضيء بالله (علي): ٥٦٦-٥٧٥هـ، ١١٧٠-١١٧٩م.
٤. الناصر لدين الله (أحمد): ٥٧٥-٦٢٢هـ، ١١٧٩-١٢٢٥م.

\*\*\*

### د- الإسماعيليون في إيران:

١. محمد بن بزرگ أميد: ٥٣٢-٥٥٥هـ، ١١٣٧-١١٦٠م.
٢. حسن بن محمد بن بزرگ أميد: ٥٥٥-٥٦١هـ، ١١٦٠-١١٦٥م.
٣. محمد بن حسن بن محمد بن بزرگ أميد: ٥٦١-٦٠٧هـ، ١١٦٥-١٢١٠م.

\*\*\*

## التعريف بأشهر المدن والقلاع التي ذُكرت في الخريطة<sup>(١)</sup>

أران: ناحية بين آذربيجان وأرمينية وبلاد الأنجار بها مدن كثيرة وقرى، وكانت قصبتهما جنزة (گنجه)، وشروان، وبيلقان، وكان بها نهر يسمى "نهر السكر".

أرزنجان: بلدة من بلاد أرمينية على بعد مائتي ميل غربي "أرزن الروم" أهلة بالسكان، هواؤها عليل، كثيرة الخيرات، أهلها مسلمون ونصارى، وأغلب أهلها من الأرمن، يتكلمون التركية.

أرزن الروم: مدينة مشهورة من مدن أرمينية.

أرمينية: ناحية بين آذربيجان والروم، ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة، أكثر أهلها نصارى. بلاد الكرج: وهي تسمى أحياناً "بلاد الأنجاز" وكانت عاصمتها "تفليس" على نهر الكر.

تبريز: مدينة حصينة ذات أسوار محكمة، وقد كانت وما زالت قسبة بلاد آذربيجان بها عدة أنهر، كما تحيط بها البساتين.

دربند: مدينة على ساحل بحر الخزر مبنية بالصخور، كانت عليها أبواب من الحديد، كما كان لها أبراج كثيرة، على كل برج مسجد للمجاورين والمشتغلين بالعلوم الدينية، وكان على السور حراس يجرسون من العدو، وقد بناها كسرى أنوشيروان في القرن السادس الميلادي، وكانت أحد الشغور العظيمة.

روئين دهر: قلعة حصينة جداً كانت على ثلاثة فراسخ من مراغة.

(١) هذه المعلومات مستمدة من الكتب الآتية: المسالك والممالك لابن خرداذبه؛ مسالك الممالك للإصطخري؛ التنبيه والإشراف للمسعودي؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، G. Le Strange: *The Land of the Eastern Caliphate*.

شراون: كانت ناحية قرب دربند، قيل إن كسرى أنوشيروان عمرها فسميت باسمه.

سيواس: كانت من المدن المهمة في آسيا الصغرى، كما كانت عاصمة لسلاجقة الروم.

طهران: وهي العاصمة الآن، وكانت في عصر نظامى قرية كبيرة من قرى مدينة الري، اشتهرت بكثرة البساتين والأشجار، والثمار الياضعة، وكانت بها اثنتا عشرة محلة.

قم: كانت مدينة بأرض الجبال من مدن العراق العجمي، وكانت كبيرة خصبة، وقد مصرت في عهد الحجاج، بن يوسف سنة ثلاث وثمانين، أهلها شيعة غالبية جدًّا، ومياهها من الآبار التي أكثرها ملح.

قيصرية: كانت مدينة عظيمة في بلاد الروم بناها ملك الروم من الحجارة، كما كانت كثيرة الأهل، عظيمة العمارة.

## كشاف أسماء الأعلام

أحمد بن محمد ٧٨	١
أخستان ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٣٠٩، ٥٠٦،	آدم: (عليه السلام) ١٢، ٨٧، ١٥٣، ١٩٣، ١٩٤،
أرسطو ١٥٠، ٣٩٧، ٤٠٣، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠،	٤٩٠، ٤٦٢، ٢١٠
٤٢٢، ٤٣٣، ٤٣٤	أرسلان (بن طغرل السلجوقي) ٥٧، ٦٢، ٦٣، ٦٤،
أرشميدس ٤١٤	٦٥، ٦٦، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٨٠، ٩١، ٩٥،
إسحق: (أبو بهرام شاه حاكم آذربيجان) ٩٦،	١٦٢، ١٦٤، ١٦٨، ١٦٩، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨،
٤٩٦	٢٦٠، ٢٩٣، ٣٠٨، ٤٥٦، ٥٠٤، ٥٠٥
اسك بن سلوكوس ٤٣٥	آفاق: (زوجة نظمي) ١٢٥
الإسكندر المقدوني ٣٨٦، ٣٩١، ٤٣٥، ٤٣٦	آقسنقر: (الأحمدلي حاكم مراغة) ٥٠٦
إسكندروس ٤٢٢، ٤٣٤	آنوشيروان ٥٠٨
أفريدون ٢٠٧	آهي ٤٧٨
أفلاطون ١٥٠، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٢	إبراهيم: (عليه السلام) ١٤٨
ألف أرسلان ٥٠٤	ابن الأثير ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٩٠، ٩٢، ٩٥، ٩٤
أمير خسرو الدهاوي ١٠٢، ١٧٧، ٢٥٣، ٢٥٤، ٤٤٢	ابن بطوطة ١٢٠، ١٢١
أمير شير علي خان لودي ٤٨٧	ابن سلام: (زوج ليلي معشوقة قيس) ٣٢١، ٣٣٧
أنوري ١٠٣	ابن العبري ٤٩٥
أوزبك: (من أتابكة آذربيجان) ٧٧، ٥٠٦	ابن الفقيه الهمداني ٢٦٢، ٤٩٥
إيلدگز ٧٢، ٧٩، ٨٦، ١١٧، ٥٠٥، ٥٠٦	ابن مقلة ١٠٩
	ابن الوردي ٥٩، ٧٣، ٧٤، ٩٢، ٩٥، ١٦٩، ٤٩٥
ب	أبو بكر نصره الدين ٣٠٨، ٧٥
بابا طاهر العريان ١٠٦	أبو بكر ٧٥، ٧٦، ٨٠، ٣٣٦، ٤٩٥، ٥٠٥
باريد ٢٦٧، ٢٨٨	أبو معشر البلخي ٤١٢
باخر ٣٦، ٤٠، ٤١، ٤٤، ١٣٦، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٧، ٢٦٠	إته ١٨١
البخاري ١٥٤	أثير الدين أخسيكتي ١٠٢

- برتلس ٣٧، ٤٤، ٤٥، ١١٩، ١٢٢، ١٨٨، ٤٤٧  
 براون ٣٦، ٨٣، ١٨٣، ١٨٦، ٤٨٩، ٤٩١  
 بركيارق ٩٣  
 بزرگ أميد ٩٣، ٢٦٦، ٢٨٠، ٢٩٠، ٥٠٦، ٥٠٧  
 بطليموس ١٥١  
 بليناس ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٩، ٤٣٠  
 بهار ٣٩٨، ٤٤٠، ٤٨٧، ٤٩٢  
 بهرام گور ٢٦، ١٤٩، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٧٧، ٣٥٢، ٣٧٩، ٣٩١  
 بهرامشاه ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ١٦٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠  
 بوزابه ١٩٢، ٥٥  
 البيضاوي ٢٧، ٩٣، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٨٨، ٤٩٦، ٤٩٨
- ح  
 الحجاج بن يوسف الثقفي ٢٢٣  
 حسين بايقرا ٣٣٦، ٤٨٥، ٤٨٩
- خ  
 الخاقاني ١٠٢، ٤٥٠  
 خانيقوف ٨٣، ٨٤، ٨٥  
 الخضر ١٤٤، ١٤٨، ١٥٠، ٢٤١، ٢٥٨، ٣١٠، ٣٦٩، ٣٩٤، ٤٠٩  
 خورشاه ٩٦  
 خيالي ٣٤٠، ٤١٩
- د  
 داراب بن بهمن ٢٧، ٤٣٧  
 داود ٦٧، ٦٨، ٩٤، ١٤٨، ١٨٦، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٩٦  
 ديمتريوس ١١٦  
 دولتشاه ١٣٥، ١٦٢، ٢٦٠، ٤٤٦، ٤٨٩
- ذ  
 ذو القرنين ٢٠، ٤٣٥
- ر  
 رابعة العدوية ٢٠١  
 راست روشن ٣٧٤  
 الراوندي ٨٦، ٤٩٠  
 رستم ٧٦، ٨٠  
 رشيد الدين العطار ٩١  
 رضا قليخان هدايت ١٣٦، ٤٩٠
- ت  
 تربيت ١٣٦، ١٧٧، ١٧٨، ٤٤١، ٤٨٨  
 تقي كاشي ١٣٦  
 تكش أرسلان ٦٣
- ث  
 الثعالي ٢٦٢، ٤٩٧
- ج  
 جلال الدين الرومي ١١٠، ١١١، ١٧٧  
 جلال الدين منكرتي ٧٧  
 جمشيد ٣٤، ٧٥  
 جوهر ٩٤

٣٣٦, ٣١٠, ٣٠٩, ٣٠٨, ٣٠٦, ٣٠٥, ٣٠٣  
٤٤٨, ٣٨١, ٣٣٧

ط

الطبري ٢٦١, ٢٦٢, ٣٤٢, ٤٩٥  
طغرل الأول ٥٧

ع

عابدي ٥٠  
عباس ٦٠, ٩٤, ٤٨٦  
عبد الرحمن ٦٠, ٦١  
عبد الرحمن الجامي ٣٤٠, ٤٤٢, ٤٦٩, ٤٨٨  
عبد الواسع الجبلي ١٠٨  
عوفي ١٠٠, ١٣٦, ٤٥٨, ٤٩١  
عز الدين قلع أرسلان ٥٥٥  
عز الدين مسعود ١٣١, ١٦٧, ١٦٨, ١٦٩, ١٧٠,  
١٧١, ٣٨٩, ٤٣٥, ٤٥٨  
عطا ملك الجويني ٨٥, ٤٨٨  
علاء الدين كرب ٣٤٢, ٧٩  
عمر ١٠٤, ١١٧, ١٥٩, ١٦٠, ١٦٩, ٤٨٦, ٤٨٨, ٤٩٣,  
٤٩٥, ٤٩٦, ٤٩٨, ٤٩٩

غ

الغزالي ١٠٤, ٤٩٨  
غياث الدين كيخسرو ٥٥٥

ف

فرانسوا إردمان ٣٩  
فرفوربوس ٤١٨, ٤١٩

ركن الدين ٧٩, ٥٥٥

ركن الدين سليمان ٥٥٥

ريو ١٣٦, ١٣٧, ١٦٨, ١٨٠, ١٨١, ١٨٥, ١٨٦, ١٨٨

س

سعيد نفيسي ٤٤٠, ٤٨٦, ٤٨٩, ٤٩٢  
سقراط ١٥٠, ٤١٧, ٤١٨, ٤١٩, ٤٢٢, ٤٣٥  
سلام البغدادي ٣٣٦  
سلجوقشاه ٦٠  
سليمانشاه ٧٤  
سليمان ٧٢, ٨٥, ٢٠٠, ٢٣٢, ٤٥٧, ٤٧٤, ٤٨٧, ٤٩٠,  
٥٥٥, ٥٥٤  
سليم العامري ٣٣٠  
سنائي ١١٠, ١٧٧, ١٧٨, ١٨٦, ٢٤٤, ٢٤٥, ٢٤٦, ٢٤٧,  
٢٤٨, ٢٤٩, ٢٥٠, ٢٥٢, ٢٥٣, ٤٩٠  
سنجر ٥٨, ٥٩, ٧٤, ٩٣, ٢٠٢, ٥٠٤  
سمنار ٣٤٧, ٣٥٦, ٣٥٨  
سيكس ٧٢

ش

شاك ٣٧  
شكر ٢٦٨, ٢٨٦  
شميرا ٢٦٧, ٢٦٨  
الشهاب ٤٣٦, ٤٩٨  
شبرويه ٢٩١, ٢٩٢, ٢٩٩  
شيرين ٢٥, ٧٤, ١٠٩, ١١٥, ١٢٥, ١٢٦, ١٢٧, ١٤٢, ١٤٥,  
١٤٩, ١٦٤, ١٦٥, ١٧٧, ١٨٠, ١٨٢, ٢٥٩, ٢٦١,  
٢٦٢, ٢٦٣, ٢٦٧, ٢٦٨, ٢٦٩, ٢٧٠, ٢٧١,  
٢٧٢, ٢٧٣, ٢٧٤, ٢٧٥, ٢٧٦, ٢٧٧, ٢٧٨,  
٢٧٩, ٢٨٠, ٢٨١, ٢٨٢, ٢٨٣, ٢٨٤, ٢٨٥,  
٢٨٦, ٢٨٧, ٢٨٨, ٢٨٩, ٢٩٠, ٢٩١, ٢٩٢,  
٢٩٤, ٢٩٥, ٢٩٧, ٢٩٨, ٢٩٩, ٣٠٠, ٣٠١



## ل

لامعي ٣٨٣,٣٠٦  
 لطفعلی بيك ١١٤  
 لیلی ١٣, ١٤, ١٦, ٢٠, ٢٢, ٢٥, ٨٣, ٨٦, ٨٧, ١٢٤,  
 ١٢٧, ١٢٩, ١٣٠, ١٣١, ١٣٢, ١٣٣, ١٣٤,  
 ١٥٨, ١٢٩, ١٥٩, ١٦٠, ١٦١, ١٧١, ١٧٣, ١٧٥,  
 ١٧٧, ١٨٢, ١٨٣, ٢٥٦, ٣٠٦, ٣٠٧, ٣٠٨,  
 ٣٠٩, ٣١٠, ٣١١, ٣١٣, ٣١٤, ٣١٥, ٣١٦,  
 ٣١٧, ٣١٨, ٣١٩, ٣٢٠, ٣٢١, ٣٢٢, ٣٢٣,  
 ٣٢٤, ٣٢٦, ٣٢٧, ٣٢٨, ٣٢٩, ٣٣٠, ٣٣١,  
 ٣٣٢, ٣٣٣, ٣٣٤, ٣٣٥, ٣٣٦, ٣٣٧, ٣٣٨,  
 ٣٣٩, ٣٤٠, ٣٤١, ٣٤٢, ٣٤٤, ٣٨٣, ٤٤٦,  
 ٤٤٨, ٤٧٦, ٤٨٩, ٤٩٣, ٥٢٥

## م

مخير الدين البيلقاني ١٠٢, ٤٦٨  
 محمد بن بزرگ أميد ٥٠٦, ٥٠٧  
 محمد بن طغرل ٦٣  
 محمد بن عبد الله ٤٩٤  
 محمد بن محمود ٤٩٨, ٥٠٤  
 محمد بن ملكشاه ٥٠٤, ٥٠٥  
 محمد عوفي ٤٩١  
 محمود الغزنوي ٧٣, ١٠٦, ٣٩٠, ٤٧٨  
 مسعود بن محمد ٥٠٤  
 ملكشاه بن محمود ٥٠٤  
 موسى ٧٧, ١٤٩, ٣٨٦, ٤٠٩, ٤٣٦, ٤٧٣  
 ميرعليشير نوائی ٣٤٠, ٤٤٢, ٤٦٩

## ن

ناثان بلند ٤٠  
 نسرین نوش ٣٥٠

فرهاد ٢٥, ٤٢, ١٧٢, ٢٦١, ٢٦٢, ٢٦٣, ٢٨٣, ٢٨٤,  
 ٢٨٥, ٢٨٦, ٣٠١, ٣٠٢, ٣٠٣, ٣٠٦,  
 فلکی الشرواني ٨٣, ٨٦, ١٠٢, ١٠٥, ٤٦٨  
 فورك ٣٥٠  
 فيضي ٣٨٣, ٤٥٢  
 فيلقوس ٣٩٥, ٣٩٦, ٤٣٥, ٤٣٧, ٤٣٨, ٤٣٩

## ق

قراستقر ٦٠, ١١٦, ١١٧  
 قزل أرسلان ٦٢, ٦٣, ٦٤, ٧٣, ٧٤, ٧٥, ٩١, ٩٥,  
 ١٦٢, ١٦٤, ١٦٩, ٢٥٧, ٢٥٨, ٢٦٠,  
 ٢٩٣, ٣٠٨, ٥٠٥  
 قطب الدين قيمانز ٩١  
 قلج أرسلان ٦٥, ٦٦, ٥٠٥  
 قيس ١٧٦, ٢٤٧, ٣١٤, ٣١٥, ٣١٦, ٣١٧, ٣١٨,  
 ٣٢٠, ٣٢٢, ٣٣٠, ٣٣٦, ٣٣٧, ٣٣٨, ٣٣٩,  
 ٤٩٥, ٤٩٦

قيمانز ٩١

## ك

كالستنس ٤٤١  
 كردويه ٢٩٧  
 الكريم الأقسراي ٩٣, ٩٦, ٤٩١  
 كسرى أنوشيروان ٥٠٨  
 كلارك ٣٦, ٤١  
 كيد ٤٠٧, ٤٣٨  
 كيقباد ٧٥, ١٠٩, ١٤٤, ٤٠٣  
 كيكائوس ٣٥٠  
 كيومرث ٤٠٣

نطاوس ٣٥٠  
 نظام الملك ٣٤٣,١٦٨,٥٧  
 نكيسا ٢٨٨  
 نوح ٢٤١,١٤٧  
 نورالدين أرسلان ١٦٩,١٦٨  
 نوفل ٣٢٥,٣٢٣,٣٢٢,٣٢١  
 نولدكه ٣٧

هـ

هاروت ١٥١  
 هرمز ٢٧٦,٢٧٢,٢٦٧,٢٦٦  
 هرمس ٤٣٤,٤١٩,٤١٨,٤١٦,١٥٠  
 هلالى ٤٢  
 همايون ٢٧٨,١٢٦  
 هوتسما ٤١,٤٩٢,٤٩٦  
 هولاکو ٩٦

و

واليس ٤١٦,١٥٠  
 وامق ١٧٨  
 وحشي ٣٠٥  
 وحيد دستگري ٤٩٤,٤٩٣  
 ويس ١٣٣

ي

ياقوت الحموي ٤٩٩  
 يغما ٣٥٠  
 يوسف ٢٠,١٢٤,١٣٦,١٤٨,١٧٢,١٧٨,١٧٩,٢٢٣,  
 ٢٢٥,٤٥٦,٤٧٦,٤٨٦,٤٩٣,٤٩٨,٥٠٦,  
 ٥٠٨  
 يوسف بن زكي بن مؤيد ٤٩٣

## كشاف الأسر والدول والشعوب والقبائل

السلاجقة العظام ٥٤, ٥٨, ٥٩, ٦٥, ٥٠٤	أتابكة آذربيجان ٧٤, ١١٧, ٥٠٥, ٥٠٦
الشافعية ٧٤	الأحمدلية ٨٠
الشيعة ٩٣, ١٦٠, ٤٩٦	الأخية الفتيان ١١٩, ١٢٠, ١٢١
الصوفية ٢٨, ١١٠, ١٦٢, ١٦٣, ٢٠٧, ٢٤٦, ٢٥٢, ٤٥٥, ٢٥٣	الأرمن ٦٨, ٧٩, ١٠١, ٢٦٢, ٢٦٣, ٢٦٧, ٢٦٨, ٢٧٢, ٢٧٣, ٢٧٤, ٢٧٧, ٤٠٤, ٥٠٧
العراقيين ٨٥	الأشاعرة ١٠٤, ١٠٥, ١٦٠, ١٦١
العرب ٣, ٤٠٣, ٤١٢, ٤٦٨, ٤٩٦	الأكاسرة ٢٧٦
الفلاسفة ٤١٨, ٤٢٠, ٤٣٦, ٤٩٨	الأكراد ٧٨, ١١٤, ٣٧٠
قوم شداد ٤٢٥	أهل السنة ٩٢, ١١٧, ١٢٥
الكرج ٧٦, ٧٩, ٨٢, ٩٨, ١٠١, ١١٦, ١١٧, ١١٨, ١٢١, ١١٩	الإيرانيون ٣٨٨, ٤٠٢, ٤٦٨
المجوس ١٤٦, ٣٩٦	الترك ١٥٣
المسلمون ١٥٦, ٤٤٠, ٤٤١	الدولة الخوارزمية ١٢١
المعتزلة ١٦٠	الدولة الشدادية ١١٦
المغول ٥٤, ٩٢, ١١٠, ١٣٦	دويلة الأتابكة ٧٧
اليونانيون ٤١٢	الروس ٣٩, ٤٤, ٤٥, ٤٠٨
	الروم ٢٠, ٦٥, ٦٦, ٦٨, ٦٩, ٧٤, ٢٧٩, ٢٨١, ٢٩٩, ٣٠٠, ٣٩٥, ٤٠٣, ٤٢٢, ٤٣٦, ٥٠٧, ٥٠٨
	الزردشتيون ١٤٦
	الزنوج ٣٩٧
	السلاجقة ١٧, ٢٣, ٥٤, ٥٨, ٥٩, ٦٥, ٦٦, ٧٠, ٧٢, ٧٨, ٨٢, ٩٠, ٩١, ٩٩, ١٠١, ٥٠٤
	سلاجقة العراق ٥٨, ٥٩, ٦١, ٦٣, ٦٤, ٦٦, ٧٢, ٨٤, ٥٠٤, ٥٠٥

## كشاف المدن والبقاع والأقطار والبحار والقلاع

بردعة ١١٨، ٢٦٧، ٤٠٥، ٤٠٨	ا
برلين ٤٤٧	أذربيجان ١٠، ١٧، ٧١، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ٩٠،
بغداد ١٠، ١٧، ٢٣، ٦٠، ٦١، ٧٤، ٧٩، ٨٧، ٩٠، ٩١،	٩٥، ١٠٠، ١١٧، ١٢٢، ١٣٦، ١٦٩، ١٧٠،
٤١٥، ٥٠٦	١٧٢، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ٢٦٢، ٢٧٧، ٣٨٩،
بلاد الأرمن ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٣،	٤٤١، ٤٤٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٨٨، ٥٠٦،
٢٧٤، ٢٧٧، ٤٠٤	٥٠٧
بلاد الأندلس ٤٢٣	آسيا الصغرى ١٨٦، ٥٠٥، ٥٠٨
بلاد الروم ٢٨١، ٢٩٩، ٣٤٧، ٤٠٣	أرزن الروم ٥٠٧
بلاد العرب ٤٠٣	أرزنجان ٦٦، ٦٧، ٦٨، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ٥٠٧
بلاد اليونان ٣٩٥، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٦، ٤٣٣،	أرمينية ٤٠٨، ٥٠٧
بمباى ٤٨٩، ٤٩٨	استانبول ٤٩٩
بيت المقدس ٤٢٢، ٤٢٣	أعلم ٦٠، ٦٩
ت	إصفهان ٦١، ٦٢، ٧٤، ٨٥، ٩٠، ٢٨٦
التبت ٤٠٧	أوروبا ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩
تبريز ٧٩، ٩٤، ٥٠٧	إيران ١٧، ١٩، ٨٧، ٩٢، ٩٩، ١٣٦، ١٦٢، ١٨٣، ٢٥٣،
ح	٢٦٣، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٩٦، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٣٨،
حمدونيان ٢٥٩، ٢٦٠	٤٦٨، ٤٩١، ٥٠٦
خ	ب
خراسان ٥٨، ٨٥، ٩٣، ٤٠٧، ٤١٥، ٤٦٨	بابل ٤٣٣، ٤٧٧
خوارزم ٥٨، ٩١	باخرزان ٢٧٤
خوزستان ٦١، ٢٦٢	باكو ٨٤، ٨٥
	بحر الخرز ٢٦٣
	براغ ٤٢

<p><b>ف</b></p> <p>فارس ٤٣٦,٣٦٨,٦٠,٢٣</p> <p><b>ق</b></p> <p>قم ٥٠٨,٤٠١,١٨٧,١٥٣,١٥٢ قندهار ٤٢٨</p> <p><b>ك</b></p> <p>كاظمين ١٠٥ كاك ٦٢ كالستنس ٤٤١ كرمان ٤٩٢,٤٨٧,٤٣٣,٦٣,٦٢ كرمانشاهان ٢٧٤,٢٦٣ الكعبة ٤٠٤,٤٠٣ كلكتة ٤٩٣,٤٩٢,٤٨٦,١٣٧,٤١,٤٠,٣٨</p> <p><b>ل</b></p> <p>لندن ٤٥,٤١,٤٠,٣٩ لنكربهشت ٤٢٨ ليزيج ٤٩٦ ليدن ٤٩٥,٤٩٣,٤٩٢,٤٩١,٤٩٠,٤٨٩,٤٨٨ ٤٩٩,٤٩٧,٤٩٦</p> <p><b>م</b></p> <p>محلة الكرخ ١٠٥ مراغة ٥٠٨,٥٠٦,٩٠,٨٢,٧٩,٧٨,٧٦,١٠ مرو ٤١٤,٢٢٦,٥٩ مصر ٤٥٦,٤٣٩,٤٣٤,٤٢٢,١٦٩,٣٣,٣٢,٢٣ ٤٩٩,٤٩٨,٤٩٦,٤٩٥ المغرب ٤٢٦,٤٢٢,٤١٢,٤٠٣,٢٦٧,٧٤</p>	<p><b>د</b></p> <p>دريند ٥٠٨,٥٠٧,٣٦٢,٢٥٨ درسدن ١٨٧</p> <p><b>ر</b></p> <p>روئين در ٨٠,٧٨ روسيا ١٧٢</p> <p><b>ش</b></p> <p>شروان ٥٠٦,٤٤٦,٣٠٩,٨٦,٨٣,٨٢,١٠ شهرزور ٤٣٤,٤٣٣</p> <p><b>ص</b></p> <p>الصين ٤٣٠,٤٢٩,٤٠٨,٤٠٧,٣٥٠,٢٨٠,٧٤</p> <p><b>ط</b></p> <p>طاقديس ٢٨٦ طهران ٤٨٧,٤٨٦,٤٦٩,٤٤١,٢٥٦,٥٠,٤٩,٤٨ ٤٨٨,٤٨٩,٤٩٠,٤٩١,٤٩٢,٤٩٣,٤٩٤ ٥٠٨,٤٩٩,٤٩٧,٤٩٦</p> <p><b>ع</b></p> <p>العراق ٨٤,٧٢,٦٦,٦٥,٦٤,٦٣,٦١,٥٩,٥٨ ٥٠٨,٥٠٥,٥٠٤,٤٠٤,٢٥٧,٨٥ العراق العجمي ٥٠٨ العراقيين ٨٥</p> <p><b>غ</b></p> <p>غازان ٣٩</p>
--	--

مقدونية ٣٩٥

مكة ٣١٧

الموصل ٣٨٩,١٨٣,١٧١,١٧٠,١٦٩,١٦٨,٩١,٩٠

٤٥٨,٤٣٥

موقان ٢٧٧,٢٧٤,٢٦٧

هـ

هرك ١١٨

همدان ٧٣,٦٢,٦٠

الهند ٤٣٩,٤٣٨,٤٢٧,٤٠٧,٣٩٥,٣٥٨,٤٠,٣٦

٤٨٧,٤٦٩,٤٤٧

اليمن ٤٠٤,٢٠٩

## جدول الصور

- ١- خريطة الشرق الأوسط في عصر نظامي ص ٥٥
- ٢- صورة نظامي نقلاً عن أصلها المحفوظ في مكتبة لنيجراد بين ص ٣١٢
- ٣- صورة الصفحة الأولى من إحدى نسختي ديوان نظامي الخطيتين الموجودتين في مكتبة بودلين بأكسفورد ص ٤٤٤
- ٤- صورة الصفحة الأولى من نسخة ديوان نظامي الخطية الموجودة في برلين ص ٤٤٤

## كتب وأبحاث علمية

صدر منها:

- ١- معالم تاريخ مصر الحديث (بالاشتراك مع الدكتور حسن محمود) وهو مؤلف بالإنجليزية، ويصور معالم تاريخ مصر الحديث تصويرًا واضحًا، فيشرح العوامل التي وجهت هذا التاريخ، وقد صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٤٩.
- ٢- فن المثنوي، وهو بحث علمي موجز كتب بالفارسية، يتناول فن (المثنوي) أو (المزدوج) في الشعر الفارسي، مع الإشارة إلى أشهر المثنويات حسب ترتيبها الزمني، وهو منشور في مجلة دانش التي صدرت في طهران في يناير من عام ١٩٥١.
- ٣- آموزگار فارسي (بالاشتراك مع الأستاذين صادق نشأت وفؤاد الصياد) وهو مؤلف بالفارسية؛ ويقع في ثلاثة أجزاء تهدف إلى دراسة الفارسية المعاصرة، مع عرض للأدب الفارسي في عصوره المختلفة، وقد صدر الجزء الأول منها في عام ١٩٥٢، وصدر الجزءان الثاني والثالث في عام ١٩٥٣.
- ٤- كليله ودمنة در زبان فارسي عربي، وهو بحث علمي مكتوب بالفارسية يكشف عن حقيقة كتاب "كليله ودمنة" ويصور خط سيره في اللغتين الفارسية والعربية، وهو منشور في مجلة وزارة المعارف الإيرانية العلمية المسماة "آموزش و پرورش" في أغسطس من عام ١٩٥٣.
- ٥- نظامى الگنجوى شاعر الفضيلة، وهو أشمل بحث، وأوسع دراسة لهذا الشاعر الإيراني العظيم الذي يعد بحق إمام "فن المثنوي" وأستاذ الفن القصصي المنظوم بالفارسية، وهو يشمل دراسة أحواله، وعصره، وبيئته، وشعره، وتصوير واضح



لكل قصة من قصصه، ويحتوي على بضعة آلاف بيت من الشعر الفارسي في مقابل ترجمتها العربية مع دراسات مقارنة، وقد صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٥٤.

ويصدر قريباً:

٦- دراسات في النثر الفارسي وتطوره، وهو دراسات شاملة - باللغة العربية - للنثر الفارسي بعد الإسلام، وتصوير فنونه المختلفة، ومقارنته بالنثر العربي.

٧- تاريخ الدولة السلجوقية حتى سقوط بغداد، وهو أشمل دراسة لتاريخ هذه الدولة التي لعبت دوراً مهماً على مسرح التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ إيران بصفة خاصة، وهو مؤلف العربية.

٨- مخزن الأسرار، وهو عبارة عن أول ترجمة عربية لأولى منظومات الشاعر الإيراني نظامي الكنجوي، مع دراسة مقارنة، ونشر النص الفارسي.

٩- قصة ليلي والمجنون، وهو أول ترجمة عربية لمنظومة "ليلي ومجنون" لنظامي الكنجوي، مع دراسة مقارنة، ونشر النص الفارسي.

١٠- جمال الدين الإيراني المشهور بالأفغاني (بالاشتراك مع الأستاذ صادق نشأت) وهو دراسة وافية بالعربية تحقق أصل هذا المصلح الكبير، وتشرح مبادئ دعوته الإصلاحية.

ويطلب المنشور من هذه الكتب والأبحاث من مكتبة الخانجي، ومكتبة النهضة بالقاهرة، والمكتبات الشهيرة بالشرق والغرب.



